المُعلّمُ الأعظمُ

إلن ج. هوايت

«فَفَتَحَ فَاهُ وعَلَّمَهُمْ قَائِلاً :

طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بالرُّوحِ. لأنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. طُوبَى لِلْحَزانَى. لأنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ. طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ. لأنَّهُمْ يَرِثُونَ الأرْضَ. طُوبَى لِلْجِياعِ والْعِطَاشِ إلَى الْبِرّ لأنَّهُمْ يُشْبَعُونَ. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ. لأنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. طُوبَى لِلأنْقِيَاءِ الْقَلْبِ. لأنَّهُمْ يُعَايِنونَ الله. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلامِ. لأنَّهُمْ أبْنَاءَ الله يُدْعَوْنَ. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أجْلِ البِرِّ. لأنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. طُوبَى لَكُمْ إذا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ مِنْ أجْلِي كَاذِبِينَ. افْرَحُوا وتَهَلَّلُوا. لأنَّ أجْرَكُمْ عَظِيم في السَّمَوَاتِ. فإنَّهُمْ هكَذا طَرَدُوا الأنبياءَ الذينَ قبْلَكُمْ.»

متّى ٥:٢ - ١٢

الفهرس

القسم الأول - امثال المسيح

١	التعليم بأمثال	٧ - ١٤
٢	«الزَّارع خَرجَ ليزرَع»	١٥ - ٤٠
٣	«أوَّلاً نَباتاً ثم سُنبلاً»	٤١ - ٤٦
٤	الزَّوَان	٤٧ - ٥١
٥	«مثْل حَبّة خَردل»	٥٢ - ٥٥
٦	دُروس أخرى مِن إلقَاء البذار	٥٦ - ٦٤
٧	يشبه خميرة	٦٥ - ٧٠
٨	الكنز المخفي	٧١ - ٨٢
٩	اللؤلؤة	٨٣ - ٨٨
١٠	الشبكة	٨٩ - ٩٠
١١	جُدد وَعُتقَاء	٩١ - ١٠٠
١٢	اطلبوا لِتُعطوا	١٠١ - ١١١
١٣	رَجُلان يصَلّيان	١١٢ - ١٢٣
١٤	آفلا يُنصِف الله مختَاريه ؟	١٢٤ - ١٣٨
١٥	«هذا يقبَل خُطاة»	١٣٩ - ١٥١
١٦	كان ضالا فوجد	١٥٢ - ١٦٢
١٧	«اتركْهَا هَذه السَّنة أيضاً»	١٦٣ - ١٦٨

١٨	«اخـرُج إلى الطـرق وَالسِـيَاجَات»	١٦٩ – ١٨٥
١٩	مِقيَاس الغفـران	١٨٦ – ١٩٣
٢٠	رِبـح هـو في حقيقتـهِ خسَـارة	١٩٤ – ١٩٩
٢١	«هـوَّة عَظيمَـة قَد أُثبتـتْ»	٢٠٠ – ٢١٠
٢٢	القَـول والعَمَـل	٢١١ – ٢٢١
٢٣	كَرْمُ الـرّبُ	٢٢٢ – ٢٤٠
٢٤	«إنسَـان ليسَ عَليـهِ لبَاس العُـرس»	٢٤١ – ٢٥١
٢٥	الوَزنَــات	٢٥٢ – ٢٩٠
٢٦	«أصدقـاء بمَـال الظلـم»	٢٩١ – ٢٩٨
٢٧	«مَـن هُـو قريبــي»؟	٢٩٩ – ٣١٠
٢٨	مجَازاة النّعمَـة	٣١١ – ٣٢٣
٢٩	لِلِقَـاء العَـريس	٣٢٤ – ٣٣٦

القسم الثـانـي – خواطـر فـي جبـل البركـة

٣٠	عند سفح الجبـل	٣٤٠ – ٣٤٤
٣١	التّطويبـــات	٣٤٥ – ٣٧٧
٣٢	رُوحَانيـّة الشـريعَة	٣٧٨ – ٤٠٦
٣٣	الدّافِـع الحَقيـقي إلى الخِدمَـة	٤٠٧ – ٤٢٧
٣٤	الصـّلاة الرّبَـانيــّة	٤٢٨ – ٤٤٤
٣٥	العَمَـل لا الإدانــة	٤٤٥ – ٤٧٠

١ التَّعليم بأمْثَال

في تعليم المسيح بأمثال يُرى نفس المبدأ كالذي يُرى في رسالته إلى العالم. فلكي نتعرف على صفات المسيح الإلهية وحياته إتخذ هو طبيعتنا وحل بيننا. لقد أُعلنت الألوهية في البشرية، المجد غير المنظور في الجسم البشري المنظور. فلقد أمكن الناس أن يتعلموا عن المجهول بواسطة المعلوم، فالأمور السماوية أُعلنت بواسطة الأشياء الأرضية، وأُظهر الله في شبه الناس. وكذلك كانت الحال في تعليم المسيح، فقد أوضح المجهول بما كان معلوما، والحقائق الإلهية بالأمور الأرضية التي كان الشعب على علم وخبرة بها.

يقول الكتاب: «هذا كلّه كلّم به يسوع الجموع بأمثال .. لكي يتمّ ما قيل بالنبي القائل سأفتح بأمثال فمي وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم» (متى ١٣:٣٤،٣٥) كانت الأشياء الطبيعية وسيلة الوصول إلى الحقائق الروحية، فأشياء الطبيعة واختبار حياة سامعيه كانت مرتبطة بحقائق الكلمة المكتوبة. وأمثال المسيح، إذ تنقلنا من المملكة الطبيعية إلى الملكوت الروحي إن هي إلا حلقات في سلسلة الحق توحِّد الإنسان بالله والأرض بالسماء.

إنّ المسيح إذ علَّم بدروس من الطبيعة إنما كان يتحدث عن الأشياء التي هي صنعة يديه والتي لها صفات وقوى أودعها فيها. إنّ كل الخليقة في حالتها الأولى، حالة الكمال، كانت تعبيرا عن فكرة الله. ففي نظر آدم وحواء وهما في وطنهما في عدن كانت الطبيعة ملأى من معرفة الله ومن التعاليم الإلهية.فالحكمة خاطبت العينين فقبلها القلب، لأنهما كانا يتحدثان مع الله في أعمال خليقته. ولكن حالما تعدى ذانك الزوجان القديسان

شريعة العلي أمّحى بهاء وجه الله عن وجه الطبيعة. فالأرض مشوهة الآن ومنجسة بسبب الخطية. ومع ذلك فحتى في حالتها الراهنة، حالة اللفح واليبوسة، لا يزال باقيا فيها كثير من ألوان الجمال. إن دروس الله المنظورة لم تُمحَ. فلو فهم الناس الطبيعة على حقيقتها لتحققوا من أنها تتحدث عن خالقها.

ولكن في أيام المسيح كانت هذه الدروس قد غابت عن الأنظار والأذهان. فقد كاد الناس لا يدركون وجود الله في أعمال يديه. ذلك لأن شرّ البشرية كان قد ألقى على وجه الخليقة الجميل غطاء سميكا فبدلا من أن تعلن الله أعمالُه صارت مانعا يحول دون ذلك. فالناس «اتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق» وهكذا حدث أنّ الوثنيين: «حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي» (رومية ١:٢٥،٢١). وكذلك في إسرائيل وُضعت تعاليم الناس في موضع تعاليم الله. وليس فقط أمور الطبيعة بل أيضاً الخدمة الكفارية وكلام الله نفسه - وكلها معطاة لتعلن الله - حُرّفت بحيث صارت وسيلة لحجبه.

وقد سعى المسيح ليرفع عن الحق ما قد حجبه. لقد أتى لكي يزيح الحجاب الذي قد غطت به الخطية وجه الطبيعة كاشفاً للأبصار عن المجد الروحي الذي قد خُلقت كل الأشياء لكي تعكسه. وقد وضعت أقواله تعاليم الطبيعة وتعاليم الكتاب في وضع جديد وجعلتها إعلانا جديداً.

لقد قطف يسوع الزنبقة الجميلة ووضعها في أيدي الأولاد والشباب، فإذ نظروا إلى وجهه النضير الذي استنار بنور وجه أبيه قدّم لهم هذا الدرس قائلاً: «تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو (في بساطة جمالها الطبيعي) لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها». ثم تبع ذلك التأكيد الجميل والدرس الهام القائل: «فان كان عشب

الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غدا في التنّور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان» ؟.

والمسيح في موعظته على الجبل نطق بهذه الأقوال في مسامع أناس آخرين غير الصبية والشباب. فقد أسمعها لجموع من الناس كان بينهم رجال ونساء أضناهم الانزعاج والارتباك وانسحقت نفوسهم بسبب الفشل والحزن وأستطرد يسوع قائلا: «فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس (فان هذه كلها تطلبها الأمم) لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها» ثم بسط يديه إلى الجمع المحيط وقال: «لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم» (متى ٦:٢٨ - ٣٣).

وهكذا فسر المسيح الرسالة التي قد أضفاها بنفسه على الزنابق وعشب الحقل. إنّ أقواله عامرة باليقين وهي ترمي إلى تثبيت ثقتنا في الله.

ولقد كانت نظرة المسيح إلى الحق واسعة جدا، وكان تعليمه ممتدا وواسع المدى بحيث استخدم كل مظهر من مظاهر الطبيعة في شرح الحق وإيضاحه. فالمشاهد التي تقع عليها العين كل يوم كانت كلها مرتبطة بحق روحي بحيث أنّ كل الطبيعة ملأى بأمثال السيد.

إن المسيح في سنيّ خدمته الأولى كان يخاطب الشعب بكلام غاية في البساطة حتى يفهم كل سامعيه الحقائق التي كان يمكن أن تحكّمهم للخلاص. ولكن كانت توجد قلوب كثيرة لم يتأصل الحق فيها، فسرعان ما أخذ الحق منهم. قال السيد: «من أجل هذا أكلمهم بأمثال لأنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون ... لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم» (متى ١٣:١٣ - ١٥).

لقد رغب المسيح في أن يوقظ التساؤل في قلوب الناس. سعى لتنبيه المهملين وطبع الحق على القلوب. لقد كان التعليم بأمثال أمرا شائعاً، وكان

يسترعي الاحترام والانتباه مـن الأمـم الأخـرى. ولم تكـن هنـالك وسـيلة للتعليـم افعل مـن هـذه كـان يمكنـه أن يسـتخدمها. فلـو رغـب سـامعوه في معرفـة الأمـور الإلهية لأمكنـهم أن يفـهموا كلامـه لانـه كـان يرغـب دائمـا في أن يوضحـها لكـل سائل مخلص أمـين.

وكـانت لـدى المسيح أيضـاً حقـائق ليقدمـها إلا أن جمـوع الشـعب لم يكونـوا مسـتعدين لقبولهـا أو حتـى فهمـها. فلـهذا السـبب أيضـاً علمـهم بأمثـال. فـإذ قـرن تعليمــه بمشـاهد الحيـاة أو الاختبــار أو الطبيعــة اســترعى انتباهــهم وأثّــر في قلوبــهم. وبعــد ذلــك إذ نظـروا إلى الأشـياء الـتي أوضحــت تعاليمــه تذكــروا أقـوال المعلـم الإلهـي. فالأذهـان الـتي كـانت مفتوحـة للـروح القـدس تبَّـين لهـا مغزى تعليم المخلص اكـثر فـأكثر. وقـد اتضحـت الأسـرار. ومـا كـان يعسـر فهمـه قبلا صار واضحا وجليـا.

وقد حاول يسوع أن يجد طريقاً إلى كـل قلـب. فـإذ أسـتعمل تشـابيه متنوعـة لم يقـدم الحــق في وجوهــه المختلفــة وحســب بــل خــاطب ســامعيه علــى اختـلاف طبقاتـهم، فاسـترعى اهتمامـهم لــدى سماعــهم الرمــوز المــأخوذة مــن بيئـات حياتـهم اليوميـة. ولم يكـن أحـد ممـن قــد أصغــوا إلى المخلـص يحـس بأنـه قـد اغفـل أو نسـي. وأن أحقـر وأشـرّ إنسـان سمـع في تعاليمـه صوتـا خاطبـه في عطف ورقـة

وكــان لديــه ســبب آخـر للتعليــم بأمثــال. فقــد كــان بــين الجمــوع الــتي احتشـدت حولـه كهنـة ومعلمـون وكتبــة وشــيوخ وهيرودســيون ورؤســاء الذيــن كـانوا قومـا محبـين للعـالم متعصبـين وطمـاعين، وكـان جـل اهتمامـهم منصرفـا إلى إيجـاد علّـة عليه. وقد تعقّبـه جواسيسـهم يومـا بعـد يـوم لكـي يسـتخلصوا مـن كلامه علّة لإدانته ويبكمـوا إلى الأبـد ذاك الـذي بـدا وكـأنـه قـد اجتـذب العـالم وراءه. لقد عـرف المخلـص صفـات هـؤلاء النـاس فقـدّم الحـق بكيفيـة لا توجـب

عـرض قضيتـه علـى السنهدريم. وفي أمثالـه وبـخ ريـاء وشـرور مـن قـد احتلـوا مراكـز رفيعـة، وبلغـة رمزيـة ألبس الحـق الجـارح الـذي لـو نطـق بـه في تشـهير سـافر مباشـر، لكـانوا انصرفـوا عـن سماعـه وعطلـوا رسـالته. وبتجنّـب الجواسـيس فقـد أوضـح الحـق بحيـث ظـهر الضـلال واسـتفاد مـن تعاليمـه النـاس أنقيـاء القلـب. لقـد اتضحـت الحكمـة الإلهيـة والنعمـة غـير المحـدودة بواسـطة خليقـة الله. وتعلـم النـاس عـن الله عـن طريـق الطبيعـة واختبـارات الحيـاة. «لأن أمـوره غـير المنظـورة تُـرى منـذ خلـق العـالم مدركـة بالمصنوعـات قدرتـه السـرمدية ولاهوتـه» (روميـة ١:٢٠).

إنّ في تعليـم المخلـص بأمثـال لدلالـة علـى مـا يكـوِّن «التـهذيب الأسمـى» الحقيقـي. كـان يمكـن للمسـيح أن يكشـف للنـاس عـن أعمـق حقـائق العلـم. كـان في مقدوره أن يفتـح كنـوز الأسـرار الـتي كـان استكشـافها يحتـاج إلى عـدة قـرون مـن الـدرس والاسـتقراء. كـان يمكنـه أن يقـدم بعـض المقترحـات في فـروع العلـم الـتي كـانت كفيلـة بتقديـم غـذاء للفكـر وحـافز علـى الابتكـار إلى انقضـاء الدهـر. إلا أنـه لم يفعـل هـذا. فلـم يقـل شـيئا لإشـباع الفضـول أو لإشـباع طمـوح الإنسـان بفتـح الأبـواب للعظمـة العالميـة. إن المسـيح في كـل تعليمـه قـرّب العقـل البشـري وجعلـه علـى اتصـال بـالعقل الإلهـي غـير المحـدود. إنّـه لم يوجّـه النـاس إلى دراسـة النظريـات البشـرية عـن الله أو كلمتـه أو أعمالـه. بـل علمهم أن يروه كما هـو ظاهر ومعلن في أعمالـه وكلمتـه وفي ظـروف عنايتـه.

ولم يتنـاول المسيح النظريات المعنويـة بـل تنـاول مـا هـو جوهـري في إنمـاء الخلـق وتطويـره، ومـا مـن شـأنه أن يوسّـع إمكانيـات الإنسـان لمعرفـة الله ويزيـد مـن مقدرتـه علـى عمـل الخـير. لقـد تحـدث إلى النـاس عـن تلـك الحقـائق الخاصة بسلوك الإنسان في الحياة ومـا يجعلـه يمسـك بالأبديـة.

إن المسيح هو الذي وجَّه تعليم العبرانيين. ففيما يختص بوصايا الرب وفرائضه قال لهم: «قصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم. واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك. واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك» (تثنية ٦:٧ – ٩). ولقد أبان يسوع في تعليمه كيف يجب إتمام هذا الأمر، وكيف يمكن تقديم قوانين ملكوت الله ومبادئه بحيث تكشف عن جمالها وقيمتها الغالية. فحين كان الرب يدرّب العبرانيين على أن يكونوا ممثلين له أعطاهم بيوتا بين التلال والوديان. وفي حياتهم البيتية وخدمتهم الدينية كانوا على اتصال دائم بالطبيعة وبكلمة الله. وكذلك علّم المسيح تلاميذه على شاطيء البحيرة وعلى جانب الجبل وفي الحقول الحدائق والغابات حيث كان يمكنهم النظر إلى مشاهد الطبيعة التي بواسطتها كان يوضح تعاليمه. فإذ تعلموا من المسيح استفادوا مما قد تعلموه بتعاونهم معه في عمله.

وهكذا فعن طريق الخليقة يمكننا التعرّف بالخالق. إنّ سفر الطبيعة هو كتاب درس عظيم، وعلينا أن نستخدمه بالارتباط مع الكتاب المقدس حين نعلّم الآخرين عن صفات الله وإرشاد الخراف الضالة إلى حظيرة الله. فإذ ندرس أعمال الله فالروح القدس يقنع العقل.إلاّ أن الاقتناع هذا ليس هو الذي يجيء نتيجة للمحاجّة المنطقية، ولكن إذا لم يكن العقل مكتنفا بظلمة داجية بحيث لا يعرف الله، وما لم تكن العين عمياء عن أن تراه، وما لم تكن الاذن غلفاء فلا تسمع صوته فإنّ الإنسان يدرك معنى اعمق وتنطبع على القلب الحقائق الروحية السامية المدونة في كلمة الله.

ففي هذه الدروس التي نتلقاها من الطبيعة مباشرة توجد بساطة وطهارة تجعلها ذات قيمة عظيمة، وانّ الجميع بحاجة إلى التعليم من هذا المصدر.

إنّ جمال الطبيعة في ذاته يقود النفس بعيداً عن الخطية وجاذبية العالم، إلى القداسة والطهارة والسلام والله. وفي غالب الأحيان تكون عقول الطلبة ممتلئة بنظريات الناس وتخيلاتهم التي تُسمّى، كذباً، علما وفلسفة. فهم بحاجة لأن يتصلوا بالطبيعة ويتعلموا أن الخليقة والمسيحية لهما اله واحد. ويتعلموا أن يروا التوافق والانسجام بين ما هو طبيعي وما هو روحي، ليصير كل ما تراه عيونهم وما يمسكونه بأيديهم درساً لبناء الخلق. وهكذا تنشط قوى الذهن وينمو الخلق وتتسامى الحياة كلها.

كان هدف المسيح من التعليم بأمثال على وفاق مع هدف السبت. فلقد أعطى الله للناس تذكار قدرته الخالقة حتى يميزوه ويعرفوه في أعمال يديه. والسبت يأمرنا بان نرى في أعمال خليقته مجد الخالق. وحيث أن يسوع أرادنا إن نفعل هذا جعل تعاليمه الثمينة مرتبطة بجمال الأشياء الطبيعية. فيجب أن ندرس أمثال المخلص حيث نطق بها في الحقول والأحراش، تحت قبة السماء وبين الأعشاب والأزهار. فإذ نقترب من قلب الطبيعة فالمسيح يحقق لنا حضوره ويخاطب قلوبنا بكلام السلام والمحبة.

وقد قرن المسيح تعليمه ليس فقط بيوم الراحة بل أيضا بأسبوع الكد والعمل. إن عنده حكمة يمنحها لمن يسوق المحراث ويبذر البذار. ففي الحرث وإلقاء البذار، وفي الزرع والحصاد يعلمنا أن نرى شرحا لعمل نعمته في القلب. وهكذا ففي كل فرع من فروع العمل المثمر وفي كل صلة من صلات الحياة يريدنا إن نقتبس درسا من دروس الحق الإلهي. وحينئذ لن يعود عملنا اليومي يشغل انتباهنا ويجعلنا ننسى الله، ولكنه يذكرنا على الدوام بخالقنا وفادينا. وسيجري تفكيرنا في الله كخيط من ذهب في كل اهتماماتنا الساذجة وأعمالنا. وبالنسبة إلينا سينعكس مجد وجه الله على وجه الطبيعة. وسنظلّ نتعلم بلا انقطاع دروساً جديدة من الحق السماوي وننمو

لنكـون في شبه طهارتــه. وهكــذا نصـير «تلاميــذ الــرب»، وفي النصيــب الــذي نُدعــى إليــه نلبــث «في ذلـك مـع الله» (إشـعياء ١٣:٥٤ ؛ ١ كورنثــوس ٢٤:٧).

٢ «الزَّارع خَرجَ ليزرَع»

إن المسيح يشرح لنا في مثل الزارع الأمور المختصة بملكوت السموات وعمل الفلاح العظيم لأجل شعبه. فكزارع في الحقل أتى هو ليبذر بذار الحق السماوي. وكان نفس تعليمه بالأمثال البذار الذي به زُرعت أثمن حقائق نعمته. إنّ مثل الزارع نظرا لبساطته لم يُقَّدر التقدير اللائق به. يريد المسيح أن يرشد أذهاننا من البذرة الطبيعية التي تُزرع في الأرض إلى بذار الإنجيل، الذي يؤول زرعه إلى رجوع الإنسان إلى حالة الولاء لله. فذاك الذي ضرب مثل البذرة الصغيرة هو ملك السماء، ونفس النواميس التي تسود على البذار الأرضي تتحكم في زرع بذار الحق.

فبجانب بحر الجليل اجتمع جماعة ليروا يسوع ويسمعوه - وكانوا جمعا مشتاقا ومنتظرا. كان هناك المرضى منطرحين منتظرين أن يتقدموا إليه بشكاتهم. وكان حق المسيح المعطى له من الله أن يشفي أمراض جنسنا الخاطيء وبلاياه. وها هو الآن قد انتهر المرض ونشر من حوله الحياة والصحة والسلام.

وإذ بدأ عدد المتجمهرين يتكاثر، زاد ضغط الشعب على المسيح بحيث لم يعد يوجد متّسع لمزيد. فإذ تكلم المسيح كلمات قليلة مع الرجال الذين في قوارب صيدهم نزل في القارب الذي كان في انتظاره ليأخذه عبر البحيرة، وإذ أمر تلاميذه أن يبعدوا قليلاً عن البرّ جعل يخاطب الجموع الذين على الشاطيء.

بجانب البحر امتدّ سهل جنيسارت الجميل ومن خلفه ارتفعت التلال، وعلى جانب التلال وفي السهل كان الزارعون والحاصدون مشتغلين، هذا في إلقاء البذار وذاك في جمع الحصاد المبكر. فإذ نظر المسيح إلى هذا

المشهد قال: «هوذا الزارع قد خرج ليزرع. وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور وأكلته. وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة فنبت حالا إذ لم يكن له عمق أرض. ولكن لما أشرقت الشمس احترق. وإذ لم يكن له اصلٌ جفّ. وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمراً بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين» (متى ١٣:٣ – ٨).

إن الناس في عهد المسيح لم يفهموا رسالته. فلم تكن كيفية مجيئه مطابقة لتوقعاتهم. لقد كان الرب يسوع أساس كلّ التدبير اليهودي. كانت خدماتهم المهيبة بموجب تعيين إلهي. وكان القصد منها تعليم الشعب انه في الوقت المعين سيأتي ذاك الذي كانت تلك الطقوس تشير إليه. ولكنّ اليهود مجّدوا الفرائض والطقوس وغاب عن أنظارهم هدفها وغايتها. إنّ التقاليد وقوانين الناس وتشريعاتهم اخفت عنهم الدروس التي قصد الله أن يتعلّموها. فقد صارت هذه القوانين والتقاليد عقبة في طريق فهمهم وممارستهم للدين الحقيقي. وعندما جاءت الحقيقة في شخص المسيح لم يمّيزوا فيه إتمام كل رموزهم وجوهر كل رموزهم وظلالهم. لقد رفضوا المرموز إليه وتعلقوا برموزهم وطقوسهم العديمة النفع. إنّ ابن الله قد أتى ولكنهم ظلوا يسألون آية. والرسالة القائلة: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» أجابوا عليها بأن طلبوا آية (متى ٢:٣).

لقد كان إنجيل المسيح صخرة عثرة لهم لأنهم طلبوا آيات بدلا من أن يطلبوا مخلصاً. كانوا ينتظرون أن يثبت مسّيا صدق ما قاله عن قدرته على كسب انتصارات عظيمة، وتأسيسه إمبراطوريته على أطلال ممالك الأرض. وقد أجاب المسيح على هذا التوقع بما جاء في مثل الزارع. فملكوت الله لم يكن لينتصر بقوّة السلاح أو التدخل العنيف بل بغرس مبدأ جديد في قلوب بني الإنسان.

«الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان» (متى ١٣:٣٧). فالمسيح قد أتى لا كملك بل كزارع، لا ليهدم الممالك بل ليلقي البذار، لا ليوجّه تابعيه إلى نصرات أرضية وعظمة قومية بل إلى حصاد يجب أن يُجمع بعد كدّ صبور في وسط الخسائر والمفشلات.

لقد فهم الفريسيون معنى مَثَل المسيح ولكنهم لم يكونوا يرحبون بالدرس المستفاد منه. فقد تظاهروا بأنّهم لم يفهموه. أمّا بالنسبة إلى الجمع فقد اشتمل المثل، في سرّ أعظم، على غرض المعلم الجديد الذي قد حرك كلامه قلوبهم بكيفية غريبة ولكن بمرارةٍ خيّب كلّ طموحهم. أمّا التلاميذ أنفسهم فلم يفهموا المثل، إلاّ أنّ اهتمامهم قد أثير. فجاءوا إلى يسوع على انفراد ليفسره لهم.

هذا هو الشوق الذي كان المسيح يرغب في أن يثيره فيهم، لكي يقدّم لهم مزيداً من الإرشادات المعينة. وقد فسر لهم المثل، كما يفسر ويوضح كلمته لكل من يطلبونه بقلوب خالصة. فالذين يدرسون كلمة الله بقلوب مفتوحة لإنارة الروح القدس لن يفوتهم فهم معنى الكلمة. قال المسيح: «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي» (يوحنا ٧:١٧). فكل من يأتون إلى المسيح في طلب معرفة أوضح للحق سينالونها. وهو سيكشف لهم عن أسرار ملكوت السموات، والقلب الذي يتوق لمعرفة الحق سيفهم هذه الأسرار. وسيضيء نور سماوي في هيكل النفس وسيعلن للآخرين كسراج موقد منير في طريق مظلم.

«هوذا الزارع قد خرج ليزرع». كانت الحالة في الشرق غير مستقرة، وكان يوجد خطر عظيم من الغزو والعنف حتى كان اكثر الناس يسكنون في مدن ذات أسوار، وكان الفلاحون يخرجون كل يوم لمباشرة أعمالهم خارج الأسوار. وهكذا المسيح الزارع السماوي خرج ليزرع. لقد ترك وطنه حيث

الأمن والسلام، ترك المجد الذي كان له عند الآب قبل كون العالم، وترك مكانه على عرش الكون. ثم خرج إنسانا متألّما مجرّباً، خرج منفردا ليزرع بالدموع وليروي بدمه بذار الحياة للعالم الهالك.

وبنفس هذه الكيفية يجب على خدامه أن يخرجوا ليزرعوا. فإبراهيم حين دُعي ليصير زارع بذار الحق صدر إليه هذا الأمر قائلاً «اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك» (تكوين ١:١٢) : «فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي» (عبرانيين ٨:١١). وكذلك إذ كان بولس الرسول يصلّي في الهيكل في أورشليم جاءته هذه الرسالة من الله: «اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً» (أعمال ٢١:٢٢). وكذلك من يُدعون ليتحدوا مع المسيح عليهم أن يتركوا كل شيء ليتبعوه. فيجب فصم عرى الصداقة مع العشراء القدامى، ويجب هجر خطط الحياة والتخلي عن الآمال الأرضية. فيجب أن يُزرع الزرع بالتعب والدموع والوحشة والتضحية.

«الزارع يزرع الكلمة» (مرقس ١٤:٤). لقد جاء المسيح ليزرع كلمة الحق في العالم. فمنذ سقوط آدم دأب الشيطان في زرع بذار الضلال. فلقد تسلط على الإنسان في البدء بكذبة وهكذا هو ما زال يعمل ليهدم ملكوت الله في الأرض وليجعل الناس تحت سلطانه. وقد أتى المسيح الذي هو زارع من عالم أسمى ليزرع بذار الحق. فذاك الذي وقف في مجمع الله، والذي سكن في داخل مقدس الإله السرمدي أمكنه أن يأتي إلى الناس بمبادىء الحق النقية. فمنذ سقوط الإنسان كان المسيح هو معلن الحق للعالم. وبواسطته سُلمت للناس البذرة التي لا تفنى «كلمة الله الحية الباقية إلى الأبد» (١بطرس ٢٣:١). ففي ذلك الوعد الأول المقدم لجنسنا الساقط في جنة عدن كان المسيح يزرع بذار الإنجيل. ولكن مثل الزارع ينطبق بكيفية خاصة على خدمة المسيح الشخصية بين الناس وعلى العمل الذي قد ثبته.

وكلمة الله هي البذار. إنّ كل بذرة مودع فيها مبدأ الإنبات. ففي داخلها تكمن حياة النبات. وكذلك في كلمة الله توجد الحياة. فالمسيح يقول: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة» (يوحنا ٦:٦٣). «من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية» (يوحنا ٥:٢٤). ففي كل أمر وكل وعد في كلمة الله توجد قوة الله ونفس حياته التي بواسطتها يمكن للإنسان أن يطيع الأمر وبالتالي يتحقق له الوعد. إنّ من يقبل الكلمة بإيمان إنّما يقبل نفس حياة الله وصفاته.

هذا، وان كلّ بذر يثمر ثمرا كجنسه. فازرع البذار بموجب الشروط الصحيحة فتنتقل حياته إلى النبات. وإذا كنت تقبل في نفسك بالإيمان بذرة كلمة الله التي لا تفنى فإنها ستثمر صفات وحياة شبيهة بصفات الله وحياته.

إن معلمي اليهود لم يكونوا يزرعون بذار كلمة الله. فقد كان يوجد تباين واضح بين عمل المسيح كمعلم للحق وعمل معاصريه من معلّمي اليهود. لقد حوّلوا جل اهتمامهم إلى التقاليد والنظريات والتخمينات البشرية. وكثيرا ما كانوا يضعون ما قد علم به الناس وكتبوه عن كلمة الله في مكان الكلمة نفسها. ولهذا فلم يكن لتعليمهم قوّة على إحياء النفس. أما المسيح فكان موضوع تعليمه وكرازته كلمة الله. وكان يواجه المتسائلين والمتشككين بالقول: «مكتوب»، «ماذا يقول الكتاب»؟، «كيف تقرأ»؟ وفي كل فرصة عندما يستيقظ اهتمام صديق أو عدوّ كان السيد يزرع بذار الكلمة. فذاك الذي هو الطريق والحق والحياة والذي هو نفسه الكلمة الحية يشير إلى كلمة الله قائلا: «وهي التي تشهد لي» وإذ «ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء» جعل يفسر لتلميذيه «الأمور المختصة به في جميع الكتب» (يوحنا ٥:٣٩ ؛ لوقا ٢٤:٢٧).

ويجب على خدام المسيح أن يقوموا بنفس العمل. ففي أيامنا هذه كما في أيام القدم نرى أن الحقائق الحية لكلمة الله قد ألقى بها جانبا واستعيض عنها بنظريات البشر وتخميناتهم. إنّ كثيرين ممن يُعرف عنهم انهم خدام الإنجيل لا يقبلون كل الكتاب على انّه كلمة الله الموحى بها. فهذا رجل حكيم يرفض جزءا من الكتاب، ورجلُ آخر يشكّ في جزء آخر. يجعلون حكمهم أسمى من حكم الكلمة، والآية التي يعملون بها تستند على سلطانهم. وهكذا يطمس منشأها الإلهي وبهذه الكيفية يبذر بذار الإلحاد على مدى واسع، لأن الناس يرتبكون ولا يعرفون ما الذي يصدقونه. توجد عقائد كثيرة لا حق للعقل أن يقبلها. في أيام المسيح جعل رؤساء اليهود لكثير من أجزاء الكتاب استنتاجا قهريا غامضا. فلكون تعليم كلمة الله الواضحة دان تصرفاتهم وشجبها حاولوا أن يلاشوا قوتها. وهذا ما يحدث في يومنا هذا. فكلمة الله تُصَّور على أنها مبهمة وغامضة لكي يكون ذلك مبررا للناس ليرتكبوا خطية العصيان على شريعته. والمسيح وبخ هذه التصرفات في أيامه، فقد علّم أنّ كلمة الله يجب أن يفهمها الجميع. وأشار إلى الكتاب المقدس كالحجة غير المشكوك في صدقها أو سلطانها، وهذا نفس ما يجب علينا أن نفعله. فيجب تقديم الكتاب ككلمة الله السرمدي، وكفيصل ينهي كل مشاجرة أو خصام، وأساس كل إيمان.

لقد جُرد الكتاب من قوته، وها نحن نرى النتائج في انحطاط الحياة الروحية. فالعظات التي تلقى من على المنابر اليوم ينقصها ذلك الإعلان الإلهي الذي يوقظ الضمير ويمنح النفس حياة. ولا يستطيع السامعون أن يقولوا: «ألم يكن قلبنا ملتهبا فينا إذ كان يكلمنا في الطريق ويوضح لنا الكتاب» ؟ (لوقا ٢٤:٣٢). يوجد كثيرون ممن يصرخون إلى الإله الحيّ مشتاقين إلى حضور الله. فالنظريات الفلسفية والرسائل الأدبية مهما تكن باهرة متألقة لا يمكنها أن تشبع القلب. إنّ تصريحات الناس واختراعاتهم لا

قيمة لها. فلتتكلم كلمة الله إلى الشعب. وأولئك الذين لم يسمعوا غير التقاليد والآراء والقوانين البشرية، ليسمعوا صوت ذاك الذي تستطيع كلمته أن تجدّد النفس للحياة الأبدية.

إنّ الموضوع الذي كان محبّبا إلى قلب المسيح هو رقة الله الأبوية ونعمته المتفاضلة. لقد تكلم كثيرا عن قداسة صفاته وشريعته. وقدم نفسه للناس على أنّه الطريق والحق والحياة. فلتكن هذه هي المواضيع التي يتكلم فيها خدام المسيح. قدموا الحق كما هو في يسوع. وأوضحوا مطاليب الناموس والإنجيل. واخبروا الناس عن حياة المسيح. حياة إنكار الذات والتضحية. وعن اتضاعه وموته وقيامته وصعوده وشفاعته لأجلهم في محاكم الله، وعن وعده القائل: « آتي أيضا وأخذكم إليّ» (يوحنا ١٤:٣).

فبدلا من التحدث في نظريات خاطئة مضللة أو محاولة مقارعة خصوم الإنجيل اتبعوا مثال المسيح. لتلمع الحقائق الجديدة المستقاة من كلمة الله وخزانته في الحياة «اكرز بالكلمة. اعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب»، «طوباكم أيها الزارعون على كل المياه» ، «والذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق. ما للتبن مع الحنطة يقول الرب»، «كل كلمة من الله نقية ... لا تزد على كلماته لئلا يوبخك فتكّذب» (٢ تيموثاوس ٤:٢ ؛ إشعياء ٣٢:٢٠ ؛ ارميا ٢٣:٢٨ ؛ أمثال ٣٠:٥و٦).

«الزارع يزرع الكلمة» (مرقس ٤:١٤) هنا يقدم المبدأ العظيم الذي يجب أن يكون أساس كل عمل تهذيبي. «الزرع هو كلام الله» (لوقا ٨:١١). ولكن في مدارس كثيرة جدا في أيامنا هذه نجد أن كلمة الله ملقاة في زوايا النسيان. فتوجد موضوعات أخرى تشغل الذهن. إنّ دراسة مؤلفات الكتّاب الملحدين أُفسح لها مجال كبير في نظم التعليم. والآراء الإلحادية تُنسج في مادة الدرس في الكتب المدرسية. والبحث العلمي يصير مضللا

لأن استكشافاته تحرَّف وتُفسد. وكلمة الله تشبَّه وتقارن بتعاليم العلم المزعومة، ويبدو وكأنها غير يقينية وغير موثوق بها. وهكذا يُزرع بذار الشك في عقول الشباب وفي وقت التجربة ينمو ويكبر ومتى ضاع الإيمان بكلمة الله فالنفس تُمسي بلا مرشد أو حارس. والشباب ينقادون في طرق تبعدهم عن الله والحياة الأبدية.

فإلى هذا السبب، إلى حد كبير، يُعزى الإثم المستشري في عالمنا اليوم. فعندما يُلقى بكلمة الله جانباً فإنّ قوتها على كبح أهواء القلب الطبيعي الشريرة تُرفض. الناس يزرعون للجسد ومن الجسد يحصدون فساداً.

وهنا أيضا يكمن السبب العظيم لضعف العقل وقصوره. فالعقل إذ يتحوّل بعيدا عن كلمة الله ليقتات على كتابات رجال غير ملهمين فالعقل يمسي قاصراً ورخيصاً تافهاً. فهو لا يلامس مباديء الحق الإلهي الأبدية العميقة الواسعة الرحاب. والفهم يكيّف نفسه على إدراك واستيعاب الأشياء المألوفة لديه. وفي تكريسه نفسه للأشياء المحدودة يضعف وتتقلّص قدرته. وبعد وقت يصير غير قادر على التمدّد والتوسّع.

كل هذا تهذيب كاذب. فعمل كل معلّم يجب أن يهدف إلى تثبيت وتركيز عقول الشباب في الحقائق السامية، حقائق كلمة الوحي. هذا هو التعليم الجوهري لهذه الحياة والحياة الآتية.

ولكن لا يظنَّن ظانّ أن هذا سيمنع دراسة العلوم أو يسبّب تخفيضا في المستوى التهذيبي. إنّ معرفة الله عالية وسامية بقدر علو السماء، ومتسعة بقدر اتساع الكون. لا شيء يسمو بالإنسان ويشرّفه وينشطه كدراسة المباحث العظيمة الخاصة بحياتنا الأبدية. فليحاول الشباب فهم هذه الحقائق المعطاة من الله وحينئذ تتسع مداركهم وتتقوى عندما يبذلون هذا الجهد. وهذا

سيأتي بكل طالب عامل بالكلمة إلى حقل للفكر أرحب ويضمن له ثروة من المعرفة لا تفنى.

والتهذيب الذي يُجتنى من تفتيش الكتب هو معرفة اختبارية لتدبير الخلاص. مثل هذا التهذيب يعيد إلى النفس صورة الله ويقوي العقل ويحصّنه ضد التجربة ويؤهل المتعلم لان يكون عاملا مع المسيح في رسالة رحمته إلى العالم. ويجعله عضوا في الأسرة السماوية ويؤهله لشركة ميراث القديسين في النور.

إلاّ أنّ معلّم الحق المقدس لا يمكنه أن يعطي للغير إلاّ ما قد عرفه هو بالاختبار. «خرج الزارع ليزرع زرعه» (لوقا ٥:٨). إنّ المسيح قد علَّم الحق لأنه كان هو الحق. ففكرهُ وصفاته واختبار حياته تجسمت في تعليمه. وكذلك الحال مع خدامه، فالذين يريدون أن يعلموا الكلمة يجب أن يجعلوها ملكا لهم بالاختبار الشخصي. عليهم أن يعرفوا معنى أن يصير المسيح لهم حكمة وبراً وقداسة وفداء. فإذ يقدمون كلمة الله للآخرين عليهم ألاّ يجعلوها فرضا أو احتمالا. بل عليهم أن يعلنوا مع بطرس الرسول قائلين: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته» (٢ بطرس ١٦:١). فعلى كل خادم من خدام المسيح وعلى كل معلم أن يكون قادراً أن يقول مع يوحنا الحبيب: «فان الحياة أُظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا» (١ يوحنا ٢:١).

التربة - بجانب الطريق

إنّ ما يتناوله مثل الزارع بالأكثر هو التأثير الذي يحدث في نمو البذار بواسطة التربة التي يقع عليها. بهذا المثل كان المسيح في الواقع يقول

لسامعيه: إنّه ليس أمرا مأمون العاقبة لكم أن تقفوا كمنتقدين على عملي، أو أن تشعروا بالفشل وخيبة الأمل لأنّه لا يوافق آراءكم. فالسؤال البالغ في أهميته لكم هو هذا : كيف تتصرفون إزاء رسالتي؟ فمصيركم الأبدي يتوقف على قبولكم أو رفضكم إياها.

وفي تفسيره للبذار الذي سقط بجانب الطريق قال: "كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه. هذا هو المزروع على الطريق" (متى ١٣:١٩).

إنّ الزرع المزروع على الطريق يمثل ويصور كلمة الله إذ تسقط على قلب إنسان غير منتبه إلى ما يسمع. إنّ القلب الذي يصير طريقاً لحركة العالم التجارية ومسرّاته وخطاياه مشبّه بالطريق الصلب المطروق الذي تدوسه أقدام الناس والبهائم. فإذ تكون النفس منغمسة في أغراضها الذاتية وتمتعاتها الخاطئة فهي تتقسّى ... بغرور الخطية" (عبرانيين ٣:١٣). فالقوى الروحية تصاب بالشلل. الناس يسمعون الكلمة ولكنهم لا يفهمونها ولا يدركون أنها تنطبق عليهم. وهم لا يستوعبون حاجاتِهم أو خطرهَم. إنهم لا يحسّون بمحبة المسيح ويتجاوزون رسالة نعمته وكأنّ لا شأن لهم بها.

وكما أنّ الطيور تسرعَ في خطف البذار من الطريق كذلك الشيطان يسرع في خطفِ بذار الحقّ الإلهي من النفس. فهو يخشى لئلا توقظ كلمة الله العديمي الاكتراث وتحدث أثرها في القلب القاسي. فالشيطان وملائكته يوجدون بين الجماعات التي يُكرز لها بالإنجيل. ففي حين أن ملائكة السماء يحاولون أن يؤثروا في القلوب بكلمة الله فإنّ العدّو متيقظ ليجعل الكلمة عديمة التأثير. فبغيرة تضارع خبثه يحاول أن يعرقل عمل روح الله. وفي حين أن المسيح يجتذب النفس بمحبته فالشيطان يحاول أن يبعد انتباه الإنسان الذي يحركه روح الله ليطلب المخلص. انه يشغل عقله

بمشاريع دنيوية. إنه يثير الانتقاد أو يوعز بالشكوك وعدم الإيمان. فانتقاء المتكلم للكلمات اللغوية أو طريقته في الكلام قد لا تعجب السامعين فيفكرون في هذه النقائص. وهكذا فالحق الذي يحتاجونه والذي قد أرسله الله إليهم رحمة منه لا يدوم تأثيره.

وللشيطان كثيرون من المساعدين. فكثيرون ممن يعترفون بأنهم مسيحيون يساعدون المجرّب على خطف بذار الحق من قلوب الآخرين. وكثيرون ممن يستمعون للكرازة بكلمة الله يجعلونها مادة للانتقاد في بيوتهم. وهم يجلسون في منصة القضاء ليحكموا على العظة كما يفعلون لدى سماع خطاب يلقيه محاضر أو خطاب أحد الساسة. فالرسالة التي يجب اعتبارها كلمة الرب لهم يفكرون فيها باستخفاف أو بالتعليقات التهكّمية. وهم بكلّ حرية يتباحثون في أخلاق الخادم وبواعثه وأعماله وتصرفات زملائهم من أعضاء الكنيسة، وهم ينطقون بأحكام صارمة، ويتفرغون للقيل والقال والافتراء وهذا في مسامع غير المتجددين. وغالبا ما تقال هذه الأقوال من الوالدين في مسامع أولادهم. وبذلك يتلاشى الاحترام والتوقير لخدام الله والإكرام لرسالتهم. وكثيرون يتعلّمون الاستخفاف بكلمة الله نفسها.

وهكذا ففي بيوت من يعترفون بأنهم مسيحيون يتعلم الشباب أن يكونوا ملحدين. ثم يسأل الوالدون لماذا لا يهتم أولادهم اكثر بالإنجيل؟ ولماذا هم على أتم استعداد للشك في صدق الكتاب المقدس؟ وهم يستغربون كيف يغدو من الصعب عليهم جدا الوصول إليهم بواسطة المؤثرات الأدبية والدينية. ولكنهم لا يرون أن مثالهم هم هو الذي قسّى قلوب أولادهم. فالبذار الجيد لا يجد مجالا فيه يمد جذوره فيخطفه الشيطان.

في الأرض المحجــرة

«والمـزروع علـى الأمـاكن المحجـرة هـو الـذي يسـمع الكلمـة وحـالا يقبلــها بفـرح. ولكـن ليـس لـه اصـل في ذاتـه بـل هـو إلى حـين. فـإذا حـدث ضيــق أو اضطهاد مـن اجـل الكلمـة فحـالا يعـثر» (متـى ١٣: ٢٠و٢١).

إنّ البـذرة المزروعـة في الأرض المحجـرة لا تجـد إلاّ عمقـاً قليـلاً مـن التربــة. فينمــو النبــات بســرعة. إلاّ أنّ الجــذر لا يمكنــه اخــتراق الصخــر ليجــد غــذاءً يســاعده علــى النمــو فســرعان مــا يذبــل ويمــوت. إنّ كثــيرين ممّــن يعــترفون بالديانــة هــم ســامعون تُشـبه قلوبــهم الأمــاكن المحجــرة. إنّ أنانيــة القلــب الطبيعي تكمــن تحــت تربــة رغائبــهم الصالحــة وأشــواقهم كــالصخر الــذي يكمــن تحـت طبقـة التربـة. فحــبّ الــذات لم يخضـع. وهـم لم يـروا شـرّ الخطيـة العظيـم. والقلـب لم يتذلّـل تحـت الإحسـاس بإثمـه. هـذا النـوع مـن النـاس قـد يسـهل إقناعهم ويبدو أنّــهم متجــدّدون أذكيـاء، إلاّ أنّ تدينــهم ســطحي.

إنّ النـاس يرتـدّون لا لأنّـهم يقبلـون الكلمــة حــالا ولأنّــهم يفرحــون بــها. إنّ متّـى العشار حالما سمع دعـوة المخلص قـام في الحـال وتـرك كـل شـيء وتبعـه. فحالمـا تـأتي كلمـة الله إلى قلوبنـا فـالله يريدنـا أن نقبلـها ومـن الصـواب أننـا نقبلها بفـرح. «إنّـه هكـذا يكـون فـرح في السـماء بخـاطيء واحـد يتـوب» (لوقـا ١٥: ٧). ويوجــد فــرح في النفــس الــتي تؤمــن بالمســيح. ولكــن النـــاس المذكوريــن في المثــل الذيــن يقــال عنــهم أنّــهم يقبلــون الكلمــة حــالا، لا يحسـبون النفقـة. ولا يتـأملون فيمـا تطلبـه كلمــة الله منـهم. وهـم لا يـأتون بـها وجها لوجـه أمام كل عـادات حياتهم ولا يخضعـون ذواتـهم بالتمـام لسـلطانها.

إنّ جـذور النبـات تتعمّـق في التربـة. وإذ تكـون مخفيـة عـن العيـون تُغـذّي حيـاة النبـات. وكذلـك الحـال مـع المسيحي، فبواسـطة الإتّحـاد غـير المنظـور

بين نفسه والمسيح أي بالإيمان تتغذّى الحياة الروحية. ولكن السامعين ذوي القلوب المُحجرة يعتمدون على الذات بدل اتكالهم على المسيح. إنّهم يثقون بأعمالهم الصالحة وبواعثِهم الطيبة وهم أقوياء ببرّهم. إنّهم ليسوا أقوياء بالرب وفي شدة قوته. إنسان من هذا النوع «ليس له أصلٌ في ذاته» (متى ١٣:٢١) لأنه غير مرتبط بالمسيح.

إنّ شمس الصيف الحارّة التي تقوّي الحنطة الناجحة وتنضجها تقتل ما لم تكن جذوره متعمّقة. وهكذا الذي «ليس له أصل في ذاته» «هو إلى حين» لأنه: «إذا حدث ضيق أو اضطهاد من اجل الكلمة فحالا يعثر» (متى ١٣:٢١). إنّ كثيرين يقبلون الإنجيل كوسيلة للنجاة من الألم، بدلا من قبوله للخلاص من الخطية. وهم يفرحون إلى حين إذ يظنّون أنّ الدين سيحرّرهم من المشقّات والتجارب. وإذ تسير الحياة معهم هيّنة ليّنة يبدو وكأنّهم مسيحيون ثابتون. ولكنهم يخورون تحت ضغط امتحان التجربة المحرقة. إنّهم لا يستطيعون احتمال العار لأجل المسيح. وعندما تشير كلمة الله إلى خطية محبّبة أو تطلب منهم إنكار الذات أو التضحية يعثرون. إن إجراء تغيير جوهري في حياتهم قد يكلّفهم مجهودا كبيرا. إنّهم ينظرون إلى التعب الحاضر والتجربة ولكنهم ينسون الحقائق الأبدية. فكالتلاميذ الذين تركوا يسوع هم موشكون أن يقولوا: «هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه»؟ (يوحنا ٦:٦٠).

يوجد أناس كثيرون جدّا ممن يدّعون انّهم يخدمون الله ولكنهم لا يعرفونه معرفة اختبارية. إنّ شوقهم إلى عمل مشيئته مبني على ميلهم لا على إقناع الروح القدس العميق. وتصرفهم ليس على وفاق مع شريعة الله. إنّهم يقرّون بأنهم قبلوا المسيح مخلصا لهم إلاّ أنّهم لا يؤمنون بأنه سيمنحهم القوة

للانتصار على خطاياهم. فليست لهم صلة شخصية بالمخلص الحيّ، وصفاتهم تكشف عن نقائصهم الموروثة والتي ربّوها في قلوبهم.

إن قبول فاعلية الروح في القلب بوجه عام شيء، أمّا قبول عمله كمبكّت يدعو إلى التوبة فشيء آخر. إنّ كثيرين عندهم إحساس بالتباعد عن الله يدركون عبوديتَهم للذات والخطية ويبذلون جهودا للإصلاح ولكنهم لا يصلبون الذات. إنهم لا يسلمون ذواتهم بالتمام بين يدي المسيح طالبين القوة الإلهية لعمل مشيئته. وهم غير راغبين في أن يُصاغوا حسب صورته الإلهية. إنهم يعترفون بنقائصهم بكيفية عامة إلاّ انهم لا يقلعون عن خطاياهم الخاصة. وبكلّ عملٍ خاطيءٍ نجد أن طبيعتهم القديمة المحبة لذاتها تزداد قوةً.

والرجاء الوحيد لهؤلاء الناس هو أن يتحققوا في نفوسهم صدق كلام المسيح لنيقوديموس إذ قال: «ينبغي أن تولدوا من فوق» ، «أن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يوحنا ٣:٧و٣).

القداسة الحقيقية هي خدمة الله الكاملة. هذا هو شرط العيشة المسيحية الحقّة. إنّ المسيح يطلب تكريسا في غير تحفظ وخدمة غير منقوصة. إنّه يطلب القلب والعقل والنفس والقدرة. وينبغي عدم تدليل الذات. فالذي يعيش لذاته ليس مسيحياً.

وينبغي أن تكون المحبة هي المبدأ الباعث على العمل. فالمحبة هي المبدأ الأساسي في حكم الله في السماء وعلى الأرض، وينبغي أنّها تكون أساس الخلق المسيحي. فهذا وحده يمكنه أن يحفظ المسيحي ثابتاً. وهذا وحده كفيل بان يقدّره على الصمود أمام المحن والتجارب.

والمحبة تظهر في التضحية. إنّ تدبير الفداء كان أساسه التضحية – التضحية التي هي واسعة وعميقة وعالية جدّا بحيث لا يمكن أن تقاس

أبعادها هذه. لقد بذل المسيح كل شيء لأجلنا والذين يقبلون المسيح لابد أن يكونوا على أتمُ استعداد للتضحية بكلّ شيء في سبيل فاديهم، وانّ التفكير في كرامته ومجده يأتي قبل أيّ شيء آخر.

وإذا كنا نحب يسوع فسنرغب في أن نحيا له ونقدم له ذبائح الحمد ونخدمه. ونفس التعب لأجله سيكون هيّنا وخفيفا. فلأجله نتوق إلى الألم والتعب والتضحية. وسنشعر معه في شوقه لأجل خلاص الناس. وسنحس بنفس الشوق الرقيق الذي يحسّ هو به نحو النفوس.

هذا هو دين المسيح. وكلّ ما يقصر دون ذلك هو خداع. إنّ مجرّد العلم النظري بالحق والاعتراف بالتلمذة له لا يمكن أن يخلص النفس. إنّنا لا يمكننا أن نكون خاصة المسيح ما لم نكن له بالتمام. لأنه بسبب فتور الهمة في الحياة المسيحية تضعف عزائم الناس وتتبدل أشواقهم. إنّ محاولة أيّ إنسان لأن يخدم الذات والمسيح معا تجعله سامعا شبيها بالأرض المحجرة ولن يصمد عندما يجوز في بوتقة الامتحان.

المزروع بين الأشواك

«والمزروع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة. وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر» (متى ١٣:٢٢).

إنّ بذار الإنجيل كثيرا ما يقع بين الشوك والأعشاب المضرّة الوبيلة، فإذا لم يحدث تغيير أدبي في القلب البشري، وإذا لم يتخلّص الإنسان من العادات والأعمال القديمة والحياة الماضية حياة الخطية، وإذا لم تُطرد صفات الشيطان بعيدا عن النفس فإنّ الحنطة تختنق. وسيكون الشوك هو الحصاد وستقتلع الحنطة.

يمكن للنعمة أن تنمو وتترعرع فقط في القلب الذي هو مُعدّ على الدوام لقبول بذار الحق الثمين. إنّ أشواك الخطية تنمو في أيّة تربة، وهي في غير حاجة إلى فلاحة أو خدمة، أمّا النعمة فينبغي أن تُزرع بكل حرص وعناية. إنّ العوسج والأشواك لمستعدة أبدا لأن تنمو بسرعة، فينبغي لعمل التطهير أن يتقدم باستمرار. فإذا لم يُحفظ القلب تحت سلطان الله، وإذا لم يعمل الروح القدس بلا انقطاع في تنقية الخلق والسمو به فإنّ العادات القديمة ستُظهر نفسها في الحياة. يمكن أن يعترف الناس بإيمانهم بالإنجيل ولكن ما لم يتقدسوا بالإنجيل فإنّ اعترافهم يُمسي عديم الجدوى. وإذا لم يحرزوا الانتصار على الخطية فالخطية تنتصر عليهم. فالأشواك التي قطعت ولكنها لم تُستأصل تنمو بسرعة حتى لتغشى كل النفس.

لقد ذكر المسيح الأشياء التي هي خطرة على النفس. ذكر، كما جاء في مرقس، هموم العالم وغرور الغنى وشهواتِ سائر الأشياء، بينما لوقا يذكر هموم الحياة وغناها ولذّاتها. هذه هي التي تخنق الكلمة وتوقف نمو البذار الروحي. فإذ تكفّ النفس عن أن تستمد الغذاء من المسيح تموت الميول الروحية من القلب.

«هموم هذا العالم». لا توجد طبقة من الناس بعيدة عن متناول الهموم العالمية. فبالنسبة إلى الفقراء نجد أنّ التعب والحرمان والخوف من العوز تجلب عليهم الارتباكات والأعباء. أمّا الأغنياء فيأتيهم الخوف من الخسائر وكثير من الهموم الجزعة. إن كثيرين من اتباع المسيح ينسون الدرس الذي قصد الرب بأن نتعلمه من زنابق الحقل. فهم لا يركنون إلى رعايته الدائمة. إنّ المسيح لا يستطيع أن يحمل أعباءهم لأنهم لا يلقون همهم عليه. ولهذا فإنّ هموم الحياة التي كان يجب أن تدفعهم إلى المخلص في طلب العون والعزاء تفصلهم عنه.

إنّ كثيرين ممن كان يمكنهم أن يكونوا مثمرين في خدمة الله ينكبُّون على اقتناء الثروة. فكل قوى نشاطهم منصرفة إلى مشاريعَ تجاريةٍ ويحسون بأنهم مجبرون على إهمال الأمور الروحية. وهكذا هم يُبعدون أنفسهم عن الله. إنّ الكتاب المقدس يوصينا بأن نكون: «غير متكاسلين في الاجتهاد» (رومية ١٢:١١). علينا أن نعمل حتى يمكننا أن نعطي من له احتياج. فعلى المسيحيين أن يعملوا ويشتغلوا في أية حرفة ويمكنهم أن يفعلوا هذا دون أن يرتكبوا خطية. ولكنّ كثيرين يصيرون منهمكين في عملهم بحيث لا يجدون وقتا للصلاة ولا لدرس الكتاب ولا ليطلبوا الله ويخدموه. في بعض الأحيان تصبو أشواق النفس إلى القداسة والسماء، ولكن لا وقت لديهم لينسحبوا بعيدا عن ضجيج العالم وضوضائه ليستمعوا إلى صوت روح الله المهيب الجازم. لقد صارت أمور الأبدية ثانوية، أما أمور العالم فلها الأولوية والأسبقية. وهكذا يغدو من المستحيل على بذار الكلمة أن يأتي بثمر، لأنّ حياة النفس منصرفة إلى تغذية أشواك محبة العالم.

وكثيرون ممن يعملون لغرض يخالف هذا كل المخالفة يسقطون في نفس الغلطة. إنهم يخدمون لخير الآخرين وواجباتهم تضغط عليهم ومسؤولياتهم كثيرة وهم يسمحون لعملهم أن يزحم تعبدهم. يهملون الشركة مع الله عن طريق الصلاة ودرس كلمته، وينسون أنّ المسيح قد قال: «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا» (يوحنا ١٥:٥). إنّهم يسيرون بعيداً عن المسيح، وحياتهم غير مشمولة بنعمته، وصفات الذات تظهر. وخدمتهم تشوّهها الرغبة في التفوق والتسامي وفي صفات الخشونة البشعة في القلب الجامح غير المخضع. هنا سرّ من أهم أسرار الفشل في الخدمة المسيحية. هذا هو السبب في أنّ نتائجها عقيمة في غالب الأحيان.

«غرور الغـني» (متـى ٢٢:١٣). إنّ حـب الغنـى لـه قـوة سـاحرة خادعـة. ففـي غـالب الأحيـان يحـدث أنّ مـن يملكـون ثـروات عالميـة ينسـون أنّ الله هـو الـذي يمنحـهم قـوة لاصطنـاع الـثروة. إنـهم يقولـون: «قوتـي وقـدرة يـدي اصطنعت لـي هـذه الـثروة» (تثنيـة ١٧:٨). إنّ أموالهـم بـدلا مـن أن توقـظ فيـهم روح الشـكر لله تسـوقهم إلى تمجيـد ذواتـهم. فشـعورهم بالاعتمـاد علـى الله يزايلهم، وكذلك التزامهم تجاه بني جنسـهم. وبـدلا مـن كونـهم يعتـبرون الـثروة وزنـة تُسـتخدم لأجـل مجـد الله ورفـع شـأن البشـرية ينظـرون إليـها علـى أنّـها وسيلة بها يخدمـون ذواتـهم. وبـدلا مـن أنّـها تنمّـي في الإنسـان صفـات الله فـإذ تُسـتخدم بـهذه الكيفيـة فـهي تنمّـي فيـه صفـات الشـيطان. وبـذار الكلمـة يخنقـه الشـوك.

«همـوم هـذه الحيـاة ... ولذاتـها» (لوقـا ١٤:٨). يوجـد خطـر في التسـلية التي تُطلب لمجـرد إرضـاء الـذات. فكـل عـادات الانغمـاس الـتي تُضعـف قـوى الجسـم وتُظلـم العقـل وتخـدّر الإحسـاس الروحـي إن هـي إلاّ «الشـهوات الجسدية الـتي تحـارب النفس» (١ بطـرس ١١:٢).

«وشـهوات سـائر الأشـياء» (مرقـس ١٩:٤). هـذه ليسـت بـالضرورة أشـياء شـريرة في ذاتـها، ولكنّـها شـيء تعطـي لـه الأولويـة علـى ملكـوت الله. فكـل مـا يجتذب العقل بعيداً عـن الله، وكـل ما يُبعد العواطف عـن الله هـو عـدّو للنفـس.

عندمـا يكـون العقـل في نضارتـه ونشـاطه وتـأثره السـريع في النمـو فـهنالك تجربـة عظيمـة وهـي أن يكـون الإنسـان طموحـاً للـذّات ليخـدم الـذّات. وعندمـا تكـون المشـاريع العالميـة ناجحـة يوجـد في الإنسـان الميـل لمواصلـة السـير في الطريـق الـذي يميـت الضمـير ويمنـع التقديـر الصحيـح لمـا يُعتـبر بحـقّ السـمو الحقيقـي للخلـق. فعندمـا تكـون الظـروف مواتيـة لهـذا التطـور سـيُرى النمـو والانحيـاز إلى الاتجـاه الـذي تحرّمـه كلمـة الله.

إنّ مسؤولية الآباء عظيمة جداً في هذا الطور، طور النمو في حياة أولادهم. فعليهم أن يفكروا في إحاطة الشباب بالمؤثرات الصالحة التي تعطيهم آراء صحيحة عن الحياة والنجاح الحقيقي فيها. ولكن بدلا من هذا فما اكثر الوالدين الذين يجعلون هدفهم الأول أن يحرزوا النجاح العالمي لأولادهم. وهم يختارون كل عشرائهم بالإشارة إلى هذا الهدف. وكثيرون من الوالدين يقيمون لهم بيوتا في مدينة كبيرة ويقدمون أولادهم إلى المجتمع العصري. ويحيطونهم بمؤثرات تشجع على حب العالم والكبرياء. ففي هذا الجو يصغر العقل والنفس ويتضاءلان. وتغيب عن الأنظار أهداف الحياة السامية النبيلة. ثم إنّ امتياز كونهم أبناء الله وورثة الأبدية يُستعاض عنه بأرباح العالم.

إنّ كثيرا من الآباء يحاولون أن يزيدوا من سعادة أولادهم بإشباع حبهم للتسليات. فيسمحون لهم بالاشتراك في الألعاب وفي ولائم الفرح والمرح ويقدمون لهم المال لاستخدامه بسخاء في التظاهر والمفاخرة وإرضاء الذات. فعلى قدر ما يُسمح للرغبة بالانغماس في المسرات تزداد قوتها. وهكذا ينصرف اهتمام هؤلاء الشباب اكثر واكثر إلى اللهو إلى حدّ انّهم يعتبرونه هدف الحياة العظيم فتنشأ فيهم عادات الكسل والخمول والانغماس في الملذات بحيث يكاد يبدو من المستحيل عليهم أن يصيروا مسيحيين ثابتين.

بل حتى الكنيسة التي ينبغي أن تكون عمود الحق وقاعدته، أحيانا تشجع الملذات. فعندما يُجمع المال لأجل أغراض دينية، فما هي الوسائل التي تلجأ إليها كثير من الكنائس ؟ انهم يلجأون إلى إقامة أسواق خيرية وحفلات عشاء وأوراق اليانصيب وما شاكل ذلك من الوسائل. وكثيرا ما يتنجس المكان المخصص لعبادة الله بالولائم وشرب الخمر والبيع والشراء

والمرح. وهكذا تقل الكرامة اللائقة لبيت الله والتوقير اللائق بعبادته في عقول الشباب وتضعف حواجز ضبط النفس، وهكذا تشجع وتتقوى الأنانية والشهوات وحب التفاخر إذ ينغمس الناس فيها.

إن اتّباع الملذات واللهو يتركز اكثر في المدن. إن كثيرين من الوالدين الذين يختارون السكنى في بيت في المدينة لأجل أولادهم ظنا منهم انهم بذلك يقدمون لهم ميزات أعظم يُمنون بالخيبة والفشل ثم يندبون غلطتهم ويندمون عليها بعد فوات الأوان. إن مدن اليوم تسرع في التشبه بسدوم وعمورة. فأيام العطلة الكثيرة تشجع على الكسل. ثم إنّ الألعاب المثيرة وأسباب اللهو - كالذهاب إلى المسارح وسباق الخيل والمقامرة وشرب الخمر والعربدة - تثير في النفوس كل شهوة إلى أقصى حدود نشاطها. وهكذا ينجرف الشباب مع التيار العام. والذين يتعلمون حب اللهو لأجل اللهو يفتحون الباب أمام طوفان التجارب. إنّهم يستسلمون للحبور الاجتماعي والمرح الطائش. واختلاطهم بمحبي الملذات له على العقل تأثير مخدر، فينقادون من لون إلى آخر من ألوان الإسراف حتى ليفقدون الرغبة والقدرة على حياة النفع. ثم يبرد تلهفهم إلى الأمور الدينية وتظلم حياتهم الروحية. وكل قوى النفس النبيلة وكل ما يربط الإنسان بالعالم الروحي ينحط.

نعم إنّ البعض قد يكتشفون جهالتهم ويتوبون ويمكن أن يغفر لهم الله. ولكنهم قد جرحوا أنفسهم وجلبوا على ذواتهم خطرا يدوم مدى الحياة. فالقدرة على التمييز التي كان يجب أن تظل جادة دائما وحساسة للتمييز بين الصواب والخطأ تتلاشى إلى حد كبير. وهم يكونون متباطئين في تمييز صوت الروح القدس الهادي واكتشاف مكايد الشيطان. وفي غالب الأحيان عندما يحدق بهم الخطر يسقطون تحت التجربة ويضلون بعيداً عن

الله. إنّ عاقبة حياة حب اللهو واللذة هي دمارٌ في هذا العالم وفقدان في العالم الآتي.

إنّ الشيطان يستخدم الهموم والغنى والملذات في لعبة الحياة لنفس الإنسان. إنّ الرب يقدم لنا الإنذار القائل: «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحبّ أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأّن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ليس من الآب بل من العالم» (١ يوحنا ٢:١٥ و ١٦). فذاك الذي يقرأ قلوب الناس كما لو كانت كتابا مفتوحا يقول: «احترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة» (لوقا ٢١:٣٤). والرسول بولس يكتب بالروح القدس قائلا: «أما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجارب وفخاخ وشهوات كثيرة غبية ومضرّة تغرق الناس في العطب والهلاك. لأن محبة المال اصل لكل الشرور الذي إذ ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١ تيموثاوس ٦:٩ و١٠).

إعداد التربة

في مثل الزارع من أوله إلى آخره يبيّن المسيح نتائج الزارع المختلفة على أنها تتوقف على التربة. ففي كل حالة نجد أن الزارع والزرع هما بذاتهما لم يتغيرا. وهكذا هو يعلمنا انه إذا أخفقت كلمة الله في إتمام عملها في قلوبنا وحياتنا فالسبب هو فينا. ولكن النتيجة ليست فوق سلطاننا. نعم إننا عاجزون عن تغيير أنفسنا، ولكن لنا قوة الاختيار وعلينا نحن أن نقرر مصيرنا. فالذين يسمعون الكلمة وقلوبهم تشبه الطريق أو الأرض المحجرة أو الأرض التي كثرت فيها الأشواك لا حاجة بهم أن يظلوا هكذا. فروح الله يحاول دائماً أن يكسر سحر الافتتان الذي يبقي الناس منشغلين في الأمور

العالمية ويوقظ في النفوس شوقاً إلى الكنز الذي لا يفنى. فالناس إذ يقاومون الروح يصبحون غير منتبهين إلى كلمة الله أو يهملونها. فهم أنفسهم مسؤولون عن قساوة القلب التي تمنع البذار الجيد من أن يمد جذوره في القلب، ومسؤولون أيضا عن تكاثر الأعشاب الضارة التي توقف نموه.

فينبغي أن يُحرث بستان القلب وان تُشق التربة بالتوبة العميقة عن الخطية. كما ينبغي اقتلاع النباتات الشيطانية السامة. والتربة التي كانت تملأها الأشواك يمكن إصلاحها فقط بالجد والمثابرة على العمل. وهكذا يمكن الانتصار على الأميال الشريرة في القلب الطبيعي ببذل الجهد الجدي باسم يسوع وقوته. إنّ الرب يأمرنا على لسان نبيه قائلا: «احرثوا لأنفسكم حرثا ولا تزرعوا في الأشواك» كما يقول أيضا: «ازرعوا لأنفسكم بالبرّ احصدوا بحسب الصلاح» (ارميا ٤:٣ ؛ هوشع ١٠:١٢). إنّه يريد أن يتمّم هذا العمل لنا، إنّما هو يسألنا أن نتعاون معه.

إنّ من يزرعون البذار لديهم عمل يعملونه في إعداد القلوب لقبول الإنجيل. ففي خدمة الكلمة تُقدّم العظات اكثر من اللازم ويقل جدا العمل الحقيقي من القلب إلى القلب. توجد حاجة إلى العمل الفردي لأجل نفوس الهالكين. فعلينا أن نقترب من الناس واحدا واحدا بعطف كعطف المسيح، وأن نحاول إثارة اهتمامهم بأمور الحياة الأبدية العظيمة. قد تكون قلوبهم قاسية كأرض الطريق وقد يبدو أن تقديم المخلص إليهم أمر لا جدوى منه، ولكن في حين قد يعجز المنطق عن إيقاظ النفس وتعجز الحجّة عن إقناعها فأن محبة المسيح الظاهرة في الخدمة الشخصية قد تذيب القلب الصخري بحيث يمكن لبذار الحق أن يمدّ فيه جذوره.

وهكذا يوجد لدى الزارعين عمل يعملونه حتى لا يختنق البذار بالأشواك أو يهلك لان التربة ليست عميقة. ففي مستهل الحياة المسيحية

ينبغـي لكـل مؤمـن أن يتعلـم مبادئـها الأساسـية. فينبغـي لـه أن يتعلـم أنـه لا يكتفي بـأن يخلـص بذبيحـة المسـيح، بـل عليـه أن يجعـل حيـاة المسـيح حياتـه وصفات المسيح صفاته. وليتعلـم الجميـع أنّـه عليـهم أن يحملـوا الأثقـال وينكـروا الميـول الطبيعيـة. وليتعلمـوا بركـة خدمـة المسيح متمثلـين بـه في إنكـار الـذات واحتمـال المشـقات كجنـود صـالحين. ليتعلمــوا أن يثقـوا بمحبتـه ويلقـوا عليـه كـل همومـهم. وليذوقـوا فـرح ربـح نفـوس لــه. ففــي محبتــهم واهتمامــهم بالهـالكين سـتغيب الـذات عـن أنظـارهم. ولـن يعـود لملـذات العـالم سـلطان يجتذبـهم ولـن تضعـف أثقـال قلوبـهم. وسـيعمل محـراث الحـق عملـه فيشـق الأرض المتروكة، ولـن يقطـع فقط أطـراف الأشـواك بـل سيسـتأصلها بالتمـام.

في الأرض الجيــدة

إنّ الـزارع لـن تواجهـه المفشـلات علـى الـدوام. فقـد قـال المخلـص عـن البذار الذي سقط على الأرض الجيـدة: هـذا «هـو الـذي يسـمع الكلمـة ويفـهم وهـو الـذي يـأتي بثمـر فيصنـع بعـض مئـة وآخـر سـتين وآخـر ثلاثـين» (متـى ٢٣:١٣). «والـذي في الأرض الجيـدة هـو الذيـن يسـمعون الكلمـة فيحفظونـها في قلب جيد صـالح ويثمـرون بالصبر» (لوقـا ١٥:٨).

إنّ القلـب الجيـد الصـالح الـذي يتحـدث عنـه المثـل ليس قلبـاً خاليـاً مـن الخطيـة، لأن الإنجيـل يكـرز بـه للـهالكين. وقـد قـال المسـيح، «لم آت لأدعـو أبـرارا بـل خطـاة إلى التوبـة» (مرقـس ١٧:٢). إنّ مـن يخضـع لتبكيـت الـروح القدس هو الـذي لـه القلـب الجيـد الصـالح. فـهو يعـترف بذنبـه ويحـسّ بحاجتـه إلى رحمـة الله ومحبتـه. ولـه رغبـة مخلصـة في معرفـة الحـق حتـى يطيعـه. إنّ القلـب الجيـد هـو القلـب المؤمـن والـذي لـه إيمـان بكلمـة الله. وبـدون إيمـان

يستحيل على الإنسان أن يقبل الكلمة: «لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه» (عبرانيين ١١:٦).

هذا: «هو الذي يسمع الكلمة ويفهم» (متى ١٣:٢٣). إن الفريسيين في أيام المسيح أغمضوا عيونهم لئلا يبصروا وآذانهم لئلا يسمعوا، لذلك لم يمكن للحق أن يصل إلى قلوبهم. وكان عليهم أن يحتملوا العقاب عن جهلهم العنيد وعماهم الذي فرضوه على أنفسهم. ولكن المسيح علم تلاميذه أن يفتحوا أذهانهم للتعليم ويكونوا مستعدين لأن يؤمنوا. وقد نطق عليهم بالبركة لأنهم أبصروا وسمعوا بعيونهم وآذانهم التي آمنت.

إنّ السامع الذي يشبه الأرض الجيدة يقبل الكلمة: «لا ككلمة أناس بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله» (١ تسالونيكي ٢:١٣). فالذي يقبل الكتاب على أنه صوت الله متحدثا إليه هو وحده المتعلم الحقيقي الأمين. إنه يرتعد من الكلمة لأنها بالنسبة إليه حقيقة حيّة. وهو يفتح ذهنه وقلبه لقبولها. أمثال هؤلاء السامعين كان كرنيليوس وأصدقاؤه، إذ قال لبطرس الرسول: «والآن نحن جميعاً حاضرون أمام الله لنسمع جميع ما أمرك به الله» (أعمال ١٠:٣٣).

إنّ معرفة الحق لا تتوقف بالأكثر على قوة العقل بل على نقاوة القصد وبساطة الإيمان الغيور المستند على الله. فالذين في وداعة قلوبهم يطلبون الإرشاد الإلهي يقترب منهم ملائكة الله. والروح القدس يُعطى لهم ليكشف لهم عن كنوز الحق الغنية.

والسامعون الذين قلوبهم أرض جيدة إذ يسمعون الكلمة يحفظونها. فلا الشيطان ولا كلّ أعوانه الأشرار يستطيعون أن يختطفوها.

ولكن مجرّد سماع الكلمة أو قراءتها لا يكفي. فعلى من يرغب في الانتفاع بكلمة الله أن يتأمل في الحق المقدم له. فعليه، بالانتباه الجاد

الغيور والتفكير في روح الصلاة، أن يتفهّم معنى كلام الحق ويجرع بعمق من روح أقوال الله المقدسة.

إنّ الله يأمرنا بأن نملأ عقولنا بالأفكار العظيمة الطاهرة. ويريدنا أن نتأمل في محبته ورحمته وندرس عمله العجيب في تدبير الفداء العظيم. وحينئذ يصير إدراكنا للحق أوضح وأوضح، واشتياقُنا إلى طهارة القلب وصفاء الذهن أسمى وأقدس. وإذ تسكن النفس في الجو النقي، جو التفكير المقدس ستتغير بواسطة الشركة مع الله عن طريق درس كلمته.

«يأتي بثمر». أولئك الذين إذ يسمعون الكلمة يحفظونها سيثمرون في الطاعة. فكلمة الله إذ تُقبل في النفس تظهر في الأعمال الصالحة. وستظهر نتائجها في أخلاق كأخلاق المسيح وحياة كحياته. لقد قال المسيح عن نفسه: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت. وشريعتك في وسط أحشائي» (مزمور ٤٠:٨). «لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني» (يوحنا ٥:٣٠). والكتاب يقول: «من قال أنه ثابت فيه ينبغي أنه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضاً» (١ يوحنا ٢:٦).

وكثيرا ما تصطدم كلمة الله بأخلاق الإنسان الموروثة والتي كوَّنها في نفسه وعادات حياته. ولكنّ السامع الذي يشبه الأرض الجيدة إذ يسمع الكلمة يقبلها ويقبل كل شروطها ومطاليبها. فطباعه وعاداته وأعماله تُخضع لكلمة الله. وفي نظره تُعتبر أوامر الإنسان المحدود المخطيء تافهة بالمقارنة مع كلمة الإله السرمدي غير المحدود. وبقلب كامل وبعزم غير منقسم يطلب الحياة الأبدية وهو سيطيع الحق حتى لو كلفه ذلك الخسارة أو الاضطهاد أو الموت نفسه.

وهو يثمر «بالصبر». ليس واحد ممّن يقبلون كلمة الله معفى من الصعوبات والتجارب، ولكن عندما تأتي التجربة فالمسيحي بالحقّ لا يصير

ضجراً أو عديم الثقة أو بائساً. فمع أننا لا نستطيع أن نعرف أو نرى النتيجة المحددة للأحداث ولا أن ندرك قصد الله في معاملات عنايته لنا فينبغي ألاّ نطرح عنا ثقتنا. فإذ نذكر مراحم الرب يجب أن نلقي همنا عليه وبالصبر نتوقع خلاصه.

الحياة الروحية تتقوّى بالجهاد. فإذ نحتمل المحن فذلك يزيد من رسوخ خُلُقنا ويزيد من فضائلنا الروحية الثمينة. إنّ ثمر الإيمان الكامل، بالوداعة والمحبة، غالبا ما ينضج بشكل أفضل في وسط عواصف السحب والظلام.

«هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنّيا عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر» (يعقوب ٥:٧). وكذلك يجب على المسيحي أن يتوقع بالصبر أن تثمر كلمة الله في حياته. وغالبا عندما نصلي في طلب هبات الروح يعمل الله على إجابة صلواتنا بأن يضعنا في ظروف تنمّي هذه الثمار. ولكننا لا ندرك قصده فنندهش ونيأس. وليس أحد يمكنه أن يظهر هذه المواهب إلاّ عن طريق عملية النمو والإثمار. فعملنا هو أن نقبل كلمة الله ونتمسك بها خاضعين بالتمام لسلطانها وحينئذ يتمّ غرضها فينا.

قال المسيح: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي واليه نأتي وعنده نصنع منزلا» (يوحنا ١٤:٢٣). إنّ قوةً أسمى، قوة عقل كامل تحيط بنا لأنّ لنا اتصالا حيّا بنبع القوة الباقية إلى الأبد. وفي حياتنا الإلهية سنُسبى ليسوع المسيح. ولن نعيش فيما بعد الحياة العادية حياة الأثرة ولكن المسيح يحيا فينا. وصفاته ستتكرر في طبيعتنا. وهكذا نثمر ثمر الروح القدس - «واحد ثلاثين وآخر ستين وآخر مئة» (مرقس ٤:٢٠).

٣ «أوَّلاً نَـباتاً ثم سُنبلاً»

أثار مثل الزارع كثيرا من التساؤل. واسـتنتج بعـض السامعين مـن المثـل أنّ المسيح لـن يقيـم مملكـة أرضيـة فاسـتغرب الكثـيرون وشملـهم الارتبـاك. فـإذ رأى المسـيح ارتباكـهم اسـتعمل أمثـالا أخـرى وهـو لا يـزال يسـعى أن يحـوّل تفكيرهم عـن أمل إقامة مملكـة أرضيـة إلى عمـل نعمـة الله في القلـب.

«وقـال هكـذا ملكـوت الله كـأنّ إنسـانا يلقـي البـذار علـى الأرض وينـام ويقـوم ليلاً ونهاراً والبذار يطلع وينمـو وهـو لا يعلـم كيـف. لأنّ الأرض مـن ذاتـها تـأتي بثمر. أولاً نباتـاً ثـم سنبلاً ثـم قمحاً مـلآن في السـنبل. وأمّـا متـى أدرك الثمـر فللوقت يرسـل المنجـل لأن الحصـاد قـد حضـر» (مرقـس ٤:٢٦ - ٢٩).

إنّ الـزارع الـذي «يرسـل المنجـل لأن الحصـاد قـد حضـر» (عـدد ٢٩) لا يمكـن أن يكـون غـير المسيح. إنّـه هـو الـذي في اليـوم الأخـير العظيـم يحصـد الأرض. أمّـا الـزارع الـذي يـزرع البـذار فيمثّـل مـن يخدمـون عوضـاً عـن المسيح. قيـل عـن البـذار أنّـه: «يطلـع وينمـو وهـو لا يعلـم كيـف» (عـدد٢٧)، ولكـن هذا الكلام لا يصدقُ علـى ابـن الله. فالمسيح لا ينـام أبـداً علـى حراسـته بـل يحرس حراسته ليلاً ونـهاراً. ثم هـو لا يجهل كيف ينمو البـذار.

إنّ مَثَل البـذار يعلـن أن الله يعمـل في الطبيعـة. فـالبذرة لهـا في ذاتـها مبـدأ الإنبـات، مبـدأ غرسـه الله بنفسـه، ومـع ذلـك فلـو أنّ البـذرة تُـترك لنفسـها فلـن تسـتطيع أن تنبـت. والإنسـان لـه دوره الـذي يقـوم بـه في المسـاعدة علـى نمـو البـذرة. فعليـه أن يعـدّ التربـة ويخدمـها لـيزيد مـن خصوبتـها ويلقـي فيـها البـذار. وعليـه أن يحـرث الحقـول. ولكـن يوجـد حـدّ لا يمكـن أن يتعـداه ولا يسـتطيع أن يعمـل شـيئا بعـده. فـلا قـوة الإنسـان ولا حكمتـه تسـتطيع أن تخـرج النبـات

الحي من البذرة. ولو بذل الإنسان قصاراه فعليه أن يعتمد على ذاك الذي قد ربط الزرع والحصاد بحلقات قدرته العجيبة القادرة على كل شيء.

توجد في البذرة حياة، وتوجد في التربة قوة، ولكن ما لم تعمل القوة غير المحدودة ليلاً ونهاراً فلن تأتي البذرة بأي ثمر. وينبغي أن تنزل سيول المطر لترطب وتروي الحقول الظامئة إلى الماء، ويجب أن تعطي الشمس حرارتها، وأن تتصل الكهرباء بالبذرة المدفونة، فالحياة التي قد أودعها الخالق يستطيع هو وحده أن يخرجها. فكل بذرة تطلع وكل نبتة تنمو بقوة الله.

«لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت براً وتسبيحاً» (إشعياء ٦١:١١). وكما في الزرع الطبيعي كذلك في الزرع الروحي يجب على معلم الحق أن يحاول تهيئة تربة القلب، وعليه أن يلقي البذار، أما القوة التي تستطيع وحدها أن توجد الحياة فهي من الله. يوجد حدّ لا يجدي بعده أي مجهود بشري. ففي حين يجب علينا أن نكرز بالكلمة فإننا لا نستطيع أن نمنح القوة المحيية للنفس والتي تنبت البرّ والتسبيح. ففي الكرازة بالكلمة يجب أن تكون هناك قوة عاملة فوق القوة البشرية. فبواسطة روح الله وحده يمكن أن تكون الكلمة حية وفعالة لتجديد النفس للحياة الأبدية. هذا ما حاول المسيح أن يطبعه في أذهان تلاميذه. فقد علمهم أنه لا يوجد شيء يملكونه في أنفسهم بمقدوره أن ينجح أعمالهم وخدماتهم، إنما قوة الله الصانعة المعجزات هي وحدها التي تعطي لكلامه الفعالية.

إنّ عمل الزارع هو عمل الإيمان. إنّه لا يستطيع أن يدرك سرّ استنبات البذار ونموه. ولكن له ثقة في العوامل التي بها يجعل الله النباتات تطلع وتزدهر. إنّه إذ يلقي البذار في الأرض يبدو وكأنّه يبدّد الحبوب الثمينة

التي تحتاجها عائلته لإمدادها بالخبز. إلاّ أنّه فقط يتخلى عن خير حاضر في انتظار حصاد أعظم. إنّه يلقي البذار بعيداً منتظرا أن يحصل على أضعاف كثيرة في حصاد وفير. وكذلك عل خدام المسيح أن يخدموا منتظرين حصاداً من البذار الذي يزرعونه.

وقد يظل البذار الجيد مدفونا في قلب بارد محب لذاته عالمي دون أن يلاحظه أحد، ودون أن يعطي أيّة دلالة على أنّ جذوره تمتد في الأرض، ولكن بعد ذلك حين يهب روح الله على النفس فإنّ البذار المدفون يطلع وأخيراً يثمر لمجد الله. وفي عمل حياتنا نحن لا نعلم أيهما سينجح هذا أو ذاك. إذ ليس لنا نحن أن نبتّ في الجواب. إنّما علينا أن نقوم بعملنا ونترك النتائج في يد الله: «في الصباح ازرع زرعك وفي المساء لا ترخ يدك» (جامعة ١١:٦). إنّ ميثاق الله العظيم يعلن قائلاً: «مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد ... لا تزال» (تكوين ٨:٢٢). وبالاستناد على هذا الوعد يحرث الفلاح ويزرع. وفي مجال الزرع الروحي علينا أن نخدم بثقة لا تقل عن ثقة الفلاح متكلين على كلام الرب وتأكيداته. «هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي. لا ترجع إلّي فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له» (إشعياء ٥٥:١١). «الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملا مبذر الزرع مجيئا يجيء بالترنم حاملاً حزمه» (مزمور ١٢٦:٦).

إنّ استنبات البذار يرمز إلى بدء الحياة الروحية. ونمو النبات هو رمز جميل للنمو المسيحي. فكما في الطبيعة كذلك في النعمة، فلا يمكن أن تكون هنالك حياة ما لم يكن نمو. فالنبات إمّا أن ينمو أو يذوي ويموت. وكما أنّ نموه ساكن ولا يُرى بالعين بل هو مستمر كذلك الحال في نمو الحياة المسيحية. وفي كل طور من أطوار النمو يمكن أن تكون حياتنا كاملة، ولكن إذا تم قصد الله من جهتنا فسيكون هناك نمو مطرد وتقدم

مستمر. إنّ التقديس عمل يدوم مدى الحياة. فبقدر ما تتضاعف الفرص المقدمة لنا يتسع اختبارنا وتزداد معرفتنا. وستتشدد لحمل المسؤوليات وسيكون نضوجنا بنسبة امتيازنا.

إنّ النبات ينمو بواسطة إمداده بما قد أعده الله للإبقاء على حياته. فهو يعمّق جذوره في الأرض ويستقي من نور الشمس وحرارتها والندى والمطر. ويقتبل العناصر المانحة الحياة من الهواء. وكذلك على المسيحي أن ينمو بالتعاون مع العوامل الإلهية. فإذ نحس بعجزنا علينا أن نحسن استخدام الفرص الممنوحة لنا للحصول على اختبار أكمل. وكما يرسل النبات جذوره في الأرض كذلك علينا نحن أن نغرس أصولنا في المسيح. وكما يقبل النبات حرارة الشمس والندى والمطر كذلك علينا نحن أن نفتح قلوبنا للروح القدس.والعمل يُعمل: «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود» (زكريا ٦:٤). فإذا كنا نثبت أفكارنا وعقولنا في المسيح فسيأتي إلينا: «كالمطر. كمطر متأخر يسقي الأرض» (هوشع ٣:٦). وسيشرق علينا كشمس البر تشرق «والشفاء في أجنحتها» (ملاخي ٢:٤). وحينئذ يقال عنا «يزهر كالسوسن» «يحيون حنطة يزهرون كجفنة» (هوشع ٥:١٤ و ٧). وإذ نعتمد على المسيح دائما كمخلصنا الشخصي ننمو فيه في كل شيء الذي هو رأسنا.

إن الحنطة تنمو وتتطور «أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل» (مرقس ٢٨:٤). إن غاية الفلاح من إلقاء بذاره والعناية بالنبات النامي هو محصول الحنطة. إنّه يبتغي الحصول على خبز للجياع وبذار للمحاصيل القادمة. وكذلك الزارع الإلهي ينتظر حصاداً جزاء له على تعبه وتضحيته. إنّ المسيح يسعى لكي يطبع صورته في قلوب الناس، وهو يفعل ذلك عن

طريق من يؤمنون به. إنّ غاية الحياة المسيحية هي الإتيان بثمر - انطباع صفات المسيح في قلب المؤمن حتى تنطبع في قلوب الآخرين.

إنّ النبات لا ينبت ولا ينمو ولا يثمر لنفسه بل ليعطي «زرعاً للزارع وخبزاً للآكل» (إشعياء ٥٥:١٠). كذلك ليس لإنسان أن يعيش لنفسه. فالمسيحي في العالم هو نائب عن المسيح لأجل خلاص نفوس الغير.

ولا يمكن أن يكون هنالك نمو أو إثمار في الحياة المتركزة في ذاتها. فإذا كنت قد قبلت المسيح كمخلصك الشخصي فعليك أن تنسى ذاتك وتجتهد في مساعدة الآخرين. تحدَّث عن محبة المسيح وأخبر الناس عن جوده. وقم بكلّ واجب يعرض لك. تثقَّل بمسؤولية نفوس الناس وضعها على قلبك، وبكل وسيلة في مقدورك حاول أن تخلّص الهالكين. وإذ تحصل على روح المسيح - روح المحبة المنكرة لذاتها والعمل لأجل الآخرين فستنمو وتأتي بثمر. وستنضج هبات الروح في خلقك. وسيزيد إيمانك وتتعمق اقتناعاتك وتتكمل محبتك. وستعكس صورة المسيح في نفسك في كل ما هو طاهر ونبيل وجميل.

«وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» (غلاطية ٥:٢٢ و ٢٣). هذا الثمر لا يمكن أن يفنى بل لابد أن يثمر ثمراً كجنسه، حصاداً للحياة الأبدية.

«متى أدرك الثمر فللوقت يرسل المنجل لأن الحصاد قد حضر» (مرقس ٢٩:٤) إنّ المسيح ينتظر باشتياق أمنيته لإظهار ذاته في كنيسته. وعندما تنطبع صفات المسيح في شعبه تماما فحينئذ سيطالب بهم كخاصته.

إنّه امتياز لكل مسيحي ليس فقط أن ينتظر مجيء ربنا يسوع المسيح بل أيضاً أن يطلب سرعته (٢ بطرس ١٢:٣) فلو أن كل من يُدعون باسمه

يثمرون لمجده فما كان أسرع ما يُزرع العالم كله ببذار الإنجيل. وكان الحصاد الأخير العظيم ينضج سريعا وكان المسيح يأتي ليجمع الثمر الثمين.

٤ الـزَّوَان

«قـدم لهـم مثـلا آخـر قـائلاً. يشـبه ملكـوت السـموات إنسـانا زرع زرعـاً جيـداً في حقلـه. وفيمـا النـاس نيـام جـاء عـدوه وزرع زوانـاً في وسـط الحنطـة ومضـى. فلما طلع النبات وصنع ثمراً حينئذ ظـهر الـزوان أيضـاً» (متـى ١٣: ٢٤ - ٢٦).

قـال المسـيح: «الحقـل هـو العـالم» (عـدد ٣٨). ولكـن يجـب أن نفـهم هـذا علـى أنـه يشـير إلى كنيسـة المسـيح في العـالم. فـالمثل هـو وصـف لمـا يختـص بملكـوت الله وعمله لخلاص الناس، وهـذا العمـل يتـمّ عـن طريـق الكنيسـة. نعـم إنّ الـروح القـدس قـد خـرج إلى كـل العـالم، وفي كـل مكـان يـرف علـى قلـوب النـاس، إنّما في الكنيسة علينـا أن ننمـو وننضـج لنوضـع في مخـزن الله.

«الزارع الزرع الجيد هو ابـن الإنسـان ... والـزرع الجيـد هـو بنـو الملكـوت. والـزوان هـو بنـو الشـرير». إنّ الـزرع الجيـد يمثـل مـن قـد ولـدوا بكلمـة الله. كلمـة الحـق. والـزوان يمثـل جماعـة هـم ثمـرة أو تجسـم الضـلال، والمبـاديء الكاذبـة. «والعـدو الذي زرعـه هـو إبليـس». فـلا الله ولا ملائكتـه زرعـوا زرعـاً يمكـن أن يكـون زوانـاً. إنّ الـزوان هـو مـا يزرعـه الشـيطان دائمـا فـهو عـدو الله والإنسـان.

في بلاد الشرق أحيانـا كـان إنسـان ينتقـم مـن عـدوّ لـه بـأن يبـذر في حقولـه المزروعـة حديثـاً بـذار بعض الأعشـاب الضـارة. وإذ تطلـع وتنمـو تكـون قريبـة الشـبه بالحنطـة. وإذ تكـبر مـع الحنطـة تضـرّ بـالمحصول وتجلـب علـى صـاحب الحقـل الاضطـراب والخسـارة. وهكـذا الشـيطان بسـبب عداوتـه للمسـيح يبـذر بـذاره الشرير الضارّ بـين البـذار الجيد. بـذار الملكـوت. وهـو ينسـب ثمـار مـا قـد زرعـه إلى ابـن الله. فـإذ يـدس في الكنيسـة أولئـك الذيـن يحملـون اسـم

المسيح في حين انّهم يتنكرون لصفاته فإنّ الشرير يقصد أن يهين الله ويشوّه عمل الخلاص بتعريض النفوس للخطر.

وخدام المسيح يحزنون إذ يرون المؤمنين الأمناء والكذبة مختلطين معا في الكنيسة. وهم يتوقون إلى عمل شيء لتنقية الكنيسة. وكعبيد رب البيت هم مستعدون أن يقتلعوا الزوان. ولكن المسيح يقول: «لا لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كلاهما معا إلى الحصاد».

لقد علم المسيح بوضوح أنّ من يصرون على ارتكاب خطية علنية يجب أن يُفصلوا من الكنيسة، إلاّ أنّه لم يسند إلينا عمل الحكم على الأخلاق والبواعث. إنّه يعرف طبيعتنا جيدا بحيث لا يكِلُ إلينا هذا العمل. فلو حاولنا أن نقتلع من الكنيسة من نظن أنهم مسيحيون مزيَّفون فبالتأكيد سنخطيء. فنحن في غالب الأحيان قد نعتبر نفس الناس الذين يحاول المسيح أن يجتذبهم إليه أعضاء لا رجاء فيهم. فلو تعاملنا مع هذه النفوس بموجب حكمنا الناقص فقد يطفيء ذلك آخر رجاء لهم. إنّ كثيرين ممن يظنون أنفسهم مسيحيين سيوجدون ناقصين في النهاية. وكثيرون سيكونون في السماء ممن ظن جيرانهم أنهم لن يدخلوها. إنّ الإنسان يحكم حسب الظاهر أما الله فيدين القلب. سينمو الزوان والحنطة معا إلى الحصاد والحصاد هو انتهاء زمن النعمة.

ثمّ إنّ لنا في أقوال المخلص درسا آخر، درسا في الصبر العجيب والمحبة المشفقة. فكما أنّ جذور الزوان متداخلة ومضفورة مع جذور الزرع الجيد كذلك يمكن أنّ الاخوة الكذبة في الكنيسة يكونون مرتبطين بالتلاميذ الأمناء. إنّ الخلق الحقيقي لهؤلاء الذين يتظاهرون بالإيمان لن يُعلن كاملا، فلو فُصلوا من الكنيسة فقد يتعثّر آخرون الذين لولا هذا الإجراء لظلّوا ثابتين.

إنّ تعليم هذا المثل يبّين معاملات الله للناس والملائكة. إنّ الشيطان مخادع ومخاتل. فعندما أخطأ في السماء فحتى الملائكة الباقون على ولائهم لله لم يعرفوا خُلقَه على حقيقته. وهذا هو السبب الذي لأجله لم يهلك الله الشيطان في الحال. فلو أهلكه حالا لما أدرك الملائكة القديسون عدالة الله ومحبته. والشك في صلاح الله كان يمكن أن يكون زرعا شريرا يثمر ثمرا مرُا من الخطية والشقاء. ولذلك فقد أبقى الله على أصل الشرّ لكي يظهر أخلاقه بالتمام. فمدى أجيال طويلة أحتمل الله عذاب رؤية عمل الشر، وقدم هبة جلجثة السرمدية مفضلاً هذا على أن يرى أي إنسان مخدوعاً بتمويهات الشرير، إذ لم يكن من الممكن اقتلاع الزوان بدون أن يتعرض الزرع الجيد الثمين لخطر القلع. أفلا يجب علينا أن نكون صبورين على بني جنسنا كما يصبر رب السماء والأرض على الشيطان ؟

لا حق للعالم في أن يشك في صدق المسيحية لأنه يوجد في الكنيسة أعضاء غير مستأهلين، ولا ينبغي للمسيحيين أن تضعف قلوبهم بسبب هؤلاء الاخوة الكذبة. كيف كانت الحال في الكنيسة الأولى ؟ لقد انضم حنانيا وسفيرة إلى جمهور التلاميذ. وسيمون الساحر اعتمد. وديماس الذي ترك بولس كان محسوباً مؤمناً. ويهوذا الاسخريوطي كان معدودا ضمن الرسل. إنّ الفادي لا يريد أن تهلك أو تضيع نفس واحدة، وقد سُجل اختباره مع يهوذا ليظهر طول أناته وصبره على الطبيعة البشرية الفاسدة، وهو يأمرنا أن نحتملها كما سبق هو فاحتملها. لقد قال إنّ الاخوّة الكذبة سيوجدون في الكنيسة إلى انقضاء الدهر.

ولكن حاول الناس اقتلاع الزوان برغم إنذار المسيح. لقد لجأت الكنيسة إلى السلطات المدنية لمعاقبة من كان يُظنّ أنهم فاعلوا شرّ. والذين خرجوا على العقائد المقرّرة سُجنوا وعذُبوا وقُتلوا بتحريض الرجال الذين كانوا

يدعون أنّهم إنّما يفعلون ما صادق عليه المسيح. ولكنّ الروح الذي يوحي بمثل هذه الأعمال ليس هو روح المسيح بل روح الشيطان. فهذه هي وسيلة الشيطان في إخضاع العالم لسلطانه. لقد أُسيء تمثيل الله بواسطة الكنيسة بهذه الوسيلة التي اتبعتها في معاملة من حسبتهم هراطقة.

إنّ المسيح في هذا المثل لا يعلِّم بوجوب محاكمة الآخرين وإدانتهم بل يعلمنا الوداعة وعدم الثقة بالذات. ليس كل ما يُزرع في الحقل هو زرع جيّد. إنّ وجود الناس في الكنيسة ليس برهاناً على كونهم مسيحيين.

كان الزوان قريب الشبه بالحنطة جداً عندما كان النبات أخضرَ، ولكن عندما ابيضّ الحقل للحصاد لم تكن هنالك مشابهة بين الأعشاب العديمة النفع والحنطة المحمّلة والمثقلة بالسنابل الممتلئة حنطة. والخطاة الذين يتظاهرون بالتقوى يندمجون إلى حين بين أتباع المسيح الأمناء ويُحسب أن مظهر المسيحية يخدع كثيرين. ولكن عند حصاد العالم لن يكون هنالك أي تشابه بين الخير والشر. وحينئذ فالذين قد انضموا إلى الكنيسة دون أن يقبلوا المسيح سينكشفون.

إنّ الزوان يُسمح له بأن ينمو في وسط الحنطة وبأن يتمتع بكل امتيازات الشمس والأمطار، ولكن في وقت الحصاد «تعودون وتميزون بين الصديق والشرير بين من يعبد الله ومن لا يعبده» (ملاخي ٣:١٨). والمسيح نفسه سيقرر من هم المستحقّون لأن يسكنوا مع أسرة السماء. وهو سيحكم على كل إنسان بحسب أقواله وأعماله. إنّ العقيدة أو الاعتراف لا يساوي شيئا في الميزان. ولكن الخلق هو الذي يقرر المصير.

إنّ المخلّص لا يشير إلى وقت في المستقبل فيه يستحيل كل الزوان إلى حنطة. فالحنطة والزوان ينميان معاً إلى الحصاد الذي هو انتهاء العالم. حينئذ يُحزم الزوان حزماً ليحرق ، أمّا الحنطة فتُجمع إلى مخزن الله :

«حينئـذ يضـيء الأبـرار كالشـمس في ملكـوت أبيـهم» وإذ ذاك «يرسـل ابـن الإنسـان ملائكتـه فيجمعـون مـن ملكوتـه جميـع المعـاثر وفـاعلي الإثـم. ويطرحونـهم في آتـون النـار. هنـاك يكـون البكـاء وصـرير الأسـنان» (متـى ١٣: ٤١ و ٤٢).

٥ «مثْل حَبّة خَردل»

كان بين الجموع التي استمعت لتعليم المسيح كثيرون من الفريسيين. هؤلاء الناس لاحظوا بازدراء قلة عدد من اعترفوا به كمسيّا من بين سامعيه. وكانوا يسائلون أنفسهم كيف يمكن لهذا المعلّم الساذج أن يرفع شأن إسرائيل إلى ذروة السيادة الشاملة. فبدون غنى أو سلطان أو كرامة كيف يمكنهُ أن يوطّد دعائم الملكوت الجديد ؟ وقد قرأ المسيح أفكارهم فأجابهم:

«بماذا نشبه ملكوت الله أو بأي مثل نمثله» ؟ في حكومات الأرض لا يوجد ما يصلح لأن يكون شبيهاً به. ولا يوجد مجتمع مدني يمكن أن يتخذه السيد رمزاً له، فقال: «مثل حبة خردل متى زرعت في الأرض فهي أصغر جميع البذور التي على الأرض. ولكن متى زُرعت تطلع وتصير أكبر جميع البقول وتصنع أغصاناً كبيرة حتى تستطيع طيور السماء أن تتآوى تحت ظلها» (مرقس ٤: ٣٠ - ٣٢).

إنّ الجرثومة التي في البذرة تنمو بتفتح مبدأ الحياة الذي قد غرسه الله فيها. ونموّها لا يتوقف على أية قوة بشرية. وكذلك الحال مع ملكوت المسيح. إنّه خليقة جديدة. ومباديء نموه هي على نقيض المباديء التي تحكم على ممالك هذا العالم. فالممالك الدنيوية تنتصر بالقوة والعنف وتحتفظ بأملاكها بالحروب. ولكن مؤسس الملكوت الجديد هو رئيس السلام. إنّ الروح القدس يشبِّه ممالك العالم بالوحوش الضارية المفترسة، أما المسيح فهو «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يوحنا ١: ٢٩). وفي تدبيره للحكم لا يوجد استخدام للقوة الوحشية لإرغام الضمير. كان اليهود ينتظرون أن يتأسس ملكوت الله بنفس وسيلة تثبيت ممالك العالم. فلكي

ينشروا البر لجأوا إلى إجراءات خارجية. وابتكروا وسائل وخططاً. ولكن المسيح يغرس مبدأ. فإذ يثبِّت الحق والبر يعرقل عمل الضلال والخطية.

فإذ نطق يسوع بهذا المثل كان يمكن رؤية شجرة الخردل من بُعد ومن قرب وقد ارتفعت فوق العشب والحنطة وكانت أغصانها تلوح في الهواء برشاقة. وكانت الطيور تنتقل من فرع إلى آخر وترسل أغاريدها من خلال أوراق الأغصان. ومع ذلك فإن البذرة التي منها نبتت هذه الشجرة العظيمة كانت من أصغر البذور كلها. في باديء الآمر أخرجت غُصيناً صغيراً رقيقاً، ولكنه كان ذا حيوية قوية فنما وازدهر إلى أن وصل إلى حجمه الحالي العظيم. وكذلك ملكوت المسيح فقد ظهر في بدئه حقيراً لا يُعتد به. فلو قورن بممالك العالم لبدا أصغرهن جميعاً. لقد كان حكام هذا العالم يسخرون من تصريح المسيح بأنه ملك. ومع ذلك ففي الحقائق العظيمة الجبارة المسلمة لتلاميذه كانت لملكوت الإنجيل قوة حياة إلهية. وما كان أسرع نموه وما كان أوسع مدى تأثيره ! عندما نطق المسيح بهذا المثل لم يكن غير عدد قليل من فلاحي الجليل ليمثلوا الملكوت الجديد. إنّ فقرهم وقلة عددهم اعتبرا مرارا كثيرة سببا لأجله لا يليق بالناس أن ينضموا إلى هؤلاء الصيادين السذج الذين تبعوا يسوع. ولكن حبة الخردل كان عليها أن تنمو وتمد أغصانها في كل أنحاء العالم. وعندما تندثر وتزول ممالك الأرض التي ملأ مجدها قلوب الناس حينئذ فإن ملكوت المسيح سيبقى قوة جبارة تملأ الأرجاء.

وهكذا عمل النعمة في القلب هو صغير في مبدئه. فإذ تُقال كلمة ينسكب شعاع من النور في النفس وتُبذل قوة وتأثير هما بدء الحياة الجديدة، ومن ذا الذي يستطيع أن يقيس نتائجهما!

إنّ مثل حبة الخردل لا يشرح نمو ملكوت المسيح فقط بل في كل طور من أطوار النمو يتكرر الاختبار المشروح في المثَل. لقد أعد الله لكنيسته في كل عصر وكل جيل حقّاً خاصاً وعملا خاصا. فالحق الذي قد أُخفي عن عقلاء هذا العالم وحكمائه أُعلن لمن هم كالأطفال والودعاء. إنّه يتطلب إنكار الذات والتضحية. ولديه معارك يخوضها ونصرات يحرزها. في البدء نجد أن مناصريه قليلون. فعظماء العالم والكنيسة المجارية للعالم يقاومونهم ويزدرونهم. انظروا يوحنا المعمدان سابق المسيح وهو واقف وحده موبخا كبرياء الأمة اليهودية وتمسكها بالرسميات. وانظروا حاملي الإنجيل الأولين إلى أوروبا. وكم كانت رسالة بولس وسيلا، صانعي الخيام، تبدو مغمورة وبائسة حين أبحرا مع رفقائهما من ترواس إلى فيلبي. ثم انظروا «بولس الشيخ» السفير في سلاسل وهو يكرز بالمسيح في معقل القياصرة. ثم انظروا إلى الجماعات الصغيرة من العبيد والفلاحين وهم في نضال مع وثنية روما الإمبراطورية. وانظروا كذلك إلى مارتن لوثر وهو يصمد أمام تلك الكنيسة العظيمة التي هي طُرفة الحكمة العالمية. انظروه وهو متشبث بكلمة الله ضد الإمبراطور والبابا وهو يقول «إنّي اتخذ موقفي هنا. ولا يمكنني أن افعل غير ذلك. وليكن الله في عوني». ثم انظروا جون وسلي وهو يكرز بالمسيح وبرّه في وسط التمسك بالطقوس والشهوانية والإلحاد. انظروا إنساناً مثقلاً بحمل ويلات العالم الوثني متوسلا في طلب امتياز حمل رسالة محبة المسيح إليهم. ثم اسمعوا بماذا أجابه رجال الاكليروس ، فقد قالوا له : «اجلس أيها الشاب. إنّ الله حين يريد أن يهدي الوثنيين فهو سيفعل ذاك بدون مساعدتك أو مساعدتنا».

إنّ قادة الفكر الديني العظام في هذا العصر يشيدون بمديح من قد زرعوا بذار الحق في القرون الماضية ويقيمون لهم الأنصاب. إلا يوجد كثيرون ممن ينحرفون عن هذا العمل ليطأوا بأقدامهم على النبات الطالع

من نفس هذا البذار اليوم ؟ إنّ الصرخة القديمة تتردّد من جديد قائلة : «نحن نعلم أنّ موسى كلّمه الله، وأمّا هذا (أي المسيح في شخص الرسول الذي يرسله) فما نعلم من أين هو» (يوحنا ٩:٢٩). وكما في الأجيال القديمة نجد أن الحقائق الخاصة بهذا العصر لا توجد في سلطات رجال الدين بل مع الرجال والنساء الذين ليسوا أعلم ولا أحكم من أن يؤمنوا بكلمة الله.

«فانظروا دعوتكم أيها الاخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء بل اختار الله جهّال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود» (١ كورنثوس ١:٢٦ - ٢٨): «لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله» (١ كورنثوس ٢:٥).

وفي هذا العصر الأخير سيصل مثل حبة الخردل إلى إتمام ظافر وفريد. فالحبة الصغيرة ستصير شجرة. وآخر رسالة للإنذار والرحمة ستصل إلى «كل أمة وقبيلة ولسان وشعب» (رؤيا ١٤:٦ - ١٤) : «ليأخذ منهم شعبا على اسمه» (أعمال ١٥:١٤) وستستنير الأرض من بهائه (رؤيا ١٨:١).

٦ دُروس أخرى مِن إلقَاء البذار

يمكننا أن نتعلم دروساً ثمينة في البيت وفي المدرسة من عمل إلقاء البذار ونمو النبات من البذرة. ليتعلم الأولاد والشباب أن يميزوا في الأشياء الطبيعية عمل العوامل الإلهية، وحينئذ يمكنهم أن يدركوا بالإيمان منافع غير منظورة. فإذ يفهمون عمل الله العجيب في تدبير احتياجات أسرته الكبيرة وكيف أنه يجب علينا أن نتعاون معه فسيزيد إيمانهم بالله وسيتحققون أكثر من قدرته في حياتهم اليومية.

إنّ الله قد خلق البذرة كما خلق الأرض بكلمته. فبكلمته أعطاها القوة على النمو والتكاثر. قال: «لتنبت الأرض عشباً وبقلا يبزر بزراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض. وكان كذلك ... ورأى الله ذلك أنه حسن» (تكوين ١١:١ و١٢) ونفس هذه الكلمة هي التي لا تزال تجعل البذار ينمو. فكل بزرة تخرج أوراقها الخضراء لتستقبل الشمس تعلن عن القدرة الصانعة المعجزات في تلك الكلمة التي نطق بها ذاك الذي: «قال فكان. هو أمر فصار» (مزمور ٩:٣٣).

لقد علم المسيح تلاميذه أن يصلوا قائلين: «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم» (متى ١١:٦). وإذ أشار إلى الأزهار قدم لهم هذا التأكيد: «فإن كان عشب الحقل ... يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم» ؟ (متى ٣٠:٦). والمسيح لا يزال يعمل على إجابة هذه الطلبة وليثبت هذا التأكيد. توجد قوة غير منظورة تعمل على الدوام كخادم للإنسان يقدم له الطعام والكساء. إنّ الرب يستخدم عوامل كثيرة لجعل البذرة التي يبدو أنّها قد طرحت بعيداً، نبتة حية. وبهذه النسبة هو يعدّ كل ما يلزم لإكمال الحصاد. لنسمع الآن الأقوال الجميلة التي كتبها المرنم:

«تعهدت الأرض وجعلتها تفيض. تغنيها جداً. سواقي الله ملآنة ماء. تهيئ طعامهم لأنك هكذا تعدّها. أروِ أتلامها مهِّد أخاديدها. بالغيوث تحللها. تبارك غلّتها. كللت السنة بجودك وآثارك تقطر دسماً» (مزمور ٩:٦٥ - ١١).

إنّ العالم المادي هو تحت سلطان الله. والطبيعة تطيع نواميسها. فكل شيء يتحدث عن إرادة الخالق ويعمل بها. فالسحاب وإشراق الشمس والطلّ والمطر والرياح والعواصف، كل هذه تحت رقابة الله وتطيع أوامره طاعة كاملة ثابتة. فبالطاعة لشريعة الله تنبثق نبتة القمح من الأرض «أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل» (مرقس ٢٨:٤). فهذه ينمّيها الرب في وقتها المناسب لأنّها لا تقاوم عمله. فهل يمكن أنّ الإنسان المجبول على صورة الله المزوّد بالعقل وقوة النطق هو وحده لا يقدّر هبات الله ويعصى إرادته ؟ وهل الخلائق العاقلة وحدها هي التي تسبّب التشويش في عالمنا ؟

في كل ما يعمل على إعالة الإنسان نرى اتفاقاً بين العمل الإلهي والمجهود البشري. لا يمكن أن يكون هناك حصاد ما لم تقم يدُ الإنسان بدورها في إلقاء البذار. ولكن بدون العوامل التي يقدمها الله في إرسال الشمس والأمطار والطل والسحاب لا يمكن أن يكون هناك حصاد. وهذا ينطبق على كل عمل أو حرفة وكل فروع الدرس والعلم. وكذلك الحال في الشؤون الروحية في تكوين الخُلُق وكل فروع العمل المسيحي. علينا دور يجب أن نحصل على القوة الإلهية لتتّحد معنا، وإلاّ فإنّ جهودنا تصير إلى العبث.

وكلما ينجز الإنسان عملاً سواء في الدائرة الروحية أو الزمنية عليه أن يذكر دائما أنّه إنّما يفعل ذلك بالتعاون مع خالقه. فمن اللازم لنا جداً أن ندرك اعتمادنا على الله. إنّنا نجعل ثقتنا في الإنسان أكثر مما يلزم، ونعتمد

على الاختراع البشري أكثر مما يجب. أمّا ثقتنا بالقدرة التي نجد الله على أتم استعداد لأن يمنحنا إياها فهي أقلّ بكثير مما يجب: «فإننا نحن عاملان مع الله» (١ كورنثوس ٣:٩). إنّ الدور الذي يقوم به العامل البشري هو أقل بما لا يقاس، أما إذا اقترن بألوهية المسيح فإنّه يستطيع كل شيء بالقوة التي يمنحه المسيح إياها.

إنّ النمو التدريجي للنبات من البذرة هو درس منظور في تربية الأولاد. إنّه يكون «أولاً نباتاً ثم سنبلاً ثم قمحاً ملآن في السنبل». إنّ ذاك الذي قدّم هذا المثل خلق البذرة الصغيرة وأودع فيها خواصها الحيوية ورسم النواميس التي تحكم نموها. هذا، وأن الحقائق التي يعلمنا إياها هذا المثل صارت حقيقة حية في حياته. وفي كلتا طبيعتيه الجسدية والروحية اتبع النظام الإلهي في النمو ممثلاً في النبات كما يريد أن يفعل كل شاب. ومع أنه كان جلال السماء وملك المجد فقد صار طفلا في بيت لحم، وقد ظل وقتا يمثل الطفل القاصر تحت رعاية أمه. وفي صباه كان يعمل أعمال صبي مطيع. كان يتكلم ويعمل بحكمة الصبي لا بحكمة الرجل، مكرما أبويه ومنفذا رغباتهما في التعاون طبقاً لمقدرته كصبي. ولكن في كل دور من أدوار نموه كان كاملاً بجمال حياته البريئة الطبيعية البسيطة. أن السفر المقدس يقول عنه في طور الصبا: «وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه». أما عن شبابه فيقول الكتاب: «وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس» (لوقا ٢:٤٠ و ٥٢).

إنّ عمل الوالدين والمعلمين يُقترح هنا. فيجب عليهم أن يهدفوا إلى تهذيب أميال الشباب حتى في كل دور من أدوار حياتهم يمثلون ويصَّورون الجمال الطبيعي اللائق بذلك الدور إذ يتفتحون تفتحاً طبيعياً كما تفعل الأغراس في الحديقة.

إنّ الأولاد الطبيعيين غير المتصنعين هم أكثر الأولاد جاذبية. وليس من الحكمة أن نبدي نحوهم اهتماما خاصا، ولا أن نكرر أقوالهم الماهرة الدالة على الذكاء على مسمع منهم. فينبغي ألا نشجعهم على الغرور بالإشادة بجمالهم أو أقوالهم أو أعمالهم. كما لا ينبغي إلباسهم الملابس الغالية الثمن أو المزركشة. هذا يغذّي ويشجع الكبرياء فيهم ويوقظ الحسد في صدور أترابهم.

ينبغي أن يتهذب الصغار في بساطة كبساطة الصغار. وينبغي تربيتهم على القناعة بالواجبات المعينة الصغيرة والمسرّات والاختبارات الطبيعية لمن هم في مثل سنهم. والصبا يمثله النبات في المثل. وللنبات جماله الخاص به. فينبغي إلا يُرغم الأولاد على أن ينضجوا قبل الأوان، بل عليهم أن يحتفظوا أطول وقت ممكن بنضارة أيام الصبا وجمالها.

ويمكن للأولاد الصغار أن يكونوا مسيحيين وأن يكون لهم اختبار يتناسب وأعمارهم. وهذا هو كل ما ينتظره الله منهم. إنّهم بحاجة إلى أن يتهذبوا في الأمور الروحية، فعلى الوالدين أن يقدموا لهم كل ميزة حتى يمكنهم أن يكِّونوا خلُقهم على صورة خلُق المسيح.

في نواميس الله في الطبيعة نجد أن النتيجة تتبع السبب بتأكيد لا يخطيء. إنّ الحصاد سيشهد عن نوع الزرع. والخادم الكسول تدينه أعماله. والحصاد يشهد عليه. وكذلك الحال في الروحيات، فأمانة كل خادم تقاس بنتائج خدمته. وصفة عمله سواء أكان مجتهداً أو كسولاً يظهرها الحصاد. وبهذه الكيفية يتقرر مصيره في الأبدية.

وكل بذرة تُزرع تنتج حصادا من نوعها. وهكذا في الحياة البشرية. فكلنا بحاجة إلى أن نزرع بذار الرحمة والعطف والحب لأننا سنحصد ما نزرعه. فكل صفة من صفات الأنانية وحب الذات والاعتداد بالذات، وكل عمل من

أعمال الإفراط أو الانغماس سيثمر حصاداً مـن نوعـه. فـالذي يعيـش لنفسـه إنمـا يزرع للجسد ومن الجسد يحصـد فسـاداً.

إنّ الله لا يـهلك إنسـاناً. فـالذي يـهلَك هـو الـذي يُـهلك نفسـه. وكـل مـن يخنـق إنـذارات الضمـير إنمـا يـزرع بـذار عـدم الإيمـان وهـذه لابـد لهـا مـن حصـاد. إنّ فرعـون قديمـا إذ رفـض أول إنـذار مـن الله بـذر بـذار العنـاد فحصـد العناد. فالله لم يرغمه على عـدم الإيمـان. ولكـن بـذار عـدم الإيمـان الـذي قـد زرعـه انتـج حصـادا مـن نوعـه، وهكـذا اسـتمرت مقاومتـه حتـى نظـر بـأم عينـه بـلاده الخربـة، وإلى جثّـة بكـره الفـاقد الحيـاة وكـل الأبكـار في بيتـه وكـل العـائلات في أنحـاء مملكتـه إلى أن غطـت ميـاه البحـر وغمـرت كـل فرسـانه ومركبـاته ورجـال حـربه. إن تاريخـه هـو إيضـاح مـرعب لصـدق هـذا القـول : «الذي يزرعه الإنسان إيـاه يحصـد أيضـا» (غلاطيـة ٦:٧). فلـو تحقـق النـاس مـن هذا لكانوا يتحذرون لأنفسهم عـن أي البـذار يزرعـون.

وكما أن البذار الـذي يُـزرع ينتـج حصـادا وهـذا بـدوره يُـزرع فـإنّ الحصـاد يتضاعف. وفي صلاتنا بالغير هذا القـانون يثبـت صدقـه. فكـل عمـل وكـل كَلمـة هـو بـذرة لابـد أن تؤتـي ثمرهـا. وكـل عمـل مـن أعمـال الشـفقة والاهتمـام، أو الطاعـة، أو إنكـار الـذات سـينتج عمـلا مثلـه في الآخريـن، وعـن طريـق هـؤلاء في آخرين غيرهم. وكذلك كـل عمـل مـن أعمـال الحسـد أو الخبـث أو الشـقاق هـو بـذرة سـتطلع في «أصـل مـرارة» (عـبرانيين ١٢:١٥) يتنجـس بـه كثـيرون. وكـم وكـم يزيـد عـدد مـن يُسمِّمه هـؤلاء «الكثـيرون». وهكـذا زرع الشـر يـدوم مدى الحياة ومدى الأبديـة.

إنّ السـخاء في الأمـور الزمنيـة والروحيـة هـو درس نتعلمـه مـن إلقـاء البـذار. إنّ الـرب يقـول : «طـوباكم أيـها الزارعـون علـى كـل الميـاه» (إشـعياء ٣٢:٢٠) . «هـذا وإنّ مـن يـزرع بالشـح فبالشـح أيضـاً يحصـد ومـن يـزرع بالبركـات

فبالبركات أيضا يحصد» (٢ كورنثوس ٦:٩). إنّ الزارع على كل المياه معناه التوزيع المستمر لهبات الله ومعناه العطاء كلما تطلّب عمل الله أو حاجات البشرية مساعدتنا. وهذا السخاء لا ينتهي إلى الفقر لأن «من يزرع بالبركات فبالبركات أيضا يحصد». إنّ الزارع يزيد من حنطته حين يلقيها في الأرض. وهكذا الحال مع من هم أمناء في توزيع هبات الله. فبالتوزيع يزيدون من بركاتهم. والله قد وعدهم بالكفاية حتى يداوموا على العطاء: «أعطوا تعطوا. كيلا جيداً ملبداً مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم» (لوقا ٦:٣٨).

وهنالك معنى آخر ينطوي عليه مثل الزرع والحصاد. فإذ نوزع على الناس هبات الله الزمنية وبركاته فإن البرهان على حبنا وعطفنا يوقظ في نفوس من يتناولون عطايانا روح الشكر والحمد لله. وتكون تربة القلب مهيأة لقبول بذار الحق الروحي. والذي يقدم البذار للزرع سيجعل البذار ينبت ويحيا ويثمر للحياة الأبدية.

إنّ المسيح بواسطة إلقاء البذار في الأرض يصور لنا ذبيحة نفسه لفدائنا فقد قال: «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمُت فهي تبقى وحدها. ولكن إنْ ماتت تأتي بثمر كثير». (يوحنا ١٢:٢٤). وهكذا موت المسيح سينتج ثمراً لملكوت الله. وطبقاً لناموس المملكة النباتية سينتج عن موته حياة.

وكل الذين يريدون أن يأتوا بثمر كعاملين مع المسيح ينبغي لهم أولا أن يقعوا في الأرض ويموتوا. فيجب أن تلقى الحياة في أتلام حاجة العالم. ينبغي القضاء على حب الذات واهتمامات الذات. ولكنّ ناموس التضحية هو ناموس حفظ النفس.إنّ البذرة إذ تُدفن في الأرض تأتي بثمر، وهذا بدوره يزرع أيضاً. وهكذا يتضاعف الحصاد. فالزارع يحفظ حنطته عندما يُلقي بها في التربة. وهكذا في حياة الإنسان فالعطاء هو الحياة. فالحياة

التي ستدوم هي الحياة التي تُبذل بكل سخاء في خدمة الله والناس. فالذين يضحون بحياتهم في هذا العالم لأجل المسيح سيحفظونها للحياة الأبدية.

إنّ البذرة تموت لكي تطلع لحياة جديدة. في هذا لنا درس نتعلمه عن القيامة. فكل من يحبون الله سيحيون ثانية في جنة عدن السماوية. لقد قال الله عن الجسد الذي يُدفن ليتعفن في القبر: «يزرع في فساد ويقامُ في عدم فساد. يزرع في هوان ويقام في مجد. يُزرع في ضعف ويقام في قوة» (١ كورنثوس ١٥:٤٢ و٤٣).

هذا قليل من الدروس الكثيرة التي يعلمها مثل الطبيعة الحي عن الزارع والبذار. فإذ يحاول الوالدون والمعلمون أن يعلّموا هذه الدروس يجب أن يكون ذلك بطريقة عملية. فليعدّ الأولاد التربة بأنفسهم ويزرعوا البذار. وإذ يدأبون في عملهم يمكن للأب أو الأم أو المعلم أن يوضح حديقة القلب بالبذار الجيد أو الرديء المزروع هناك، وأنه كما يجب إعداد الحديقة ليُلقى فيها بذار الحق. وبما أن البذار يلقى في جوف الأرض فهو يعلمنا درساً عن موت المسيح، وإذ ينبثق النبات يمكن استمرار المطابقة بين الزرع الطبيعي والزرع الروحي.

ويجب تعليم الشباب على هذا المنوال. فيجب أن يتعلموا أن يحرثوا الأرض. وقد يكون من المستحسن لو تكون حول كل مدرسة أرض زراعية مُلحقة بها، مثل هذه الأرض يجب اعتبارها على أنها الفصل المدرسي الذي يملكه الله. وأشياء الطبيعة يجب أن يُنظر إليها على أنها كتاب الدرس الإلهي الذي يجب على أولاده أن يدرسوه، ومنه يمكنهم أن يحصلوا على المعرفة الخاصة بتهذيب النفس.

وعنـد حـرث الأرض، وتهذيبـها وإخضاعـها يمكـن تعلـم دروس باسـتمرار. إنّـه لا يوجـد مـن يفكـر في الإقامـة في قطعـة أرض خـام منتظـراً أنـها تنضـج لـه ثمـراً في الحـال. ولكـن يجـب عليـه أن يبـذل الاجتـهاد والمثـابرة علـى العمـل في معالجـة التربـة تمـهيدا لإلقـاء البـذار. وهـذا يصـدق علـى العمـل الروحـي في القلـب البشـري. والذيـن يرغبـون في الاسـتفادة مـن حـرث الأرض ينبغـي لهـم أن يخرجـوا وقلوبـهم عـامرة بكلمـة الله. وسـيجدون أن الأرض المتروكـة في القلب قد شُقت وكُسرت بتأثـير الـروح القـدس اللطيـف المخضع. وما لم يُبـذل مجهودٌ متعـبٌ ومضـنٍ في الأرض فلـن تنتـج حصـاداً. وكذلـك الحـال مـع تربـة القلـب إذ ينبغـي أن يعمـل روح الله فيـه لينقيـه ويهذبـه قبلمـا يمكنـه أن يثمـر لمجـد الله.

والأرض لا تعطـي غناهـا متـى عمـل فيـها النـاس باندفـاع متقطّـع. فـهي بحاجـة إلى اهتمـام وتفكـير كـل يـوم. فينبغـي حرثـها مـراراً كثيرة حرثـاً عميقـاً، مـع الاهتمـام بـاقتلاع الأعشـاب الغريبـة الـتي تتغـذى مـن البـذار الجيـد المـزروع. وهكـذا فـالذين يحرثـون ويزرعـون يسـتعدون للحصـاد. ولا حاجـة بأحدٍ منهم أن يقف في الحقل في وسـط حطـام آمـالهم المنـهارة.

إنّ بركـة الـرب تحـل علـى الذيـن يشـتغلون في الأرض هكـذا والذيـن يتعلمـون دروسـا روحيـة مـن الطبيعـة. إنّ العـامل إذ يـزرع الأرض لا يعـرف إلا القليل عـن الكنوز الـتي تُفتـح لـه. وفي حـين ينبغـي لـه ألاّ يحتقـر التعليـم الـذي يحصل عليه مـن العقـول الـتي كـان لهـا الاختبـار ومـن المعلومـات الـتي يمكـن لـذوي العقـول الفطنـة أن يقدّموهـا فعليـه أن يجمـع دروسـا لنفسـه وهـذا جـزء مـن تدريبه. وفلاحـة التربة ستبرهن علـى أنّـها تـهذيب للنفس.

إنّ ذاك الـذي يجعـل البـذار يطلـع والـذي يحرسـه نـهاراً أو ليـلاً والـذي يمنحـه القـوة علـى النمـو هـو علّـة وجودنـا وملـك السـماء وهـو لا يـزال يبـذل

رعاية واهتماما أعظم لأجل أولاده. وفي حين يزرع الزارع البشري البذار لإعالة وإسناد حياتنا الأرضية، فإنّ الزارع السماوي الإلهي يغرس في النفس البذار الذي سيثمر للحياة الأبدية.

٧ يُشْبه خَميرة

لقد جاء كثيرون من الرجال المتعلمين ذوي النفوذ ليسمعوا تعاليم نبي الجليل. فبعض من هؤلاء نظروا باهتمام مستفهم إلى الجمع الذي اجتمع حول المسيح وهو يعلم بجانب البحر. وفي هذا الجمع العظيم مُثلت كل طبقات المجتمع. كان هناك الفقراء والأميّون والمستعطي الرث الثياب واللص المطبوع بطابع الإجرام على وجهه والكسيح والداعر المنغمس في الشهوات والتاجر والرجل المتعطل عن العمل والعال والدون والأغنياء والفقراء، الجميع تزاحموا على بعضهم البعض طلبا لموضع لأقدامهم ليقفوا ويستمعوا لأقوال المسيح. فإذ نظر هؤلاء المثقفون إلى هذا الجمع الغريب جعلوا يسائلون أنفسهم قائلين: هل ملكوت الله مكون من مثل هؤلاء الناس؟ ومرة أخرى أجاب المسيح على تساؤلهم بمثل:

"يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع" (متى ١٣:٣٣).

كان اليهود يعتبرون الخميرة أحياناً رمزا للخطية. وقد أُوصيَ الشعب أنه عند حلول عيد الفصح ينزعون كل الخمر من بيوتهم كما كان عليهم أن ينزعوا الخطية من قلوبهم. وقد حذر المسيح تلاميذه قائلا: "تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء" (لوقا ١٢:١). والرسول بولس يتكلم عن "خميرة الشر والخبث" (١ كورنثوس ٥:٨). ولكن في المثل الذي أورده المخلص استخدمت الخميرة رمزاً لملكوت السموات. فهي تشرح قوة نعمة الله المحيية المشكِّلة.

ليس أحد نجساً أو فاسداً أو قد انحط إلى درجة تجعله بعيداً عن متناول فاعلية هذه القوة. وكل من يخضعون ذواتهم للروح القدس يُغرس في نفوسهم مبدأ حياة جديدة، وصورة الله الضائعة ستُعاد إلى البشرية.

إلاّ أنّ الإنسان لا يستطيع أن يغير نفسه باستخدام إرادته. فهو لا يملك قوة بها يمكن إحداث هذا التغيير. فالخميرة - التي هي شيء يأتي من الخارج بالكلية ينبغي وضعها في الدقيق قبلما يتم التغيير المطلوب. وهكذا ينبغي للخاطيء أن يقبل نعمة الله قبلما يصير مؤهلا لملكوت المجد. فكل الثقافة والتهذيب اللذين يستطيع العالم أن يقدمهما يخفقان في جعل إنسان منحطّ من أبناء الخطية ابناً للسماء. فينبغي أن تأتي القوة المجددة من الله. والتغيير يمكن حدوثه بواسطة الروح القدس وحده. وكل من يريدون أن يخلصوا، من العال كانوا أم من الدون، أغنياء أم فقراء، ينبغي لهم أن يخضعوا لعمل هذه القوة.

وكما أنّ الخميرة إذ تختلط بالدقيق تعمل عملها من الداخل إلى الخارج، هكذا بتجديد القلب تعمل نعمة الله في تغيير الحياة. فمجرد التغيير الخارجي لا يكفي لجعلنا نصير في حالة وفاق مع الله. يوجد كثيرون ممن يحاولون الإصلاح بإصلاح هذه العادة الشريرة أو تلك، ويرجون بهذه الوسيلة أن يصيروا مسيحيين، لكن موضع ابتدائهم هو خاطيء، فأول عمل علينا أن نعمله هو في القلب.

إنّ الإقرار بالإيمان وامتلاك الحق في النفس هما أمران متباينان. فمجرد معرفة الحق لا يكفي. يمكننا أن نملك هذا ولكن طبيعة الأفكار قد لا تتغير. فيجب تجديد القلب وتقديسه.

إنّ الإنسان الذي يحاول حفظ وصايا الله لمجرد شعوره بأنه ملزم بذلك - ولأنه يُطلب منه أن يفعل ذلك - لن يحصل أبداً على فرح الطاعة. فهو لا

يطيع. فعندما تعتبر مطاليب الله عبئاً لأنها تقطع عنا رغائبنا وأميالنا فيمكننا أن نعلم أنّ مثل هذه الحياة ليست حياة مسيحية. إنّ الطاعة الحقة هي تفاعل يبدأ في الداخل. وهي تنبثق من محبة البر ومحبة شريعة الله. إنّ جوهر كل برّ هو ولاؤنا لفادينا. فهذا يجعلنا نفعل الحق لأنه حق - لان عمل الحق يرضي الله.

إنّ الحق العظيم حق تجديد القلب بعمل الروح القدس يقدّم في حديث المسيح مع نيقوديموس حين قال له: «الحق الحق أقول لك أنّ كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله ... المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح. لا تتعجب أنّي قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق. الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنّك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كلّ من ولد من الروح» (يوحنا ٣:٣ - ٨).

والرسول بولس إذ يكتب مسوقا من الروح القدس يقول: «الله الذي هو غني في الرحمة من اجل محبته الكثيرة التي أحبّنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. (بالنعمة أنتم مخلصون). وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله» (افسس ٤:٢ - ٨).

إنّ الخميرة المخبأة في الدقيق تعمل عملها الغير المنظور في تخمير الكمية كلها، هكذا خميرة الحق تعمل خفية في سكون وبثبات في تغيير النفس. فالأميال الطبيعية تلّين وتخضع وتغرس في النفس أفكار ومشاعر وبواعث جديدة. ويوضع للإنسان مقياس جديد للخلق - حياة المسيح. والعقل يتغير، وقواه توقظ لتعمل في نواح جديدة. إنّ الإنسان لا تعطى له

قوى جديدة ولكن القوى العقلية التي له تتقدس. والضمير يستيقظ. إننا نُزود بصفات وأخلاق تساعدنا على خدمة الله.

وكثيرا ما يثار السؤال: إذا لماذا يوجد أناس كثيرون جدا يّدعون انهم يؤمنون بكلمة الله ولكن لا يُرى فيهم أي إصلاح لا في الكلام ولا في الروح ولا في الخلق ؟ ولماذا يوجد كثيرون جدا ممن لا يستطيعون أن يحتملوا أية مقاومة لأغراضهم وخططهم ومن يظهرون طبعا غير مقدس وأقوالهم فظة قاسية ومتغطرسة غضوبة ؟ ففي حياتهم ترى نفس محبة الذات ونفس الانغماس الأناني ونفس الطبع والتسرع في الكلام الذي يُرى في حياة أهل العالم. ففي حياتهم توجد نفس الكبرياء السريعة التأثر، ونفس الخضوع للاميال الطبيعية، ونفس فساد الخلق وانحرافه، كما لو كان الحق مجهولا لديهم تماما. السبب هو انهم غير متجددين. فهم لم يخبئوا خميرة الحق في القلب - تلك التي لم يُعط لها المجال أو الفرصة لتعمل عملها. إنّ اميالهم الطبيعية التي ربوها في أنفسهم لعمل الشر لم تخضع لقوة الحق المغيّرة. وحياتهم تعلن عن عدم وجود نعمة المسيح فيهم وعن عدم الإيمان بقدرته على تغيير الخلق.

«الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله» (رومية ١٠:١٧). إنّ الكلمة الإلهية هي العامل العظيم في تغيير الخلق. لقد صلى المسيح قائلا: «قدسهم في حقك. كلامك هو حق» (يوحنا ١٧:١٧). إنّ كلمة الله لو درسها الإنسان وأطاعها فإنها تعمل في القلب مخضعة كل صفة غير مقدسة. إنّ الروح القدس يأتي ليبكّت على خطية، والإيمان الذي ينبثق في القلب يعمل بالمحبة للمسيح فيجعلنا مشابهين لصورته في الجسد والنفس والروح. وحينئذ يمكن أن يستخدمنا الله لعمل مشيئته. والقوة المعطاة لنا تعمل عملها من الداخل إلى الخارج فتجعلنا نبلغ إلى الآخرين الحق الذي قد تسلمناه.

إن حقـائق كلمـة الله تسـد حاجـة الإنسـان العظمـى - ألا وهـي تجديـد النفـس بالإيمـان. وينبغـي ألاّ نظـنّ أنّ هـذه الحقـائق السـامية اطـهر أو اقـدس مـن أن تتدخـل في الحيـاة اليوميـة. إنّـها حقـائق تصـل إلى السـماء وتحتضـن الأبديـة، ومـع ذلـك فـإنّ تأثيرهـا الحيـوي ينبغـي أن يتدخـل ويُنسـج في اختبـار النـاس. فيجب أنـها تتغلغـل في عظـائم الأمـور وصغائرهـا في الحيـاة.

فـإذ تُقبـل خمـيرة الحـق في القلـب فـهي تنظـم الرغـائب وتطـهر الأفكـار وتجمـل المـزاج. وهـي تحيـي قـوى العقـل وقـوى نشـاط النفـس، وترحّـب قـدرة الإنسان علـى الإحسـاس والحـب.

إنّ العـالم يعتـبر الإنسـان المُشـبع القلـب بـهذا المبـدأ لغـزا. فالإنسـان الأنـاني محـبّ المـال يعيش لكـي يحـرز لنفسـه غنـى هـذا العـالم وكراماتـه وملذاتـه. وهـو يُسـقط رجـاء عـالم الأبـد مـن حسـابه. أمّـا بالنسـبة إلى تلميـذ المسـيح فـهذه الأشياء لـن تستوعب كـل قـوى تفكـيره. ولكنّـه لاجـل المسـيح يجـدّ وينكـر ذاتـه حتـى يمكنـه المساهمة في العمـل العظيـم، عمـل خـلاص النفـوس الـتي هـي بـلا مسيح وبـلا رجـاء في العـالم. مثـل هـذا الإنسـان لا يسـتطيع العـالم أن يفهمـه، لأنّـه يجعـل الحقـائق الأبديـة نصـب عينيـه دائمـا. لقـد دخلـت محبـة المسـيح بقوتـها الفاديـة إلى القلـب. وهـذه المحبـة تسـيطر علـى كـل عاطفـة أخـرى وترفـع مـن يتمتـع بـها فـوق قـوة العـالم المفسـدة.

ويجـب أن يكـون لكلمـة الله تأثير مقدّس علـى عشـرتنا - لكـل فـرد مـن أفـراد الأسـرة البشـرية. إنّ خمـيرة الحـق لـن تنتـج في النفـس روح التنـافس أو حـب الطمـوح أو الرغبـة في أن يكـون الإنسـان أوّلاً. نعـم فـإنّ المحبـة الـتي هـي ابنـة السـماء ليسـت محبـة لذاتـها ولا هـي متقلّبـة. ولا تسـتند إلى مديـح النـاس. إنّ قلـب مـن يقبـل نعمـة الله يفيـض بالمحبـة لله ولمـن قـد مـات المسـيح لأجلـهم. والـذات لا تحـارب لأجـل الشـهرة. وهـو لا يحـب الآخريـن لكونـهم يحبّونـه أو

يرضونه أو يقدرون أفضاله بل لأنهم مقتنى المسيح. فإذا أسيء فهم بواعثه أو أقواله أو أعماله أو حُرفت هذه فهو لا يغضب بل يسير في مجرى حياته الهادىء. إنّه شفوق وكثير الاهتمام وهو متواضع في رأيه عن نفسه، ومع ذلك فهو ممتلىء النفس بالرجاء، واثق أبداً برحمة الله ومحبته.

إنّ الرسول يوصينا قائلا: «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا انتم أيضا قديسين في كل سيرة. لأنه مكتوب كونوا قديسين لأني أنا قدوس» (١ بطرس ١٥:١ و١٦). فينبغي أن تسيطر نعمة المسيح على الطبع والصوت. وإنّ عملها يُرى في الأدب وفي التقدير الذي يبديه الأخ لأخيه، وفي كلام الشفقة والتشجيع. فيوجد في البيت حضور ملائكي. والحياة يفوح منها شذا عطر يصعد إلى الله كبخور مقدس. والمحبة تتجلّى في الرفق واللطف والصبر والاحتمال.

المحيّا يتغير. فإذ يسكن المسيح في القلب فنوره يتلألأ في وجوه من يحبونه ويحفظون وصاياه. والحق يُكتب في ملامحهم. وسلام السماء العذب يتجلّى. وهم يظهرون الرقة الطبيعية، محبة اكثر من المحبة البشرية.

إنّ خميرة الحق تُحدث تغيرا في الإنسان كله فالخشن يصير مهذّبا والفظّ يصبح لطيفاً والأناني كريماً. وبواسطتها يتطهر النجسون ويغتسلون في دم الحمل وقوتها المانحة الحياة تجعل توافقا بين العقل والنفس والقوة وبين الحياة الإلهية. والمسيح يتمجد في سمو الخلق وكماله. فإذ تتمّ هذه التغيرات كلها يهتف الملائكة ويسبحون تسابيح الفرح العظيم ويبتهج الله والمسيح بالنفوس التي تشكلت حسب المثال الإلهي.

٨ الكَنز المخْفى

«أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفىً في حقل وجده إنسان فأخفاه ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل» (متى ١٣:٤٤).

في العصور القديمة اعتاد الناس أن يخفوا كنوزهم في الأرض. فقد كانت حوادث السرقة والسطو كثيرة الوقوع. وكلما حدث تغيير في الحكام فالذين كانوا يملكون ثروات عظيمة باتوا معرضين لأن تفرض عليهم ضرائب فادحة. وفضلا عن هذا فإنّ البلاد كانت في خطر دائم من غزو يأتيها من جيوش مغيرة، ونتيجة لذلك، كان الأغنياء يحاولون الاحتفاظ بثروتهم بإخفائها، وكانوا ينظرون إلى الأرض كأنها مخبأٌ أمينٌ. ولكن في أحيان كثيرة كانوا ينسون المكان الذي أخفوا فيه كنوزهم، وقد يموت صاحب الكنز أو قد يفصل النفي أو السجن بينه وبين كنزه. فكانت الثروة التي قد تعب في جمعها تترك لمن يسعده الحظ بالعثور عليها. وفي عهد المسيح لم يكن أمرا غير مألوف اكتشاف عملات قديمة وحليّ من الذهب والفضة في أرض مهملة مهجورة.

إنّ رجلا يستأجر قطعة أرض ليزرعها، ففيما الثيران تحرث الأرض يكتشف الرجل كنزا مُخفى. فإذ يكتشف الرجل هذا الكنز يرى أنّ ثروةً صارت في متناول يده. فبعدما يعيد الذهب إلى مخبئه يعود إلى بيته ويبيع كل ما له لكي يشتري الحقل الذي فيه الكنز. ولكن عائلته وأقرباءه يظنون أنه يتصرف تصرف المجانين. فإذ ينظرون إلى الحقل لا يرون لتلك الأرض المهملة أية قيمة. ولكن الرجل يعلم ما هو فاعل، وعندما تصير الأرض ملكا له ينقب كل شبر في ذلك الحقل بحثا عن الكنز الذي قد أحرزه.

هذا المثل يشرح لنا قيمة الكنز السماوي والجهد الذي يجب أن يُبذل في سبيل الحصول عليه. إنّ الرجل الذي وجد الكنز في الحقل كان مستعداً للتخلي عن كل ما يملك ولبذل جهد لا يكلّ لكي يحرز تلك الثروة المخفية. وهكذا من يجد الكنز السماوي لا يعتبر أي تعب أعظم ولا أية تضحية أغلى من أن تبذل في سبيل الحصول على كنوز الحق.

إنّ الحقل الذي كان فيه الكنز المذكور في المثل يرمز إلى الكتب المقدسة. والإنجيل هو الكنز. إنّ الأرض نفسها ليست مضفورة بعروق الذهب وممتلئة بالأشياء الثمينة مثل كلمة الله.

كيف اخفي

يقال عن كنوز الإنجيل أنها مخفية. إنّ من هم حكماء في أعين أنفسهم المنتفخين بتعليم الفلسفة الباطلة لا يفهمون جمال تدبير الفداء وسره وقوته. كثيرون لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون ولهم عقول ولكنهم لا يفطنون إلى الكنز المخفي.

ربما مرّ إنسان بالمكان الذي كان الكنز مخفيّا تحته. وربما جلس ليستريح تحت شجرة وهو في فقره المدقع دون أن يدري شيئا عن الثروة المخبوءة في جذورها. كذلك كانت الحال مع اليهود. فالحق أودع بين أيدي الشعب العبراني ككنز من الذهب. إنّ التدبير اليهودي الذي كان يحمل طابع السماء، كان المسيح قد رسمه بنفسه. كانت حقائق الفداء العظيمة محجوبة بالرموز والأمثلة، ومع ذلك فعندما جاء المسيح لم يعرف اليهود ذاك الذي كانت كل الرموز تشير إليه. كانت كلمة الله بين أيديهم، ولكنّ التقاليد التي سُلمت من جيل إلى جيل والتفاسير البشرية للكتاب أخفت

عنهم الحق كما هو في يسوع. وقد ضاع المعنى الروحي للكتب المقدسة. لقد كانت خزانة كل معرفة مفتوحة أمامهم ولكنّهم لم يعرفوها.

إنّ الله لا يخفي حقه عن الناس. ولكنهم بتصرفهم يجعلونه غامضا على أنفسهم. لقد أعطى المسيح للشعب اليهودي البراهين الوافرة على أنّه مسيّا، ولكن تعليمه كان يتطلب تغييرا حاسما في حياتهم. وقد رأوا أنهم لو قبلوا المسيح فلابد لهم من أن يتخلّوا عن مبادئهم المحبوبة وتقاليدهم وأعمالهم الأنانية الشريرة. إنّ قبول الحق الأبدي الثابت يتطلب تضحية. لذلك رفضوا الاعتراف بأعظم البراهين القاطعة التي قدمها الله لتوطيد الإيمان بالمسيح. لقد اقرّوا بأنهم يؤمنون بأسفار العهد القديم ومع ذلك فقد رفضوا الشهادة المتضمنة فيها عن حياة المسيح وصفاته. كانوا يخافون من الاقتناع لئلا يتجددوا ويضطروا للتخلي عن آرائهم السابقة. كان بينهم كنز الإنجيل، الطريق والحق والحياة ولكنهم رفضوا أعظم عطية يمكن أن تهبها السماء.

« ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضا غير انهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع » (يوحنا ١٢:٤٢). هذا ما يقوله الكتاب. لقد اقتنعوا، وآمنوا بأن يسوع هو ابن الله، ولكنّ الاعتراف به لم يكن متوافقا مع رغائبهم وطموحهم. فلم يكن عندهم الإيمان الذي كان يمكن أن يضمن لهم الكنز السماوي. فقد كانوا يطلبون كنزاً أرضياً.

والناس اليوم يطلبون كنوز الأرض بكل اجتهاد وشوق. وعقولهم مشحونة بأفكار الأنانية والطموح. ففي سبيل الحصول على الغنى الأرضي أو الكرامة أو السلطان يضعون مباديء الناس وتقاليدهم ومطاليبهم فوق مطاليب الله ولذلك تخفى عليهم كنوز كلمته.

« ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً. » (١ كورنثوس ٢:١٤).

«ولكن إن كان إنجيلنا مكتوما فإنما هو مكتوم في الهالكين، الذين فيهم اله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله» (٢ كورنثوس ٤:٣ و ٤).

قيمة الكنز

رأى المخلص الناس وإذا هم مشغولون في جمع المال، وقد غابت عن أنظارهم الحقائق الأبدية، ولذلك أخذ على نفسه أمر معالجة هذا الشرّ. حاول أن يحطّم السحر الذي خلب عقولهم وأصاب أرواحهم بالشلل. فرفع صوته وصرخ قائلا: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه» ؟ (متى ١٦:٢٦). وهو يضع أمام البشرية الساقطة العالم الأنبل الذي قد غاب عن أنظارهم حتى يروا الحقائق الأبدية. وهو يوقفهم على أعتاب عالم الأبد الذي يشع منه مجد الله الذي لا يوصف ويريهم الكنز الذي هناك.

إنّ قيمة هذا الكنز تفوق قيمة الذهب والفضة. وغنى كل مناجم الأرض لا يعادله.

«الغمر يقول ليست هي فيَّ والبحر يقول ليست هي عندي. لا يُعطى ذهب خالص بدلها ولا توزن فضة ثمنا لها. لا توزن بذهب أوفير أو بالجزع الكريم أو الياقوت الأزرق. لا يعادلها الذهب ولا الزجاج ولا تبدل بإناء ذهب إبريز. لا يذكر المرجان أو البلور وتحصيل الحكمة خير من اللآلىء» (أيوب ١٤:٢٨ – ١٨)

هذا هو الكنز الذي يوجد في كتاب الله. فالكتاب المقدس هو كتاب درس الله الفسيح والمهذب العظيم. أساس كل علم حقيقي مشتمل في الكتاب. ويمكن العثور على كل فرع من فروع المعرفة بواسطة تفتيش كلمة

الله. وفوق كل كتاب آخر هو يشتمل على علم كل العلوم أي علم الخلاص. فالكتاب المقدس هو المنجم الذي فيه غنى المسيح الذي لا يُستقصى.

إنّ التهذيب الحقيقي الأسمى يُنال بواسطة درس كلمة الله وإطاعتها. ولكن متى أُلقيت كلمة الله جانبا واستعيض عنها بكتب لا تُرشد النفس إلى الله أو إلى ملكوت السموات فإنّ التعليم الذي يحصل عليه الإنسان هو تزييف لإسم التعليم.

توجد في الطبيعة حقائق عجيبة ومدهشة. فالأرض والبحر والسماء ملأى بالحق. وكلها تعلّمنا. والطبيعة تنطق بصوتها في دروس الحكمة السماوية والحق الأبدي. ولكنّ الإنسان الساقط لا يريد أن يفهم. لقد أظلمت الخطية بصره وهو لا يستطيع من نفسه أن يفسّر الطبيعة بدون أن يضعها فوق الله. ولا يمكن للدروس الصحيحة أن تؤثّر في عقول من يرفضون كلمة الله. وهم يحرفون تعليم الطبيعة بحيث يبعدهم عن الخالق.

إنّ كثيرين يظنون أنّ حكمة الإنسان أسمى من حكمة المعلم الإلهي، وينظرون إلى كتاب درس الله على أنه طراز قديم وكتاب مبتذل لا لذّة فيه. أما الذين قد أنعشهم الروح القدس فلا ينظرون إليه هكذا، فهم يرون فيه كنزاً لا يُقدّر بثمن، وهم يريدون أن يبيعوا كل شيء ويشتروا الحقل الذي فيه الكنز. وبدلا من أن يقتنوا الكتب المشتملة على افتراضات الكتّاب المشهورين فإنّهم يختارون كلمة ذاك الذي هو أعظم كاتب وأعظم معلم عرفه العالم والذي بذل حياته لأجلنا لكي تكون لنا به الحياة الأبدية.

نتائج إهمال الكنز

إنّ الشيطان يعمل في عقول الناس فيقنعهم بأنه يوجد علم عجيب ومدهش يمكن الحصول عليه بعيداً عن الله. إنّه بسبب محاجته الخادعة

ساق آدم وحواء إلى الشك في كلمة الله وملأ مكانها بنظرية أدّت إلى العصيان. وإنّ مغالطته تعمل اليوم نفس ما عملته في جنة عدن. فالمعلمون الذين يخلطون آراء الكتّاب الملحدين بالتهذيب الذي يقدمونه إنمّا يغرسون في أذهان الشباب أفكاراً تقود إلى الشك في الله وعصيان شريعته. وقلّما يعرفون ما هم صانعون. وقلّما يتحققون من مغبّة عملهم.

قد يتقدم أيّ شاب ويحصل على كل الدرجات العلمية في مدارس اليوم وكلياته، وقد يكرّس كل قواه لاجتناء المعرفة، ولكن ما لم يعرف الله، وما لم يطع الشرائع التي تحكم على كيانه فسيُهلك نفسَه. فبسبب العادات الخاطئة يفقد القوة على تقدير نفسه ويفقد قوة ضبط النفس. ولا يستطيع أن يتناقش مناقشةً صحيحةً في الأمور التي تمسّه من أقرب قرب. إنّه طائش وغير واقعي في معالجة عقله وجسده. فبسبب عاداته الخاطئة يجعل من نفسه حطاما خربا. ولا يستطيع أن يجد السعادة لأنّ إهماله في غرس المبادئ الصحية الطاهرة يجعله تحت سيطرة العادات التي تدمر سلامه. وسنو دراسته المضنية تضيع لأنه قد أهلك نفسه. لقد أساء استخدام قوى جسمه وعقله وقد صار هيكل جسمه خرابا. لقد أصاب الدمارُ حياتَه الحاضرة والعتيدة. كان يظنّ أنّه إذ طرَح كتابَه المقدس جانبا فقد ضحّى بكنزٍ يساوي كل شيء آخر.

البحث عن الكنز

ينبغي أن تكون كلمة الله موضوع دراستنا. وعلينا أن نعلّم أولادنا الحقائق المدونة فيها. إنّها كنز لا ينفد ولكن الناس يخفقون في العثور على هذا الكنز لأنهم لا يفتشون حتى يصير في حوزتهم. إنّ كثيرين جداً يقنعون بالظنّ والافتراض في أمر الحق. يقنعون بدرسٍ سطحي إذ يحسبونه أمرا

مسلّما بـه أنّـهم قـد حصلـوا علـى كـل مـا هـو جوهـري. فـهم يعتـبرون أقـوال الآخريـن أنّـها الحـق إذ أنـهم متكاسـلون جـدا عـن أن يشـرعوا بأنفسـهم بجـدٍ وغـيرةٍ في العمـل المرمـوز إليـه في الكتـاب بـالحفر بحثـا عـن الكـنز المخفـي. ولكـنّ اختراعاتِ النـاس فضـلا عـن أنـها لا يُعتمـد عليـها فـهي خطـرة لأنـها تضـع الإنسان حيث يجـب أن يكـون الله. وهـي تضـع أقـوال النـاس حيـث يجـب أن يكـون «هكـذا قـال الـرب».

إنّ المسـيح هـو الحـق. وأقوالـه حـق ولهـا معنـى أعمـق ممـا يبـدو حسـب الظـاهر. إنّ كـل أقـوال المسـيح لهـا قيمـة أعظـم ممـا تبـدو علـى بسـاطتها. والعقـول الـتي قـد أحياهـا الـروح القـدس تمـيّز قيمـة هـذه الأقـوال. سيكتشـفون جواهـر الحـق الثمينـة مـع أنّ هـذه قـد تكـون كنـوزاً مخفيـة.

إنّ النظريـات والأفكـار البشـرية لـن تقـود إنسـانا لفـهم كلمـة الله. وإنّ الذيـن يظنـون أنـهم يفـهمون الفلسـفة يحسـبون أنّ شـروحهم لازمـة للكشـف عـن كنـوز المعرفـة ومنـع الضـلالات داخـل الكنيسـة. ولكـنّ هـذه الشـروح بعينـها هـي الـتي أدخلـت النظريـات الكاذبـة والهرطقـات. لقـد بـذل النـاس جـهودا يائسـة في شـرح مـا ظنّـوه فصـولا معقـدة مـن الكتـاب. ولكـنّ في غـالب الأحيـان لم تعمـل جهودهم هـذه إلاّ علـى زيـادة غمـوض مـا قـد حـاولوا إيضاحـه.

لقـد ظـن الكهنـة والفريسـيون أنّـهم كـانوا يعملـون أعمـالا عظيمـة كمعلمـين بتقديـم تفسـيرهم لكلمـة الله، ولكـن المسـيح قـال عنـهم: «لا تعرفـون الكتـب ولا قـوة الله» (مرقـس ١٢:٢٤). وقـد اتّهمـهم المسـيح بذنـب كونـهم: «يعلمـون تعـاليم هـي وصايـا النـاس» (مرقـس ٧:٧). فمـع أنّـهم كـانوا معلمـي أقـوال الله، ومـع أنـه كـان مفروضـا أنـهم يفـهمون كلمتـه فإنّـهم لم يكونـوا عـاملين بالكلمـة. لقد أعمـى الشيطان عيونـهم حتـى لا يـروا معناهـا الحقيقـي.

وهذا ما يعمله كثيرون في يومنا هذا، إذ توجد كنائس كثيرة مذنبة بهذه الخطية. فهناك خطر عظيم من أنّ حكماء العالم المزعومين اليوم يفعلون نفس ما فعله معلّمو اليهود. إنّهم يفسرون أقوال الله كذبا فيحيق الارتباك بالنفوس وتكتنفهم الظلمة بسبب عدم إدراكهم للحق الإلهي.

لا حاجة لقراءة الكتب المقدسة على نور التقليد المظلم أو الآراء البشرية. إنّ شرح الكتب المقدسة بالتقاليد أو التصورات البشرية هو كمحاولتنا أن ننير الشمس بمشعل. إنّ كلمة الله المقدسة هي في غير حاجة إلى ضوء المشاعل الأرضية لكي يُرى مجدُ لمعانها واضحا وجليا. إنّها نور في ذاتها - مجد الله المُعلن وبدونها يبدو كل نور ظلاما.

إنّما ينبغي أن تكون هنالك دراسةٌ جادّة غيورة وتنقيبٌ دقيق. إنّ الإدراك القاطع الواضح للحق لا يمكن أن يكون جزاء الكسل أو الخمول. لا توجد بركة أرضية ينالها الإنسان دون أن يبذلَ جهدا جادا صبورا مثابرا. فإذا كان الناس يظفرون بالنجاح في عملهم أو تجارتهم فينبغي أن تكون لهم إرادة ليفعلوا وإيمان به ينتظرون النتيجة. ونحن لا يمكننا أن ننتظر الحصول على المعرفة الروحية بدون تعب وحماسة. والذين يرغبون في العثور على كنوز الحق يجب أن ينقبوا عنها كما يحفر المعَّدن بحثاً عن الكنز المخفي في الأرض. إنّ العمل بفتور وفي غير اكتراث لن يجدي نفعاً. ومن اللازم جدا للكبار والصغار لا أن يقرأوا كلمة الله فقط بل أيضا أن يدرسوها بغيرة قلبية صادقة مصلين وباحثين عن الحق كمن يبحث عن كنز مخفي. والذين يفعلون هذا يجازون خيراً لأن المسيح يحيي الفهم وينعشه.

إنّ خلاصنا موقوف على معرفة الحق المتضمن في الكتب المقدسة. والله يريدنا أن نمتلك هذا الحق. إذن فتشوا، نعم فتشوا الكتاب المقدس الثمين بقلوب جائعة. وافحصوا كلمة الله كما يفحص صاحب المنجم

الأرض ليجد عروق الذهب. ولا تكفّوا أبداً عن البحث حتى تتأكدوا من صلتكم بالله وإرادته الخاصة بكم. قال المسيح: «ومهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن. إن سألتم شيئا بإسمي فأني أفعله» (يوحنا ١٤:١٣ و ١٤).

إنّ الناس الأتقياء الموهوبين يرون لمحات من الحقائق الأبدية، ولكنهم في غالب الأحيان يقصرون عن الإدراك لأنّ الأشياء المنظورة تحجب مجد غير المنظور. والذي يريد أن يفتّش باجتهاد عن الكنز المخفي عليه أن يرتفع إلى مطالب أسمى من أمور هذا العالم. فينبغي أن تكرس عواطفه وكل إمكانياته لهذا البحث.

لقد أوصد العصيان الباب على قدر عظيم من المعرفة التي كان يمكن اجتناؤها من الكتب المقدسة. إنّ الإدراك معناه الطاعة لأوامر الله. وإنّ الكتب المقدسة ينبغي ألاّ تطبق بحيث توافق تعصب الناس وحسدهم. ولكن لا يمكن أن يفهمها إلاّ من يفتشون بتواضع عن معرفة الحق حتى يمكنهم أن يطيعوه.

أتتساءل قائلا: «ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص»؟ ينبغي أن تضع كل الآراء التي سبق لك أن عرفتها وآراءك الموروثة والمكتسبة أمام باب البحث والتنقيب. أمّا إذا كنت تفتش الكتب لكي تبرّر آراءك فلن تصل إلى الحق. فتش لتعرف ماذا يقول الرب. وفيما أنت تفتش إذا كان يأتيك الاقتناع ورأيت أنّ آراءك المحبوبة ليست متوافقة مع الحق، فلا تحرّف الحق ليتفق ومعتقدك بل اقبل النور المعطى لك. إفتح عقلك وقلبك حتى يمكنك أن ترى عجائب من كلمة الله.

إنّ الإيمان بالمسيح كفادي العالم يتطلب اعتراف الذهن المستنير الذي يتسلط عليه القلب الذي يميز ويقّدر الكنز السماوي. هذا الإيمان غير منفصل

عن التوبة وتغيير الخلق. فالحصول على الإيمان معناه العثور على كنز الإنجيل وقبوله مع كل الالتزامات التي يفرضها.

«إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يوحنا ٣:٣). قد يخمّن ويتصوّر ولكن ما لم تكن له عين الإيمان فهو لا يستطيع أن يرى الكنز. لقد بذل المسيح نفسه ليضمن حصولنا على هذا الكنز الذي لا يقدر بثمن، ولكن بدون التجديد بالإيمان بدمه لا غفران للخطايا ولا كنز لأية نفس هالكة.

إنّنا بحاجة إلى إنارة الروح القدس حتى نعرف ونكتشف الحقائق التي في كلمة الله. إنّ الأشياء الجميلة التي في العالم الطبيعي لا يمكن رؤيتها إلاّ بعدما تشرق الشمس وتغمر العالم بنورها مبدّدة الظلمة. وهكذا لا يمكن لأحد أن يقدر كنوز كلمة الله حتى تكتشف عنها أشعة نور شمس البر المتألقة.

إنّ الروح القدس المرسل من السماء بأريحية المحبة السرمدية يأخذ ممّا لله ويعلنه لكل نفس عندها إيمان ثابت في المسيح. فبقوة الروح القدس تنطبع على العقل الحقائق الحيوية التي عليها يتوقف خلاص النفس، ويتضح طريق الحياة حتى لا يضل فيها أي إنسان. ففيما نحن ندرس الكتاب المقدس ينبغي لنا أن نصلّي حتى يشرق نور الروح القدس على الكلمة فنرى الكنوز ونقدرها.

مكافأة البحث والتنقيب

لا يظنّن أحد أنه لم تبق بعد له معرفة يكتسبها. يمكن قياس عمق العقل البشري. وأعمال الكتّاب البشريين يمكن قياسها. أما أسمى وأعمق وأوسع تحليق للخيال والفكر فلا يمكنه معرفة الله. توجد سرمدية أسمى من كل ما

يمكننا إدراكه. لقد رأينا بصيصا من المجد الإلهي والمعرفة والحكمة اللامحدودتين لا أكثر، لقد كنا نشتغل على ظاهر المنجم على ما يبدو، بينما جوهر الذهب الغني هو تحت السطح وهو سيكون مكافأة لمن يحفر في طلبه. ينبغي تعميق المدخل فبواسطة الإيمان الصادق الصحيح يحصل الإنسان على المعرفة الإلهية.

ولا يمكن أنّ أحدا يفتش الكتب بروح المسيح دون أن يكافأ. فعندما يكون إنسان راغباً في التعلّم كولد صغير ويخضع بالتمام لله فسيجد الحق في كلمته. وإذا كان الناس يطيعون فسيدركون تدبير الله في حكمه. والعالم السماوي يفتح مقاصير نعمته ومجده لمن يكتشفه. والخلائق البشرية تختلف تماما عما هي الآن لأنه بواسطة اكتشاف مناجم الحق يصير الناس أسمى وأنبل. وسرّ الفداء وتجسد المسيح وذبيحته الكفارية لن تكون غامضة في عقولنا كما هي الآن فإنّه فضلا عن فهمنا إياها فهما أفضل فإنها ستظفر منا بتقدير أعظم.

إنّ المسيح في صلاته إلى الآب قدم للعالم درساً ينبغي أن ينقش على العقل والنفس. فقد قال: «وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧:٣). هذا هو التهذيب الحقيقي. فهو يمنح القوة. فالمعرفة الاختبارية لله وليسوع المسيح الذي قد أرسله تغيّر الإنسان بحيث يصير على صورة الله. وهي تعطي الإنسان قوة للسيطرة على نفسه جاعلا كل وازع وعاطفة في الطبيعة الدنيا تحت سيطرة القوى الأسمى في العقل. وهي تجعل من يملكها ابناً لله ووارثاً للسماء. وهي تأتي بالإنسان إلى الشركة مع الفكر الإلهي غير المحدود وتفتح له كنوز الكون الغنية.

هذه هي المعرفة التي تُنال عندما تُفتَّش كلمةُ الله. وهذا الكنز يمكن أن يجده كلُّ إنسان يترك كلَّ شيءٍ لينالـه.

«إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم. إن طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز فحينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله» (أمثال ٢:٣ - ٥).

٩ اللـؤلـؤة

شبّه المخلـص بركـات المحبـة الفاديـة بلؤلـؤة كثيرة الثمـن. وأوضـح تعليمـه بمثل التاجر الـذي خرج يطلب لآلـيء حسنة: «فلمـا وجـد لؤلـؤة واحـدة كثيرة الثمن مضى وباع كل مـا كـان لـه واشـتراها» (متـى ١٣: ٤٦). إنّ المسيح نفسـه هـو اللؤلـؤة الكثيرة الثمـن. ففيـه تجمّـع كـلّ مجـد الآب وملء اللاهـوت. إنّـه بـهاء مجـد الآب ورسـم جوهـره. ومجـد صفـات الله موضـح وظـاهر في صفاتـه. وكـلّ صفحـة مـن صفحـات الكتـاب المقـدس تتـلألأ بنـوره. إنّ بـرّ المسـيح هـو كلؤلـؤة نقيّـة بيضـاء لا نقـص فيـها ولا شـائبة. ولا يمكـن أن أي عمـل مـن أعمـال الإنسـان يُضفـي تحسينا علـى عطيـة الله العظيمـة الغاليـة الثمـن. إنّـها بـلا عيـب. ففـي المسيح مذخر«كـل كنـوز الحكمـة والعلـم» (كولـوسي ٢ : ٣) وقـد «صـار لنـا حكمـة مـن الله وبـرا وقداسـة وفـداء» (كورنثـوس ١: ٣٠). فكـل مـا يمكـن أن يسـد حاجـات النفـس البشـرية وأشـواقها في هـذا العـالم وفـى العـالم الآتـي موجـود في المسـيح. إنّ فادينـا هـو اللؤلـؤة الغاليـة الثمـن جـدا بحيـث أن كـل الأشياء الأخرى تحسب خسـارة إذا قورنـت بـها.

إنّ المسـيح «إلى خاصتـه جـاء وخاصتـه لم تقبلـه» (يوحنـا ١ : ١١). لقـد أشرق نـور الله في ظلمـة العـالم « والظلمـة لم تدركـه» (يوحنـا ١: ٥). ولكـن لم يكـن الجميـع عديمـي الاكـتراث لعطيـة السـماء. فالتـاجر المذكـور في المثـل يرمز إلى جماعة اشـتهوا الحـق بكـل إخـلاص. ففـي أمـم العـالم المختلفـة وجـد أنـاس غيـورون ومفكـرون جعلـوا يفتشـون في آداب العـالم الوثـني وعلومـه وديانتـه عمـا كـان يمكنـهم أن يقبلـوه علـى انـه كـنز النفـس. وقـد وجـد بـين اليـهود قـوم كـانوا يطلبـون مـا كـانوا مفتقريـن إليـه. فـإذ لم تشبع نفوسـهم مـن الديانـة الطقسّـية تـاقوا إلى الأمـور الروحيـة الـتي تسـمو بـالنفس. وقـد كـان

التلاميذ الذين اختارهم المسيح ضمن هذه الطائفة الأخيرة، بينما كان كرنيليوس والخصي الحبشي ينتميان إلى الطائفة الأولى. لقد كانوا يشتاقون ويصلون في طلب نور من السماء، وعندما أعلن المسيح لهم قبلوه بفرح.

واللؤلؤة في المثل لا تُصوّر على أنّها هبة. فلقد اشتراها التاجر بكل ما كان له . وكثيرون يتساءلون عن معنى هذا حيث أنّ المسيح مُقدَّم من الكتاب على أنّه هبة. نعم إنّه هبة ولكن فقط لمن يسلّمون له ذواتهم نفسا (جسداً وروحاً) بدون تحفظ. فعلينا أن نسلّم ذواتنا للمسيح ونحيا حياة الطاعة القلبية الخالصة لكل مطالبيه. إنّ كل كياننا وكل المواهب والإمكانيات التي لنا هي ملك للرب ويجب أن تُكرَّس للخدمة . فحين نسلم ذواتنا هكذا بالتمام للمسيح فهو يهبنا ذاته ومعه كل كنوز السماء. وهكذا نحصل على اللؤلؤة الكثيرة الثمن.

إن الخلاص هبة مجانية ومع ذلك فهو يشترى ويباع . ففي السوق الذي تتولى الرحمة الإلهية أمر إدارته يرمز إلى اللؤلؤة الثمينة على أنها لا تشترى بفضة أو ثمن. وفى هذا السوق يمكن للجميع أن يحصلوا على عطايا السماء. إنّ خزانة لآليء الحق مفتوحة للجميع، فالرب يقول : « هنذا قد جعلت أمامك بابا مفتوحا ولا يستطيع أحد أن يغلقه » . فلا يوجد سيف يحرس طريق الدخول من هذا الباب . وهناك أصوات تأتى من الداخل ومن عند الباب قائلة: تعال. وصوت المخلص يدعونا بكل غيرة ومحبة قائلا لنا : « أشير عليك أن تشتري مني ذهبا مصفّى بالنار لكي تستغني » (رؤيا ٣: ٨ و ١٨).

إن إنجيل المسيح بركة يمكن للجميع الحصول عليها. ويمكن لأفقر الفقراء كما لأغنى الأغنياء أن يشتروا الخلاص لأنه لا يمكن لأي ثروة أرضية مهما بلغت قيمتها أن تستحوذ عليه. إنّما يمكن الحصول عليه بالطاعة القلبية

وبتسـليم ذواتنـا للمسـيح كمقتنـاه. والتـهذيب حتـى في أسمـى درجاتـه لا يمكنـه من ذاتـه أن يقرّب الإنسـان إلى الله. لقـد أنعـم علـى الفريسـيين بكـل الامتيـازات الزمنية والروحيـة وقـال كـل منـهم بكبريـاء وتفـاخر «أنـا غـني وقـد اسـتغنيت ولا حاجـة لـي إلى شـيء» ومع ذلك فقد كان كل منهم هـو «الشـقي والبئـس وفقـير وأعمـى وعريـان» (رؤيـا ٣: ١٧). وقـد قـدم لهـم المسـيح اللؤلـؤة الكثـيرة الثمـن ولكنـهم ازدروا بـها ولم يقبلوهـا فقـال لهــم : «إن العشـارين والزوانــي يسـبقونكم إلى ملكــوت الله » (متـــى ٢١ : ٣١).

ليـس في مقدورنـا أن نحصـل علـى الخـلاص باسـتحقاقنا ولكـــن علينـــا أن نطلبه بنفس الاهتمام والمثابرة كما لـو أننا نـترك كل ما في العـالم في طلبـه.

علينـا أن نبحـث عـن اللؤلـؤة الكثـيرة الثمـن ولكـن لا في أسـواق العـالم ولا بالوسـائل العالميـة. والثمـن الـذي يُطلَـب منّـا دفعُـه ليـس ذهـبُ ُ أو فضـة لأن هـذه تخـص الله. أهجـر فكـرة كـون أيّ امتيـاز زمـني أو روحـي يحقـق لـك الحصـول علـى الخـلاص. فـالله يطلَـب منـك الطاعـة القلبيـة ، ويسـألك أن تـترك خطايـاك . والمسيح يقـول: «مـن يغلـب فسـأعطيه أن يجلـس معـي في عرشـي كما غلبت أنا أيضا وجلست مع أبـي في عرشـه» (رؤيـا ٣: ٢١).

يوجـد بعض من يبـدو وكأنـهم منصرفـون إلى البحـث عـن اللؤلـؤة السـماوية، ولكنهم لا يتنـازلون عـن عاداتـهم الخاطئـة تنـازلا كـاملاً. ولا يموتـون عـن الـذات ليحيـا المسـيح فيـهم ولأجـل هـذا لا يعـثرون علـى اللؤلـؤة الغاليـة. إنّــهم لم ينتصروا علـى الطمـوح النجـس والافتتـان بـالجواذب العالميـة. وهـم لا يحملـون الصليـب ويتبعـون المسـيح في طريـق إنكـار الـذات والتضحيـة. ومـع أنــهم يكـادون يكونـون مسـيحيين فإنـهم ليسـوا مسـيحيين بالتمـام، ويبـدو أنّـهم قريبـون مـن ملكـوت السـموات ولكنّـهم لا يسـتطيعون دخولـه. فكونـهم مخلّصـين خلاصـا كـاملا معنـاه أنـهم ليسـوا هـالكين تقريبا بـل هـم هـالكون هلاكـاً كـاملاً.

إن مثل التاجر الذي خرج يطلب لآليء حسنة له معنى مزدوج. فهو لا ينطبق فقط على الناس كمن يطلبون ملكوت السموات بل ينطبق أيضا على المسيح كمن يطلب ميراثه الضائع. إنّ المسيح التاجر السماوي الذي يطلب لآليء حسنة رأى في الإنسانية الهالكة اللؤلؤة الكثيرة الثمن. فقد رأى في الإنسان النجس والهالك بفعل الخطية إمكانيات الفداء. فالقلوب التي كانت ميدان الصراع مع الشيطان وخلصت بقوة المحبة هي أثمن في اعتبار الفادي من تلك التي لم تسقط أبدا. لقد نظر الله إلى البشرية لا كأنها دنيئة ولا قيمة لها ، ولكنه نظر إليها في المسيح ورآها كما يمكن أن تصير إليه بواسطة المحبة الفادية. لقد جمع كل غنى الكون ووضعه لكي يشتري اللؤلؤة . وإذ وجدها يسوع أعادها إلى إكليله. «كحجارة التاج مرفوعة على أرضه» (زكريا ٩ : ١٦). «ويكونون لي قال رب الجنود في اليوم الذي أنا صانع خاصة (جواهري) » (ملاخي ٣: ١٧).

ولكن المسيح كاللؤلؤة الغالية الثمن وامتيازنا في امتلاك هذا الكنز السماوي هو الموضوع الذي نحن في أشد حاجة للتأمل فيه. إنّ الروح القدس هو الذي يكشف للناس عن القيمة العظيمة للؤلؤة الحسنة. إنّ زمن قوة الروح القدس بمعنى خاص هو الوقت الذي فيه يطلب الناس عطية السماء ويجدونها. كثيرون من الناس سمعوا الإنجيل في أيام المسيح، إلاّ أنّ أذهانهم كانت قد اظلمتها التعاليم الكاذبة فلم يتحققوا من أن المعلم الجليلي الوضيع هو ابن الله. ولكن بعد صعود المسيح تميز جلوسه على عرش الملكوت كوسيط بانسكاب الروح القدس. ففي يوم الخمسين أعطى الروح القدس. وقد أعلن شهود المسيح قوة المخلص المقام. واخترق نور السماء تلك العقول المظلمة ، عقول الناس الذين خدعهم وأضلّهم أعداء المسيح. فقد رأوه الآن ممجّدا ليكون «رئيسا ومخلصا ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا » (أعمال ٥: ٣١). رأوه محاطا بمجد السماء وفي يديه

كنوز لا تنفد ليمنحها لكـل مـن يرجعـون عـن عصيانـهم. وإذا تبـين للرسـل مجـد وحيد الأب اعترف ثلاثة آلاف نفس بذنوبـهم. وقـد أمكـن جعلـهم يـرون أنفسـهم كمـا هـي خاطئـة ومنجسـة، فـرأوا المسـيح كصديقـهم وفاديـهم. لقـد ارتفـع المسيح وتمجّـد بواسـطة قـوة الـروح القـدس الـتي حلـت علـى النـاس. هـؤلاء المؤمنـون رأوا بالإيمـان كمـن قـد احتمـل الإذلال والآلام والمـوت لكـي لا يـهلكوا بـل تكـون لهـم الحيـاة الأبديـة. إنّ إعـلان المسيح بواسـطة الـروح القـدس جلـب إليـهم إحساسـا بالتـأكد مـن قدرتـه وجلالـه فمـدوا أيديـهم إليـه بإيمان قـائلين : « أومـن ».

حينئـذ انتشـرت بشـرى المخلـص المقـام إلى أقصـى أرجـاء المسـكونة. ورأت الكنيسة المهتدين يتقاطرون عليـها مـن كـل مكـان. لقـد اهتـدى المؤمنـون مـن جديـد. وانضـم الخطـاة إلى المسـيحيين في البحـث عـن اللؤلـؤة الكثـيرة الثمـن. وتمـت النبـوة القائلـة إن العـاثر في ذلـك اليـوم يكـون « مثـل داود » ويكـون بيـت داود « مثـل مـلاك الـرب » (زكريـا ١٢ : ٨). فقـد رأى كـل مسـيحي في أخيه صورة إحسـان الله ومحبتـه لقـد شمـل الجميـع اهتمـام واحـد. وهـدف واحد ابتلع كـل مـا عـداه. واختلجـت كـل القلـوب في انسـجام وتوافـق. وكـان مطمح المؤمنين الوحيد هـو أن يعلنـوا صـورة صفـات المسيح و يخدمـوا لأجـل امتداد الملكـوت. « وكـان لجمـهور الذيـن آمنـوا قلـب واحـد ونفس واحـدة ... وبقـوة عظيمـة كـان الرسـل يـؤدون الشـهادة بقيـام الـرب يسـوع و نعمـة عظيمـة كـانت علـى جميعـهم » (أعمـال ٤ : ٣٢و٣٣) « وكـان الـرب كـل يـوم يضـم إلى الكنيسة الذيـن يخلصـون »٠ أعـمال ٢ : ٤٧). لقـد أحيـا روح المسيح كـل ذلـك الجمـهور وأنعشهم، لأنّهم وجـدوا اللؤلـؤة الكثـيرة الثمـن.

وسـتتكرر هـذه المشـاهد بقـوة أعظـم . لقـد كـان انسـكاب الـروح القـدس في يـوم الخمسـين هـو المطـر المبكـر. ولكـن المطـر المتـأخر سـيكون أغـزر بكثـير

والـروح ينتظـر منـا الطلـب والتـأهب لقبـول البركـة. وسـيعلن المســيح ثانيــة في ملئـه بقـوة الـروح القـدس. وسـيدرك النـاس قيمـة اللؤلـؤة الغاليــة فيقولـون مـع بولس الرسول: «ما كـان لـي ربحـا فـهذا حسـبته مـن أجـل المسـيح خسـارة. بـل إنـي أحسـب كـل شـيء أيضـا خســارة مـن أجـل فضـل معرفـة المسـيح يســوع ربــي» (فيلــبي ٣: ٧و٨).

١٠ الشَّـبَكَة

«يشبه ملكـوت السـموات شبكة مطروحـة في البحـر وجامعـة مـن كـل نــوع. فلما امتلأت أصعدوها على الشـاطيء وجلسـوا وجمعـوا الجيـاد إلى أوعيـة .وأمّـا الأرديـاء فطرحوهـا خارجـا .هكـذا يكــون في انقضـاء العـالم. يخـرج الملائكـة ويفـرزون الأشـرار مـن بـين الأبــرار ويطرحونــهم في أتــون النــار. هنــاك يكــون البكـاء وصريـر الأسـنان» (متــى ١٣ : ٤٧-٥٠).

إنّ طـرح الشـبكة هـو الكـرازة بـالإنجيل . فـهذا يجمـع الأخيـار والأشـرار إلى الكنيسـة . وحـين تكمـل رسـالة الإنجيـل فالدينونـة تتمّـم عمليـة الفـرز. لقـد رأى المسـيح كيـف أنّ وجـود الأخـوة الكذبـة في الكنيسـة سـيجلب الـذّم علـى طريـق الحـق. والعـالم سـيعيب الإنجيـل بسـبب حيـاة التنـاقض الـتي يحياهـا المعـترفون الكذبـة بالمسـيحية. بـل حتـى المسـيحيون قـد يتعـثرون حـين يـرون أنّ كثـيرين ممـن يحملـون اسـم المسـيح لا يخضعـون لسـلطان روحـه. فـلأن هـؤلاء الخطـاة في الكنيسـة فالنـاس سـيتعرضون لخطـر الظـن بـأنّ الله يتغـاضى عـن خطايـاهم. ولذلـك فـها المسيح يرفـع السـتار عـن المسـتقبل ويـأمر الجميـع بأن يـروا أنّ الخلـق وليس المركـز هـو الـذي يقـرر مصـير الإنسـان.

إنّ مثـل الـزوان والشـبكة كليـهما يعلّمانـا أنّـه لـن يوجـد الوقـت الـذي فيـه يرجـع كـل الأشـرار إلى الله. إنّ الحنطـة والـزوان ينميـان كلاهمـا معـا إلى وقـت الحصـاد. والسـمك الجيـد والـرديء يسـبحان معـا إلى الشـاطيء لأجـل الفـرز النـهائي.

ثـم إنّ هذيـن المثلين يعلمانـا أيضا أنّـه لـن تكـون هنـالك فرصـة إمـهال بعـد الدينونـة وعندمـا يكمـل عمـل الإنجيـل يتبـع ذلـك مباشـرة فـرز الصـالحين مـن الأشـرار وتُقرّر إلى الأبـد مصيرُ كـلٍّ مـن الفريقـين.

إنّ الله لا يسرّ بهلاك أحـد، «حـي أنـا يقـول السـيد الـرب أنـي لا أسـرّ بمـوت الشـرير بـل بـأن يرجـع الشـرير عـن طريقـه ويحيـا. ارجعـوا ارجعـوا عـن طرقكـم الرديئـة. فلمـاذا تموتـون» ؟ (حزقيـال ٣٣ : ١١). إنّ روح الله القـدوس يتوسّـل إلى الناس إلى مدى زمـن النعمـة لعلّـهم يقبلـون هبـة الحيـاة. فـالذين يرفضـون توسّـلاته هـم وحدهـم الذيـن يُـتركون ليـهلكوا. لقـد أعلـن الله أنّ الخطيـة لابـد أن تتلاشـى كشـرّ مدمّـر للمسـكونة. فـالذين يتشـبثون بالخطيـة سـيهلكون في هلاكـها.

١١ جُدد وَعُتقَاء

فيما كان المسيح يعلم الشعب كان في نفس الوقت يدرب تلاميذه للقيام بعملهم المقبل. ففي كل تعاليمه كانت دروس لأجلهم . فبعدما قدم مثل الشبكة سألهم قائلا : « أفهمتم هذا كله » ؟ فاجبوه بقولهم : « نعم يا سيد » . ثم في مثل آخر وضع أمامهم مسئوليتهم فيما يتعلق بالحقائق التي قد تسلموها قائلا : « من أجل ذلك كل كاتب متعلم في ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جددا وعتقاء» (متى ١٣ : ٥١ و ٥٢)

إنّ الكنز الذي يحصل عليه رب البيت لا يَّدخره، ولكنه يخرجه ليسلمه لآخرين. وإذ يستعمل هذا الكنز فهو يزيد. إنّ ربّ البيت لديه أشياء ثمينة جدد وعتقاء. وهكذا المسيح يعلمنا أنّ الحق المسلّم لتلاميذه يجب تبليغه للعالم وإذ تُذاع معرفة الحقَ بين الناس فهي تربو وتزيد. كل من يقبلون رسالة الإنجيل في قلوبهم يتوقون لنشرها. إنّ محبّة المسيح التي هي وليدة السماء ينبغي أن تجد تعبيرا. والذين لبسوا المسيح يقصّون اختبارهم راسمين، خطوة فخطوة ، قيادة الروح القدس لهم وجوعهم وعطشهم إلى معرفة الله ويسوع المسيح الذي أرسله، ونتائج تفتيشهم للكتاب، وصلواتهم وآلامهم النفسية وقول المسيح لهم: « مغفورة لك خطاياك ». إنّه من غير الطبيعي أن يحتفظ أيّ إنسان لنفسه بهذه الأمور، والذين غمرتهم محبة المسيح لن يفعلوا هكذا. فبنسبة ما جعلهم الرب مستودعات للحق المقدس – بقدر ذلك يشتاق إلى أن يحصل الغير على نفس البركة. وإذ يطلعون الناس على كنوز نعمة الله الغنية فإنّ فيضاً متزايدا من نعمة المسيح يُغدَق عليهم. وسيكون لهم قلب الولد الصغير، في بساطته وطاعته في غير تحفّظ. وستتلّهف نفوسهم إلى القداسة وسيعلن لهم المزيد من كنوز الحق

والنعمـة ليقدّمـوه للعـالم خزانـة الحـق العظيمـة هـي كلمـة الله – الكلمـة المكتوبـة وسـفر الطبيعـة وسـفر الاختبـار في معاملـة الله للحيـاة البشـرية. هنـا توجـد الكنـوز الـتي يجـب علـى خـدام المسـيح أن يغـترفوا منـها. ففـي بحثـهم عـن الحـق عليـهم أن يعتمـدوا علـى الله لا علـى العقـل البشـري أو العظمـاء الذيـن حكمتـهم جهالـة في نظـر الله. إنّ الـرب يـهب معرفـة عـن ذاتـه لكـل طالبيها عن طريـق القنـوات الـتي قد أعدّها بنفسـه.

إذا كـان خـادم المسيح يؤمـن بكلمتـه و يعمـل بـها فـلا يوجـد علـم في العـالم الطبيعـي يعجـز هـو عـن فهمـه وتقديـره. ولا يوجـد إلا مـا يمـده بالوسـائل لتقديـم الحق للآخريـن. إنّ العلم الطبيعـي هـو خزانـة المعرفـة الـتي يمكـن لكـل تلميـذ في مدرسـة المسـيح أن يغـترف منـها. فـإذ نتـأمل في جمـال الطبيعـة ونـدرس الـدروس الخاصـة بـزرع الأرض ونمـوّ الأشـجار وكـل عجـائب الأرض والبحـر والجـو نحصـل علـى إدراك جديـد للحـق. والأسـرار المتصلـة بمعـاملات الله مـع النـاس، وأعمـاق حكمتـه وعدلـه كمـا تُـرى في الحيـاة البشـرية – هـذه نجدهـا خزائـن غنيـة بـالكنوز.

ولكـنّ معرفـة الله تُعلَـن بـأكمل وضـوح للإنسـان السـاقط في الكلمـة المكتوبـة. هـذه هـي خزانـة غنـى المسـيح الـذي لا يُسـتقصي.

إن كلمـة الله متضمنـة في أسـفار العـهد القديـم كمـا في أسـفار العـهد الجديـد. فلا يكمـل أحدهمـا بـدون الآخـر. لقـد أعلـن المسـيح أنّ حقـائق العـهد القديـم غالية وثمينـة كحقائق العهد الجديـد. والمسـيح كـان فـادي الإنسـان عنـد بـدء الخليقـة كمـا هـو اليـوم تمامـا. وقبلمـا تسـربلت الألوهيـة بـرداء البشـرية وأتـت إلى عالمنـا أُعطيـت رسـالة الإنجيـل لآدم وشـيث وأخنـوخ ومتوشـالح ونـوح. فـإبراهيم في كنعـان ولـوط في سـدوم حمـلا الرسـالة، ومـن جيـل إلى جيـل أعلـن الرسـل الأمنـاء عـن مجـيء السـيد الآتـي. إنّ المسـيح نفسـه هـو

الذي سنّ طقوس النظام اليهودي. لقد كان هو أساس نظامهم في الذبائح الكفارية والمرموز إليه في كل خدمتهم الدينية. والدم الذي سفك عند تقديم الذبائح كان يشير إلى ذبيحة حمل الله. فكل الذبائح الرمزية تمت فيه والمسيح كما قد أُعلن للآباء، وكما رُمز إليه في الخدمة الكفارية، وكما هو مصور في الناموس، وكما هو معلن بواسطة الأنبياء هو غنى أسفار العهد القديم. والمسيح في حياته وموته وقيامته، والمسيح كما أعلنه الروح القدس هو كنز العهد الجديد. إنّ مخلصنا الذي هو بهاء مجد الله هو القديم والجديد معا.

كان على الرسل أن يخرجوا كشهود لحياة المسيح وموته وشفاعته التي سبق الأنبياء فأنبأوا بها . والمسيح في اتضاعه وطهارته وقداسته ومحبته التي لا تُبارى كان يجب أن تكون موضوع شهادتهم . فلكي يكرزوا بالإنجيل في ملئه وجب عليهم أن يقدموا المخلص ليس فقط كما هو معلن في حياته وتعاليمه بل كما أنبأ عنه الأنبياء في العهد القديم وكما رمزت إليه الخدمة الكفارية

والمسيح في تعليمه قدم الحقائق القديمة التي كان هو نفسه مصدرها، قدم الحقائق التي قد كان نطق بها على أفواه الآباء والأنبياء، ولكنه الآن قد أراق عليها نورا جديدا. وكم بدا معناها مختلفا. لقد أُدخل عليها فيضٌ من النور والصبغة الروحية بواسطة شرحه. وقد وعد بأن الروح القدس سينير التلاميذ حتى تنكشف لهم كلمة الله. وسيكونون قادرين على تقديم حقائقها في جمال جديد.

منذ قُدِّم وعد الفداء الأول في عدن كانت حياة المسيح وصفاته وعمله كوسيط موضوع دراسة عقول بني الإنسان. ومع ذلك فكل عقل عمل فيه وبواسطته الروح القدس قدم هذه الموضوعات في نور منعش وجديد. إنّ

حقائق الفداء قادرة على التطوّر والتوسّع المستمرّ. ومع أنّها قديمة فهي أبدا جديدة، وهي على الدوام تعلن لطالب الحقّ مجدا أبهى وقوّة أعظم.

في كل عصر يوجد نمو وتطوّر جديد للحق – رسالة من الله لأهل ذلك العصر. فكل الحقائق القديمة لازمة وجوهرية، والحق الجديد ليس مستقلاّ على القديم ولكنه كشْفٌ وإيضاح له. وعلى قدر ما نفهم الحقائق القديمة نستطيع إدراك الحقائق الجديدة، فعندما أراد المسيح أن يطلع تلميذيه على حقيقة قيامته «ابتدأ من موسى و من جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لوقا ٢٤ : ٢٧). ولكن النور الذي يضيء من الشرح الجديد للحق هو الذي يمجد الحق القديم. فالذي يرفض الجديد أو يهمله لا يمتلك الحق القديم في الحقيقة. فبالنسبة إليه يفقد الحق القديم قوته وسلطانه ويمسي أمرا شكليا لا حياة فيه.

هناك بعض من يعترفون بأنهم يؤمنون بحقائق العهد القديم ويعلّمون بها في حين أنهم يرفضون ما جاء في العهد الجديد. ولكنهم إذ يرفضون قبول تعاليم المسيح يبرهنون على أنهم لا يؤمنون بما قد تكلم به الآباء و الأنبياء. قال المسيح : «لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني» (يوحنا ٥: ٤٦). لذلك لا توجد في تعاليمهم قوة حقيقية حتى من كتب العهد القديم.

وكثيرون ممن يدّعون أنهم يؤمنون بالإنجيل ويعلّمون به يخطئون نفس الخطأ . إنّهم يلقون جانبا أسفار العهد القديم التي أعلن المسيح قائلا عنها: «هي التي تشهد لي» (يوحنا ٥: ٣٩). فإذ يرفضون القديم إنّما هم في الواقع يرفضون الجديد لأنّ كّلا منهما هو جزء من كل لا ينفصل. لا يمكن لإنسان أن يقدّم شريعة الله بالحق بدون الإنجيل، ولا الإنجيل بدون الشريعة. فالشريعة هي الإنجيل مجسّما ، والإنجيل هو الشريعة مفسّرة

وموضحة. الشريعة هي الجذر والإنجيل هو الزهور العطرة والثمرة التي تحملها.

إن العهد القديم يريق نورا على العهد الجديد كما أنّ الجديد يريق نورا على القديم. وكل منهما هو إعلان مجد الله في المسيح. وكلاهما يقدمان الحقائق التي تعلن على الدوام أعماقا جديدة للمعاني لكل باحث غيور.

إنّ الحق في المسيح وعن طريقه يُقاس. وتلميذ الكتاب ينظر كما إلى ينبوع يتعمق ويّتسع إذ يشخص إلى أعماقه. لا يمكننا في هذه الحياة أن ندرك سر محبة الله في بذله ابنه ليكون كفارة لخطايانا. إنّ عمل فادينا على هذه الأرض هو الآن وسيظل موضوعا يسترعى أعظم قوى تفكيرنا. قد يجهد الإنسان كل قوى عقله في محاولة سبر غور هذا السرّ ولكنّ عقله لابد أن يكل ويتعب. إنّ أكثر الباحثين اجتهادا سيرى أمامه بحرا لا شواطيء له ولا حدود.

إنّ الحق كما هو في يسوع يمكن للإنسان أن يختبره، ولكنه لا يستطيع أبدا أن يفسّره. إنّ علَّوه وعرضَه وعمقَه يفوق كل معرفة. فيمكننا أن نجهد عقولنا إلى أبعد الحدود وحينئذ لا نرى إلاّ شيئا ضئيلا من حدود تلك المحبة التي لا توصف، تلك المحبة العالية كالسماء ومع ذلك فقد انحنت إلى الأرض لكي تطبع صورة الله على قلوب بنى الإنسان جميعا.

ومع ذلك فيمكننا أن نرى كل ما نستطيع احتماله من الحنان الإلهي. هذا يعلن للنفس المتواضعة المنسحقة. ونحن سندرك رأفة الله وحنانه بنسبة ما تُقدّر تضحيته لأجلنا. وإذ نفتّش كلمة الله في وداعة القلب فإنّ موضوع الفداء العظيم سينكشف في بحثنا وسيزداد جمالا وتألقا حين نراه ونطوق إلى إدراكه، وسيزيد في سموّه وعمقه.

إنّ حياتنا ينبغي أن ترتبط بحياة المسيح، وعلينا أن نتناول منه باستمرار ونأخذ منه الخبز الحيّ النازل من السماء وأن نستقي من الينبوع الذي هو عذب دائما والذي دائما يفيض بالكنز الغزير. إننا إذا كنا نجعل الرب أمامنا في كل حين ونسكب قلوبنا في الحمد والشكر له فسيكون أسلوب الحديث مع الله كما لو كنا نحادث صديقا وسيحادثنا بأسراره شخصيا. وكثيرا ما سيخامرنا إحساس عذب ومفرح بحضور يسوع. وكثيرا ما تلتهب قلوبنا فينا عندما يدنو منا ليحادثنا كما فعل مع أخنوخ. وعندما يكون هذا هو اختبار المسيحي حقا فسترى في حياته البساطة والوداعة والرقة واتضاع القلب التي تبرهن لكل من يعاشرهم على أنه كان مع يسوع وقد تعلم منه.

إنّ دين المسيح سيُظهر نفسه في كل من يعتنقونه بأنه مبدأٌ محي متغلغل في النفس، وقوة حية عاملة وروحية. وستظهر نضارة الشباب الدائم و قوته وفرحه. إنّ القلب الذي يقبل كلمة الله ليس هو كالِبركة التي تتبخر مياهها، ولا كالآبار المشققة التي تفقد كنزها، ولكنه يشبه الجدول المنحدر من الجبل الذي يستمد ماءه من ينابيع لا تنضب والذي تثب مياهه الباردة المتلألئة من صخرة إلى صخرة منعشة الإنسان المتعب والظاميء و الثقيل الحمل.

هذا الاختبار يمنح كل معلم للحق المؤهلات التي تجعله ممثلا للمسيح. إنّ روح تعليم المسيح يضفي على تعاليمه وصلواته قوة واستقامة. ولن تكون شهادته للمسيح شهادة ضيقة عديمة الحياة. بل سيكون ذهنه متفتحا لإنارة الروح القدس.

قال المسيح: «من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية ... كما أرسلني الأب الحي وأنا حي بالأب فمن يأكلني فهو يحيا بي ... الروح هو

الـذي يحيـي ... الكـلام الـذي أكلمكـم بـه هــو روح وحيـاة» (يوحنـا ٦ : ٥٤ – ٦٣).

عندما نـأكل جسـد المسـيح ونشـرب دمـه فـإن عنصـر الحيـاة الأبديـة يوجــد في الخدمة. فلـن تكـون هنـاك ذخـيرة مـن الآراء الممتهنـة الـتي كـثر ترديدهـا. ولــن تُلقــى العظــات البــاردة في روح التذلــل والجــبن. وســتقدم الحقــائق القديمـة ولكنّـها سـترى في نـور جديـد. وسـيكون هنــالك إدراك جديــد للحــق، ووضــوح وقــوة يشـاهدها الجميــع. والذيــن يتمتعــون بامتيــاز الاســتماع لهــذه الخدمــة ، وان كــانوا يحســون بتأثــير الــروح القــدس، يشـعرون بــالقوة النشــطة والمنعشـة للحيـاة الجديـدة. وســتضطرم في أعماقــهم نــار محبــة الله. وســتنتعش وتستيقظ قـوى إدراكـهم ليشـاهدوا جمـال الحـق وجلالـه.

إنّ رب البيـت الأمـين يصـوّر لنـا مـا يجـب أن يكـون عليـه كـل معلـم لـلأولاد والشباب. فإذا كـان يجعل كلمـة الله كـنزه فسيسـتخرج منـها علـى الـدوام جمـالا جديـدا وحقـا جديـدا. وعندمــا يعتمــد المعلــم علــى الله في الصــلاة فسـيحلّ عليـه روح المسـيح، والله سـيعمل بواسـطته بــالروح القـدس ليؤثــر في عقــول الآخريــن. والــروح القــدس يمــلأ العقــل والقلــب بالرجــاء العــذب الجميــل والشجاعة والصـور الكتابيـة، وهـو سيخبر الشـباب الذيـن يعلمـهم بـهذا كلـه.

إن ينـابيع السـلام والفــرح السـماويّين الحالّــة علـى روح المعلـم مــن كــلام الوحـي ستصير نـهرا قويـا مـن التأثـير ليبـارك كـل مـن يحتكّـون بـه. ولـن يكـون الكتـاب المقـدس كتابـا ممـلاّ في نظـر التلميـذ. فتحْـتَ إشـراف المعلـم الحكيـم تصير الكلمة مشوّقة أكثر وأكثر، كخبز الحياة ولـن تعتـق أبـدا. وسـتجذب انتبـاه الأولاد والشـباب وتسـبي قلوبـهم بنضارتـها وجمالهــا. وهــي تشــبه الشــمس إذ تشرق على الأرض إذ انها على الـدوام تـوزع علـى النـاس مـن نورهـا وحرارتـها ومع ذلك فهي لا تُستهلَك أبـدا.

إنّ روح الله القدوس المعلّم هو في كلمته. وإنّ نورا جديدا وثمينا يضيء من كل صفحة من صفحات الكتاب . ففيه يعلن الحق، وأقواله وعبارته تصير لامعة وباهرة ومطابقة لكل ظرف كصوت الله مخاطبا النفس.

يحب الروح القدس أن يخاطب الشباب ويكشف لهم عن كنوز كلمة الله وما فيها من ألوان الجمال. فالمواعيد التي نطق بها المعلم الأعظم تأسر الحواس وتنعش النفس بقوة روحيّة إلهية. وفى العقل الخصب تنمو ألفة مع الأمور السماوية تصير كمتراس ضد التجربة.

وسيزيد كلام الحق في أهميته وسيتخذ رحابة واتساعا وملئا في المعنى لم نكن نحلم به من قبل. إنّ جمال الكلمة وغناها لهما قوة مغيّرة في العقل والخلق وسينزل نور المحبة السماوية على القلب كالإلهام.

إنّ تقديرنا للكتاب المقدس ينمو كلّما درسناه . ففي أي طريق يتجه تلميذ الكتاب فهو سيجد حكمة الله ومحبته السرمديتين.

إنّ أهمية النظام العبري لم يدركها أحد بعد إدراكا كاملا. فإنّه توجد حقائق واسعة جدا وعظيمة مرموز إليها في طقوسها ورموزها. والإنجيل هو المفتاح الذي يفتح تلك الأسرار الغامضة. ومتى عرفنا تدبير الفداء فإنّ تلك الأسرار تنكشف إلى أذهاننا. إنّه امتياز عظيم لنا أن نزداد إدراكا لهذه المباحث العجيبة . علينا أن نفهم أمور الله العميقة. إنّ الملائكة يشتهون أن يطلعوا على الحقائق التي تعلن على الناس الذين يفتشون كلمة الله بقلوب منسحقة، والذين يصلّون في طلب بلوغِ أبعادِ أعظم في الطول والعرض والعمق والعلو للمعرفة التي لا يمنحها سوى الرب.

وعندما نقترب من نهاية تاريخ هذا العالم فان النبوات المتصلة بالأيام الأخيرة تتطلب منا دراسة خاصة. إنّ آخر سفر من أسفار العهد الجديد مليء بالحق الذي نحن بحاجة إلى فهمه. إنّ الشيطان قد أعمى أذهان الكثيرين

بحيث أنهم يسرون لو وجدوا عذرا يتذرعون به حتى لا يدرسوا سفر الرؤيا. ولكن المسيح أعلن لنا على لسان خادمه يوحنا عما سيحدث في الأيام الأخيرة. وهو يقول: «طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون أقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها» (رؤيا ١ :٣).

لقد قال المسيح: «هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك و يسوع المسيح الذي أرسلته» (يوحنا ١٧ :٣).لماذا لا ندرك قيمة هذه المعرفة ؟ ولماذا لا تتألق هذه الحقائق في قلوبنا ولا تهتف بها شفاهنا ولا تتغلغل في كل كياننا ؟

إن الله إذ أعطى لنا كلمته جعل في حوزتنا كل الحق الجوهري لأجل خلاصنا. إن آلافا من الناس استقوا ماء من ينابيع الحياة هذه، ومع ذلك فإن كمية المياه لم تنقص . وآلاف من الناس جعلوا الرب أمامهم، وإذ رأوه تغيروا إلى تلك الصورة عينها .وروحهم تضرم في داخلهم عندما يتحدثون عن صفاته ويخبرون عما هو المسيح لهم وما هم للمسيح. ولكن هؤلاء الباحثين لم يستنفدوا هذه البحوث العظيمة المقدسة. ويمكن لآلاف أكثر أن يشغلوا أنفسهم في عملية البحث واستقصاء أسرار الخلاص. وإذ يفكرون في حياة المسيح وطبيعة رسالته فإن أشعة من النور تضيء بأكثر وضوح لدى كل محاولة لاكتشاف الحق. وكل بحث جديد سيكشف عن شيء أكثر تشويقا مما قد أكتشف من قبل. فالموضوع لا يمكن أن يستنفد، إن دراسة تجسد المسيح وذبيحته الكفارية وعمله كوسيط يشغل عقل التلميذ المجد مدى الوقت، وإذ يشخص إلى السماء وسنيها التي لا تحصى يهتف قائلا: «عظيم هو سر التقوى» (١ تيموثاوس ٣ : ١٦).

وفى الأبدية سنتعلم ذلك الذي لو حصلنا على الاستنارة التي كان في إمكاننا الحصول عليها في هذا العالم لكان قد فتح أذهاننا. إن مواضيع

الفـداء ستشـغل قلـوب المفديـين وأذهانـهم وألسـنتهم مـدى أجيـال الأبـد. وسـيدركون الحقـائق الـتي كـان المسـيح يتـوق لأن يطلـع تلاميـذه عليـها ولكـن لم يكـن عندهـم إيمـان ليدركوهـا. وإلى أبـد الآبـاد سـتظهر آراء جديـدة عـن كمال المسيح ومجده. ومـدى الأجيـال الأزليـة سيُخرج رب البيـت الأمـين مـن كنزه جـددا وعتقـاء.

⓬ اطلبوا لِتُعطوا

لقد كان المسيح على الدوام يتناول من الآب حتى يمكنه أن يوصّل إلينا. فلقد قال: ⟪الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني⟫ (يوحنا ١٤ : ٢٤). ⟪ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليَخدم⟫ (متى ٢٠ : ٢٨). لقد عاش وفكر و صلى لا لأجل نفسه بل لأجل الآخرين . فمن الساعات التي قضاها مع الله الآب خرج من صباح إلى صباح ليجيء بنور السماء إلى الناس. وفي كل يوم كان يحصل على معمودية الروح القدس من جديد. ففي بكور ساعات اليوم الجديد أيقظه الرب من نومه، وقد مسحت نفسه وشفتاه بالنعمة حتى يمكنه أن يوزع على الآخرين. لقد أُعطيَ له الكلام سائغا وجديدا من المواطن السماوية، الكلام الذي كان يمكنه أن ينطق به في وقته للمُعَيين والمظلومين. فقد قال: ⟪أعطاني السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة. يوقظ كل صباح. يوقظ لي أذنا لأسمع كالمتعلمين⟫ (إشعياء ٥٠ : ٤).

تأثر تلاميذ المسيح بصلاته وبشركته مع الله التي كان قد اعتادها. وفي أحد الأيام بعدما غابوا غيبة قصيرة عن سيدهم وجدوه منهمكا في الصلاة والابتهال. وإذ بدا وكأنه غير شاعر بوجودهم ظل يصلي بصوت عال. تأثّرت قلوب التلاميذ تأثّرا عميقا، فلما انتهى من الصلاة صاحوا قائلين: ⟪يا رب علمنا أن نصلي⟫ (لوقا ١١ : ١).

وجوابا على سؤالهم كرّر لهم المسيح الصلاة الربانية كما نطق بها في موعظته على الجبل. ثم شرح لهم الدرس الذي أراد أن يعلمهم إيّاه بمثل فقال: ⟪من منكم يكون له صديق ويمضي إليه نصف الليل ويقول له يا صديق أقرضني ثلاثة أرغفة لأن صديقا لي جاءني من سفر وليس لي ما أقدم

لـه فيجيب ذلـك مـن داخـل ويقـول لا تزعجـني البـاب مغلـق الآن وأولادي معـي في الفـراش لا أقـدر أن أقـوم وأعطيـك. أقـول لكـم وان كـان لا يقـوم ويعطـيه لكـونه صديقه فإنّه من أجـل لجـاجته يقـوم ويعطـيه قـدر مـا يحتـاج» (لوقـا ١١ : ٥ – ٨).

إنّ المسيح هنـا يصـور المصلّـي كمـن يسأل ليُعطـي آخـر بـدوره. ينبغـي لـه أن يحصـل علـى الخـبز، وإلاّ فـلا يسـتطيع أن يقـدم للمسـافر المُتعـب المتـأخر احتياجاتـه. ومـع أنّ قريبـه لا يريـد أي إزعـاج فإنـه لـن يصـد صديقـه المتوسـل بـل لابد من أن يسعف ذلك الصديق، وأخيرا تُكافأ لجاجتـه وتُسـدّ احتياجاتـه.

بمثـل هـذه الكيفيـة كـان يجـب علـى التلاميـذ أن يطلبـوا البركـات مـن الله. فعند إشباع الجموع، وعندما ألقـى عظتـه عـن الخـبز النـازل مـن السـماء كشـف لهم المسـيح عـن عملـهم كنـواب عنـه. فقـد كـان عليـهم أن يقدمـوا للنـاس خـبز الحياة. فذاك الـذي عين لهم عملهم رأى كـم مـرّة سيُجرّب إيمانـهم. وكثـيرا مـا سـيقعون في مواقـف غـير منتظـرة ويدركـون عـدم كفايتـهم كبشـر. والنفـوس الجائعـة إلى خـبز الحيـاة كـانت ستأتي إليـهم وسيحسّـون هـم أنـهم في حـال الفقر والعجز. فعليهم أن يحصلوا علـى الخـبز الروحـي وإلاّ فلـن يكـون لديـهم مـا يقدمونـه للغير. ولكـن لم يكـن لهـم أن يصرفـوا نفسـا جائعـة. فالمسـيح يرشـدهم إلى مصدر المؤونـة. إنّ الرجـل الـذي أتـاه صديقـه ليضيفـه مـع أنـه قـد جـاءه في نصـف الليـل وهـو وقـت غـير مناسـب، لم يطـرده. لم يكـن عنـده مـا يقدمـه لـه ولكنّـه ذهـب إلى آخـر كـان يوجـد عنـده طعـام وألحّ عليـه بطلبـه حتـى أعطـاه ذلـك القريـب حاجتـهم. فـهل الله الـذي قـد أرسـل خدامـه ليطعمـوا الجيـاع يكـف عـن إمدادهـم بحاجتـهم لأجـل عملـه؟

ولكـن ذلـك القريـب الأنـاني المذكـور في المثـل لا يمثّـل صفـات الله. والـدرس مُسـتخلص لا بالمقارنـة بـل بالمفارقـة. إنّ رجـلا أنانيـا يمنـح طالبـا

لجوجا طلبــه لكــي يتخلـص مـن ذلـك الإنسـان الـذي يزعـج راحتـه. ولكـنّ الله يسر بـأن يُعطـي. إنّ قلبـه عـامر بالرأفـة والحنـان وهـو يتـوق لإجابـة طلبـات مـن يأتون إليه بإيمان. انه يعطينا حتى نخدم حاجات الآخرين وهكـذا نتشـبه بـه.

والمسـيح يعلـن قـائلا: «أسـالوا تعطـوا اطلبـوا تجـدوا اقرعـوا يفتـح لكـم لأن كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتـح لـه» (العـددان ٩ و١٠).

ثـم يسـتطرد المخلـص قـائلا: «فمـن منكـم وهـو أب يسـأله ابنـه خـبزا أفيعطيـه حجـرا. أو سمكـة فيعطيـه حيّـة بـدل السـمكة. أو إذا سـأله بيضـة أفيعطيـه عقربـا. فــإن كنتــم وأنتــم أشــــرار تعرفــون أن تعطــوا أولادكـــم عطــايا جيــدة فكــم بالحــري الآب الــذي مــن الســماء يعطــي الــروح القــدس للذيــن يســألونه» (الأعــداد ١١ – ١٣).

إنّ المسـيح لكـي يقـوّي ثقتنـا في الله يعلمنـا أن نخاطبـه باسـم جديـد، إسـم مرتبـط بـأعزّ صـلات القلـب البشـري. إنّـه يعطينـا امتيـاز مخاطبـة الإلـه السـرمدي بـالقول: أبانـا. هـذا الإسـم إذ يُنـادى بـه أو يُطلـق عليـه هـو رمـز محبّتنـا لـه وثقتنـا بـه وضمان لاهتمامـه وصلتـه بنـا. فـإذ ننطـق بـهذا الإسـم عندمـا نطلـب رضـاه أو بركتـه فإنّـه يقـع على أذنيـه وقـع الموسـيقى. وحتـى لا نظـنّ أنـها غطرسـة منـا إذ ناديـه بـهذا الإسـم فقـد ردده مـرارا وتكـرارا. وهـو يريـد أن يكـون هـذا الاسـم مألوفـا لدينـا.

إنّ الله يعتبرنـا أولادا لــه. لقـد افتدانـا مـن بـين العـالم العديـم الاكــتراث واختارنـا لنصيـر أعضـاء في الأسـرة الملكيـة، أبنـاء وبنـات ملـك السـماء. وهـو يدعونـا لأن نثـق بـه ثقـة أعمـق وأقـوى مـن ثقـة الابـن بأبيـه الأرضـي. الوالـدون يحبـون أولادهـم، ولكـن محبـة الله أرحـب وأعـرض وأعمـق ممـا يمكـن أن تصـل إليـه المحبـة البشـرية. إنّـها لا تقـاس. إذا فـإذا كـان الوالـدون الأرضيـون يعرفـون

أن يعطوا أولادهم عطايا جيدة فكم بالحري الآب الذي من السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه ؟

ينبغي لنا أن نتأمل بكل اهتمام في التعاليم التي يقدمها المسيح عن الصلاة. إنّ في الصلاة علماً إلهيّا، وشرحه يضع أمام أنظارنا المباديء التي يحتاج الجميع إلى فهمها. فهو يرينا ما هي الروح الحقيقية للصلاة، ويعلمنا لزوم المثابرة في تقديم طلباتنا إلى الله ويؤكد لنا استعداده وشوقه إلى أن يسمع الصلاة ويجيبها.

صلواتنا ينبغي ألا تكون صلوات أنانية، فلا نطلب فقط ما يؤول إلى فائدتنا الذاتية، بل علينا أن نطلب لنُعطي. فمبدأ حياة المسيح ينبغي أن يكون مبدأ حياتنا. إنّ السيد وهو يتحدث عن تلاميذه صلى قائلا: «لأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين» (يوحنا ١٧ : ١٩). ونفس التكريس ونفس التضحية ونفس التسليم لمطاليب كلمة الله التي ظهرت في حياة المسيح ينبغي أن تُرى في خدامه. إنّ رسالتنا إلى العالم ليس القصد منها أن نخدم أو نرضي ذواتنا بل علينا أن نمجد الله بالتعاون معه على تخليص الخطاة . علينا أن نسأل البركات من الله حتى نقدمها للآخرين. إنّ المقدرة على الأخذ تحفظ فقط إذ نوزع على الآخرين. إننّا لا نستطيع المداومة على تلقي كنوز السماء ما لم نوزعها على من حولنا.

إنّ ذلك الرجل السائل في المثل قد صُدّ مرارا وتكرارا لكنّه لم ينثنِ عن عزمه، وهكذا صلواتنا لا يبدو دائما أننا نتلقّى عنها إجابة سريعة، ولكن المسيح يعلّمنا ألاّ نكفّ عن الصلاة. ليس القصد من الصلاة أن تحدث أي تغيير في الله، بل لتجعلنا في حالة توافق وانسجام معه تعالى. فعندما نتقدم أليه بطلب، قد يرى هو أن من اللازم لنا أن نفحص قلوبنا ونتوب عن

الخطية، فلهذا يجيزنا في المحن والتجارب ويجيزنا في وادي الاتضاع لكي نرى العوائق التي تعطل عمل الروح القدس بواسطتنا.

توجد شروط لإتمام مواعيد الله، والصلاة لا يمكن أن تحل في مكان الواجب. لقد قال المسيح: «أ ن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي» «الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني ، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي» (يوحنا ١٤ : ١٥ و ٢١). فالذين يقدمون توسلاتهم إلى الله ويطالبونه بوعده في حين أنهم لا يتممون الشروط يهينون الرب. إنّهم يذكرون اسم المسيح كسند لإتمام الوعد، ولكنّهم لا يعملون الأعمال التي تظهر إيمانهم بالمسيح ومحبتهم له.

كثيرون يزيفون شروط القبول لدى الآب. إننا بحاجة إلى فحص صكّ ثقتنا بكل دقة، ذلك الصكّ الذي بموجبه ندنو من الله. فإذا كنا عصاة فإننا نقدم للرب كمبيالة لصرفها في حين أننا لم نتمم الشروط التي بموجبها تكون مستحقة الدفع لنا. فنحن نقدم لله مواعيده ونسأله أن يتمّمها في حين أنّه لو فعل ذلك لأهان اسمه.

الوعد هو هذا: «إن ثبتم في وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم» (يوحنا ١٥ : ٧) . ويوحنا يعلن قائلا: «بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه. من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه. وأما من حفظ كلمته فحقا في هذا قد تكملت محبة الله» (١ يوحنا ٢ : ٣- ٥).

من بين أوامر المسيح الأخيرة لتلاميذه قوله «أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم» (يوحنا ١٣ : ٣٤). فهل نحن مطيعون لهذا الأمر أم أننا منغمسون في أخلاق جارحة لا تمتّ إلى المسيحية بصلة؟ فإذا كنا قد أحزنا الآخرين أو جرحنا مشاعرهم بأيّة كيفية فواجبنا يقتضينا أن نعترف بخطئنا ونلتمس

المصالحة. هذا استعداد جوهري حتى يمكننا أن نقترب إلى الله بالإيمان لنسأل بركته.

وهنالك أمر آخر مهمل ومتروك في غالب الأحيان ممن يطلبون الرب في الصلاة. فهل أنتم أمناء مع الله ؟ إنّ الرب يعلن على لسان ملاخي النبي قائلا: «من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها. ارجعوا إلى أرجع إليكم قال رب الجنود. فقلتم بماذا نرجع ؟ أيسلب الإنسان الله ؟ فإنكم سلبتموني. فقلتم بم سلبناك؟ في العشور والتقدمة» (ملاخي ٣ : ٧ و٨).

إنّ الله، معطي كل بركة. يطالبنا بجزء من كلّ ما نملكه. هذه هي المؤونة التي تموّل الكرازة بالإنجيل. وإذ نقدم للرب هذا الإيراد نظهر أننا نقدّر عطاياه. أما إذا كنا نضنّ عليه بما هو من حقه فكيف يمكننا أن نطلب بركته ؟ إذا لم نكن وكلاء أمناء على الأشياء الأرضية فكيف ننتظر منه أن يأتمننا على الأمور السماوية ؟ قد يكون هذا هو السبب في عدم استجابة صلاتنا.

ولكنّ الرب في رحمته الكثيرة مستعدّ لأن يغفر، فيقول: «هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجربوني بهذا . . . إن كنت لا أفتح لكم كوى السموات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع. وأنتهر من أجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الأرض ولا يعقر لكم الكرم في الحقل . . . ويطوبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة قال رب الجنود» (ملاخي ٣ : ١٠ – ١٢).

وكذلك الحال بالنسبة إلى كل مطاليب الله الأخرى . فكل عطاياه قد وعد بأن يعطيها لمن يتممون شرط الطاعة. إنّ عند الله سماء ملأى بالبركات لمن يتعاونون معه . وكل من يطيعونه يمكنهم بكل ثقة أن يطالبوه بإتمام مواعيده.

ولكن علينـا أن نـبرهن علـى ثقـة في الله ثابتـة غـير منحـرفة. ففـي كثـير مـن الأحيـان يؤخـر الإجابـة ليمتحـن إيماننـا أو ليختـبر خلـوص رغائبنـا. فـإذ نسـأله طبقا لكلمته علينا أن نؤمن بوعده ونلحّ في توسـلاتنا بعزيمـة تـأبى الرفـض.

إنّ الله لا يقـول: اسـألوا مـرة واحـدة تعطـوا. ولكنـه يأمرنـا بـأن نسـأل. فثـابروا علـى الصـلاة في غـير تعـب أو مـلل. إنّ المداومـة علـى السـؤال تضـع الطالـب في حالـة اكـثر جدّيـة. وتعطيـه رغبـة متزايدة في الحصـول علـى الأشـياء الـتي يسـألها. لقـد قـال المسـيح لمرثـا عنـد قـبر لعـازر: «إن آمنـتِ تريـن مجـد الله» (يوحنـا ١١ : ٤٠).

ولكـنّ كثـيرين يعوزهـم الإيمـان الحـي. هـذا هـو السـبب الـذي يجعلـهم لا يرون مزيـدا من قـوة الله. إنّ ضعفـهم سـببه عـدم إيمانـهم. فـإنّ إيمانـهم بعملـهم هـو أكثر من إيمانهم بعمـل الله لأجلهم. إنـهم يجعلـون أنفسـهم تحـت حراسـتهم هـم. يرسمـون الخطـط ويدبـرون ، ولكنّـهم قـلّ مـا يصلـون وثقتـهم الحقيقيـة في الله قليلـة. إنـهم يظنّـون أنّ عندهـم إيمانـا ولكنـه فقـط وازع وقـتي. فـإذ هـم لا يدركـون حاجتـهم أو اسـتعداد الله للاسـتجابة لا يواظبـون علـى عـرض طلباتـهم أمـام الله.

إنّ صلواتنـا ينبغـي أن تكـون حـارة وملحّـة كمـا كـان توسـل الصديـق المحتـاج الـذي طلـب أرغفـة الخـبز في نصـف الليـل. فكلمـا سـألنا بغـيرة وثبـات ازداد اتحادنـا الروحـي بالمسـيح وثوقـا. وحصلنـا علـى بركـات أكـثر لأن إيماننـا عظيـم.

إنّ الـدور الـذي علينـا أن نقـوم بـه هـو أن نصلّـي ونؤمـن. اسـهروا وصلـوا. اسهروا وتعـاونوا مـع الله سـامع الصـلاة. واذكـروا دائمـا «أننـا نحـن عـاملان مـع الله» (١كورونثـوس ٣ : ٩). كمـا يجـب أن تتحدثـوا وتتصرفـوا بمـا يتوافـق مـع صلواتكـم. إنّـه ممـا يجعـل فرقـا عظيمـا بالنسـبة إليكـم مـا إذا كـان الامتحـان

يبرهن على صدق إيمانكم، أو يبرهن على أن صلواتكم ليست أكثر من مظهر.

وعندما تظهر الارتباكات وتواجهكم الصعوبات، فلا تنتظروا عونا من إنسان. بل ثقوا بالله في كل شيء. إنّ عادة التحدث مع الآخرين عن مشاكلنا أنها تضعفنا ولا تمنح الآخرين قوّة. وهي تلقى على كواهلهم عبء ضعفاتنا الروحية التي لا يمكنهم يريحونا منها. أننا نطلب القوة من الإنسان المخطيء المحدود في حين يمكننا الحصول على القوة من الله السرمدي الذي لا يخطيء.

ولا حاجة بكم للذهاب إلى أقصى الأرض في طلب الحكمة لأن الله قريب. إنّ الذي يمنحكم النجاح ليس هو الإمكانيات التي لديكم الآن أو التي ستكون لكم ولكن ذلك هو ما يستطيع الرب أن يصنعه لأجلكم. إننا نحتاج إلى أن نقلل من ثقتنا بما يمكن للإنسان أن يفعله ونزيد من ثقتنا بما يستطيع الله أن يفعله لكلّ نفس مؤمنة. إنه يشتاق إلى أن تسعوا إليه بالإيمان. ويتوق إلى أن يراكم تنتظرون منه العظائم. ويتوق إلى أن يمنحكم فهما وإدراكا في الأمور الزمنية كما في الأمور الروحية. إنّه يستطيع أن يشحذ الذكاء. ويستطيع أن يمنح اللباقة والحذق. شغّلوا وزناتكم واسألوا الحكمة من الله فتعطى لكم.

اتخذوا كلمة المسيح مستندا لكم. ألم يدعوكم لتُقبلوا إليه. لا تسمح لنفسك أبدا بان تتحدث بكيفية يائسة وبقنوط. فلو فعلت ذلك فستخسر الكثير. إنّك إذ تنظر إلى ظواهر الأمور وتشكو عندما تهجم عليك الصعوبات والضغط الشديد فإنك بذلك تبرهن على أنّ إيمانك ضعيف وسقيم. بل عليك أن تتحدث وتتصرف كما لو أنّ إيمانك لا يُقهر. إنّ الرب غنيّ في موارده وله العالم بما فيه. فانظر إلى السماء بإيمان، انظر إلى من عنده النور

والقوة والكفاية. إنّ في الإيمان الحقيقي نشاطا وثباتا في المبدإ وثباتا في العزم لا يمكن للزمن أو التعب أن يضعفه. «الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثّرون تعثّرا. وأما منتظرو الرب فيجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون». (إشعياء ٤٠ : ٣٠ و٣١).

يوجد كثيرون ممن يتوقون لمساعدة الآخرين، ولكنهم يحسون بأنه ليست لديهم القوة الروحية أو النور ليعطوه لهم. ليقدم هؤلاء طلباتهم أمام عرش النعمة. توسلوا في طلب الروح القدس. إنّ الله يسند كل وعد قدمه. فأذ تضع كتابك المقدس بين يديك قل: إنّي قد فعلت كما قلت. وها أنا أتقدم إليك بوعدك القائل: «اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم» (لوقا ١١ : ٩)

وينبغي ألاّ نصلّي فقط باسم المسيح بل علينا أن نصلي أيضا بإلهام الروح القدس. هذا يوضح المقصود بما قيل عن أن الروح «يشفع فينا بأنات لا ينطق بها» (رومية ٨ : ٢٦). مثل هذه الصلاة يسر الله بان يجيبها. فعندما نقدم صلاة باسم المسيح بغيرة وقوة فيوجد في تلك القوة نفسها الضمان من الله على أنه سيجيب صلاتنا «أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر» (أفسس ٣: ٢٠).

لقد قال المسيح: «كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم» (مرقس ١١ : ٢٤). «مهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن» (يوحنا ١٤ : ١٣). وها هو يوحنا الحبيب يتكلم بوحي الروح القدس بصراحة ويقين عظيمين فيقول: «إن طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا . وإن كنا نعلم انّه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم أنّ لنا الطلبات التي طلبناها منه» (١ يوحنا ٥ : ١٤و١٥). إذا يجب أن تلح على الآب بطلبتك باسم يسوع. والله لابدّ أن يكرم ذلك الإسم.

إنّ قوس قزح المحيطة بالعرش هي التأكيد بأنّ الله أمين ، وان ليس عنده تغيير ولا ظلّ دوران. لقد أخطأنا إليه ولا نستحق رضاه ، ومع ذلك فهو نفسه الذي وضع في أفواهنا أعجب حجة : « لا ترفض لأجل اسمك لا تهن كرسي مجدك. اذكر. لا تنقض عهدك معنا » (ارميا ١٤: ٢١). فعندما نأتي إليه مقرين بعدم استحقاقنا وخطيتنا فقد تعهد أن يلتفت إلى صراخنا. إنّ كرامة عرشه مرهونة بإتمام وعده لنا.

إنّ مخلصنا ، كهرون الذي كان يرمز إليه ، يحمل كل أسماء شعبه على قلبه في القدس . فرئيس كهنتنا العظيم يذكر كلّ الأقوال التي بها شجعنا على أن نثق به. إنّه يذكر عهده على الدوام.

وكل من يطلبون منه يجدون وكل من يقرعون يفتح لهم. ولن يقدم هذا الاعتذار: لا تزعجني. الباب مغلق ولا أريد أن أفتحه. ولن يقال لأي واحد: لا يمكنني مساعدتك. فالذين يستطيعون في نصف الليل في طلب أرغفة لإشباع النفوس الجائعة لا بد أن ينجحوا.

نعلم من المثل أن من يسأل خبزا لأجل رجل غريب يأخذ « قدر ما يحتاج ». وبأي كيل يوزع الله علينا لنوزع على الآخرين ؟ « حسب قياس هبة المسيح » (أفسس ٤ : ٧). إنّ الملائكة يراقبون باهتمام عظيم ليروا كيف يتعامل الإنسان مع بني جنسه. فعندما يرون أحداً يبدي عطفا كعطف المسيح نحو المخطئين فإنّهم يتزاحمون إلى جانبه ويذكرونه بكلام يقوله الذي سيكون كخبز الحياة للنفس. وهكذا « يملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع » (فيلبي ٤ : ١٩). إنّه سيجعل شهادتك في صراحتها الخالصة وحقيقتها قوية بقوة الحياة العتيدة. وستكون كلمة الرب في فمك كلمة الحق والبر.

إنّ المسعى الفردي لأجل الآخرين ينبغي أن تسبقه صلوات سرية كثيرة ، لأنّ إدراك علم تخليص النفوس يتطلب حكمة عظيمة. فقبل التحدث مع الناس عليك بالتحدث مع المسيح. فأمام عرش نعمة السماء يجب أن تحصل على إعداد لخدمة الشعب.

لينسحق قلبك اشتياقا إلى الله إلى الإله الحي. لقد برهنت حياة المسيح على ما يمكن للبشرية أن تفعله بصيرورتها شريكة في الطبيعة الإلهية. فكل ما أخذه المسيح من الله يمكننا نحن أيضا أن نحصل عليه. إذا فاسألوا وخذوا. فبإيمان يعقوب المثابر وبإصرار ايليا الذي لا ينثني اطلب من الله أن يعطيك كل ما قد وعد به.

ولتسيطر على عقلك كل الأفكار المجيدة عن الله. ولترتبط حياتك بحياة يسوع بربط خفية. إنّ ذاك الذي أمر بان يشرق نور من ظلمة يريد أن يشرق في قلبك ويمنحك نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح. والروح القدس سيأخذ الأمور الإلهية ويظهرها لك إذ ينقلها كقوة حيّة إلى القلب المطيع. وسيقودك المسيح إلى أعتاب الأبدية حيث الله السرمدي. ويمكنك مشاهدة المجد من خلف الحجاب، ويعلن للناس كفاية ذاك الذي هو حّي إلى الأبد ليشفع فينا.

١٣ رَجُلان يصَلّيان

نطق المسيح بمثل الفريسي والعشار في مسامع «قوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين» (لوقا ١٨ : ٩). الفريسي يصعد إلى الهيكل ليصلي لا لأنه يشعر بأنه خاطيء يحتاج إلى الغفران ، بل لأنه يظن نفسه بارا ويرجو بأن يظفر بالمديح. وهو يعتبر عبادته كعمل يستحق أجرا ويعطيه حظوة لدى الله. وهي في نفس الوقت تعطي للناس فكرة سامية عن تقواه. وهو يرجو أن يظفر برضى الله والإنسان معا. فالدافع الذي دفعه للصلاة هو مصلحته الذاتية.

إنّه مفعم القلب بمديح النفس؟ فنظراته ومشيته وصلاته تدل على ذلك. وإذ ينتحي ناحية بعيدا عن غيره. كأنما ليقول لكل منهم: «لا تدنُ مني لأني أقدس منك» (إشعياء ٦٥ : ٥) يقف ليصلي «في نفسه» (العدد ١١). فإذ هو راض عن نفسه كل الرضى يظن أن الله والناس سيقدرونه بنفس ذلك الرضى.

وها هو يقول: «اللهم أنا أشكرك أني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة. ولا مثل هذا العشار». وهو يحكم على أخلاقه لا على صفات الله القدوس، بل على أخلاق باقي الناس. عقله منصرف بعيدا عن الله إلى بني الإنسان. هذا هو السرّ في رضاه عن نفسه.

ثم يأخذ يعدّ حسناته فيقول : «أصوم مرتين في الأسبوع وأعشّر كل ما أقتنيه» إنّ ديانة الفريسي لا تمس النفس. إنّه لا يطلب التشبّه بالله في صفاته، ولا القلب العامر بالمحبة والرحمة. فهو قانع بديانة لها علاقة بالحياة الخارجية وحدها . فبره له وهو ثمر أعماله ويحكم عليه بمقياس بشري.

إنّ أيّ إنسـان يثـق، في نفسـه، بأنـه بـار لابـد أن يحتقـر الآخريـن. وكمـا أنّ الفريسي يحكـم على نفسه بالقيـاس علـى بـاقي النـاس، كذلـك هـو يحكـم علـى بـاقي النـاس بالقيـاس علـى نفسـه. إنّ بـرّه يُقـدّر بـبرّ النـاس، وكلمـا زاد شـرهم كلما بـدا هـو بـاراً جـدا بالمقـارنة بـهم. وبـرّه الذاتـي يقـوده ليديـن «بـاقي النـاس» علـى أنـهم متـعدّون شـريعة الله. وهكـذا هـو يكشـف عـن نفـس روح الشيطان المشـتكي علـى الأخـوة. وبـهذه الـروح يسـتحيل عليـه أن يكـون في شركة مع الله. إنّه ينزل إلى بيته محرومـا مـن بركـة الله.

أمّـا العشـار فقـد ذهـب إلى الهيكـل مـع بـاقي المصلـين، ولكنـه سـرعان مـا اعتزل عنهم إذ حسب نفسـه غـير أهـل لأن يشـترك معـهم في عبادتـهم. وإذ وقـف مـن بعيـد لم «يشأ أن يرفـع عينيـه نحـو السـماء. بـل قـرع علـى صـدره» في حـزن مريرٍ واشمئزازٍ مـن نفسـه. لقـد أحـسّ بأنـه قـد عصـى الله وأنـه خـاطيء ونجـس. ولم يمكنـه أن ينتظـر حتـى الشـفقة ممـن حولـه لأنـهم كـانوا ينظـرون إليـه في ازدراء . وقـد عـرف أنـه لا اسـتحقاق فيـه يعطيـه الحظـوة لـدى الله ، ففـي يأسـه الشـديد مـن نفسـه صـرخ قـائلا: «اللـهم ارحمـني أنـا الخـاطيء». إنّـه لم يقـارن نفسه بـالآخرين. فإذ غمره الشعور بذنبـه وقـف كمـن هـو وحـده في حضـرة الله. وكـان مطلبـه الوحيـد أن يحصـل علـى الغفـران والسـلام، وكـانت حجتـه الوحـيدة رحمـة الله . وقـد حصـل علـى البركـة. فقـد قـال المسـيح: «أقـول لكم إنّ هـذا نـزل إلى بيتـه مـبررا دون ذاك».

إنّ الفريسـي والعشـار يمثـلان فريقـين عظيمـين مـن النـاس ينقسـم إليـهما مـن يـأتون ليعبـدوا الله. والممثـلان الأولان لهمـا همـا الابنـان الأولان اللـذان ولـدا في العـالم. فلقـد ظـن قـايين أنـه بـارٌ وقـدم إلى الله تقدمـة شـكر فقـط. لم يعـترف بخطية ولا أعترف بحاجتـه إلى الرحمـة. أمـا هـابيل فقـدّم الـدم الـذي يشـير إلى حمل الله. لقد أتـى كخـاطيء مقرّا بأنه هـالك، وكـان رجـاؤه الوحيـد هـو محبـة

الله الـتي لا يسـتحقها. لقـد نظـر الـرب إلى قربانــه أمـا إلى قـايين وقربانــه فلــم ينظـــر. إنّ الإحســـاس بالحاجـــة والاعـــتراف بفقـــرنا وخطيتنـــا همـــا نفـــس الشـرط الأول لقبولنـا لـدى الله، «طوبـى للمسـاكين بـالروح لأن لهـم ملكـوت السـموات» (متــى ٥ : ٣).

ولكـل مـن الفريقـين الذيـن يرمـز إليـهما الفريسـي والعشـار يوجـد درس في تـاريخ بطـرس الرسـول. إنّ بطـرس في بـدء تلمذتـه ظـن نفسـه قويّـا. ففـي تقديـره لنفسـه كـان كالفريسـي «ليـس كبـاقي النـاس» وعندمـا أنـذر المسـيح تلاميـذه في ليلـة تسـليمه قـائلا: «كلكـم تـشكّون فيّ في هـذه الليلـة» أعلـن بطـرس قـائلا بكـل ثقـة : «وإن شـك الجميـع فأنـا لا اشـك» (مرقـس ١٤ : ٢٧ و ٢٩). لم يكـن بطـرس عالمـا بخطـره. لقـد أضلتـه ثقتـه بنفسـه. فقـد ظـن نفسـه قـادرا علـى الصمـود للتجربـة ، ولكـن في سـاعات قليلـة قصـيرة جـاء الامتحـان فأنكر سيده بلعنٍ وقسـم.

وعندمـا ذكّره صيـاح الديـك بكـلام المسـيح، وإذ فوجـيء وصُـدم مـن هـول مـا قـد فعـل التفـت نـاظرا إلى سـيده. وفـى تلـك اللحظـة التفـت الـرب إلى بطرس ، وأمام تلك النظرة الحزينـة الـتي امـتزج فيـها الحنـان والحـب لـه عـرف بطـرس نفسـه. فخـرج إلى خـارج وبكـى بكـاء مـرّا. فتلـك النظـرة الـتي وجهـها المسيح إليـه سـحقت قلبـه. لقـد أتـى بطـرس إلى نقطـة التحـوّل وتغيـير الاتجـاه فتـاب عـن خطيتـه توبـة مُـرّة. كـان كالعشـار في انسـحاقه وتوبتـه فوجـد الرحمـة كالعشـار. إنّ نظـرة المسـيح قـد أكّـدت لـه الغفـران. أمـا الآن فقـد تركتـه ثقتـه بنفسـه . وما عـاد يكـرر ادعاءاتـه المتفـاخرة الأولى.

والمسيح بعدما قام امتحـن بطـرس ثـلاث مـرات قـائلا: «يـا سمعـان بـن يونـا أتحبـني أكـثر مـن هـؤلاء» ؟ لم يمجـد بطـرس نفسـه فـوق إخوتـه. بـل لجـأ إلى

ذاك الـذي يعـرف خفيـات القلـوب قـائلا: «يـا رب أنـت تعلـم كـل شيء. أنـت تعلـم أنـي احبـك» (يوحنـا ٢١ : ١٥ و ١٧).

وحينئذ تلقى منه التفويـض. فقـد تعـين عليـه عمـل أوسـع وأدق مـن كـل مـا كُلّف بـه مـن قبـل. فلقـد أمـره المسيح بـأن يرعـى الغنـم والخـراف. إنّ المسـيح إذ اسـند إلى وكالتـه النفـوس الـتي لأجلـها وضـع المخلـص حياتَـه فقـد قـدم لبطـرس انصـع برهـان للثقـة بتجديـده. فذلـك التلميـذ الـذي كـان قبـلا قلقـا وفخـورا وواثقـا مـن نفسـه صـار الآن خاضعـا ومنسـحقا. ومـن ذلـك الحـين تبـع سـيده في طريـق إنكـار الـذات والتضحيـة. لقـد صـار شـريكا للمسـيح في آلامـه، وعندمـا يجلـس المسـيح علـى عـرش مجـده سـيكون بطـرس شـريكا لـه في أمجـاده.

إنّ الشرّ الـذي أدى إلى سـقوط بطـرس والـذي منـع الفريسـي مـن الشـركة مـع الله هـو السـبب في تدمـير حيـاة آلاف مـن النـاس في هـذه الأيـام. لا شـيء كريـه في نظـر الله أو خطـر علـى نفـس الإنسـان كالكبريـاء والاكتفـاء بـالذات. هـذه هـي أعظـم الخطايـا الجالبـة لليأس والـتي لا أمـل في الشـفاء منـها

إنّ سقوط بطـرس لم يكـن أمـرا فجائيـا بـل تدريجيـا . وإنّ ثقتـه بنفسـه قادتـه إلى الاعتقـاد أنـه مُخلّـص ثـم انحـدر خطـوة فخطـوة في طريـق السـقوط حتـى أنكـر سـيده. لا يمكننـا أبـدا أن نـأمن علـى نفوسـنا حـين نثـق بذواتنـا أو نحـسّ ونحـن في هـذا العـالم بأننـا بمـأمن مـن التجربـة. أولئـك الذيـن يقبلـون المخلـص مـهما يكونـوا مخلصـين في تجديدهـم ينبغـي أن لا يتعلمـوا أن يقولـوا ويحسـوا بأنـهم مخلصـون. فـهذا تضليـل. ينبغـي لكـل واحـد أن يتعلـم أن يحتضن الرجاء والإيمـان، ولكـن حتـى عندمـا نسـلم ذواتنـا للمسيح ونعلـم بأنـه قـد قبلنا فإننا لا نكـون بعيديـن عـن متنـاول التجـربة. إنّ كلمـة الله تعلـن قائلـة:

«كثيرون يتطهرون ويبيضون ويمحصون» (دانيال ١٢ : ١٠) ولكن فقط الذي يتحمل التجربة ينال إكليل الحياة. (يعقوب ١ : ١٢).

إنّ من يقبلون المسيح وعند بدء ثقتهم يقولون: «أنا مُخلَّص» هم في خطر من أن يثقوا بذواتهم. فيغيب عن أنظارهم ضعفهم وحاجتهم المستمرة للقوة الإلهية. إنّهم غير متأهبين لمواجهة مكايد الشيطان، وتحت ضغط التجربة كثيرون يسقطون إلى أعماق الخطية كبطرس. إنّ الرب ينذرنا قائلا: «من يظن انه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١ كورنثوس ١٠ : ١٢). إنّ سلامتنا الوحيدة هي في عدم الإركان الدائم إلى الذات، بل الاعتماد على المسيح.

كان من اللازم لبطرس أن يتعلم عن النقائص التي في خلقه وحاجته إلى قوة المسيح ونعمته. لم يمكن للرب أن ينقذه من التجربة، ولكنه كان يستطيع أن ينقذه من الهزيمة. ولو كان بطرس مستعدا لقبول إنذار المسيح لكان يسهر ويصلي. ولكان يسلك بخوف ورعدة لئلا تعثر قدماه. وكان يمكنه أن يحصل على العون الإلهي بحيث ما كان يمكن للشيطان أن ينتصر عليه.

لقد سقط بطرس بسبب اكتفائه الذاتي، وعن طريق التوبة والاتضاع تثّبتت قدماه ثانية. وفى تاريخ اختبار بطرس يمكن لكل تائب أن يتشجع. ومع أنّ بطرس أخطأ خطية شنيعة فإن الرب لم يتخلَّ عنه. لقد نقشت أقوال المسيح في أعماق نفسه حين قال له: «لكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لوقا ٢٢ : ٣٢). ففي حزنه وندامته المريرة منحته هذه الصلاة وذكرى نظرة المحبة والإشفاق التي وجهها إليه المسيح، رجاءً. هذا، والمسيح بعد قيامته ذكر بطرس وأعطى للملاك رسالة ليبلغها للنساء قائلا: «اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس انّه يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه» (مرقس ١٦ : ٧). لقد قبل المخلص غافر الخطايا توبة بطرس.

ونفس ذلـك الحنـان الـذي تطـاول لإنقـاذ بطـرس يمتـدّ لكـل نفـس سـقطت تحــت التجربــة. إنّ الشــيطان يســتخدم مكيدتــه الخاصــة في تضليــل الإنســان ليسـقط في الخطيـة ومـن ثَـمّ يتركـه عـاجزا ومرتعبـا وهـو يخشـى مـن أن يطلـب الغفـران . ولكـن لمـاذا نخـاف في حـين أنّ الـرب قـد قـال: «يتمسـك بحصـني فيصنـع صلحـا معـي. صلحـا يصنـع معـي» ؟ (إشـعياء ٢٧ : ٥). لقـد أُعِـدَّت كـل العدة لمواجهة كل ضعفاتنا، وكل تشجيع مقـدم لنـا لنقبـل إلى المسيح.

قـدم المسـيح جسـده المكسـور ليفتـدي مـيراث الـرب ليقـدم للإنسـان فرصـة أخرى «فمـن ثمّ يقـدر أن يخلـص أيضـا إلى التمـام الذيـن يتقدمـون بـه إلى الله إذ هـو حـيّ في كـل حـين ليشـفع فيـهم » (عـبرانين ٧ : ٢٥). إنّ المسـيح بحياتـه الـتي بـلا عيـب وطاعتـه وموتـه علـى صليـب الجلجثـة توسّـط لأجـل جنسـنا السـاقط. والآن فـإنّ رئيـس خلاصنـا لا يتوسـط لأجلنـا كمـن يلتمـس العفـو بـل كغـالب يطـالب بانتصـاره. إنّ ذبيحتـه كاملـة وكوسيط لأجلنـا ينفّـذ عملـه الـذي قد عينـه لنفسه مقدمـا أمـام الله المجمـرة وبـها اسـتحقاقاتِه النقيـة وصلـوات شـعبه واعترافاتـهم وتشـكراتهم. فـهذه إذ تكـون معطـرة بعطـر بـرّه تصعـد إلى الله كرائحة زكية. والذبيحة تُقبَل قبولا كاملا فيعطـي الغفـران لكـلّ معصيـة.

لقـد قـدم المسـيح نفسـه بديـلا عنـا وضامنـا لنـا. وهـو لا يـهمل أحـدا. فـذاك الـذي لم يحتمـل أن يـرى بـني الإنسـان مـهددين بـالهلاك الأبـدي دون أن يسـكب للمـوت نفسـه لأجلـهم، ينظـر بالرأفـة والرحمـة إلى كـل إنسـان يـدرك عجزه عن تخليص نفسـه.

وهـو لا ينظـر إلى أي متوسـل مرتعـد دون أن يقيمـه. فـذاك الـذي بواسـطة كفّارتـه اعـدّ للإنسـان ذخـيرة لا تنفـد مـن القـوة الأدبيـة لا يخفـق في اسـتخدام هذه القـوة لصالحنـا. فيمكننـا أن نـأتي بخطايانـا وأحزاننـا ونطرحـها عنـد قدميـه

لأنه يحبنا . فكل نظرة من نظراته وكل كلمة من كلامه تدعونا لأن نثق به. وهو سيشكل أخلاقنا ويصوغها حسب إرادته.

إنّ كل قوى الشيطان لا تستطيع أن تنتصر على نفس واحدة تلقي بذاتها على المسيح في ثقة خالصة. «يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة» (إشعياء ٤٠ : ٢٩).

«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم». والرب يقول «اعرفي فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبت» «وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون. من كل نجاستكم ومن كل أصنامكم أطهركم» (١يوحنا١: ٩ ، ارميا ٣: ١٣، حزقيال ٣٦ : ٢٥).

ولكن ينبغي أن تكون لنا معرفة بذواتنا، معرفة ينتج عنها الانسحاق قبلما يمكننا الحصول على الغفران والسلام. إنّ الفريسي لم يحسّ بتبكيت على الخطية. ولم يستطع الروح القدس أن يعمل معه. فلقد كانت نفسه محصنة في سلاح البرّ الذاتي فلم يمكن لسهام الله المسنونة والمصوبة تصويبا حسنا بيد الملاك أن تخترقه. إنّ المسيح لا يخلّص إلا الإنسان الذي يعرف نفسه أنّه خاطيء. قال: أتيت «لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية» (لوقا ٤ : ١٨). ولكن: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب» (لوقا ٥ : ٣١). فينبغي لنا أن نعرف حالتنا على حقيقتها وإلاّ فلن نحسّ بحاجتنا إلى معونة المسيح و يجب أن ندرك خطرنا وإلاّ فلن نهرب إلى الملجأ. ويجب أن نشعر بالآلام الناشئة عن جروحنا وإلاّ فلن نطلب الشفاء.

يقول الرب: «لأنك تقول إني أنا غنيّ وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء ولست تعلم أنك أنت الشقيّ والبئس وفقير وأعمى وعريان. أشير عليك أن تشتري مني ذهبا مصفّى بالنار لكي تستغني وثيابا بيضاً لكي تلبس فلا

يظهر خزي عريتك. وكحّل عينيك بكحل لكي تبصر» (رؤيا ٣ : ١٧ ، ١٨). إنّ الذهب المصفّى بالنار هو الإيمان العامل بالمحبة. هذا هو وحده الذي يستطيع أن يجعلنا في حالة انسجام مع الله. قد نكون نشيطين وقد نقوم بعمل كثير ولكن بدون أن تكون في قلوبنا محبة كالمحبة التي سكنت في قلب المسيح فلن يمكن أن نُحصَى ضمن أسرة السماء.

ولن يمكن لإنسان من ذاته أن يدرك أخطاءه: «القلب اخدع من كل شئ وهو نجيس. من يعرفه» ؟ (أرميا ١٧ : ٩). يمكن للشفتين أن تعبرا عن فقر النفس ، ولكن القلب لا يعترف بذلك. وفي حين يحادث الإنسان الله معبرا عن فقر روحه قد يكون القلب منتفخا بغرور وداعته الفائقة وبره السامي. ولكن يمكن الحصول على معرفة حقيقية للنفس بطريقة واحدة. ينبغي أن نرى المسيح. إنّ جهل الناس للمسيح هو الذي يجعلهم ينتفخون ببرّهم . فعندما نتأمل في طهارته وتفوقه نرى ضعفنا وفقرنا ونقائصنا كما هي في حقيقتها، نرى أنفسنا هالكين وعاجزين ولابسين أسمال البرّ الذاتي كأي خاطيء آخر. نرى انه إذا كنا سنخلص فلن يكون ذلك عن طريق صلاحنا بل عن طريق نعمة الله غير المحدودة.

لقد سُمعت صلاة العشار لأنها برهنت على اتكال مُدَّ ليمسك بالقدرة الإلهية. فالذات في اعتبار العشار لم تكن اكثر من عار. وهكذا يجب أن تكون في نظر كل من يطلبون الله. فبواسطة الإيمان – الإيمان الذي ينبذ كل ثقة بالذات – على المصلّي المحتاج أن يمسك بالقدرة غير المحدودة.

لا يمكن لأي ممارسة خارجية أن يُستعاض بها عن الإيمان البسيط وإنكار الذات إنكارا كاملا. ولا يستطيع أي إنسان أن يُخلي ذاته بنفسه. ولا يمكننا أن نقبل من غير المسيح أن يتمّم العمل. وحينئذ تكون لغة النفس هكذا: خلّصني بالرغم من ذاتي ، ذاتي الضعيفة التي ليست كالمسيح يا رب امتلك

قلبي إذ لا يمكنني أن أعطيه لك. إنّه ملكك. احفظه طاهرا لأنّي لا أستطيع أن أحفظه لك. صغني وشكّلني ارفعني إلى جوّ نقيّ ومقدس حيث يمكن لنهر محبتك الغنية أن يفيض في نفسي.

إنّ نبذ الذات هكذا لا يتمّ فقط عند بدء الحياة المسيحية. بل لا بد من تجديد هذا الإنكار عند كل خطوة تقدمية نخطوها في طريق السماء. إنّ كل أعمالنا الصالحة تستند إلى قوة خارجة عن أنفسنا ، فلهذا يجب أن يصبو القلب إلى الله على الدوام، مع اعتراف مستمرّ بالخطية من قلب منسحق واتضاع النفس وتذللها أمام الله، فبواسطة نبذ الذات والاعتماد الدائم على المسيح ، يمكننا بذلك وحده أن نسير آمنين.

كلما زدنا قربا من يسوع وكلما شاهدنا جليا طهارة صفاته، كلما أدركنا بوضوح أكثر شر الخطية العظيم وكلما قل اهتمامنا بتمجيد ذواتنا. إنّ أولئك الذين تعترف السماء بأنهم قديسون هم آخر من يباهون بصلاحهم. لقد صار بطرس الرسول خادما أمينا للمسيح، فأكرمه الرب بنور وقوة إلهيين. وقام بطرس بدور نشيط كبير في بناء كنيسة المسيح ، ولكنه لم ينس قط اختبار إذلاله المخيف . لقد غُفرت خطيته، ولكنه عرف جيدا أنه لم يمكن لغير نعمة المسيح أن تنهضه من سقوطه الذي جاء نتيجة لضعف خلقه. إنّه لم يجد في نفسه شيئا يدعو إلى الفخر.

إنّه ولا واحد من الرسل أو الأنبياء ادّعى العصمة من الخطية. والناس الذين عاشوا أقرب من غيرهم إلى الله، والذين كانوا على أتم استعداد للتضحية بالحياة نفسها حتى لا يرتكبوا خطأ واحد عن علم أو عمد، والذين قد أكرمهم الله بنور وقوة إلهيين – هؤلاء اعترفوا بشرّ طبيعتهم. إنّهم لم يتكلوا على الجسد ولا ادعوا لأنفسهم برّا ولكنهم اتكلوا بالتمام على برّ المسيح. وهكذا تكون الحال مع من يشاهدون المسيح.

إن توبتنا ستتعمق في كل خطوة من خطوات تقدمنا في الاختبار المسيحي. فالذين غفر لهم الرب، والذين يعترف بأنهم شعبه يقول لهم: «فتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم» (حزقيل ٣٦ : ٣١). ثم يقول أيضا: «وأنا أقيم عهدي معك فتعلمين أني أنا الرب. لكي تتذكري فتخزي ولا تفتحي فاك بعد بسبب خزيك حين اغفر لك كل ما فعلت يقول السيد الرب» (حزقيال ١٦ : ٦٢و٦٣). وحينئذ لن تنفرج شفاهنا عن أقوال التمجيد لذواتنا. وسنعلم أن كفايتنا هي في المسيح وحده. وسنعترف بما قد اعترف به الرسول عندما قال : «فإني اعلم انه ليس ساكن في (أي في جسدي) شئ صالح» (رومية ٧ : ١٨). «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم» (غلاطية ٦ : ١٤).

وعلى وفاق هذا الاختبار يأتي هذا الأمر: «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة. لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (فيلبي ٢ : ١٢ و١٣). إن الله لا يأمركم بأن تخافوا لئلا يخفق هو في إنجاز وعوده أو أن صبره سيكل أو أن رحمته ستوجد ناقصة. بل خافوا لئلا تأبى أرادتكم الخضوع لإرادة المسيح، ولئلا تتحكم أخلاقكم الموروثة والمكتسبة فتسيطر على حياتكم: «لان الله هو العامل فيكم أن تريدوا وان تعملوا من أجل المسرة» خف لئلا تتدخل الذات بين نفسك وبين السيد العامل الأعظم. وخف لئلا يفسد عنادك المقصد الأسمى الذي يريد الله أن يتممه بواسطتك. خف من الوثوق بقوتك ، وخف من أن تسحب يدك من يد المسيح وتحاول أن تسير في طريق الحياة بدون حضوره الدائم معك.

إننا نحتاج إلى أن نتحاشى كل ما يشجع الكبرياء والاكتفاء بالذات، ولذلك يجب أن نحذر مدح الناس أو تملقهم أو قبول شيء من ذلك

لأنفسنا. التملق مـن أعمـال الشـيطان. إنّـه يتعـامل في التملـق كمـا في الشـكوى والدينونـة. وبـهذه الكيفيـة يحـاول إهـلاك النفـس. إنّ مـن يمتدحـون الآخريـن يسـتخدمهم الشـيطان أعوانـا لـه ليوجـه خـدام المسـيح كـلّ كلمـة مديـح بعيـدا عن أنفسهم. لنبعد الذات بحيث لا نراهـا. وليتمجـد المسـيح وحـده. لتتجـه كـل عـين ولـيرتفع التسـبيح مـن كـل لسـان إلى ذاك الـذي «أحبنـا وقـد غسـلنا مـن خطايانـا بدمـه» (رؤيـا ١ : ٥).

إنّ الحيـاة الـتي يحياهـا الإنسـان في خـوف الله لـن تكـون حيـاة حـزن أو غم. ولكـن عـدم وجـود المسـيح هـو الـذي يجعـل الوجـه حزينـا والحيـاة سياحة كلـها آهـات وتنـهدات. إنّ مـن يمـلأ قلوبـهم الاعتـداد بـالذات ومحبـة الـذات لا يحسـون بحاجتـهم إلى الاتحـاد بالمسـيح اتحـادا حيـا وشـخصيا. إن القلـب الـذي لم يسـقط علـى الصخـرة يفخـر بكمالـه. فالنـاس يريـدون ديانـة وجيهـة. يريـدون أن يسـيروا في طريـق رحـب بالكفايـة بحيـث يتسع لصفاتـهم. إن حبـهم لذواتـهم وحبـهم للشـهرة وحبـهم للمديـح يطـرد المخلـص مـن قلوبـهم، وبدونـه توجـد الكآبـة والحـزن. ولكـن إذ يسـكن المسـيح في النفـس ينبثـق منـها ينبـوع الفـرح. فلكـل الذيـن يقبلونـه تكـون نفـس النغمـة الرئيسـية في كلمـة الله هـي الفـرح.

«لأنه هكـذا قـال العلـي المرتفـع سـاكن الأبـد القـدوس اسمـه. في الموضـع المرتفـع المقـدس اسـكن ومـع المنسـحق والمتواضـع الـروح لأحيـي روح المتواضـعين ولأحيـي قلـب المنسـحقين» (إشـعياء ٥٧ : ١٥).

إنّ موسـى عندمـا أُخفِـيَ في شـق الصخـرة رأى مجـد الله. وعندمـا نختـبيء نحـن في الصخـرة المشـقوقة يغطينـا المسـيح بيـده المثقوبـة فنسـمع مـا يقـول الـرب لعبيـده. والله سـيعلن نفسـه لنـا كمـا لموسـى علـى أنـه «رحيـم ورؤوف

بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء، حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الاسم والمعصية والخطية» (خروج ٣٤ : ٦ و٧).

إنّ عمل الفداء ينطوي على نتائج يصعب على الإنسان أن يدركها. «ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كورنثوس ٢ : ٩). فالخاطيء إذ تجتذبه قوة المسيح وإذ يقترب إلى الصليب المرفوع وينطرح أمامه تكون هناك خليقة جديدة. فيُعطَى له قلب جديد ويصير خليقة جديدة في المسيح يسوع. والقداسة تجد انّه لا يوجد لديها مطلب آخر. والله نفسه هو الذي: «يبرر من هو من الإيمان بيسوع» (رومية ٣ : ٢٦). «والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا» (رومية ٨ : ٣٠). ومع عظمة العار والانحطاط الذين أحدثتهما الخطية فإنّ الكرامة والمجد اللذين تحققهما المحبة الفادية هما أعظم. والناس الذين يجاهدون ليكونوا مماثلين لصورة الله مذخور لهم مؤونة عظيمة من كنز السماء وقوة فائقة سامية ترفعهم إلى درجه أسمى حتى من الملائكة الذين لم يخطئوا.

«هكذا قال الرب ... للمهان النفس لمكروه الأمة ... ينظر ملوك فيقومون. رؤسا فيسجدون. لأجل الرب الذي هو أمين وقدوس إسرائيل الذي قد اختارك» (إشعياء ٤٩ : ٧).

«لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع» (لوقا ١٨ : ١٤).

١٤ أفلا يُنصِف الله مختَاريه ؟

كان المسيح يتكلم عن الفترة التي تسبق مجيئه الثاني حالا وعن المخاطر المزمع أن يمر فيها شعبه. فإذ أشار إلى ذلك الوقت إشارة خاصة قدم لهم مثلا «في أنه ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُمل» (لوقا ١٨ : ١).

قال: «كان في مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا. وكان في تلك المدينة أرملة. وكانت تأتي إليه قائلة أنصفني من خصمي. وكان لا يشاء إلى زمان. ولكن بعد ذلك قال في نفسه وإن كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً فإني لأجل أنّ هذه الأرملة تزعجني أنصفها لئلا تأتي دائما فتقمعني. وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضي الظلم. أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم. أقول لكم إنه ينصفهم سريعا» (لوقا ١٨ : ٢- ٨)

إنّ القاضي الموصوف هنا كان لا يكترث للعدل ولا يعطف على المتألمين. فالأرملة التي كانت تلح عليه بقضيتها كانت تُصدُّ بكل إصرار. وقد أتت إليه مرارا وتكرارا وفى كلّ مّرة كانت تُعامل بالازدراء وتُطرَد من أمام كرسي القضاء. كان القاضي يعلم أن دعواها عادلة وكان يستطيع أن ينصفها في الحال ولكنه لم يشأ ذلك. لقد أراد أن يبرهن على تعسّفه وجبروته ، وقد سرّه أن يراها تسأل وتترافع وتتوسل عبثا . ولكنها لم تفشل ولم تيأس. فبالرغم من عدم اكتراثه وقساوة قلبه فقد ألحّت عارضة أمرها إلى أن رضي القاضي بأن ينظر في قضيتها إذ قال: «وان كنت لا أخاف الله ولا أهاب إنسانا فإني لأجل أن هذه الأرملة تزعجني أنصفها لئلا تأتي دائما فتقمعني» فإبقاء على سمعته وحتى لا يشاع أمر محاباته وتحيّزه في حكمه أنصف تلك المرأة المثابرة.

«وقال الرب اسمعوا ما يقول قاضي الظلم. «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم. أقول لكم إنه ينصفهم سريعا». إنّ المسيح هنا يرسم صورة التباين الحاد بين قاضي الظلم والله. فالقاضي أجاب الأرملة إلى طلبها مدفوعا بدافع الأنانية فقط حتى يستريح من إلحاحها. لم يكن يحسّ نحوها بأية رأفة أو رحمة ، ولم يكن يكترث لبؤسها وشقائها. إنّ الله يلتفت إلى توسلات الفقراء والمتضايقين برحمته اللامحدودة.

إنّ الأرملة التي توسلت إلى القاضي لينصفها كانت قد ثُكلت رجلها. فإذ كانت فقيرة وبلا صديق لم تكن لديها وسيلة بها تسترد أملاكها وأموالها الضائعة . وهكذا فإنّ الإنسان قد قطع صلته بالله بسبب الخطية. وهو من نفسه لا يملك وسيلة للخلاص. ولكنّ لنا في المسيح قدوما إلى الآب. إنّ مختاريّ الله أعزاء على قلبه. إنهم أولئك الذين دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب لمدح مجده ليضيئوا كأنوار في ظلمة العالم. إنّ قاضي الظلم لم يبدِ أيّ اهتمام خاص بالأرملة التي كانت تلحّ عليه في طلب الخلاص ، ومع ذلك فلكي يتخلص من توسلاتها المحزنة استمع لحجتها وأنقذها من خصمها. ولكنّ الله يحبّ أولاده محبة لا نهائية. فبالنسبة إليه فإن أعز شيء لديه على الأرض هو كنيسته.

«إنّ قسمَ الرب هو شعبه. يعقوب حبل نصيبه. وجده في أرض كفر وفي خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه» (تثنيه ٣٢ : ٩ و ١٠). «لأنه هكذا قال رب الجنود. بعد المجد أرسلني إلى الأمم الذين سلبوكم لأنّه من يمسكم يمسّ حدقة عينه» (زكريا ٢ : ٨).

إنّ طلبة الأرملة القائلة: انتقم لي. «انصفني من خصمي» تصور لنا صلاة أولاد الله. فالشيطان هو خصمهم العظيم. وهو «المشتكي على إخوتنا»

الذي يشتكى عليهم أمام الله نهارا وليلا (رؤيا ١٢ : ١٠). إنّه دائب أبدا على التحريف والشكوى وعلى خداع شعب الله وإهلاكهم. والمسيح في هذا المثل يعلّم تلاميذه أن يصلّوا لكي ينجوا من سلطان الشيطان وأعوانه.

في نبوة زكريا ينكشف أمام أنظارنا عمل الشيطان في الشكوى وعمل المسيح في مقاومة خصم شعبه، فيقول النبي: «وأراني يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه. فقال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان، لينتهرك الرب الذي أختار أورشليم. أفليس هذا شعلة منتشلة من النار. وكان يهوشع لابسا ثيابا قذرة وواقفا قدام الملاك» (زكريا ٣ : ١ – ٣)

إنّ أولاد الله ممثلون هنا بمجرم يحاكم. إنّ يهوشع بصفته الكاهن العظيم يطلب بركة لشعبه الذين هم في محنة قاسية. وفي حين هو واقف ليتوسل أمام الله يقف الشيطان عن يمينه كخصمه. فهو يشتكي على أولاد الله ويجعل قضيتهم تبدو ميئوسا منها بقدر المستطاع. وهو يعرض أمام الله شرورهم ونقائصهم، وهو يعرض أخطاءهم وفشلهم على أمل أن يظهروا أمام المسيح في صفات تجعل من المستحيل عليه أن يقدم لهم عونا في حاجتهم الشديدة. ويهوشع كالنائب عن شعب الله يقف تحت الدينونة إذ انّه يلبس ثيابا قذرة. فإذ هو عالم بخطايا شعبه يقف مثقّلا باليأس. والشيطان يضغط على نفسه بالشعور بالإثم الذي يجعله يحسّ وكأنّ لا رجاء له. ومع ذلك فهو يقف هناك متضرّعا والشيطان واقف ضده.

إنّ عمل الشيطان كمشتكٍ بدأ في السماء. وقد كان هذا هو عمله على الأرض ولا يزال منذ سقوط الإنسان. وسيكون هو عمله بمعنى خاص عندما نقترب أكثر إلى نهاية تاريخ العالم. فإذ يرى انّه لم يبقَ له غير وقت قصير فهو سيعمل بغيرة أعظم في الإغراء والإهلاك. إنّه يغضب حين يرى على الأرض

شعبا، حتى في ضعفهم وحالتهم الخاطئة يكرمون شريعة الرب. وقد عقد العزم على أن يجعلهم يعصون الله. وهو يسرّ لعدم استحقاقهم وقد أعد مكايد لكل نفس حتى يؤخذ الجميع في الأشراك وينفصلوا عن الله. إنّه يحاول أن يتهم الله ويدينه مع كل من يحاولون أن يتمموا مقاصده في هذا العالم بالرحمة والمحبة والرأفة والغفران.

إنّ كل إعلان لقدرة الله لأجل شعبه يثير عداء الشيطان ففي كل وقت يعمل الله لصالحهم ، فالشيطان وملائكته يعملون بنشاط متجدد ليحققوا هلاكهم. إنّه يغار من كل من يجعلون المسيح قوتهم . وغرضه هو التحريض على عمل الشرّ ، ومتى نجح فهو يلقي كل اللوم على المجربين. يشير إلى ثيابهم القذرة وأخلاقهم الناقصة. يعرض بضعفهم وجهلهم وخطايا جحودهم وعدم تشبههم بالمسيح التي جلبت العار على فاديهم. إنّه يلح بكل هذا كحجة تبرهن على أنّ له الحق في عمل مشيئته لهلاكهم. وهو يحاول أن يرعب نفوسهم بفكرة كون قضيتهم ميئوسا منها وأنّ لطخة نجاستهم لا يمكن محوها. وهكذا يحاول أن يدمر إيمانهم حتى يخضعوا لتجاربه خضوعا كاملا ويرتدوا عن ولائهم لله.

ولا يستطيع شعب الرب من ذواتهم أن يجيبوا على اتهامات الشيطان. فإذ ينظرون إلى نفوسهم يوشكون على اليأس. ولكنهم يلجأون إلى الشفيع الإلهي. ويتوسلون باستحقاقات الفادي. فالله يمكن أن يكون «بارا ويبرر كل من هو من الإيمان بيسوع» (رومية ٣ : ٢٦) فيصرخ أولاد الرب إليه بثقة ليسكتوا اتهامات الشيطان ويخيّبوا مكايده. فيصلون: «أنصفني من خصمي». وبحجة الصليب القوية يبكم المسيح ذلك المشتكي الجسور.

«قال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان. لينتهرك الرب الذي اختار أورشليم. أفليس هذا شعلة منتشلة من النار» ؟ وعندما يحاول أن يلف شعب

الله بالسواد ويهلكهم يتدخّل المسيح. فمع انهم اخطأوا فالمسيح حمل جرم خطاياهم على نفسه. لقد انتشل جنسنا كشعلة من النار. إنه مرتبط بالإنسان بطبيعته البشرية ، في حين أنّه عن طريق طبيعته الإلهية هو واحد مع الإله السرمدي. وحينئذ يصير العون في متناول النفوس الهالكة. لقد انتُهر الخصم.

«وكان يهوشع لابسا ثيابا قذرة وواقفا قدام الملاك. فأجاب وكلم الواقفين قدامه قائلا انزعوا عنه الثياب القذرة. وقال له انظر. قد أذهبت عنك إثمك وألبسك ثيابا مزخرفة. فقلت ليضعوا على رأسه عمامة طاهرة . فوضعوا على رأسه العمامة الطاهرة وألبسوه ثيابا ». وحينئذ فبسلطان رب الجنود عاهد الملاك يهوشع النائب عن شعب الله قائلا : «إن سلكت في طرقي وإن حفظت شعائري فأنت أيضا تدين بيتي وتحافظ أيضا على دياري وأعطيك مسالك بين هؤلاء الواقفين» – أي بين الملائكة المحيطين بعرش الله (زكريا ٣ : ٣-٧).

فبالرغم من نقائص شعب الله لا يحوّل المسيح وجهه عمّن هم موضوع رعايته. إنّ له السلطان على أن يبدّل ثيابهم. فهو ينزع الملابس القذرة ويلبس التائبين المؤمنين ثوب برّه ويكتب في أسفار السماء كلمة الغفران أمام أسمائهم. وهو يعترف بهم أنّهم خاصته أمام مسكونة السماء. ويرى الشيطان خصمهم بأنه مشتك ومخادع. والله ينصف مختاريه.

إنّ الطلبة التي تقول: «أنصفني من خصمي» لا تنطبق على الشيطان وحده بل على أعوانه الذين يحرّضهم على تشويه سمعة شعب الله وتجريبهم وإهلاكهم. إنّ من قد عقدوا العزم على إطاعة وصايا الله يدركون بالاختبار أنّ لهم خصوما تسيطر عليهم قوة جهنمية. مثل هؤلاء الخصوم يحدقون بالمسيح عند كل خطوة، ولا يمكن لأي كائن بشري أن يعرف بأي مداومة

وإصرار يفعلون ذلك. وتلاميذ المسيح مثل سيدهم تتعقبهم التجارب باستمرار.

إنّ الكتاب المقدس يصف حالة العالم قبل مجيء المسيح الثاني مباشرة. فها هو يعقوب الرسول يصور الطمع والظلم اللذين سيتفشّيان ، فيقول : «هلم الآن أيها الأغنياء . . . قد كنزتم في الأيام الأخيرة. هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود. قد ترفهّتم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما في يوم الذبح. حكمتم على البار. قتلتموه. لا يقاومكم» (يعقوب ٥ : ١– ٦). هذه صورة لما هو موجود اليوم. فالناس يكوّمون ثروات طائلة مستعينين في ذلك بكل دروب الظلم والاغتصاب ، في حين أن صرخات الإنسانية الجائعة تصعد أمام الله.

«ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيدا. لأن الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول. وصار الصدق معدوما والحائد عن الشر يُسلب» (إشعياء ٥٩ : ١٤ و١٥). ولقد تمّ هذا في حياة المسيح على الأرض. لقد كان أمينا لوصايا الله، وطرح تقاليد الناس جانبا والمطالب التي كانت قد رُفعت فوق شريعة الله حتى احتلّت مكانها. فمن أجل هذا أبغضوه واضطهدوه. وهذا التاريخ يعيد نفسه. فشرائع الناس وتقاليدهم ممجدة فوق شريعة الله، والذين هم أمناء لوصايا الله يحتملون العار والاضطهاد. والمسيح بسبب أمانته لله أتُّهم بكسر السبت والتجديف. وقد أُشيع عنه بأنّ به شيطانا ونُبِذ كمن هو بعلزبول. وبمثل هذه الكيفية يتهم أتباعه وتشوّه سمعتهم. وهكذا يحاول الشيطان أن يجتذبهم إلى الخطية فيجلل اسم الله بالعار.

إنّ خُلق القاضي المذكور في المثل الذي كان لا يخاف الله ولا يهاب إنسانا قدمه المسيح ليرينا نوع الحكم الذي كان سائدا آنئذٍ ، وهو نفس ما كان مزمعا أن يُشاهَد عند محاكمته. وهو يريد أن يدرك شعبه في كل عصر انّه ينبغي لهم ألاّ يركنوا إلى الحكام أو القضاة الأرضيين في يوم البلية. وكثيرا ما يلتزم شعب الله الوقوف أمام رجال يشغلون مراكز رسمية ، ولكنهم لا يسترشدون بكلمة الله ولا يتخذونها دليلا لهم ولكنّهم يتبعون نزعاتهم غير المقدسة وغير المهذبة.

وفي مثل قاضي الظلم أبان المسيح ما ينبغي لنا أن نفعله: «أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا»؟ إنّ المسيح مثالنا لم يفعل شيئا ليزكّي نفسه أو يخلّصها. لقد وضع قضيته بين يدي الله. وكذلك ينبغي لتلاميذه ألا يشتكوا أو يدينوا أحدا أو أن يلجأوا إلى العنف لكي يخلّصوا أنفسهم.

وعندما تثور التجارب التي يبدو أنّه لا يمكن تفسيرها فينبغي ألا يضطرب سلامنا. فمهما يكن الظلم الذي نعامل به فلا يُثر غضبنا. فإننا إذ نضمر روح الانتقام نضرّ أنفسنا. ونحن ندمر ثقتنا بالله ونحزن الروح القدس. فيوجد إلى جانبنا شاهد ، رسول سماوي يرفع لأجلنا راية في وجه العدو. وهو سيحيطنا بأشعة شمس البر المشرقة. والشيطان لا يستطيع أن يتجاوز هذا الحدّ. إنّه لا يقدر أن يتعدى هذا الترس ، ترس النور المقدس.

وفي حين أنّ العالم يوغل في الشر فلا ينبغي أن نخدع أنفسنا قائلين أنه لن تواجهنا متاعب. إن نفس هذه المشقات وهذه المتاعب هي التي تدخلنا إلى حيث العلي. ويمكننا أن نطلب المشورة من ذاك الذي لا حد لحكمته.

يقـول الـرب: «ادعـني في يـوم الضيـق» (مزمـور ٥٠ : ١٥) . وهـو يدعونـا لأن نتقدم إليـه بمشكلاتنا واحتياجاتنـا وحاجتنـا إلى العـون الإلهـي. إنّـه يأمرنـا بـأن نواظـب علـى الصـلاة. فحالمـا تـبرز أمامنـا الصعوبـات علينـا أن نقـدّم لـه طلباتنا الخالصـة الجديـة. إذ بصلواتنـا اللجوجـة نـبرهن علـى ثقتنـا القويـة بـالله. إنّ الشعور بحاجتنـا يسوقنا إلى الصـلاة بلجاجـة وغـيرة. وأبونـا السـماوي يتـأثر بتضرعاتنـا.

كثـيرا مـا يحـدث أن الذيـن يُعـيّرون أو يُضطـهدون لأجـل إيمانـهم يجربـون لأن يظنوا بأن الله قد تركهم. إنّهم في نظر النـاس أقليّـة. وكـل الظواهـر تـدل علـى أن أعداءهـم سـينتصرون عليـهم. ولكـن ينبغـي لهـم ألاّ يخـالفوا ضمـائرهم. فذاك الذي قد تألم لأجلهم وحمل أحزانهم وأوجاعـهم لـن يتركـهم.

إنّ أولاد الله غـير مـتروكين أو بـدون حمايـة. الصـلاة تحـرك ذراع الله القـادر علـى كـل شـيء. فـهم بـالصلاة «قـهروا ممـالك صنعـوا بـرّا نـالوا مواعيـد سـدوا أفـواه أسـود اطفـأوا قـوة النـار» – وسـنعرف مـاذا يعنـى هـذا عندمـا نسـمع أخبـار الشـهداء الذيـن مـاتوا لأجـل إيمـانـهم – «هزمـوا جيـوش غربـاء» (عـبرانيين ١١ : ٣٣ و ٣٤).

وإذا سلمنا حياتنـا لخدمتـه فلـن نوضـع في مركـز لم يعـدّ لنـا الـرب فيـه كـلّ معونة وإمـداد. فأيّـا يكـن وضعنـا فـإنّ لنـا مرشـدا يـهدي خطواتنـا ، ومـهما تكـن مشـاكلنا فـإن لنـا مشـيرا أمينـا، ومـهما يكـن حزننـا أو حرماننـا أو وحشـتنا فـإنّ لنـا صديقـا عطـوفا. وإذ كنـا في جهلنـا نضـلّ فالمسـيح لا يتركنـا. إنّ صوتـه الصريح الواضـح يسـمع قـائلا : «أنـا هـو الطـريق والحـق والحيـاة» (يوحنـا ١٤ :٦). «لأنـه ينـجي الفقـير المسـتغيث و المسـكين إذ لا معـين لـه» (مزمـور ٧٢ : ١٢).

والرب يعلن أنّ الذين يقتربون منه ويخدمونه بأمانة يُكرمون. «ذو الرأي الممكن تحفظه سالما سالما لأنه عليك متوكل» (إشعياء ٢٦ : ٣). إنّ ذراع القدرة ممدودة لتقودنا إلى الأمام باستمرار. يقول الرب: تقدموا، فسأرسل لكم العون. فلأجل مجد اسمي تسألون فتأخذون. وسأتمجد أمام من يتوقعون فشلكم. وسيرون كلمتي تنتصر بمجد عظيم: «كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه» (متى ٢١ : ٢٢).

فليصرخ إلى الله المتضايقون أو المظلومون. تحولوا عن الذين قلوبهم قُدّت من فولاذ ولتُعلم طلباتُكم لدى خالقكم. لن يخيب أبدا من يأتي إليه بقلب منسحق. ولا يمكن أن تضيع أي صلاة مخلصة. ففي وسط تسبيحات أجواق السماويين يسمع الله صرخات أضعف إنسان. إنّنا نسكب أشواق قلوبنا في مخادعنا ، وننطق بالصلاة ونحن سائرون في طريقنا فتصل صلواتنا إلى عرش ملك الكون. قد لا تسمعها أذن بشرّية ولكنها لا يمكن أن تتلاشى في السكون ولا يمكن أن تضيع في غمرة نشاط الأعمال التي تُعمل. ولا يمكن لشيء أن يغرق في أشواق النفس. إنّها ترتفع فوق ضجيج الشارع وضوضائه وفوق شغب الجموع إلى ديار السماء. إننا نتحدث إلى الله وصلاتنا تُسمع.

أنتم يا من تحسون بأنكم أقل الناس استحقاقا لا تخافوا من أن تسلموا قضيتكم إلى الله. إنّه عندما بذل نفسه في شخص المسيح لأجل خطية العالم أخذ على عاتقه قضية كل نفس ، «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء» ؟ (رومية ٨ : ٣٢). أفلا يفي بكلمته الرحيمة التي أعطاها لنا لأجل تشجيعنا وتقويتنا ؟

إنّ المسيح لا يشتاق إلى شيء قدر اشتياقه لافتداء ميراثه من سلطان الشيطان. ولكن قبل ما نتحرر من قوة الشيطان الخارجية يجب أن نتحرر

من قوته في داخلنا. إنّ الرب يسمح بوقوع التجارب علينا لكي نتطهر من التعلّق بالأرضيات والأنانية والصفات الفظّة التي لا تمت إلى المسيح. إنه يسمح بمياه الضيقات العميقة بأن تطمو فوق نفوسنا لكي نعرفه ويسوع المسيح الذي أرسله حتى تنشأ في قلوبنا أشواق قلبية عميقة لنتطهر من نجاستنا ولكي نخرج من التجربة أطهر وأقدس وأسعد ممّا كنا. وفي كثير من الأحيان ندخل أتون التجربة ونفوسنا قد اظلمتها الأنانية، ولكن إذا كنا نصبر على التجربة الفاحصة فسنخرج وقد انعكست على قلوبنا الصفات الإلهية. ومتى تحقق قصده من التجربة فحينئذ «يخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة» (مزمور ٣٧ : ٦).

ليس هناك خطر من الله بأن يهمل صلوات شعبه. ولكن الخطر هو أنهم في التجارب والمحن يخورون ويخفقون في المواظبة على الصلاة.

لقد أبدى المخلص رحمة إلهية للمرأة الفينيقية السورية. فقد تأثر قلبه عندما رأى حزنها. واشتاق إلى أن يمنحها تأكيدا سريعا بأن طلبتها قد سمعت، إلا انه أراد أن يعلم تلاميذه درسا ، وقد بدأ لوقت قصير وكأنه قد أغضى على صرخات قلبها المعذب. وعندما اتضح إيمانها خاطبها بكلام المديح وأرسلها مزودة بالهبة الثمينة التي سألتها. ولم ينس التلاميذ هذا الدرس قط، وقد سجل شهادة في الكتاب للتدليل على نتيجة المداومة على الصلاة. المسيح نفسه هو الذي أوجد في قلب تلك الأم ذلك الإصرار الذي يأبى أن يرفض. والمسيح هو الذي أعطى تلك الأرملة المتوسلة شجاعة وتصميما أمام القاضي. والمسيح هو الذي منذ قرون مضت وفي الصراع الخفي عند مخاضة يبوق ألهم يعقوب بنفس الإيمان المثابر. هذا وإن الثقة التي هي من غرس يديه لم يخفق في مكافأتها.

إنّ ذاك الساكن في القدس السماوي يقضي بالعدل والبرّ. إنّ مسرته هي بالأكثر في أفراد شعبه الذين يكافحون ضد التجربة في عالم الخطية، أكثر من جيوش الملائكة المحيطين بعرشه.

كل مسكونة السماء تظهر أعظم اهتمام ببقعة العالم هذه لأنّ المسيح قد دفع ثمنا لا يُقدّر لجلّ نفوس سكانه. لقد ربط فادي العالم الأرض بالسماء برباط رسل السماء لأن مفديي الرب هنا. والكائنات السماوية لا تزال تزور الأرض كما في الأيام التي فيها كانوا يسيرون ويتحدثون مع ابراهيم وموسى. ففي وسط النشاط والعمل في مدننا الكبرى، وفي وسط الجموع الذين تزدحم بهم الشوارع العامة والذين يملأون أسواق التجارة، حيث يعمل الناس من الصباح إلى المساء كما لو أن العمل والألعاب والمسرات هي كل شيء في الحياة، حيث لا يوجد غير القليلين الذين يفكرون في الحقائق غير المنظورة – حتى هنا لم يزل لدى السماء رقباؤها وقديسوها. توجد خلائق غير منظورة تراقب أقوال بني الإنسان وأعمالهم كلها. وفي كل اجتماع لأجل العمل أو المسرّات وفي كل اجتماع للعبادة يوجد مستمعون أكثر ممن تراهم العيون البشرية. وأحيانا تزيح تلك الخلائق السماوية الستار الذي يخفي العالم غير المنظور حتى تنصرف أفكارنا عن سرعة الحياة واندفاعها لنتأمل في أنه يوجد شهود غير منظورين لكل ما نفعله أو نقوله.

إننا بحاجة إلى أن تفهم رسالة الزوار من الملائكة فهما أفضل. ويحسن بنا أن نراعي الفكرة أنه في كل عملنا نجد تعاونا ورعاية من الخلائق السماوية. إن جيوشا غير منظورة من النور والقوة تلازم الودعاء والمتواضعين الذين يؤمنون بمواعيد الله ويطالبون بها. إنّ الكاروبيم والسرافيم والملائكة المقتدرين قوة – ربوات وألوف ألوف –

يقفون عن يمين الله. «أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة لاجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عبرانيين ١:١٤).

هؤلاء الرسل من الملائكة يحتفظون بسجل أمين لاقوال بني الإنسان وأفعالهم. فكل عمل من أعمال القسوة أو الظلم موجه إلى شعب الله وكل ما يضطرون لأن يقاسوه بسبب قوة فاعلي الشرّ مسجل في السماء.

«أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم. أقول لكم إنّه ينصفهم سريعا».

«فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة. لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد. لأنّه بعد قليل جدا سيأتي الآتي ولا يبطيء» (عبرانيين ١٠:٣٥ – ٣٧). «هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين متأنيا عليه حتى ينال المطر المبكر والمتأخر. فتأنوا أنتم وثبتوا قلوبكم لأنّ مجيء الرب قد اقترب» (يعقوب ٥:٧ و ٨).

إنّ طول أناة الله عجيبة. العدل ينتظر طويلا في حين تتوسل الرحمة إلى الخاطيء: «العدل والحق قاعدة كرسيه» (مزمور ٩٧:٢): «الرب بطيء الغضب وعظيم القدرة ولكنه لا يبريء البتة. الرب في الزوبعة وفي العاصف طريقه والسحاب غبار رجليه» (ناحوم ١:٣).

لقد أمسى العالم جريئا في عصيان شريعة الله. فبسبب صبره الطويل داس الناس على سلطانه. لقد شدد بعضهم أيدي بعض في الظلم والقسوة على ميراثه قائلين: «كيف يعلم الله وهل عند العلي معرفة» ؟ (مزمور ٧٣:١١). ولكن هنالك حدا لا يستطيعون أن يتعدوه، وقريب هو الوقت الذي فيه يكونون قد وصلوا إلى الحد المعين. بل حتى الآن كادوا يتجاوزون حدود طول أناة الله وحدود نعمته وحدود رحمته. وسيتدخل الرب ليزكّي كرامته ولينقذ شعبه وليقمع ثورة الآثم وهيجانه.

في عهد نوح كان الناس قد أهملوا شريعة الله، حتى كادت كل ذكرى للخالق تتلاشى من الأرض. وقد بلغ إثمهم حدا هكذا شنيعا بحيث جلب الرب طوفانا من المياه على الأرض واكتسح سكانها الأشرار.

ومن جيل إلى جيل أعلن الرب طريقة عمله. فعندما كانت تحل أزمة كان يعلن نفسه ويتدخل ليعرقل إتمام خطط الشيطان. فمع الأمم والعائلات والعشائر والأفراد كثيرا ما سمح بان تتأزم الحالة حتى يكون تدخله ملحوظا. وحينئذ أعلن أنّه يوجد إله في إسرائيل يحفظ شريعته ويزكّي شعبه.

وفي هذا الوقت الذي فيه طغى الإثم يمكننا أن نعلم أنّ الأزمة الأخيرة العظيمة هي على الأبواب. وعندما يكاد تحدّي شريعة الله يكون شاملا وعندما يُضطهد شعب الله ويتضايقون على أيدي بني جنسهم فالرب سيتدخل حتما.

قريب هو الوقت الذي فيه يقول الله: «هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك. اختبيء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب. لأنّه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم فتكشف الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها في ما بعد» (إشعياء ٢٦:٢٠ و ٢١). يمكن أن الناس الذين يدّعون انهم مسيحيون يغدرون الآن بالمساكين ويضطهدونهم، ويمكنهم أن يسلبوا الأرملة واليتيم وأن يضمروا في نفوسهم الكراهية الشيطانية لأنهم لا يستطيعون التحكم في ضمائر شعب الله. ولكن لأجل كل هذا سيحضرهم الله إلى الدينونة. وسيكون «الحكم ... بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة» (يعقوب ٢:١٣). وبعد قليل سيقفون أمام ديّان كل الأرض ليعطوا حسابا عن الألم الذي سببوه لأجسام ميراثه ونفوسهم. يمكنهم الآن أن يمعنوا في اتهاماتهم الكاذبة، ويمكنهم أن يسخروا بمن قد أقامهم الله ليعملوا عمله ويمكنهم أن يودعوا في السجن جماعة المؤمنين به، وأن

يوثقوهم بالسلاسل للأعمال الشاقة أو أن ينفوهم أو يقتلوهم، ولكنّهم لابد سيعطون حسابا عن كل وخزة من وخزات الألم وكل دمعة سُكبت. فالله سيجازيهم ضعفا عن كل خطاياهم. إنّ الله يقول لرسل دينونته عن بابل التي ترمز إلى الكنيسة المرتدة: «لأنّ خطاياها لحقت السماء وتذكر الله آثامها. جازوها كما هي أيضا جازتكم وضاعفوا لها ضعفا نظير أعمالها. في الكأس التي مزجت فيها امزجوا لها ضعفا» (رؤيا ١٨:٥ و ٦).

إنّ صرخة الشقاء الإنساني تصعد إلى الله من الهند وأفريقيا والصين ومن جزائر البحر ومن ملايين المدوسين بالأقدام ممن يعيشون في البلدان التي تدعى مسيحية. وتلك الصرخة لن تظلّ طويلا بدون إجابة. فالله سيطهر الأرض من فسادها الأدبي، لا بطوفان من الماء كما في عهد نوح بل بطوفان من النار التي لا يمكن لأي اختراع بشري أن يطفئها.

«ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت يُنجَّى شعبك كل من يوجد مكتوبا في السفر» (دانيال ١٢:١).

إنّ المسيح سيجمع أولاده إلى نفسه من الغرف العلوية ومن المخابيء ومن السجون المظلمة ومن فوق المشانق ومن الجبال والبراري ومن مغاير الأرض وكهوف البحر. لقد كانوا على الأرض معوزين ومتضايقين ومعذبين. ملايين منهم نزلوا إلى الهاوية مجللين بالعار لأنّهم رفضوا الخضوع لمطاليب الشيطان الخادعة.لقد حكمت محاكم الأرض على أولاد الله على أنّهم أحط المجرمين. ولكن سيأتي قريبا اليوم الذي يكون فيه «الله هو الديان» (مزمور ٥٠:٦)، وحينئذ ستنعكس قرارات الأرض «ينزع عار شعبه» (إشعياء ٢٥:٨). وستُعطى لكلّ منهم ثياب بيض (رؤيا ٦:١١). «ويسمونهم شعبا مقدسا مفدّيي الرب» (إشعياء ٦٢:١٢).

مهما تكن الصلبان التي دُعي أولاد الله ليحملوها، ومهما تكن الخسائر التي حاقت بهم ومهما يكن الاضطهاد الذي قاسوه حتى إلى خسارة حياتهم الأرضية فقد نالوا تعويضا كافيا «وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم» (رؤيا ٢٢:٤).

١٥ «هـذا يقبَل خُطـاة»

عندمـا اجتمـع العشـارون والخطـاة حـول المسـيح تذمـر معلمـو اليـهود قائلـين: «هذا يقبَل خُطـاة ويأكـل معـهم» (لوقـا ١٥:١ و ٢).

بـهذه التهمـة لمَّحـوا إلى أن المسيح يحـب الاختـلاط بالخطـاة والمنحطـين وهـو لا يحـسّ بشرّهم. لقـد خـابت آمـال الأحبـار في يسـوع. لمـاذا حـدث ذاك الـذي يدَّعـي لنفسـه صفـات سـامية جـدًا، لم يختلـط بـهم هـم ويتبـع أسـاليبهم في التعليم ؟ ولماذا يتجـول هكـذا بكـل بسـاطة خادمـا بـين كـل الطبقـات ؟ ثـم قالوا: لـو كـان هـذا نبيـا حقيقيـا لكـان ينسـجم معـهم ويعـامل العشـارين والخطـاة بما يستحقونه مـن عـدم اكـتراث. لقـد أغضـب حـراس المجتمـع هـؤلاء أنّ هـذا الـذي كـانوا يشـتبكون معـه في مناقشـات لا تنقطـع، والـذي مـع ذلـك أخافتـهم ودانتـهم طـهارة حياتـه يلتقـي في عطـف ظـاهر مـع أولئـك المنبوذيـن مـن المجتمـع. إنّـهم لم يستحسـنوا أسـاليبه. لقـد اعتـبروا أنفسـهم متعلمـين ومتفوقـين في الأمـور الدينيـة، ولكـن مثـال المسـيح فضـح أنانيتـهم.

وقـد أغضبـهم أيضـا أنّ الذيـن لم يكونـوا يُظـهرون للأحبـار غـير الازدراء والذيـن لم يُـروا قـط في المجـامع، يتقـاطرون ويجتمعـون حـول يسـوع ويصغـون إلى أقـواله بكـل انتبـاه. إنّ الكتبـة والفريسـيين لم يحسّـوا بغـير الإدانـة في تلـك الحضـرة الطـاهرة، فكيـف حـدث إذا أن العشـارين والخطـاة ينجذبـون إلى يسـوع؟

ولم يـدروا أن تفسـير هـذا كـائنٌ في نفـس الكـلام الـذي نطقـوا بـه واتـهموه في ازدراء «هـذا يقبـل خطـاة». فـالنفوس الـتي أتـت إلى يسـوع أحسـت وهـي في محضـره بأنّـه يوجـد طريـق للنجـاة مـن حضـرة الخطيـة حتـى لهـم هـم أنفسـهم. لقـد كـان الفريسـيون يحتقرونـهم ويدينونـهم، أمـا المسـيح فحيـاهم

مرحّبا بهم كأولاد الله الذين وإن كانوا في الواقع متباعدين عن بيت الآب فإن قلب الآب لم ينسهم. إنّ نفس شقائهم وخطيتهم جعلتهم بالأكثر موضوع حنانه ورحمته. وبقدر ما ابتعدوا عنه - بقدر ذلك زاد حنينه إليهم وعظمت تضحيته لإنقاذهم.

كلّ هذا كان يمكن لمعلمي إسرائيل أن يتعلموه من الأسفار المقدسة التي كانوا يفخرون بأنهم حُفَّاظها وشارحوها. ألم يكتب - داود الذي قد سقط في خطية مميتة قائلا: «ضللت كشاة ضالة، اطلب عبدك»؟ (مزمور ١١٩:١٧٦). أولم يعلن ميخا محبة الله للخاطيء قائلا: «من هو إله مثلك غافر الآثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يسرّ بالرأفة» ؟ (ميخا ٧:١٨).

الخروف الضال

ولم يذكِّر المسيح سامعيه في ذلك الوقت بأقوال الكتاب. ولكنه لجأ إلى شهادة اختبارهم. فإنّ السهول الفسيحة الممتدة شرقيّ الأردن كانت فيها مراع للقطعان، وفي الممرات وعلى الجبال التي اكتست بالغابات شرد الكثير من الخراف الضالة، واستلزمت عناية الراعي التفتيش عنها وإعادتها. كان يوجد بين الرجال الملتفين حول يسوع رعاة، وكذلك رجال كانت لديهم أموال استثمروها في القطعان والمواشي، وقد أمكن لجميعهم أن يقِّدروا ويفهموا المثل الذي أورده حين قال: «أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لاجل الضال حتى يجده»؟ (لوقا ١٥:٤).

قال لهم يسوع: هذه النفوس التي تحتقرونها هي ملك الله. فهي له بحق الخلق والفداء وهي غالية القيمة في عينيه. فكما يحب الراعي خرافه ولا

يستطيع أن يستريح لو ضاع واحد منها فقط، كذلك الله يحب كل شريد إنما بدرجة أسمى بكثير. قد ينكر الناس حق محبته. وقد يبتعدون عنه وقد يختارون لأنفسهم سيدا آخر، ومع ذلك فهم خاصة الله وهو يتوق لاسترداد خاصته. إنّه يقول: «كما يفتقد الراعي قطيعه يوم يكون في وسط غنمه المشتتة هكذا أفتقد غنمي وأخلصها من جميع الأماكن التي تشتّتَتْ إليها في يوم الغيم والضباب» (حزقيال ٣٤:١٢).

وفي المثل نجد أن الراعي يخرج ليفتش عن خروف واحد - أقل ما يمكن أن يُحصى. وهكذا إذا لم يكن غير نفس واحدة هالكة، لكان المسيح يموت لأجل تلك النفس.

إنّ الشاة التي ضلت بعيدا عن الحظيرة هي أعجز كل الخلائق. فينبغي أن يفتش عنها الراعي بنفسه لأنها لا تستطيع أن تجد طريقها للعودة. وهكذا الحال مع النفس التي قد ابتعدت عن الله، فذلك الإنسان عاجز كالخروف الضال، ولو لم تأت محبة الله لإنقاذه لما أمكنه أن يجد طريق الرجوع إلى الله.

الراعي الذي يكتشف أنّ خروفا واحدا ناقصٌ لا ينظر في غير مبالاة إلى القطيع الذي آوى بأمان إلى الحظيرة قائلا: «عندي تسعة وتسعون، والبحث عن الخروف الضال يكلفني عناءً أكثر من اللازم. فليرجع وأنا أفتح له باب الحظيرة وأدخله». كلا، فما أن ضلّ الخروف حتى تمتلىء نفس الراعي حزنا وجزعا. فيعدّ القطيع مرارا وتكرارا. وعندما يتأكد أن خروفا قد ضاع فهو لا ينام. بل يترك التسعة والتسعين في الحظيرة ويذهب مفتشا عن الخروف الضال. فكلما اشتد ظلام الليل والعواصف، وزادت خطورة الطريق ازداد جزع الراعي، وجِّد في بحثه. فهو يبذل كل جهده ليجد ذلك الخروف الواحد الضال.

فبأي ارتياح يسمع أول صرخاته الواهنة من بُعد. فإذ يتتبع الصوت يتسلق المرتفعات السريعة الانحدار ويذهب إلى حافة الهوة مخاطرا بحياته. وهكذا يبحث في حين تنبئه الصرخة التي صارت أضعف مما كانت بأن خروفه موشك على الموت. أخيرا يُكافأ مسعاه فقد وُجد الضال. وحينئذ لا ينتهره لأنّه سبّب له كل ذلك العناء، ولا يسوقه بالسوط ولا حتى يحاول أن يقوده إلى البيت. بل إنّه لفرط سروره يضع ذلك المخلوق المرتجف على منكبيه، وإذا كان مسحوقا أو مجروحا يضمه بين ذراعيه ويحتضنه حتى تعيدُ حرارة قلبهِ الحياة إليه. فبقلب مفعم بالشكر، لأنّ بحثه لم يذهب عبثا، يحمله عائدا به إلى الحظيرة.

شكرا لله لأنّه لم يعرض أمام أذهاننا صورة راع حزين عائد بدون الخروف. فالمثل لا يتحدّث عن الفشل بل عن النجاح والفرح باسترداده. هنا الضمان الإلهي بأنّه ولا شاة واحدة ضالة بعيدا عن حظيرة الله تُغفل أو تُترك بدون نجدة. فكل من يخضع ليُفتدي سيخلّصه المسيح من جب الفساد ومن أشواك الخطية.

فيا أيتها النفس اليائسة تشجّعي حتى ولو كنت قد فعلت شرّاً. لا تظن أنّ الله ربما يغفر معاصيك ويسمح لك بالمثول في حضرته. لقد تقدم الله إليك أولاً. فحين كنت في حالة العصيان عليه خرج يفتش عنك. فبقلب الراعي الحنَّان الرقيق ترك التسعة والتسعين وخرج إلى البرية ليجد ما قد هلك. فالنفس المُرضّضة الجريحة والموشكة على الهلاك يحيطها بذراعي محبته ويحملها فرحا إلى حظيرة الأمان.

كان اليهود يعلّمون الشعب قائلين إنّه قبلما تمتد محبة الله إلى الخاطيء عليه أوّلا أن يتوب. ففي رأيهم أنّ التوبة عمل بواسطته يحرز الناس رضى السماء. وهذا هو الفكر الذي جعل الفريسيين يصيحون في

دهشة وغضب قائلين: «هذا يقبل خطاة». فبناء على أفكارهم لم يكن يحق له أن يسمح بالاقتراب منه إلاّ لمن قد تاب. ولكن المسيح يعلمنا في مثل الخروف الضال أنّ الخلاص لا يأتينا عن طريق تفتيشنا عن الله بل عن طريق تفتيش الله عنا: «ليس من يفهم ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا» (رومية ٣:١١ و ١٢). فنحن لا نتوب لكي يحبنا الله، ولكنه يعلن لنا محبته لكي نتوب.

وعندما يعاد الخروف الضال إلى الحظيرة أخيرا فإنّ شكر الراعي يجد له تعبيرا في أغاني الفرح. فهو يدعو الأصدقاء والجيران قائلا لهم: «افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال» (عدد ٦). وهكذا عندما يجد راعي الخراف العظيم إنسانا ضالا فالسماء والأرض تشتركان في الشكر والفرح.

«هكذا يكون فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة» (عدد ٧). قال المسيح: إنكم أيها الفريسيون تحسبون أنفسكم محبوبين لدى السماء. وتظنون أنفسكم في أمان إذ تتحصّنون في برّكم. إذا فاعلموا أنكم إذا كنتم في غير حاجة إلى توبة فرسالتي ليست لكم. فهذه النفوس المسكينة التي تحسّ بفقرها وشرّها هي ذات النفوس التي قد أتيت لأخلّصها. فملائكة السماء مهتمون بهؤلاء الناس الهالكين الذين تزدرونهم. إنكم تشتكون وتسخرون عندما ينضم إليّ واحد من هؤلاء الناس. ولكن اعلموا أن الملائكة يفرحون وأنشودة النصرة يرنّ صداها في كل أرجاء السماء.

كان عند أحبار إسرائيل مثل يقول إنّه يكون فرح في السماء عندما يهلك إنسان أخطأ إلى الله، ولكن يسوع علمنا أنّ عمل الهلاك غريب بالنسبة إلى الله. فالذي تفرح به كل السماء هو إعادة صورة الله إلى النفوس التي قد خلقها.

وعندما يحاول إنسان ضلّ ضلالا بعيدا في الخطية أن يرجع إلى الله فهو يُقابَل بالانتقاد والشك. فهناك من يشكون فيما إذا كانت توبته صادقة، أو يهمسون قائلين: «إنّه لا ثبات عنده فأنا لا أصدق أنه سيصمد». هؤلاء الناس لا يعملون عمل الله بل عمل الشيطان المشتكي على الاخوة. فبواسطة انتقاداتهم يؤمل الشرير أن يثبّط تلك النفس ويسوقها بعيدا عن الرجاء وعن الله. فليفكر الخاطيء التائب في الفرح الذي يكون في السماء برجوع الضال. فليستريح في محبة الله ولا يضعف قلبه في أي حالة بسبب سخرية الفريسيين وشكوكهم.

لقد فهم الأحبار إن مثل المسيح ينطبق على العشارين والخطاة، ولكن كان له أيضا معنى أوسع. فالمسيح لا يرمز بالخروف الضال إلى الفرد الخاطيء وحده بل أيضا إلى العالم الذي ارتدّ وأهلكته الخطية. فهذا العالم إن هو الاّ ذرّة واحدة في عوالم واسعة يحكم عليها الله، ومع ذلك فهذا العالم الصغير الساقط - الخروف الواحد الضال - هو أغلى في نظره من التسعة والتسعين التي لم تضل عن الحظيرة. إنّ المسيح الرئيس الحبيب في المواطن السماوية تنازل عن مركزه العظيم السامي وألقى عنه المجد الذي كان له عند الآب لكي يخلص العالم الواحد الهالك. ولأجل هذا ترك العوالم المعصومة في الأعالي، التسعة والتسعين الذين أحبوه وجاء إلى هذه الأرض ليُجرح «لأجل معاصينا» ويُسحق «لأجل آثامنا» (إشعياء ٥٣:٥). فالله بذل نفسه في شخص ابنه لكي يكون له فرح إرجاع الخروف الضال.

«انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله» (١ يوحنا ٣:١). والمسيح يقول: «كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم» (يوحنا ١٧:١٨). حتى «أكمل نقائص شدائد المسيح ... لأجل جسده الذي هو الكنيسة» (كولوسي ١:٢٤). إنّ كل نفس خلصها المسيح مدعوة لتعمل باسمه

لأجل خلاص الهالكين. هذا العمل كان قد أُهمِل بين العبرانيين. أو ليسَ هو مهملا اليوم ممن يعترفون بأنّهم تلاميذ المسيح ؟

كم من الضالّين طلبتهم أيها القاريء وأرجعتهم إلى الحظيرة ؟ فعندما تغضي عمّن يبدو أنه لا رجاء فيهم ولا جاذبية فهل تدرك أنّك تهمل النفوس التي يبحث المسيح عنها؟ ففي نفس الوقت الذي فيه تتحول عنهم قد يكونون في أشدّ الحاجة إلى عطفك وشفقتك. في كل اجتماع يعقد للعبادة توجد نفوس تتوق إلى الراحة والسلام. قد يبدو أنهم عائشون حياة عدم الاكتراث ولكنهم ليسوا عديمي الشعور بقوة الروح القدس. فكثيرون منهم يمكن ربحهم للمسيح.

إذا كان الخروف الضال لا يُعاد إلى الحظيرة فسيظل هائما على وجهه حتى يهلك. وهنالك كثيرون ينحدرون إلى الهلاك لعدم وجود يد تمتد إليهم لتخليصهم. هؤلاء المخطئون قد يبدو أنهم قساة وطائشون، ولكن لو أنهم قد تمتعوا بنفس الامتيازات التي كانت للآخرين لكانوا قد برهنوا على نبل نفوسهم وكانت لهم مواهب أكثر نفعا من الآخرين. إنّ الملائكة يعطفون على هؤلاء الضالين. بل إنّ الملائكة يبكون في حين أن عيون الناس جافة من الدموع وقلوبهم مغلقة فلا يتسرب إليها العطف.

آه ما أحوجنا إلى عطف عميق يؤثر في النفس على المجربين والمخطئين! وما أحوجنا إلى المزيد من روح المسيح وإلى القليل من الأنانية !.

لقد فهم الفريسيون مثل المسيح على أنّه توبيخ لهم. فبدلا من أن يقبل انتقادهم لعمله وبخهم على إهمالهم للعشارين والخطاة. وهو لم يفعل هذا جهارا لئلا يغلقوا قلوبهم دونه، ولكن مثله وضع أمامهم نفس العمل الذي طلبه الله منهم والذي لم يعملوه. فلو كانوا رعاة أمناء فان هؤلاء الذين

كـانوا رؤسـاء في شـعب الله قديمـا كـان يمكنـهم أن يقومـوا بعمـل الراعـي، وكـانوا قـد اظـهروا رحمـة المسيح ومحبتـه وكـانوا انضمّـوا إليـه في أداء رسـالته - ولكـن رفضـهم عمـل هـذا بـرهن علـى أنّ ادعـاءهم التقـوى إدعـاءٌ كـاذب. وقد رفض كثيرون توبيخ المسيح ومع ذلك فإن كلامه بكّـت بعضا منـهم. فبعـد صعـود المسـيح إلى السـماء حـل الـروح القـدس علـى هـؤلاء فـانضموا إلى تلاميذه في القيام بنفس العمـل المجمـل في مثـل الخـروف الضـال.

الدرهـم المفقـود

إنّ المسـيح بعدمـا أورد مثـل الخـروف الضـال قـدم مثـلا آخـر قـائلا: «أيـة امـرأة لهـا عشـرة دراهـم إن أضـاعت درهمـا واحـدا ألا توقـد سـراجا وتكنـس البيت وتفتش باجتـهاد حتـى تجـده» ؟ (لوقـا ١٥: ٨).

كـانت بيـوت الفقـراء في بـلاد الشـرق تتكـون مـن غرفـة واحـدة غالبـا بـلا نوافـذ ولذلـك فـهي مظلمـة. ولم تكـن الغرفـة تكنـس إلاّ في القليـل النـادر، ولـو سـقط درهـم علـى الأرض فسرعان مـا كـانت تغطّيـه الأتربـة والقمامـة. وحتـى يمكـن العثـور عليـه كـان يجـب أن يوقـد سـراج في النـهار وأن يكنـس البيـت جيّـداً.

وكـان مـهر الزوجـة عنـد الـزواج يتكـون في العـادة مـن دراهـم، وكـانت تحفظها بكلّ حرص إذ هي ثروتـها الثمينـة لديـها لينتقـل منـها إلى بناتـها. وكـان ضيـاع درهـم مـن هـذه الدراهـم يعتـبر كارثـة خطيرة وكـان العثـور عليـه سـبب فرح عظيم سرعان ما كانت تشترك فيه جاراتها من النسـاء.

قـال المسـيح: «وإذا وجدتـه تدعـو الصديقـات والجـارات قائلـة افرحـن معـي لأنـي وجدت الدرهـم الـذي أضعته. هكـذا أقـول لكـم يكـون فـرح قـدام ملائكـة الله بخـاطيء واحـد يتـوب» (لوقـا ١٥: ٩ و ١٠).

هذا المثل كسابقه يتحدث عن ضياع شيء يمكن العثور عليه بالتفتيش الصحيح فيسبب ذلك فرحا عظيما. إلا آن المثلين يصوران لنا فريقين مختلفين. فالخروف الضال يعرف أنه ضال. فقد ترك الراعي والقطيع ولا يستطيع أن يرجع بنفسه. وهو يرمز إلى الذين يدركون انّهم قد انفصلوا عن الله، وتكتنفهم سحابة من الارتباك وهم أذلاّء مجربون بتجارب قاسية. أما الدرهم المفقود فيرمز إلى من هم هالكون بالذنوب والخطايا، ولكن لا يوجد عندهم إحساس بحالتهم. إنّهم متباعدون عن الله ولكنهم لا يعرفون ذلك. فأرواحهم في خطر ولكنّهم لا يحسون بذلك ولا يهتمون. وفي هذا المثل يعلمنا المسيح انه حتى الناس العديمو الاكتراث لمطاليب الله هم موضوع محبته وعطفه. فينبغي التفتيش عنهم لكي يرجعوا إلى الله ثانية.

لقد ضلّ الخروف وتاه بعيدا عن الحظيرة. ضل في البرية أو على الجبال. أما الدرهم فقد ضاع في البيت. كان قريبا من متناول اليد ولكن لم يمكن استرجاعه إلاّ بعد البحث باجتهاد.

في هذا المثل درس للعائلات. ففي البيت يتفشى الإهمال في الغالب من نحو نفوس أفراد العائلة. فقد يكون بين أولئك الأفراد واحد مبتعد عن الله، ولكن قلُما يجزع أحد أن تضيع، في خضمّ العلاقات العائلية، واحدةُ من عطايا الله المُسلّمة لهم.

إنّ الدرهم، مع أنّه في وسط أكوام التراب والقمامة، لا يزال درهما من فضة كما كان. وصاحبته تفتش عنه لأنّ له قيمته. وهكذا كل نفس مهما تكن منحطّةً بالخطية معتبرةُ ثمينةً في نظر الله. وكما أنّ على الدرهم صورة الملك واسمه، فكذلك الإنسان عند خلقه كان يحمل صورة الله واسمه. ومع أنّ الصورة والاسم قد فسدا الآن وشُوِّها وطُمسا بتأثير الخطية، فإنّ آثار تلك

الصلاة وتلك الكتابة لا تزال باقية في كل نفس. والله يتوق إلى أن يرد تلك النفس وينقش عليها من جديد صورته في البرّ والقداسة.

إن المرأة المذكورة في المثل تفتش باجتهاد لاجل درهمها الضائع. فهي توقد السراج وتكنس البيت. وهي تزيح من طريقها كل ما من شأنه أن يعرقلها عن البحث. ومع أن الضائع هو درهم واحد فقط فهي لا تكفّ عن بذل جهودها حتى تجد ذلك الدرهم. وهكذا في الأسرة إن ضلّ أحد أعضائها عن الله فينبغي استخدام كل وسيلة في إرجاعه. أمّا من ناحية الآخرين فليجتهد كل واحد في فحص نفسه بكل حرص. كما يجب فحص أعمال الحياة. فانظر لئلا يكون هناك خطأ ما، خطأ في الإدارة بسببه تصرّ تلك النفس على البقاء في قساوة القلب.

وإذا كان في العائلة ولد غير شاعر بحالته، حالة الخطية فينبغي ألاّ يستريح الوالدان. ليوقد السراج. فتشوا كلمة الله وعلى نورها لِيُفحص كل ما في البيت باجتهاد لتروا لماذا ضلّ هذا الولد. ليفحص الوالدون قلوبهم ويمتحنوا عاداتهم وأعمالهم. إنّ الأولاد هم ميراث الرب ونحن سنحاسب أمامه عن تصرفنا إزاء هذا الميراث.

يوجد آباء وأمهات يتوقون للخدمة في حقل مرسلي أجنبي، ويوجد كثيرون نشيطون في العمل المسيحي خارج البيت في حين أن أولادهم غرباء عن المخلص ومحبته. إنّ كثيرين من الوالدين يكلون عمل ربح أولادهم للمسيح إلى الخادم أو معلم مدرسة السبت، ولكنّهم بذلك يهملون المسؤولية المسندة إليهم من الله. إنّ تعليم الأولاد وتربيتهم ليكونوا مسيحيين هو أسمى خدمة يمكن أن يقدمها الوالدون لله. وهو عمل يتطلب الخدمة في صبر ومجهود ناشط مثابر يدوم مدى الحياة. فإذ نهمل هذه

الوديعة نبرهن على عدم أمانتنا كوكلاء. ولا يُقبل عذر عن هذا الإهمال أمام الله.

ولكن ينبغي ألاّ ييأس الذين ارتكبوا هذا الإهمال. إنّ المرأة التي أضاعت درهمها فتشت عنه حتى وجدته. فكذلك يجب على الوالدين أن يخدموا عائلاتهم بمحبة وإيمان وصلاة، حتى يمكنهم أن يأتوا إلى الله بفرح قائلين: «هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (إشعياء ٨:١٨).

هذا هو العمل الكرازي الحقيقي وفيه عون لمن يقومون به كما لمن يُعمل لأجلهم. فباهتمامنا الأمين بمحيط البيت إنّما نحن نؤهل ذواتنا لخدمة أعضاء أسرة الرب الذين إذا كنا نظل على ولائنا للمسيح سنعيش معهم مدى أجيال الأبد. فعلينا أن نظهره بعضنا لبعض كأفراد في عائلة واحدة.

والله يقصد أن يؤهلنا هذا كله لنخدم آخرين أيضا. فإذ تتسع عواطفنا وتزيد محبتنا فسنجد لنا عملا نقوم به في كل مكان. إنّ أسرة الله البشرية الكبيرة تشمل العالم وينبغي إلاّ نهمل فردا واحدا من أفرادها.

وأينما نكون يوجد هناك الدرهم المفقود ينتظر بحثنا عنه. فهل نحن دائبون على التفتيش عنه؟ إننّا من يوم إلى يوم نتقابل مع من لا يهتمون بالأمور الدينية، ونحن نتحدث معهم ونقوم بزيارات بينهم فهل نبدي اهتماما بخيرهم الروحي ؟ وهل نقدّم لهم المسيح كالمخلص الذي يغفر الخطايا ؟ فإذ تكون قلوبنا ملتهبة بمحبة المسيح هل نخبرهم عن تلك المحبة ؟ فإذا لم نفعل ذلك فكيف نواجه هذه النفوس التي هلكت هلاكا أبديا - عندما نقف معهم أمام عرش الله ؟

مَن ذا يستطيع أن يقدّر قيمة النفس ؟ فإذا أردتم أن تعرفوا قيمتها فاذهبوا إلى جثسيماني واسهروا هناك مع المسيح مدى تلك الساعات،

ساعات الحزن والألم عندما كان عرقه ينزل كقطرات من الدم. وانظروا إلى المخلص مرفوعا على الصليب. واسمعوا صرخة اليأس التي فاه بها قائلا: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مرقس ١٥:٣٤). انظروا إلى رأسه الجريح الدامي وجنبه المطعون وقدميه الممزقتين. واذكروا أنّ المسيح خاطر بكل شيء. فلأجل فدائنا تعرضت السماء نفسها للخطر. وعند قاعدة الصليب إذ تذكرون أن المسيح كان يمكن أن يبذل نفسه لأجل خاطيء واحد يمكنكم أن تقدّروا قيمة نفس واحدة.

وإذا كنتم في شركة مع المسيح فستضعون تقديره على كل إنسان. وستحسّون نحو الآخرين بنفس الحب العميق الذي أحسّ به المسيح نحوكم. وحينئذ ستكونون قادرين على أن تربحوا الذين مات المسيح لأجلهم لا أن تطردوهم وأن تجتذبوهم لا أن تنفّروهم. ما كان يمكن أن إنسانا يرجع إلى الله لو لم يبذل المسيح جهدا شخصيا لأجله، وبهذا العمل الفردي يمكننا أن نخلص النفوس. فعندما ترون المنحدرين إلى الموت فإنكم لن تركنوا إلى الراحة وعدم المبالاة. فبقدر ما عظمت خطيتهم وزاد شقاؤهم تزداد جهودكم غيرة ورقّة في سبيل إرجاعهم. وستكشفون حاجة المتألمين والذين ظلوا طويلا يخطئون إلى الله والذين يضايقهم ثقل آثامهم. وستمتليء قلوبكم عطفا عليهم وستمدّون إليهم يد العون. وستأتون بهم إلى المسيح على أذرع إيمانكم ومحبتكم. وستسهرون عليهم وتشجعونهم وسيجعل عطفكم وثقتكم من الصعب عليهم أن يسقطوا من ثباتهم.

إنّ كل ملائكة السماء مستعدون للتعاون في هذه الخدمة. فكل مصادر السماء هي تحت تصرّف من يجتهدون في تخليص الهالكين. والملائكة سيساعدونكم في الوصول إلى أقل الناس اكتراثا وأقساهم قلوبا. وعندما

يرجـع أحدهـم إلى الله فكـل السـماء سـتفرح، والسـرافيم والكـاروبيم سـيعزفون على قيثاراتـهم الذهبيـة ويـترنمون بترنيمـات الحمـد لله وللحمـل لأجـل رحمتـه ورأفته نحـو بـني الإنسـان.

١٦ «كَانَ ضَالاً فوُجِد»

إنّ مثل الخروف الضال والدرهم المفقود والابن الضال ترسم أمامنا في سطور واضحة محبة الله الرحيمة لمن هم ضالون بعيدا عنه. فمع أنهم قد ابتعدوا عن الله فانه لا يتركهم في شقائهم. إنّه مفعم القلب بالإشفاق والعطف الرقيق لكل من هم معرضون لتجارب العدو الماكر.

وفي مثل الإبن الضال تُعرض أمامَنا معاملة الرب مع من قد عرفوا محبة الأب من قبل، ومع ذلك فقد سمحوا للمجرب بان يقودهم أسرى لإرادته.

«إنسان كان له ابنان. فقال أصغرهما لأبيه يا أبي أعطني القسم الذي يصيبني من المال. فقسم لهما معيشته. وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شيء وسافر إلى كورة بعيدة» (لوقا ١٥: ١١ - ١٣).

لقد ضجر هذا الإبن الأصغر من القيود التي كانت مفروضة في بيت أبيه، وظن أن حريته مقيدة، وأساء تفسير محبة أبيه ورعايته له فعقد العزم على أن يتبع أمياله وأهواءه.

إنّ ذلك الشاب لا يعترف بأي التزام له تجاه أبيه، ولا ينطق بكلمة شكر، ومع ذلك فهو يطالب بامتياز الإبن في اقتسام ميراث أبيه. إنّه يرغب في أن يحصل الآن على نصيبه من الميراث الذي يكون له الحق فيه عند موت أبيه. إنّه منصرف إلى التمتع بالبركات الحاضرة ولا يكترث للمستقبل.

فبعدما يحصل على ميراثه يسافر «إلى كورة بعيدة» بعيدا عن بيت أبيه. وإذ لديه المال الوفير والحرية ليفعل ما يشاء يتملق نفسه قائلا إنّه قد وصل إلى ما يصبو إليه قلبه. ولا يوجد من يقول له: لا تفعل هذا ففيه ضرر يلحقك،

أو افعـل هـذا فـهو الصـواب. ثـم إنّ رفـاق السـوء يسـاعدونه علـى الانغمــاس في عمـق أعمـاق الخطيـة فيبـذر «ماله بعيـش مسـرف».

إن الكتـاب يخبرنـا عــن قــوم «بينــما هــم يزعمــون أنــهم حكــماء صــاروا جـهلاء» (رومية ١:٢٢). وهـذا هـو تـاريخ الشـاب المذكـور في المثـل. فـالثروة الـتي، في أنانيتـه، طلبـها مـن أبيـه يبذرهــا علــى الزوانــي. وكــنز شـبابه يضيــع هبـاء. وســنو الحيــاة الثمينــة وقــوّة الذكــاء ورؤى الشــباب المشــرقة والأشــواق الروحيـة – كل هـذه احـترقت بنـيران الشـهوة.

ثـم إذ يحـدث جـوع شـديد يبتـديء هـو يحتـاج فيلتصـق بواحـد مـن أهـل الكـورة يرسـله إلى حقولـه لـيرعى خنـازير. وقـد كـان هـذا العمـل أحقـر أنــواع الأعمال وأشـدها انحطاطـا في نظـر أي يـهودي. فـهذا الشـاب الـذي كـان يفخـر بحريتـه يجـد نفسـه الآن عبـدا. وهـو في أردأ حـالات العبوديـة – «بحبـال خطيتـه يمسـك» (أمثـال ٥:٢٢). والـبريق والزخرفـة اللـذان قـد غـررا بـه تلاشـيا وهـا هـو الآن يحـسّ بثقـل قيــوده. وإذ يجلــس علــى الأرض في تلــك البــلاد الموحشــة الـتي قد ضربتها المجاعة ولا عشراء لـه غير الخنـازير كـان يشـتهي أن يمـلأ بطنـه مـن الخرنـوب الـذي كـانت الخنازير تأكلـه. أمّـا رفاقـه المرحـون الذيـن اجتمعـوا حوله في أيـام اليسر والذيـن كـانوا يـأكلون ويشـربون علـى نفقتـه فلـم يبـق منـهم أحـد يصادقـه. أيـن الآن فرحُـه وعربدتـه ؟ فـإذ اسـكت ضمـيره وخـدر مشـاعره ظـن نفسـه سـعيدا، أمـا الآن وقـد انفـق مالـه وصـار فريسـة للجـوع فقـد أُذِلـت كبرياؤه، وتضاءلت طبيعته الأدبية وضعفت إرادتـه بحيـث لم يعُـدْ يثـق بـها. وقـد بـدا أنّ مشاعره الحساسة قد ماتت فـهو أتعـس إنسـان.

ما أعظم هـذه مـن صـورة لحالـة الخـاطيء فمع انّـه محـاط ببركـات محبـة الله لا يوجـد شـيء يتـوق إليـه الخــاطيء المنصـبّ علــى تمتعاتــه الذاتيــة ومسـراته الخاطئـة قــدر الانفصــال عــن الله. فـهكذا الابــن الجــاحد يدّعــي أن

خيرات الله هي من حقه. وهو يأخذها كأمر طبيعي ولا يقدم شكرا عليها ولا يقدم خدمة محبة. فكما خرج قايين من حضرة الرب ليطلب بيته، وكما ضلّ الابن الضال تائها في «الكورة البعيدة» هكذا يطلب الخطاة السعادة في نسيان الله (رومية ١:٢٨).

مهما يكن المظهر فكل حياة مركّزة في الذات هي حياة مبعثرة. وكل من يعيش بعيدا عن الله يبذر جوهره. إنّه يبذر سني الحياة الغالية، يبذر قوى عقله وقلبه ونفسه، ويعمل على جلب الإفلاس الأبدي لنفسه. والإنسان الذي ينفصل عن الله ليخدم ذاته هو عبد للمال. فالكائن العاقل الذي خلقه الله ليكون عشيرا للملائكة صار منحطّا لخدمة ما هو أرضي ووحشي. هذه هي النهاية التي تنتهي إليها خدمة الذات.

فإذا كنت قد اخترت مثل هذه الحياة فأنت تعلم أنك إنّما تزنُ فضةً لغير خبز وتتعب لغير شبع. وستأتي عليك ساعات فيها تُدرك انحطاطَك. فإذ تكون وحيدا في الكورة البعيدة تحس بشقائك فتصرخ قائلا في يأس: «ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت»؟ (رومية ٧:٢٤). هذا شرح لحق عام متضمن في أقوال النبي الذي قال: «ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه. ويكون مثل العرعر في البادية ولا يرى إذا جاء الخير بل يسكن الحّرة في البرية أرضا سبخة وغير مسكونة» (ارميا ١٧:٥ و ٦). إنّ الله: «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» (متى ٥:٤٥). ولكن الناس لهم القوة على أن يحبسوا أنفسهم بعيدا عن ضوء الشمس والمطر. وهكذا فيما يشرق «شمس البر» وتهطل سيول النعمة على الجميع بسخاء فقد نكون عاملين على فصل أنفسنا عن الله ونسكن «الحّرة في البرية».

إنّ محبة الله لا تزال تحنّ إلى من قد اختار الانفصال عنه، وهو يشغّل العوامل الكفيلة بإرجاعه إلى بيت الآب. إنّ الابن الضال وهو في شقائه «رجع إلى نفسه». لقد تلاشت قوى الخداع التي سلطها عليه الشيطان - فرأى أنّ جهالته هي التي سببت له آلامه. فقال: «كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعا. أقوم وأذهب إلى أبي» (لوقا ١٥:١٧ و ١٨). إنّ ذلك الابن الضال وهو في شقائه وجد رجاء في اقتناعه بمحبة أبيه. فتلك المحبة هي التي اجتذبته إلى البيت. وهكذا نجد أن يقين محبة الله هو الذي يحصر الخاطيء للرجوع إلى الله: «لطف الله إنّما يقتادك إلى التوبة» (رومية ٢:٤). إنّ سلسلة ذهبية هي رحمة المحبة الإلهية وحنانها تحيط بكل نفس معرضة للخطر. والرب يعلن قائلا: «محبة أبدية أحببتكِ من اجل ذلك أدمت لكِ الرحمة» (ارميا ٣١:٣).

وها هو الابن يعقد العزم على الاعتراف بجرمه. فسيذهب إلى أبيه قائلا له: «أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقا بعد أن أُدعى لك ابنا». لكنه يضيف قائلا: «اجعلني كأحد أجراك». مظهرا بذلك إدراكه الضيّق لمحبة أبيه.

وها هو الشاب يترك قطعان الخنازير والخرنوب ويتجه إلى البيت. وإذ هو مرتجف من الضعف وخائر القوى بسبب الجوع يتقدم في طريقه بحنين وشوق. إنّه لا يجد شيئا يستر به أسماله ولكن شقاءه انتصر على كبريائه فأسرع ليسأل أن تعطى له منزلة أجير في البيت الذي كان فيه ابنا.

إنّ ذلك الشاب المستهتر الطائش قلما كان يحلم وهو خارج من بيت أبيه بالآلام والحنين التي خلّفها في قلب ذلك الأب. وعندما كان يرقص ويرتع في الولائم مع رفاقه المتهورين قلّما كان يفكر في الكآبة التي أُطبقت على بيته. والآن في طريق العودة وهو يجرّ رجليه في خطوات متثاقلة كليلة

لم يكـن يعـرف أنّ شـخصا ينتظـر رجوعـه. ولكـن إذ كـان لم يـزل «بعيـدا» عرفـه أبوه، إنّ المحبة سـريعة وحـادة البصـر. فحتـى انحطـاط سـنيّ الخطيـة لا يمكـن أن يخفـي الابـن عـن عيـني أبيـه بحيـث لا يعرفـه. «تحنـن وركـض ووقـع علـى عنقه» في عناق طويـل رقيـق.

إنّ الأب لا يسـمح لأي عـين مزدريـة بـأن تسـخر مـن ابنـه وهـو في بؤسـه وثيابـه الباليـة. لذلـك فـهو يخلـع وشـاحه الفضفـاض الغـالي الثمـن عـن كتفيـه ويلـف بـه جسـم ابنـه المُضنـى، وإذا بـالابن يعلـن توبتـه وندامتـه وهـو ينتحـب قائلا: «يا أبـي أخطـأت إلى السـماء وقدامـك ولسـت مسـتحقا بعـد أن أدعـى لـك ابنـا». فيضمـه الأب إلى حضنـه ويـأتي بـه إلى البيـت، ولا يعطيـه فرصـة فيـها يطلـب مكـان أجـير. إنّـه ابـن وسـيُكرم بـأفضل مـا يمكـن للبيـت أن يقدمـه، وسيكرمه ويخدمه الرجـال والنسـاء الواقفـون في انتظـار أوامـره.

قـال الأب لعبيـده «أخرجـوا الحلـة الأولى وألبسـوه واجعلـوا خاتمـا في يـده وحـذاء في رجليـه. وقدمـوا العجـل المسـمن واذبحـوه فنـأكل ونفـرح. لأن ابـني هـذا كـان ميتـا فعـاش وكـان ضـالا فوجـد. فـابتدأوا يفرحـون» (لوقـا ١٥:٢٢ - ٢٤).

إنّ الابـن الضـال في سـني شـبابه، سـنيّ التـبرم والضجـر كـان ينظـر إلى أبيـه كمـن هـو شـديد وصـارم. أمّـا الآن فكـم تبـدّل فكـره عنـه وهكـذا الذيـن يخدعـهم الشـيطان ينظـرون إلى الله كمـن هـو قـاس لا يعـرف الرحمـة. إنّـهم ينظـرون إليـه كمـن يراقـب ليشـتكي ويديـن، وكمـن يرفـض قبـول الخـاطيء طالما يوجد عـذر شرعي يمنـع تقديـم العـون لـه. وهـم يعتـبرون شـريعة الله علـى أنّـها تقييـد لسـعادة النـاس ونـير ثقيـل يسـعدهم التـهرّب منـه. أمـا الـذي فتحـت محبـة المسـيح بصيرتـه فإنّـه يـرى الله كمـن هـو ممتلـيء رحمـة. فـهو لا يبـدو ككـائن طاغيـة لا يعرف الرحمـة، بـل كـأب يتـوق لاحتضـان ابنـه التـائب. وحينئـذ

يهتف الخاطيء قائلا مع المرنم: «كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه» (مزمور ١٠٣:١٣).

ولا يوجد في المثل أي لوم أو تعيير موجّه لذلك الضال بسبب مسلكه الأثيم. فالابن يحس بأنّ الماضي قد نُسي وغُفِر ومُحي إلى الأبد. وهكذا يقول الله للخاطيء: «قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك» (إشعياء ٤٤:٢٢). «أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد» (ارميا ٣١:٣٤). «ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران» (إشعياء ٥٥:٧). «في تلك الأيام وفي ذلك الزمان يقول الرب يُطلب إثم إسرائيل فلا يكون وخطية يهوذا فلا توجد» (ارميا ٥٠:٢٠).

أي يقين هذا الذي فيه يبدي الله استعداده لقبول الخاطيء التائب ! فهل اخترت أيها القاريء طريقا لنفسك ؟ وهل ضللت بعيدا عن الله ؟ وهل حاولت أن تمتع نفسك بثمار العصيان وإنما اكتشفت أنّها قد استحالت إلى رماد على شفتيك ؟ والآن وقد أنفقت مالك وخابت خطط حياتك وماتت آمالك فهل تجلس وحدك مستوحشا ؟ الآن ها هو الصوت الذي طالما تحدث إلى قلبك ولكنك رفضت الإصغاء إليه، ها هو يأتيك بكل وضوح وجلاء قائلا: «قوموا واذهبوا لأنه ليست هذه هي الراحة. من اجل نجاسة تهلك والهلاك شديد» (ميخا ٢:١٠). فارجع إلى بيت أبيك. فهو يدعوك قائلا: «ارجع إلَّي لأني فديتك» (إشعياء ٤٤:٢٢).

لا تصغ إلى اقتراح الشيطان عليك بالبقاء بعيدا عن المسيح حتى تصلح نفسك، حتى تكون صالحا بالكفاية لتأتي إلى الله. فإن أنت انتظرت حتى يتم ذلك فإنك لن تأتي أبدا. وعندما يشير الشيطان إلى ثيابك القذرة كرر قول يسوع: «من يقبل إلَّي لا أخرجه خارجا» (يوحنا ٦:٣٧). وقل لذلك

العدو إنّ دم يسوع المسيح يطـهَر مـن كـل خطيـة. واجعـل صـلاة داود صلاتـك: «طـهرني بالزوفا فأطهر. أغسلني فـأبيض أكـثر مـن الثلـج» (مزمـور ٥١:٧).

قـم واذهـب إلى أبيـك. أنـه سيلاقيك مـن بعيـد. فـإذا أنـت خطـوت نحــوه ولــو خطــوة واحــدة بالتوبـة فــهو سيســرع ليحتضنــك بــين ذراعــي محبتــه اللامحــدودة. إنّ أذنــه مفتوحـــة لســماع صرخـــة النفــس المنســحقة. وأول اشـتياقات القلـب إلى الله معلومـة لديـه. إنـه لم تقـدم صـلاة وإن تكــن متلعثمــة، ولم تسـكب دمعـة وإن تكـن في الخفـاء، ولم تحتضــن النفـس أي شــوق إلى الله مـهما يكــن واهنــا إلاّ ويخــرج روح الله ليلاقيــه. وحتــى قبلمـا ينطـق الإنســان بالصلاة وقبلما يُعرف الشوق إلى الله فإنّ نعمـة تخـرج مـن قبـل المسيح لتلاقـي النعمـة العاملة في نفـس الإنسـان.

إنّ أباك السـماوي سـينزع عنـك الثيـاب الـتي قـد لوثتـها الخطيـة. ففـي نبـوة زكريا التشبيهية الجميلة إذ يقف يهوشع الكـاهن العظيـم وهـو لابـس ثيابـا قـذرة أمام مـلاكِ الـرب فـهو يرمـز إلى الخـاطيء. ثـم يتكلـم الـرب قـائلا: «انزعـوا عنـه الثياب القذرة. وقال لـه انظر. قد أُذهب عنـك أثمَـك وألبسُـكَ ثيابـا مزخرفـة ... فوضعـوا علـى رأســه العمامــة الطـاهرة وألبسـوه ثيابـا» (زكريـا ٣:٤ و ٥). هكــذا يُلبســك الله «ثيــاب الخـــلاص» ويكســوك «رداء الـــبر» (إشــعياء ٦١:١٠). «إذا اضجعتـم بـين الحظـائر فأجنحـة حمامـة مغشـاة بفضـة وريشــها بصفـرة الذهــب» (مزمـــور ٦٨:١٣).

أنــه ســيدخلك إلى بيــت الوليمــة وعلمــه فوقـــك محبـــة (نشــيد ٢:٤). «إن سـلكت في طرقـي وإن حفظـت شـعائري» هكــذا هــو يعلــن «أعطيــك مســالك بين هـؤلاء الواقفـين» - أي بـين الملائكـة المحيطـين بعرشـه (زكريـا ٣:٧).

«كفـرح العريـس بـالعروس يفـرح بـــك إلهــك» (إشــعياء ٦٢:٥). «يخلـــص. يبتهج بكِ فرحا. يسـكت في محبتـه. يبتـهج بـك بـترنم» (صفنيـا ٣:١٧). والسـماء

والأرض ستشتركان في أغنية فرح الآب: «لان ابني هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد».

إلى هنا لا توجد نغمة نشاز في مثل المخلص لتوجد تنافرا في توافق مشهد الفرح. أمّا الآن فها المسيح يقدم عنصرا جديدا. عندما رجع الابن الضال إلى البيت كان الأخ الأكبر «في الحقل. فلما جاء وقرُب من البيت سمع صوت آلات طرب ورقصا». فدعا واحدا من الغلمان وسأله ما عسى أن يكون هذا. فقال له. أخوك جاء فذبح أبوك العجل المسمن لأنه قبله سالما. فغضب ولم يُرد أن يدخل» (لوقا ١٥:٢٥ - ٢٨). هذا الأخ الأكبر لم يكن يشارك أباه في جزعه وفي انتظاره للذي كان ضالاّ. ولذلك فهو لا يشارك الأب في فرحه برجوع الشارد. أصوات الفرح لا تثير في نفسه أي فرح أو سرور. وهو يسأل أحد الغلمان عن سبب الفرح فيثير الجواب حسدَه. إنّه لن يدخل ليرحب بأخيه الضال. إنّه يعتبر الكرامة المقدمة للضال إهانة لشخصه هو.

وعندما يخرج الأب ليعاتبه تنكشف كبرياؤه وخبث طويته. فهو يتحدث عن حياته في بيت أبيه على أنّها سلسلة من الخدمات التي لم يكافأ عليه، وحينئذ يجعل مفارقة وضيعة بين هذا وبين الإكرام المقدم للابن العائد لتوّه. وهو يجعل الأمر واضحا أنّ خدمته كانت خدمة عبد لا خدمة إبن. وعندما كان يجب أن يجد فرحا دائما في حضرة أبيه كان عقله منصبا في الربح الذي كان سيحصل عليه من حياة الحرص والاقتصاد. وكلامه يبرهن على أنّه لأجل هذا السبب تنازل عن ملذات الخطية. فإن كان هذا الأخ سيقتسم هبات أبيه فالابن الأكبر سيعتبر أنّه قد ظُلم. وهو يحقد على أخيه بسبب الإكرام المقدم له. وهو يبرهن بكل وضوح على أنّه لو كان في مكان

أبيه لما قبل الابن الضال. بل إنّه لا يعتبره أخا، ولكنّه بكل فتورٍ يتكلّم عنه قائلا: «ابنك».

ومع ذلك فالأب يعامله بكل رقة فيقول: «يا بني أنت معي في كل حين وكل مالي فهو لك». مدى هذه السنين التي كان أخوك فيها شريدا ألم يكن لك امتياز معاشرتي ؟

لقد قدم الأب لابنيه مجانا وبسخاء كل ما من شأنه أن يكفل لهما السعادة. ولا حاجة بالابن لأن يسأل عن هبة أو جزاء «كل مالي فهو لك». عليك فقط أن تؤمن بمحبتي وتأخذ الهبة المقدمة لك مجانا.

إنّ أحد الابنين قد انفصل عن البيت إلى حين إذ لم يكن يدرك محبة الأب. وها هو قد عاد الآن فاكتسح تيار الفرح كل فكر مزعج «لأنّ أخاك هذا كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد».

فهل أمكن للابن الأكبر أن يرى روحه الخسيسة الجاحدة ؟ وهل رأى أنه مع كون أخيه قد عمل شرّا فإنه لا يزال أخاه ؟ وهل تاب الأخ الأكبر عن حسده وقساوة قلبه ؟ إنّ المسيح لم يقل شيئا عن هذا. لأنّ المثل كان لا يزال يمثل وكان على السامعين أن يقرّروا النتيجة بأنفسهم.

إنّ الابن الأكبر يرمز إلى اليهود غير التائبين في عهد المسيح والفريسيين في كل عصر الذين ينظرون بازدراء إلى من يعتبرونهم كالعشارين والخطاة. فلأنّهم هم أنفسهم لم يوغلوا بعيدا في طريق الرذيلة فقلوبهم مفعمة بالبرّ الذاتي. وقد التقى المسيح بهؤلاء المماحكين في ميدانهم. فكالابن الأكبر المذكور في المثل كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة من الله. فقد ادّعوا أنّهم أبناءَ في بيت الله ولكنّ روحهم كانت روح الأُجَراء. كانوا يخدمون ليس بدافع المحبة بل على أمل الجزاء. وكان الله في نظرهم سيّدا صارما. وقد رأوا المسيح يدعو العشارين والخطاة لقبول هبة نعمته مجانا - الهبة التي

كان أولئك الأحبار يرجون الحصول عليها عن طريق الكدح والأعمال التكفيرية - وقد استاءوا واغتاظوا. فإنّ رجوع الابن الضال الذي ملأ قلب الأب فرحا أثار الحسدَ في نفوسهم.

ونجد في المثل أنّ عتاب الأب للابن الأكبر كان هو نداء السماء الرقيق إلى الفريسيين: «كل ما لي فهو لك» لا على أنه أجرة بل على أنه هبة. فيمكنكم قبولها كالابن الضال فقط على أنها هبة محبة الآب التي لا تستحقونها.

إنّ البرّ الذاتي فضلا عن كونه يقود الناس لان يسيئوا تصوير الله فإنّه يجعلهم فاتري المحبة ومنتقدين لإخوتهم. إنّ الابنَ الأكبرَ في أنانيته وحسده وقف متأهبا لمراقبة أخيه وانتقاد كل عمل من أعماله واتّهامه بأقل تقصير. أراد أن يكتشف كل غلطة ويهوّل كل خطأ. وهكذا أراد أن يبرر روح الحقد والضغينة الذي فيه. وكثيرون اليوم يفعلون نفس هذا الشيء. ففي حين أن النفس تبذل أول جهودها لصد تيار التجارب فإنهم يقفون في صلابتهم وعنادهم يشتكون ويتهمون. قد يدّعون أنهم أولاد الله ولكنهم يتصرفون مدفوعين بروح الشيطان. إنّ هؤلاء المشتكين، بموقفهم الذي يقفونه من اخوتهم، يضعون أنفسهم في وضع لا يمكن لله فيه أن يشرق عليهم بنور وجهه.

إن كثيرين يتساءلون دائما قائلين: «بمَ أتقدم إلى الرب وأنحني للإله العلي؟ هل أتقدم بمحرقات بعجول أبناء سنة؟ هل يسر الرب بألوف الكباش بربوات انهار زيت ... قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلاّ أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعا مع إلهك» (ميخا ٦:٦ - ٨).

هذه هي الخدمة التي قد اختارها الله - «حل قيود الشرّ فكّ عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارا وقطع كل نير ... وأن لا تتغاضى عن لحمك» (إشعياء ٥٨:٦ و ٧). فعندما ترون أنفسكم كخطاة مخلصين فقط بمحبة أبيكم السماوي فستعطفون وتشفقون على من يتألمون بالخطية. ولن تعودوا تواجهون الشقاء والتوبة بالحسد واللوم. فعندما يذوب الثلج، ثلج الأنانية من قلوبكم فستشاركون الله في عطفه وفي فرحه بخلاص الهالكين.

نعم إنّك تقول انك ابن الله فإذا كنت صادقا في هذا الادعاء فإنّ «أخاك» هو الذي «كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد» إنّه مرتبط بك بأوثق الربط لأنّ الله يعتبره ابنا. فإن أنكرت صلة قرابتك له برهنت على أنك أجير في البيت ولست ابنا في أسرة الله.

ومع أنّك لا تشترك في الترحيب بالضال فالفرح سيستمر وسيكون للابن الراجع مكان إلى جوار الآب وفي عمل الآب. فالذي يُغفر له كثير يحبُّ كثيرا. أمّا أنت فستكون في الظلمة الخارجية، لأن «من لا يحب لا يعرف الله لأنّ الله محبة» (١ يوحنا ٤:٨).

⑰ «اتركْهَا هَذه السَّنة أيضاً»

إنّ المسيح في تعليمه ربط دعوة الرحمة بالإنذار بالدينونة. فلقد قال: «ابن الإنسان لم يأت ليهلك انفس الناس بل ليخلص» (لوقا ٩:٥٦). «لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يوحنا ٣:١٧). أن رسالة رحمته في علاقتها بعدل الله ودينونته نجدها مصورة في مثل التينة العقيمة.

كان المسيح ينذر الشعب بمجيء ملكوت الله وقد وبخهم توبيخا صارما على جهلهم وعدم اكتراثهم. فالعلامات التي كانت تُرى في السماء منبئة عن الطقس سرعان ما كانوا يقرأونها، أما علامات الأزمنة التي أشارت بكل وضوح إلى رسالته فلم يميزوها.

ولكن الناس كانوا مستعدين، آنئذ كما هي الحال مع الناس اليوم، لأن يظنوا أنهم محاسيب السماء وأنّ رسالة التوبيخ موجهة إلى أناس آخرين. لقد أخبر السامعون يسوع عن حادثة سببت كثيرا من الاهتياج منذ عهد قريب. ذلك أنّ بعض الإجراءات التي قام بها بيلاطس البنطي أغضبت الشعب. فقد حدث في أورشليم شغب عام وحاول بيلاطس أن يقمعه بالعنف. ففي مرّة دخل جنوده تخوم الهيكل وقتلوا بعض الحجاج القادمين من الجليل في نفس الوقت الذي كانوا فيه يذبحون ذبائحهم. كان اليهود يعتبرون الكوارث أحكاما من الله تقع على أصحابها بسبب الخطية. والذين أخبروا عن هذه القسوة فعلوا ذلك وهم راضون عن أنفسهم في أعماقهم. فقد كانوا يرون أن حظّهم الحسن يبرهن على أنهم أفضل بكثير من غيرهم ولذلك فهم أكرم لدى الله من هؤلاء الجليليين. وكانوا ينتظرون أن يسمعوا

من يسوع كلام الذم والإدانة لهؤلاء الناس الذين لم يكن لهم شكّ في أنّهم يستحقون هذا الجزاء الصارم.

ولم يجرؤ تلاميذ المسيح على التعبير عن آرائهم حتى يسمعوا رأي معلمهم. كان قد قدم لهم دروسا سديدة فيما يختص بالحكم على أخلاق الغير وقياس الجزاء بموجب حكمهم المحدود. ومع ذلك فقد كانوا ينتظرون أن المسيح سيحكم على هؤلاء الناس بأنهم خطاة أكثر من غيرهم. وما كان أعظم دهشتهم عندما سمعوا جوابه.

فإذ نظر المخلص إلى الجمع قال: «أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين لأنهم كابدوا مثل هذا. كلا أقول لكم بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون» (لوقا١٣: ٢ و ٣). لقد كان القصد من هذه الكوارث المفزعة أن يتضعوا بقلوبهم ويتوبوا عن خطاياهم. كانت عاصفة الانتقام تتجمع وكانت موشكة أن تنقضّ على كل من لم يحتموا في المسيح.

وإذ كان يسوع يحدث تلاميذه والجمع نظر إلى الأمام بعين النبوة ورأى أورشليم محاطة بجيوش وسمع وقع أقدام الأمم وهم يصطفون على المدينة المختارة ورأى ألوفا فوق ألوف يهلكون في الحصار. وكثيرون من اليهود ذُبحوا في رواق الهيكل كأولئك الجليليين، وهم يقدمون ذبائحهم. لقد كانت الكوارث التي حلت بالأفراد إنذارات من الله للأمة التي كانت مذنبة مثلهم. قال يسوع: «أن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون». إنّ يوم إمهالهم تأخّر قليلا. فقد كان باقيا لهم زمان ليعرفوا ما هو لسلامهم.

ثم استطرد يقول: «كانت لواحد شجرة تين مغروسة في كرمه. فأتى يطلب فيها ثمرا ولم يجد. فقال للكرام هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمرا في هذه التينة ولم أجد. أقطعها. لماذا تبطل الأرض أيضا»؟ (لوقا ١٣: ٦ و ٧).

إن سامعي المسيح لم يجهلوا تطبيق أقواله. لقد تغنى داود عن إسرائيل كالكرمة التي نُقلت من مصر. كما سبق إشعياء فكتب يقول: «إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذاته رجال يهوذا» (إشعياء ٥٠:٧). وأهل الجليل الذين جاءهم المسيح شُبهوا بشجرة التين في كرم الرب في داخل حدود رعايته وبركته الخاصة.

إنّ قصد الله نحو شعبه والإمكانيات المجيدة التي كانت أمامهم أوضحت في هذا القول الجميل: «فيُدعون أشجار البرّ غرس الرب للتمجيد» (إشعياء ٦١:٣). ويعقوب عند احتضاره قال مسوقاً بروح الإلهام عن ابنه الحبيب: «يوسف غصن شجرة مثمرة، غصن شجرة مثمرة على عين. أغصان قد ارتفعت فوق حائط» ثم قال: «إله أبيك ... يعينك ... القادر على كل شيء» يباركك ببركات «السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت» تكوين ٤٩:٢٢ و ٢٥). وهكذا غرس الله شعبه ككرمة طيبة بجانب ينابيع الحياة. لقد جعله على «أكمة خصبة» و «نقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق» (إشعياء ٥:١ و ٢).

«فانتظر أن يصنع عنبا فصنع عنبا رديئا» (إشعياء ٥:٢). إنّ الناس في أيام المسيح كان تظاهرهم بالتقوى أعظم من تظاهر اليهود في العصور السالفة ولكنهم كانوا أكثر من أولئك تجرّدا من فضائل روح الله الجميلة. فثمار الخلق الثمينة التي جعلت حياة يوسف عطرة وجميلة جدّا لم يكن لها وجود في الأمة اليهودية.

والله في شخص ابنه ظلّ يطلب ثمراً ولم يجد. لقد كان إسرائيل مبطّلا للأرض. لقد كان نفس وجوده لعنة لأنه شغل مكانا في الكرم كان يمكن أن تشغله شجرة مثمرة. لقد سلب من العالم البركات التي قصد الله أن يمنحها له. ولقد شوّه الإسرائيليون صورة الله وصفاته بين الأمم. إنّهم لم يكونوا

عديمي النفع وحسب ولكنّهم كانوا معطّلا صريحا. لقد كان دينهم مضللا بدرجة كبيرة وتسبب في الهلاك بدل الخلاص.

نجد في المثل أنّ الكرام لا يشك في الحكم بقطع الشجرة لو بقيت بلا ثمر ولكنه يعرف اهتمام صاحب الكرم بالشجرة العقيمة ويشاركه في ذلك الاهتمام. فليس ما يبهجه أكثر من أن يراها نامية ومثمرة. وهو يجيب على رغبة صاحب الكرم بقوله: «أتركها هذه السنة أيضا حتى أنقّب حولها وأضع زبلا، فإن صنعت ثمرا ...» (لوقا١٣: ٨ و ٩).

إنّ البستاني لا يرفض خدمة مثل هذه الشجرة التي لا رجاء فيها. إنّه يقف مستعدّا لأن يوليها عناية أعظم. وهو سيجعل بيئتها أكثر نفعا وسيسخو عليها بكل اهتمام.

إنّ صاحب الكرم والكرّام متحدان في اهتمامهما بشجرة التين. وكذلك كان الآب والإبن متّحدَين في حبهما للشعب المختار. كان المسيح يقول لسامعيه إنّ فرصا أكثر ستُعطى لهم. وكلّ وسيلة أمكن لمحبة الله أن تبتكرها ستعمل حتى يصيروا أشجار البرّ يثمرون ليباركوا العالم.

إنّ يسوع في هذا المثل لم يخبرهم عن نتيجة عمل الكرام. فعند هذا الحد قطع القصة. فقد كانت خاتمتها متوقفة على جموع الشعب الذين سمعوا أقواله. فقد قُدّم إليهم هذا الإنذار الخطير: «وإلاّ ففيما بعد تقطعها». كان يتوقف عليهم ما إذا كان الحكم الذي لا يُردّ سيقع عليهم. لقد كان يوم الغضب قريباً. وفي الكوارث التي وقعت على إسرائيل كان صاحب الكرم ينذرهم مقدّما رحمة منه بهلاك الشجرة العقيمة.

وإنّ نفس الإنذار يرنّ صداه عبر العصور حتى يصل إلينا في عصرنا هذا. فيا أيها القلب المهمل هل أنت شجرة عقيمة في كرم الرب؟ وهل ستسمع حكم الدينونة بعد قليل؟ وكم من الزمن ظللت تتمتع بعطاياه؟ وكم من

الزمن ظل هو يراقب وينتظر أن يجد تجاوبا مع محبته ؟ فإذ أنت مغروس في كرمه وتحت رعاية الكرّام الساهرة، أيّة امتيازات هذه التي لك ! وكم مرّةً هزّت رسالة الإنجيل الرقيقة قلبك ! لقد اتّخذت اسم المسيح وأنت، ظاهريّا، عضوٌ في الكنيسة التي هي جسده، ومع ذلك فأنت لا تحسّ باتصال حيّ بين قلبك وقلب المحبة الكبير. إنّ فيض حياته لا يجري فيك. وفضائل صفاته «ثمر الروح» لا يُرى في حياتك.

إنّ الشجرة العقيمة تتمتع بالمطر والشمس ورعاية الكرام. وهي تمتص الغذاء من التربة، ولكنّ أغصانها العقيمة تظلم الأرض بحيث أنّ النبتات المثمرة لا تستطيع أن تزدهر بسبب الظلال التي تلقيها عليها. وكذلك هبات الله التي يغدقها عليك لا تحمل بركة للعالم. أنت تسلب الآخرين الامتيازات التي لولاك لكانت تصير من نصيبهم.

إنّك تدرك وإن يكن بغير وضوح أنّك مُبطّل للأرض. ومع ذلك فالله في رحمته العظيمة لم يقطعك. إنّه لا ينظر إليك بفتور وهو لا ينصرف عنك في غير اكتراث ولا يتركك للهلاك. فإذ ينظر إليك يصرخ كما قد صرخ منذ عصور طويلة مضت عن إسرائيل قائلا: «كيف أجعلك يا أفرايم، أصيرّك يا إسرائيل ... لا أجري حموّ غضبي. لا أعود أخرّب أفرايم لأنّي الله لا إنسان» (هوشع ١١: ٨ و ٩). إن المخلص الرحيم يقول عنك: أتركها هذه السنة أيضا حتى أنقب حولها وأضع زبلا.

بأي محبة لا تكلّ خدم المسيح إسرائيل في أثناء فترة الإمهال التي أضيفت لهم. فإذ كان على الصليب صلى قائلا: «يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون» (لوقا ٢٣: ٢٤). وبعد صعوده كُرز بالإنجيل في أورشليم أولا وهناك انسكب الروح القدس. وهناك أعلنت كنيسة الإنجيل الأولى قوة المخلص المقام. وهناك استفانوس - إذ كان «وجهه كأنه وجه ملاك»

(أعمال ٦:١٥). قدم شهادته وبذل حياته.فكل ما أمكن للسماء نفسها أن تقدمه مُنح لهم. قال المسيح: «ماذا يصنع أيضا لكرمي وأنا لم أصنعه له»؟ (إشعياء ٥:٤). وهكذا رعايته لك وتعبه لأجلك لم ينقصا بل زادا. وهو لا يزال يقول: «أنا الرب حارسها أسقيها كل لحظة، لئلا يوقَع بها أحرسها ليلا ونهارا» (إشعياء ٢٧:٣).

«إن صنعت ثمرا وإلاّ ففيما بعد».

إنّ القلب الذي لا يستجيب للقوى الإلهية يتقسّى حتى لا يعود يحسّ بتأثير الروح القدس، وحينئذ ينطق بالحكم: «أقطعها. لماذا تبطل الأرض أيضاً»؟

واليوم هو يدعوك قائلا: «ارجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك ... أنا أشفي ارتدادهم أحبهم فضلا ... أكون لإسرائيل كالندى يزهر كالسوس ويضرب أصوله كلبنان ... يعود الساكنون في ظلّه يحيون حنطة ويزهرون كجفنة ... من قِبَلي يوجد ثمرُكِ» (هوشع ١٤:١ – ٨).

١٨ «أُخرُج إلى الطرق وَالسِيَاجَات»

كان المخلص ضيفاً على مائدة أحد الفريسيين. كان يلبّي دعوة الأغنياء كالفقراء سواء بسواء، وكما كانت عادته ربط المشهد الذي أمامه بتعاليم الحق. كان العيد المقدس بين اليهود مرتبطا بكل مواسم أفراحهم القومية والدينية، وقد كان بالنسبة إليهم رمزا لبركات الحياة الأبدية، فالعيد العظيم الذي كانوا سيجلسون فيه مع ابراهيم واسحق ويعقوب، حينما يقف الأمم خارجا وينظرون بعيون مشتاقة إليهم، كان موضوعا أحبّوه وسُروا بالحديث عنه. أمّا درس الإنذار والتعليم الذي رغب المسيح في أن يقدمه لأولئك المدعوين فقد قدمه لهم في صورة مَثَلٍ تحدث فيه عن عشاء عظيم. لقد ظن اليهود أن بركات الله للحياة الحاضرة والعتيدة هي وقفٌ عليهم وحدهم، فقد أنكروا رحمة الله للأمم، ولكنّ المسيح أبان لهم في هذا المثل أنهم هم أنفسهم كانوا في ذلك الحين يرفضون دعوة الرحمة، دعوة ملكوت الله. وقد أراهم أنّ الدعوة التي قد استهانوا بها كانت مزمعة أن توجَّه إلى من كانوا يحتقرونهم، الذين كانوا يُبعدون عنهم ثيابهم كما لو كانوا برصاً يجب تجنبهم.

إنّ الفريسي عند اختيار ضيوف وليمته راعى مصلحته الذاتية. قال له المسيح: «إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضا فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعت ضيافة فادعُ المساكين الجُدْع العرج العمي. فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك. لأنك تكافى في قيامة الأبرار» (لوقا ١٢:١٤ - ١٤).

وكان المسيح هنا يكرر التعليم الذي أعطاه للعبرانيين بواسطة موسى. ففي أعيادهم المقدسة أوصاهم قائلا : «فيأتي ... الغريب واليتيم والأرملة

الذيـن في أبوابـك ويـأكلون ويشـبعون» (تثنيـة ١٤:٢٩). هـذه المحـافل كـان يجب أن تكون دروسـاً للعـبرانيين. فـإذ كـانوا قـد تعلمـوا شيئا عـن فـرح الكـرّم والسخاء الحقيقـي، كـان عليـهم أن يرعـوا الحزانـى والفقـراء علـى مـدار السـنة. وقـد كـان لهـذه الأعيـاد درس أوسـع. فالبركـات الروحيـة المعطـاة للعـبرانيين لم تكـن وقفا عليهم وحدهـم. فلقد أعطاهم الله خبز الحيـاة لكـي يكسـروه للعـالم.

ولكنّـهم لم ينجـزوا هـذا العمـل. ولقـد كـان كـلام المسـيح توبيخـا لهـم علـى أنانيتـهم. ولم يكـن الفريسـيون يستسيغون أقـواله. فـإذ كـان واحـد منـهم يؤمّـل أن يحـوّل مجـرى الحديـث إلى ناحيـة أخـرى صـاح وهـو يتظـاهر بـالتقوى قـائلا: «طوبـى لمـن يـأكل خـبزا في ملكـوت الله». كـان هـذا الرجـل يتكلـم بيقين عظيم كما لـو كـان واثقـاً مـن أن لـه مكانـا في الملكـوت. إنّ موقفـه شـبيه بموقـف مـن يفرحـون لكونـهم قـد خلصـوا بالمسيح في حـين أنـهم لا يتمّمـون الشـروط الـتي بموجبـها قُـدّم الوعـد بـالخلاص. لقـد كـانت روحُـه كـروح بلعـام حين صلى قـائلا: «لتمـت نفسـي مـوت الأبـرار ولتكـن آخرتـي كآخرتـهم» (عـدد ١٠:٢٣). لم يكـن الفريسـي يفكـر في أهليتـه للسـماء بـل في مـا كـان يرجـو التمتـع بـه في السـماء. كـان يقصـد بملاحظتـه أن يحـوّل أفكـار الضيـوف الذيـن كـانوا في تلـك الوليمـة عـن موضـوع الواجـب العملـي. فكـر في أن يحمـل أفكارهم عبر الحياة الحـاضرة إلى الزمـن البعيـد زمـن قيامـة الأبـرار.

عرف المسيح مـا كـان يجـول في قلـب ذلـك الدعـيّ، فـإذ ثبّـت عليـه عينيـه كشـف لتلـك الجماعـة صفـة امتيازاتـهم الحـاضرة وقيمتـها. فأبـان لهـم أنّ عليـهم دورا يقومـون بـه في نفس ذلـك الحين حتـى يكـون لهـم نصيـب في الغبطـة المسـتقبلة.

قـال: «إنسـان صنـع عشـاء عظيمـاً ودعـا كثـيرين». وفي سـاعة العشـاء أرسـل المضيـف عبـده إلى الضيـوف المنتظـر حضورهـم برسـالة تقـول: «تعـالوا لأن كـل

شيء قد أُعد». ولكنهم أبدوا عدم اكتراث عجيبا: «فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون. قال له الأول إنّي اشتريت حقلا وأنا مضطر أن أخرج وأنظره. أسألك أن تعفيني. وقال آخر إنّي اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماض لأمتحنها. أسألك أن تعفيني. وقال آخر إنّي تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجيء» (لوقا ١٤: ١٨ - ٢٠).

ولكن ولا عذر من تلك الأعذار كان يستند إلى ضرورة حقيقية. فالرجل الذي قال: «أنا مضطر أن أخرج وأنظره» أي حقله كان قد اشتراه قبل ذلك. فسرعته في الخروج لرؤيته كانت تُعزى إلى أنّ اهتمامه كان منصرفاً إلى ما قد اشتراه. والبقر أيضا كان صاحبها قد اشتراها. فامتحانها كان فقط لإرضاء اهتمام شاريها. أما العذر الثالث فلم يكن فيه أيّ مظهر من مظاهر الوجاهة أكثر من سابقيه. فحقيقة كون ذلك الضيف المقصود قد تزوج بامرأة ما كانت لتمنعه من الذهاب إلى الوليمة. ولكن كانت له خططه الخاصة للتمتع، وقد بدا له أن هذه الأمور أعظم جاذبية من الوليمة التي قد وعد بالذهاب إليها. لقد تعلّم أن يجد مسرته في وسط جماعات أخرى غير جماعة صاحب الوليمة. ولم يسأل إعفاءه، ولا حتى تظاهر بمظهر اللياقة في رفضه. إنّ قوله: «لا أقدر» إنما كان ستارا يخفي خلفه هذا الحق: «لست أكترث للمجيء».

كل هذه الأعذار تكشف عن عقل كان مشغولا من قبل. فهؤلاء الضيوف المقصودون شغلت مصالحُهم الأخرى كل تفكيرهم. والدعوة التي قد تعهّدوا بقبولها ألقوا بها جانباً. وقد أُهين ذلك الصديق الكريم بعدم اكتراثهم.

إنّ المسيح يرمز بالعشاء العظيم إلى البركات المقدمة في الإنجيل. والمؤونة ليست أقلّ من المسيح نفسه. فهو الخبز النازل من السماء، ومنه

تفيض ينابيع الخلاص. وقد أعلن رسل الرب لليهود عن مجيء المخلص، وأشاروا إلى المسيح على أنّه «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يوحنا ١:٢٩). وفي الوليمة التي قد أعدها الله قدّم لهم أعظم هبة يمكن أن تمنحها السماء - هبة هي أجَلّ من كل تقدير. وقد جهزت محبة الله الوليمة الغالية وأعدت مصادر لا تنفد. وقد قال المسيح: «إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يوحنا ٦:٥١).

ولكن لكي يقبلوا الدعوة لوليمة الإنجيل عليهم أن يجعلوا اهتماماتهم العالمية ثانوية بالنسبة إلى الغرض الوحيد وهو قبول المسيح وبرّه. لقد قدم الله للإنسان كلّ شيء وهو يريده أن يجعل خدمته قبل كل اعتبار أرضي أو أناني. وهو لا يمكنه أن يقبل قلبا منقسما. والقلب المشغول بمحبة الأرضيات لا يمكن تسليمه لله.

إنّ هذا الدرس نافع لكل عصر. فعلينا أن نتبع حمل الله حيثما يذهب. علينا أن نختار قيادته وأن نقدر صحبته على صحبة كل الأصدقاء الأرضيين. فالمسيح يقول: «من أحب أباً أو أماً اكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني» (متى ١٠:٣٧).

عندما كان أفراد العائلة يجلسون حول المائدة ليكسروا خبزهم اليومي، كان كثيرون منهم في عهد المسيح يرددون القول: «طوبى لمن يأكل خبزا في ملكوت الله». ولكن المسيح أبان مقدار الصعوبة في إيجاد ضيوف للجلوس على المائدة التي قد أعدت بكلفة غير محدودة. والذين استمعوا لأقواله علموا أنهم قد استهانوا بدعوة الرحمة. ففي اعتبارهم كانت الأملاك العالمية والغنى والمسرات تشغل كل تفكيرهم. فابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون.

وكذلك الحال الآن. فالأعذار التي قدمت لرفض الدعوة للحضور إلى الوليمة تشمل جميع الأعذار لرفض دعوة الإنجيل. فالناس يعلنون أنهم لا يستطيعون أن يعرّضوا للخطر مطامعهم الدنيوية بالالتفات إلى مطاليب الإنجيل. إنّهم يعتبرون مصالحهم الزمنية أجلّ قدراً من الأمور الأبدية. فنفس البركات التي ينالونها من الله تصير حاجزاً يفصل بين نفوسهم وخالقهم وفاديهم. إنّهم لا يريدون أن يقاطعهم أحد في مطالبهم الدنيوية. وهم يقولون لرسول الرحمة: «أمّا الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت أستدعيك» (أعمال ٢٤:٢٥). وآخرون يحتجّون بالصعوبات التي قد تنشأ في علاقاتهم الاجتماعية لو أطاعوا دعوة الله. فيقولون إنّهم لا يستطيعون أن يخرجوا على الوفاق الكائن بينهم وبين أقاربهم ومعارفهم. وهكذا يبرهنون على أنهم نفس الممثلين الذين قاموا بالدور المذكور في المثل. إنّ صاحب الوليمة يعتبر أعذارهم الواهية برهاناً على احتقارهم لدعوته.

إنّ الرجل الذي قال: «إنّي تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجيء» يمثل فريقاً كبيراً من الناس. يوجد كثيرون ممن يسمحون لزوجاتهم أو يسمحن لأزواجهن بمنعهم أو منعهن من الالتفات إلى دعوة الله. فالزوج يقول: «إنّي لا أستطيع أن أطيع اقتناعاتي بالواجب في حين أنّ امرأتي تقاوم ذلك. فتأثيرها يجعل قيامي بهذا الواجب يغدو ضرباً من المستحيل». والزوجة تسمع دعوة الرحمة القائلة: «تعالوا لأن كل شيء قد أعد» فتقول: «أسألك أن تعفيني. فزوجي يرفض دعوة الرحمة. وهو يقول إنّ عمله يقف عقبة في سبيله. فينبغي لي أن أسير مع زوجي ولذلك لا أقدر أن أجيء». ثم إنّ الأولاد يظنون أنه لا يُنتظر منهم أن يأتوا. فيقولون: «أسألك أن تعفيني».

كـل هـؤلاء يرفضـون دعـوة المخلـص لأنـهم يخشـون مغبّـة الانقسـام في محيـط العائلـة. ويظنـون أنـهم إذ يرفضـون إطاعـة الله فـهم يضمنـون للبيـت السلام والنجـاح، ولكـن هـذا تضليـل. فـالذين يزرعـون أنانيـة يحصدونـها. فـإذ يرفضـون محبـة المسيح إنمـا يرفضـون مـن يسـتطيع وحـده أن يمنـح المحبـة البشـرية الطـهارة والثبـات. فلـن يخسـروا السـماء وحدهـا بـل سـيخفقون في التمتع بما قد ضحوا بالسماء في سبيله.

لقد علم صانع العشاء في المثل كيـف عوملـت دعوتـه، فـإذ «غضـب ... قـال لعبـده أخـرج إلى شـوارع المدينـة وأزقتـها وأدخـل إلى هنـا المسـاكين والجـدع والعرج والعمـي».

لقد تحول صاحب الضيافة عن الذين رفضوا هبـات سخائه ودعـا فريقـا مـن النـاس لم يكونـوا ممتلئـين شـبعا ولا كـانوا يملكـون بيوتـا أو حقـولا ... دعـا المسـاكين والجيـاع والذيـن يقـدرون العطايـا المقدمـة. قـال المسـيح: «إنّ العشـارين والزوانـي يسـبقونكم إلى ملكـوت الله» (متـى ٢١:٣١). مـهما تكـن تعاسـة أفـراد البشـرية الذيـن يزدريـهم النـاس ويتحاشـون لقـاءهم فإنّـهم ليسـوا أحقـر ولا أتعـس مـن أن يلاحظـهم الله ويحبـهم. إنّ المسيح يتـوق إلى أن يـأتي إليـه مـن أضنتـهم الهمـوم والمنـهوكون والمظلومـون. وهـو يشـتاق إلى أن يمنحـهم النـور والفـرح والسـلام الـذي لا يوجـد في أي مكـان آخـر. إنّ أشـرّ الخطـاة هـم موضـوع عطفـه وحبـه العميـق الغيـور. وهـو يرسـل روحـه القـدوس ليحنّ إليهم بكل رقة محـاولا اجتذابـهم إلى ذاتـه.

إن العبد الذي أدخل المسـاكين والعمـي قـال لسـيده: «قـد صـار كمـا أمـرت ويوجـد أيضـاً مكـان. فقـال السـيد للعبـد أخـرج إلى الطـرق والسـياجات وألزمـهم بـالدخول حتـى يمتلـيء بيـتي» (لوقـا ١٤:٢٢ و٢٣). هنـا أشـار المسـيح إلى عمل الإنجيل خارج نطاق الديـن اليـهودي، في طـرق العـالم وسـياجاته.

فإطاعة لهذا الأمر أعلن بولس وبرنابا قائلين لليهود: «كان يجب أن تكلّموا أنتم أولاً بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم. لأن هكذا أوصانا الرب. قد أقمتك نورا للأمم لتكون أنت خلاصا إلى أقصى الأرض. فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب. وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية» (أعمال ١٣:٤٦ - ٤٨).

لقد كانت رسالة الإنجيل التي أذاعها تلاميذ المسيح هي إعلان مجيئه الأول إلى العالم. لقد حملت إلى الناس الأخبار الطيبة عن الخلاص بالإيمان به. وقد أشارت مستقبلاً إلى مجيئه الثاني في المجد لفداء شعبه. ووضعت أمام الناس الرجاء بالإيمان والطاعة، رجاء شركة ميراث القديسين في النور. وهذه الرسالة مقدمة للناس اليوم، وفي هذا الوقت يقترن بها إعلان المجيء الثاني للمسيح على أنّه قريب. والعلامات التي قدمها هو بنفسه عن مجيئه قد تمت، وبموجب تعليم كلمة الله يمكننا أن نعلم أن الرب على الأبواب.

إنّ يوحنا ينبيء في سفر الرؤيا عن إذاعة رسالة الإنجيل قبيل المجيء الثاني للمسيح. فهو يشاهد ملاكا طائرا «في وسط السماء معه بشارة أبدية ليبشر الساكنين على الأرض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب قائلا بصوت عظيم خافوا الله وأعطوه مجدا لأنه قد جاءت ساعة دينونته» (رؤيا ١٤:٦ و ٧).

وفي النبوة نجد أنّ هذا الإنذار بالدينونة مع الرسالة المرتبطة به يتبعه مجيء ابن الإنسان في سحب السماء. إنّ إعلان الدينونة هو إعلان بأن المجيء الثاني للمسيح هو على الأبواب. وهذا الإعلان يُسمّى البشارة الأبدية. وهكذا نجد أنّ الكرازة بالمجيء الثاني للمسيح، الإعلان بأنه قريب، هي جزء جوهري من رسالة الإنجيل.

إنّ الكتاب يعلن أنّه في الأيام الأخيرة سيكون الناس منهمكين في مطالبهم الدنيوية، في المسرّات وجمع المال. ولكنهم سيعمون عن الحقائق الأبدية. والمسيح يقول: «كما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجيء ابنِ الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك. ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان» (متى ٢٤:٣٧ - ٣٩).

فكذلك الحال اليوم. إنّ الناس يسارعون وراء الربح والتمتعات الأنانية كما لو لم يكن يوجد إله ولا سماء ولا أبدية. لقد قُدّم الإنذار في أيام نوح عن مجيء الطوفان لكي يفزع الناس وهم في شرورهم وليدعوهم إلى التوبة. فكذلك قُصد برسالة قرب مجيء المسيح أن توقظ الناس من انهماكهم في العالميات. فإنّ الغرض منها هو إيقاظهم للشعور بالحقائق الأبدية حتى ينتبهوا إلى الدعوة لمائدة الرب.

يجب أن تُقدَّم دعوة الإنجيل لكل العالم «كل أمة وقبيلة ولسان وشعب» (رؤيا ١٤:٦). فيجب أن تنير آخر رسالة للإنذار والرحمة أرجاء العالم كلها بمجدها. فيجب أنها تصل إلى كل طبقات الناس، الأغنياء والفقراء والعال والدون. يقول المسيح: «أخرج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلىء بيتي».

إنّ العالم هلك لحاجته إلى الإنجيل. فيوجد جوع إلى كلمة الله. وقليلون هم الذين يكرزون بالكلمة خالصة من التقاليد البشرية. ومع أن الناس عندهم الكتاب بين أيديهم فهم لا يحصلون على البركة التي قد أودعها الله فيه لأجلهم. والرب يدعو خدامه ليحملوا رسالته إلى الشعب. وكلمة الحياة الأبدية يجب تقديمها لمن يهلكون في خطاياهم.

وفي الأمر بالخروج إلى الطرق والسياجات يعّين المسيح عمل كل من يدعوهم ليخدموا باسمه. إنّ العالم كله هو الحقل الذي يجب أن يعمل فيه خدام المسيح. والأسرة البشرية كلها يستوعبها محفلهم. والرب يشتهي أن تصل كلمة نعمته إلى أعماق كل نفس.

ينبغي أن يتم هذا عن طريق العمل الفردي إلى حدّ كبير. هذه كانت طريقة المسيح. فالجانب الأكبر من عمله كان يتكون من مقابلات فردية وكان له اعتبار مخلص لمستمع واحد. وعن طريق نفس واحدة كانت الرسالة تمتد في الغالب إلى ألوف.

وينبغي ألاّ ننتظر حتى يأتينا الناس، بل علينا أن نذهب إليهم حيث هم. فعندما يُكرز بالكلمة من المنبر يكون العمل قد بدأ. ويوجد كثيرون من الناس الذين لا يمكن أن يصل الإنجيل إليهم ما لم يُحمل إليهم.

إنّ الدعوة إلى الوليمة قدمت أولا إلى الشعب اليهودي، الشعب الذي قد دُعي ليقفوا معلمين وقادة بين الناس، الشعب الذي كان بين يديهم الأسفار النبوية منبئة بقدوم المسيح، والذين قد سُلمت إليهم الخدمة الرمزية لترمز إلى رسالته. فلو كان الكهنة والشعب قد التفتوا إلى الدعوة لكانوا اشتركوا مع رسل المسيح في تقديم دعوة الإنجيل إلى العالم. لقد أرسل الحق إليهم لكي يذيعوه. فلما رفضوا الدعوة قُدمت إلى المساكين والجدع والعرج والعمي. وقد قبل العشارون والخطاة الدعوة. وعندما ترسل دعوة الإنجيل إلى الأمم فهناك خطة العمل نفسها. فيجب أن ترسل الرسالة أولا «إلى الطريق» - الناس الذين يقومون بنصيب فعال في العمل، إلى المعلمين والقادة بين الشعب.

ليتذكّر رسل الرب هذا الأمر. فبالنسبة إلى رعاة الرعية، المعلمين المعينين من الله ينبغي أن يأتي ككلمة يجب الالتفات إليها. والذين

يُحسبون ضمن الطبقات الراقية في المجتمع ينبغي البحث عنهم بمحبة ورقة وتقدير أخوي. فالناس الذين عندهم قوة جبارة للاختراع والبصيرة العلمية، والعباقرة، ومعلمو الإنجيل الذين لم تعبأ عقولهم بالحقائق الخاصة بهذا الوقت - هؤلاء ينبغي أن يكونوا أول من يسمعون النداء. فيجب أن تقدم إليهم الدعوة.

وتوجد خدمة يجب تقديمها للأثرياء. فهم بحاجة لإيقاظهم لمعرفة مسؤوليتهم كمن قد أودعت بين أيديهم هبات السماء. إنّهم بحاجة إلى تذكيرهم بأنهم لابد أن يقدموا حسابا للذي سيدين الأحياء والأموات. إنّ الرجل الغني يحتاج إلى خدمتك له بمحبة الله وخوفه. إنّه في غالب الأحيان يتّكل على غناه ولا يحسّ بخطره. إنّ عيني ذهنه تحتاجان إلى أن تتجها إلى الأشياء ذات القيمة الباقية. وهو يحتاج إلى أن يعترف بسلطة الصلاح الحقيقي الذي يقول: «تعالوا إلَّي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف» (متى ١١:٢٨ - ٣٠).

إنّ الذين يحتلون مراكز سامية في العالم لأجل علمهم أو غناهم أو عملهم قلّما يحدثهم أحد حديثاً فردياً فيما يختص بصالح نفوسهم. وكثيرون من الخدام المسيحيين يترددون في الاقتراب من هذه الطبقات. ولكن هذا ما لا يجب أن يكون. فإذا كان هناك إنسان موشكا على الغرق فاننا لا نقف جانبا ونتركه يغرق لكونه محاميا أو تاجرا أو قاضيا. فإذا رأينا أشخاصا يسرعون إلى هوة فإننا لا نتردد في صدهم وإبعادهم عنها مهما يكن مركزهم أو عملهم. وكذلك ينبغي ألاّ نتردد في إنذار الناس من الخطر الذي يهدد نفوسهم.

ينبغي ألاّ نهمل أحدا من الناس بسبب انصرافهم الظاهري إلى الأمور الدنيوية. كثيرون ممن يحتلون مراكز سامية في المجتمع هم خائرو القلوب وقد سئمت نفوسهم الأباطيل. أنهم يتوقون إلى سلام لم يحصلوا عليه. ففي أرقى طبقات المجتمع يوجد من يجوعون ويعطشون إلى الخلاص. وكثيرون كان يمكن أن يحصلوا على العون لو أنّ خدام الرب يقتربون منهم شخصياً بأسلوب لطيف وبقلب صيرته محبّة المسيح رقيقا.

إنّ نجاح رسالة الإنجيل لا يتوقف على فصاحة الكلام أو الشهادات البليغة أو الحجج الدامغة. ولكنّه يعتمد على بساطة الرسالة وموافقتها للنفوس الجائعة إلى خبز الحياة «ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص» ؟ – هذا هو ما تحتاجه النفس.

يمكن الوصول إلى ألوف الناس بأبسط الطرق المتواضعة. ذوي العقول الراجحة الذين يُنظر إليهم على أنّهم موهوبون أكثر من كل رجال ونساء العالم، في غالب الأحيان ينتعشون عندما يسمعون كلاما بسيطا من فم إنسان يحب الله ويستطيع أن يتحدث عن تلك المحبة على سجّيته كما يتحدث الرجل الدنيوي عن الأشياء التي تهمه جدا.

في كثير من الأحيان يكون الكلام المجهز والمدروس جيدا قليل التأثير. ولكن التعبير المخلص الأمين الذي ينطق به أيّ ابنٍ أو أية ابنةٍ من أولاد الله ببساطة طبيعية يمكن أن تكون له قوة على فتح مغاليق القلوب التي ظلت طويلا مغلقة في وجه المسيح ومحبته.

ليذكر خادم المسيح أنّ ليس عليه أن يعمل بقوته. فليتمسك بعرش الله وهو مؤمن بقدرته على أن يخلص. فليجاهد مع الله في الصلاة، وحينئذ ليعمل بكل المساعدات التي منحه الله إياها. والروح القدس مقدم على أنه كفايته. والملائكة الخادمون سيكونون إلى جواره ليؤثروا في القلوب.

لـو كـان الرؤسـاء والمعلمـون في أورشـليم قـد قبلـوا الحــق الـذي جـاء بـه المسـيح، فكـم كـانت مدينتـهم تصـير مركـزا كرازيـا عظيمـا ! وكـان يمكـن لإسـرائيل المرتـدّ أن يرجـع إلى الله. وكـان يمكـن حشـد جيـش عظيـم للـرب. وبـأي سـرعة كـان يمكنـهم أن يحملـوا الإنجيـل إلى كـل أنحـاء العـالم ! وهكـذا الآن، لـو أمكـن ربـح النـاس ذوي النفـوذ والقـدرة العظيمـة علـى العمـل للمسـيح، فمـا كـان أعظـم العمـل الـذي كـان يمكـن أن يتـم بواسـطتهم في إقامـة السـاقطين وجمـع الشـاردين ونشـر بشـارة الخـلاص إلى أقصـى مكـان. كـان يمكـن أن تقدم الدعـوة سريعا ويُجمـع الضيـوف إلى وليمـة الـرب.

ولكـن ينبغـي ألاّ نفكـر فقـط في الرجـال العظـام والموهوبـين لنـهمل الطبقـات الفقـيرة. إنّ المسـيح يعلـم رسـله أن يذهبـوا أيضـا إلى مـن هـم في الطـرق والسـياجات، إلى المسـاكين وأدنيـاء الأرض. ففـي رحـاب المـدن العظيمـة وأزقتـها، وفي الطـرق الموحشـة في الأريـاف، توجـد عـائلات وأفـراد – ربمـا يكونـون غربـاء في أرض غريبـة – هـؤلاء لا توجـد صلـة تربطـهم بكنيسـة، وفي وحدتـهم ينتـهي بـهم الأمـر إلى أن يحسّـوا بـأنّ الله قـد نسـيهم. إنـهم لا يعلمـون مـا الـذي ينبغـي أن يفعلـوه لكـي يخلصـوا. وكثـيرون منـهم غـائصون في الخطيـة، وكثـيرون في ضيـق. إنّ الآلام والعـوز وعـدم الإيمـان واليـأس تضغـط عليهم. والمرض مـن كـل نـوع يـؤلم أجسـادهم ويعـذب نفوسـهم. إنّـهم يتوقـون للحصـول علـى عـزاء في متاعبـهم وضيقاتـهم، والشـيطان يجربـهم ليجـدوا العـزاء في الشـهوات والملـذات الـتي تقـود إلى الدمـار والمـوت. إنّـه يقـدم لهـم تفـاح سدوم الـذي يسـتحيل إلى رمـاد علـى شـفاه آكليـه. إنّـهم يزِنـون فضـةً لغـير خـبز وتعبهَم لغير شـبع.

علينـا أن نـرى في هـؤلاء النـاس المتـألمين، أولئـك الذيـن أتـى المسـيح ليخلصـهم. ودعوتـه إليـهم هـي هـذه: "أيـها العطـاش جميعـا هلمـوا إلى الميـاه

والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن ... استمعوا لي استماعا وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم. أميلوا آذانكم وهلموا إليّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم» (إشعياء ٥٥:١ – ٣).

لقد قدم الله أمرا خاصا حتى نهتم بالغريب المنبوذ والنفوس المسكينة الضعيفة في القوة الأدبية. إنّ كثيرين ممّن يبدو عليهم أنهم لا يكترثون إطلاقا للأمور الدينية هم في أعماقهم يتوقون إلى الراحة والسلام. ومع أنهم قد يكونون غائصين في أعماق الخطية فمن الممكن إنقاذهم.

وعلى خدام المسيح أن يتمثلوا به. فإذ كان يجول من مكان إلى مكان كان يعزّي المتألمين ويشفي المرضى. وحينئذ عرض عليهم الحقائق العظيمة الخاصة بملكوته. هذا هو عمل تلاميذه. فعندما تُخفّف آلامَ الجسم ستجدُ وسائلَ لخدمة حاجات الروح. فيمكنك أن توجّه الأنظار إلى المخلص المرفوع وتخبر الناس عن محبة الطبيب العظيم، الذي وحده له القوة ليشفي.

قل للمساكين اليائسين الذين قد ضلوا أن لا حاجة بهم إلى أن ييأسوا. فمع أنهم قد أخطأوا ولم يبنوا خُلُقا صالحا فالله يسرّ بأن يردّ لهم بهجة خلاصه. إنّه يسرّ بأن يأخذ المادة التي يبدو أن لا رجاء فيها، والذين قد استخدمهم الشيطان، ويجعلهم (الله) رعايا نعمته. إنّه يسرّ بأن يخلصهم من الغضب المزمع أن ينصب على العصاة. قل لهم أنه يوجد شفاء وتطهير لكل نفس. ويوجد لهم مكان حول مائدة الرب. إنّه ينتظر ليرحب بهم.

والذين يخرجون إلى الطرق والسياجات سيجدون أناسا آخرين تختلف صفاتهم عن سابقيهم اختلافا بيّناً. هم بحاجة إلى خدمتهم. فيوجد من يعيشون بموجب كل النور المعطى لهم ويخدمون الله أفضل خدمة بحسب ما يعرفون. ولكنهم يدركون أنه يوجد عمل عظيم يجب أن يُعمل لأجلهم

ولأجل من حولهم. إنهم تائقون للحصول على المزيد من معرفة الله، ولكنهم فقط بدأوا يشاهدون بصيص نور أعظم. إنهم يصلّون بدموع إلى الله حتى يرسل إليهم البركة التي يرونها بالإيمان من بعيد. ففي وسط شر المدن العظيمة يوجد كثيرون من هؤلاء الناس. وكثيرون منهم هم في ظروف وضيعة جداً، وبسبب هذا لا يلاحظ العالم وجودهم. ويوجد كثيرون لا يعرف الخدام أو الكنائس شيئا عنهم، ولكنهم شهود الرب في أماكنهم الوضيعة التعسة. ربما كان عندهم قليل من النور فيما مضى وفرص قليلة للتهذيب المسيحي، ولكن في وسط العري والجوع والبرد يحاولون أن يخدموا الآخرين. فليبحث من هم وكلاء على نعم الله العديدة عن هذه النفوس ويزوروا بيوتهم. وبقوة الروح القدس ليخدموا حاجاتهم. ادرسوا معهم الكتاب وصلوا معهم بتلك البساطة التي يلهمكم بها الروح القدس. إنّ المسيح سيمنح خدامه رسالة تكون كخبز السماء للنفس. وستنتقل البركة الثمينة من قلب إلى قلب ومن عائلة إلى عائلة.

إنّ الأمر المقدم في المثل والقائل: «ألزمهم بالدخول» كثيرا ما أُسيء تفسيره. فلقد أُعتِبر وكأنه يعلمنا أن نرغم الناس على قبول الإنجيل. ولكنه يدل بالحري على الإلحاح بالدعوة وفاعلية المؤثرات المقدمة. إنّ الإنجيل لا يلجأ إلى العنف بتاتا في الإتيان بالناس إلى المسيح. ورسالته هي هذه: «أيها العطاش جميعا هلموا إلى المياه» (إشعياء ٥٥:١). «الروح والعروس يقولان تعال ... ومن يرد فليأخذ ماء الحياة مجاناً» (رؤيا ٢٢:١٧). فقوة محبة الله ونعمته تقنعنا بالمجيء.

يقول المخلص: «هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» (رؤيا ٣:٢٠). إنّه لا يُصدّ بالاحتقار ولا يُنحَّى بالتهديد، ولكنه على الدوام يطلب الضالّين قائلا:

«كيف أجعلك» ؟ (كيف أتخلى عنك؟) (هوشع ١١:٨). فمع أن محبته يصدها القلب العنيد فإنه يعود ليتوسل بقوة أعظم : «هأنذا واقف على الباب وأقرع». إنّ قوة محبته الجاذبة تلزم النفوس بالدخول. فيقولون للمسيح : «لطفك يعظمني» (مزمور ١٨:٣٥).

إنّ المسيح منح رسله نفس المحبة المشتاقة التي هي له نحو الهالكين. فيجب ألاّ نكتفي بالقول: «تعالوا» فيوجد من يسمعون الدعوة، ولكن آذانهم غلفاء بحيث لا تفهم معناها. وعيونهم عمياء بحيث لا ترى أي شيء صالح مذخورا لهم. إن كثيرين مدركون انحطاطهم العظيم، فهم يقولون: «أنا لست أهلا لقبول العون. فاتركني وشأني. ولكن ينبغي للخدام ألا يكفّوا عن عملهم. ففي رقة وعطف وحبَ أمسِكوا بالخائرين والعاجزين. واعطوهم من شجاعتكم ورجائكم وقوتكم. ألزموهم بالدخول بكل رفق «ارحموا البعض مميزين وخلصوا البعض بالخوف مختطفين من النار» (يهوذا ٢٢و٢٣).

إذا كان خدام الله يسيرون معه بإيمان فهو سيضفي على رسالتهم قوة. فسيكونون قادرين على تقديم محبته وإظهار الخطر الناشيء عن رفض نعمة الله بحيث يلزم الناس لقبول الإنجيل. وسيجري المسيح معجزات عجيبة إذا كان الناس يقومون بدورهم المعطى لهم من الله. وسيحدث في قلوب الناس اليوم تغيير عظيم كما حدث في سابق العصور. لقد افتُدِيَ يوحنا بنيان من التجديف والعربدة، كما افتُدِيَ جون نيوتن من المتاجرة في الرقيق ليذيعا رسالة المخلص الممجد. ويمكن أن يُفتَدى أمثال بنيان ونيوتن من بين الناس اليوم. فعن طريق الوكلاء البشريين الذين يتعاونون مع القوة الإلهية يمكن أن يُستَرد كثيرون من الضالين المساكين، وكل منهم في دوره سيسعى لرد الإنسان إلى صورة الله. يوجد من لم تكن لديهم غير

فرص قليلة جدا، ممن ساروا في طرق الضلال لأنهم لم يكونوا يعرفون طريقا أفضل وممن سيشرق عليهم النور، فكما قال المسيح لزكا: «ينبغي أن أمكث اليوم في بيتك» (لوقا ١٩:٥) فستأتي الكلمة إليهم، ومن كان يظن أنهم خطاة قساة القلوب سيتبرهن أن قلوبهم رقيقة كقلوب الأطفال لأن المسيح قصد أن يلاحظهم. وكثيرون سيأتون من أشنع بؤر الضلال والخطية ويأخذون مكان أولئك الذين كانت لهم الفرص والامتيازات ولكنهم لم يقدروها. وسيحسبون مختاري الله المنتخبين الكرماء. وعندما يأتي المسيح في ملكوته سيقفون بالقرب من عرشه.

ولكن: «انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم» (عبرانيين ١٢:٢٥). فلقد قال يسوع: «إنّه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي» (لوقا ١٤:٢٤). إنهم قد رفضوا الدعوة، ولذلك فلن تُقدّم الدعوة ثانية لواحد منهم. إنّ اليهود إذ رفضوا المسيح كانوا يقسّون قلوبهم ويسلمون أنفسهم لسلطان الشيطان بحيث غدا من المستحيل عليهم أن يقبلوا نعمته. وكذلك الحال الآن فإذا لم نقدّر محبة الله ونجعلها تصير مبدأ ثابتا لتليين قلوبنا وإخضاع نفوسنا فنحن هالكون لا محالة. إنّ الرب لا يمكنه أن يقدم إعلانا لمحبته أعظم ممّا قدّم. فإذا لم تُخضع محبة يسوع القلب فلا توجد وسائط أخرى بها يمكن الوصول ألينا.

إنّك في كل مرة ترفض الإصغاء لرسالة الرحمة فأنت تشدد نفسك في عدم الإيمان. وفي كل مرة لا تفتح باب قلبك للمسيح تزداد شيئا فشيئا عدم رغبتك في الإصغاء لصوت المتكلم. إنك تقلل من فرصة استجابتك لآخر دعوات الرحمة. لا تجعل هذا القول يصدق عليك كما قيل عن إسرائيل قديما: «أفرايم موثوق بالأصنام. اتركوه» (هوشع ٤:١٧). ولا تجعل المسيح يبكي عليك كما قد بكى على أورشليم قائلا: «كم مرة أردت أن أجمع

أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. «هوذا بيتكم يترك لكم خرابا» (لوقا ١٣:٣٤و٣٥).

إننا عائشون في زمن تُسمع فيه آخر رسائل الرحمة وآخر دعوة مقدمة لأولاد الناس. إنّ الأمر القائل: «أخرج إلى الطرق والسياجات» يصل الآن إلى غاية إتمامه الأخير. إنّ دعوة المسيح ستُقدّم لكل نفس. والرسل يقولون: «تعالوا لأن كل شيء قد أُعِد» إنّ ملائكة السماء مازالوا يعملون متعاونين مع الخدام البشريين. والروح القدس لا يزال يقدّم كل مرغّب لإقناعك بالمجيء. والمسيح يراقب لعلّه يجد علامة تدل على رفع المغاليق وفتح باب قلبك لدخوله. والملائكة ينتظرون أن ينقلوا إلى السماء الأنباء السارة بأن خاطئا ضالاّ آخر قد وُجِد. وأجناد السماء ينتظرون وهم على أتم استعداد لأن يعزفوا على قيثاراتهم ويغنّوا أغاني الفرح لأن نفسا أخرى قد قبِلت الدعوة إلى وليمة الإنجيل.

١٩ مِقيَاس الغفران

تقدم بطرس بهذا السؤال إلى المسيح قائلا: «كم مرة يخطيء إليّ أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرّات» ؟ (متى ١٨:٢١). حدد معلمو اليهود المرّات التي فيها يمارس الغفران بثلاث مرّات إذ يذنب الإنسان إلى صاحبه. أما بطرس فإذ حسب أنّه ينفّذ تعليم المسيح فكر في أن يزيد عدد المرات إلى سبع إذ أن ذلك العدد يرمز إلى الكمال. ولكن المسيح علّم أنه ينبغي لنا ألاّ نكلّ أبدا من الغفران. فقال له : «لا أقول لك إلى سبع مرّات بل إلى سبعين مرّة سبع مرّات».

وحينئذ أبان الأساس الحقيقي الذي لأجله يُمنح الغفران، والخطر من مراعاة روح عدم المسامحة. فقد تحدث في مَثَل عن معاملة ملك لموظفيه الذين أداروا شؤون حكومته. فبعض أولئك الموظفين كانوا قد تسلموا مبالغ ضخمة من المال تخص الدولة. فإذ فحص الملك في أمر تصرفهم في تلك الأمانة المودعة عندهم أُحضر إليه رجلٌ ظهر من حسابه أنه مدين لمولاه بمبلغ باهظ من المال قدره عشرة آلاف وزنة. ولم يكن لديه مالٌ به يوفي الدين، وبحسب العادة المُتّبعة حينئذ أمر الملك بأن يباع هو وكل ما له حتى يوفي الدين. ولكن ذلك الرجل المرتعب خَرّ عند رجلي سيده وتوسل إليه قائلا: «تمهَّل عليَّ فأوفيك الجميع». فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين.

«ولما خرج ذلك العبد وجد واحدا من العبيد رفقائه كان مديونا له بمئة دينار. فأمسكه وأخذ بعنقه قائلا أوفني ما لي عليك. فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب إليه قائلا تمهّل عليَّ فأوفيك الجميع. فلم يُرِدْ بل مضى وألقاه في سجن حتى يوفي الدين. فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جدا

وأتـوا وقصـوا علـى سـيدهم كـل مـا جـرى. فدعـاه حينئـذ سـيده وقـال لـه أيـها العبد الشرّير كـل ذلـك الديـن تركتـه لـك لأنـك طلبـت إلَّـي. أفمـا كـان ينبغـي أنـك أنـت أيضـا ترحـم العبـد رفيقـك كمـا رحمتـك أنـا. وغضـب سـيده وسـلمه إلى المعذبين حتى يـوفي كـل مـا كـان لـه عليـه» (متـى ١٨:٢٦ - ٣٤).

هـذا المثـل يقـدم التفاصيل اللازمـة لتكملـة الصـورة ولكـن الـتي ليـس لهـا مـا يماثلـها في معناهـا الروحـي. فينبغـي عـدم توجيـه الالتفـات إليـها. توجـد بعـض الحقـائق العظيمـة مشـروحة فلنوجـه تفكيرنـا إلى هـذه الحقـائق.

إن العفـو الصـادر مـن هـذا الملـك يرمـز إلى غفـران الله لكـل خطيـة. فالمسيح يُرمـز إليـه بـالملك الـذي إذ تحنـن سـامح عبـده وتـرك لـه الديـن. لقـد كـان الإنسان واقعـا تحـت دينونـة الشـريعة الـتي انتُـهكت. ولم يمكنـه أن يخلـص نفسـه فلـهذا السـبب جـاء المسيح إلى العـالم وسـربل لاهوتـه بلبـاس الناسـوت وبذل نفسه، البار من أجل الأثمـة. لقـد أسـلم نفسـه لاجـل خطايانـا وهـو يقـدم عفوه المشترى بـالدم مجانـا لكـل نفـس. «عنـد الـرب الرحمـة وعنـده فـدى كثـير» (مزمـور ١٣٠:٧).

هنـا الأسـاس الـذي بنـاء عليـه نمـارس الحنـان علـى المخطئـين مـن بـني جنسـنا : «إن كـان الله قـد أحبنـا هكـذا ينبـغي لنـا أيضـا أن يحـب بعضنـا بعضـا» (١ يوحنـا ٤:١١). وقـد قـال المسـيح : «مجانـاً أخـذتم مجانـاً أعطـوا» (متـى ١٠:٨).

نعلم من المثل أنـه عندمـا توسـل المـدين في طلـب الإمهـال ووعـد قـائلا: «تمـهل علـيّ فـأوفيك الجميـع» أُلغـيَ الحكـم، وتنـازل السـيد عـن الديـن كلـه. وسـرعان مـا قدمـت لـه الفرصـة ليتمثـل بسـيده الـذي قـد سـامحه. وفي خروجـه لقى عبدا من رفقائـه كـان مدينـاً لـه بديـن ضئيـل. لقـد سـومح هـو بديـن يبلـغ عشرة آلاف وزنـة، أمـا العبد رفيقه فكـان مدينـاً لـه بمئـة دينـار. ولكـن ذلـك العبـد

الذي عومل بهذه المعاملة الرحيمة عامل العبد رفيقه معاملة تخالف هذه المعاملة كل المخالفة. فقد توسل إليه العبد المدين بمثل ما توسل هو إلى الملك، ولكن اختلفت النتيجة. فهذا الذي منذ قليل سومح وعُفي عنه لم يكن رقيق القلب ولا مُشفقا. فالرحمة المقدمة له لم يعامل بها العبد رفيقه. فهو لم يلتفت إلى طلب الإمهال. فذلك المبلغ الضئيل الذي كان العبد الآخر مدينا له به كان هو ما تذكره هذا العبد غير الشاكر. فطلب أن يُعطى له كل ما ظن أنه من استحقاقه، ونفذ الحكم بينما ألغي الملك تجاهه حكما مماثلا رحمة منه.

كم من الناس يظهرون نفس هذه الروح في هذه الأيام. عندما توسل ذلك المدين في طلب الرحمة من سيده لم يكن يحسّ إحساسا حقيقيا بجسامة دْينه. ولم يكن مدركا عجزه. وقد كان يرجو أن يخلص نفسه فقال: «تمهّل عليّ فأوفيك الجميع». وهكذا يوجد كثيرون ممن يؤملون في الظفر برضى الله عن طريق استحقاقهم. إنهم لا يدركون عجزهم، فهم لا يقبلون نعمة الله على أنّها هبةٌ مجانيةٌ بل يحاولون أن يبنوا أنفسهم على برّهم الذاتي. إنّ قلوبهم غير منسحقة ولا متضعة بسبب الخطية. وهم صارمون وغير متسامحين مع الآخرين. ولو قورنت خطاياهم ضد الله بخطايا إخوتهم ضدّهم لكانت بنسبة مليون إلى واحد تقريباً، ومع ذلك يتجاسرون على عدم التسامح.

يقول المثل إنّ السيد دعا ذلك المدين الذي لم يرحم رفيقه «وقال له. أيها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إليّ. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا ؟ وغضب سيده وسلمه إلى المعذبين حتى يوفي كل ما كان له عليه». ثم قال يسوع: «فهكذا أبي السماوي يفعل بكم إن لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه

زلاتـه» (لوقـا ١٨:٣٥). إنّ مـن يـأبى أن يغفـر فـهو بذلـك يطـرح عنــه رجــاء الغفـران.

ولكـن ينبغـي لنـا ألاّ نسـيء تطبيــق الــدرس الــذي نتعلمــه مــن المثــل. إنّ غفـران الله نحونـا لا يقلـل مـن واجبنـا في إطاعتـه. وكذلـك روح الغفــران لبــني جنسـنا لا تقلـل مـن حـق المديونيـة العادلــة. في الصــلاة الــتي علمــها المســيح لتلاميـذه قـال: «واغفـر لنـا ذنوبنـا كمـا نغفـر نحـن أيضـا للمذنبـين إلينــا» (متــى ٦:١٢) - وهـو لا يعـني بـهذا أنـه لكـي تُغفـر لنـا خطايانــا ينبغــي لنــا ألاّ نطــالب بـالديون الـتي هـي مـن حقنـا. فـإذا لم يستطيعوا إيفـاء الديـن حتـى ولـو كـان ذلـك منشـأه سـوء الإدارة فينبغـي ألاّ يلقـي بـهم في السـجن أو يُضطـهدوا أو حتـى يُعاملوا معاملـة فظـة قاسـية، ولكـن المثـل لا يعلمنـا أن نشـجع النـاس علـى الكسـل. إنّ كلمـة الله تعلــن أنــه إذا كـان أحـد لا يريـد أن يشـتغل فينبغـي ألا يـأكل (٢ تسـالونيكي ٣:١٠). والـرب لا يطلـب مـن الرجـل الـذي يكـد ويكـدح أن يعـول غـيره مـن الكسـالى. إنّ البعـض يبـذرون وقتـهم ولا يبذلـون جـهداً. وهـذا ينتـهي بـهم إلى الفقـر والعـوز. فـإذا كـان مـن يرتكبـون هـذه الأخطـاء لا يصلحونـها، فكـل مـا يمكـن عملـه لأجلـهم يشـبه وضـع المـال في كيـس منقـوب. ومـع ذلـك فـهنالك فقـر لا يمكـن تجنّبـه وعلينـا نحـن أن نبـدي الرقـة والحنـان نحـو مـن هـم منكـودو الحـظ. فعلينـا أن نعـامل الآخريـن بنفـس المعاملـة الـتي نريـد أن يعاملونـا بهـا لـو كنـا في مثـل حالتـهم.

إنّ الروح القدس يوصينـا علـى لسـان بولـس الرسـول قـائلا: «فـإن كـان وعـظ مـا في المسـيح. إن كـانت تسـلية مـا للمحبـة. إن كـانت شـركة مـا في الـروح. إن كـانت أحشـاء ورأفـة فتممـوا فرحـي حتـى تفتكـروا فكـرا واحـدا ولكـم محبـة واحـدة بنفـس واحـدة مفتكريـن شـيئا واحـدا. لا شـيئا بتحـزّب أو بعجـب بـل بتواضـع حاسـبي بعضكـم البعـض أفضـل مـن أنفسـهم. لا تنظـروا كـل واحـد إلى

ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضا. فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضا» (فيلبي ٢: ١ - ٥).

أما الخطية فينبغي عدم الاستخفاف أو الاستهانة بها. فلقد أمرنا الرب ألا نوقع ظلما على أخينا. فهو يقول: «إن أخطأ إليك أخوك فوبخه» (لوقا ١٧: ٣). فيجب أن نسمي الخطية باسمها الحقيقي وينبغي أن تُكشف أمام المخطيء.

إنّ بولس في وصيّته التي بعث بها إلى تيموثاوس إذ كتب بالهام الروح القدس يقول: «اكرز بالكلمة، أعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب. وبّخ، انتهر، عظ بكل أناة وتعليم» (٢تيموثاوس ٤: ٢). كما كتب إلى تيطس يقول: «فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ... فلهذا السبب وبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحّاء في الإيمان» (تيطس ١: ١٠ - ١٣).

وقد قال المسيح: «أن أخطأ إليك أخوك فأذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما. إن سمع منك فقد ربحت أخاك وإن لم يسمع فخذ معك أيضا واحدا أو أثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة. وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وأن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار» (متى ١٨: ١٥ - ١٧).

إنّ السيد يعلمنا أنّ المشاكل المعقدة بين المسيحيين يجب الفصل فيها في داخل الكنيسة. ينبغي عدم عرضها على من لا يخافون الله. فإذا ظلم أحد المسيحيين أخاً له فلا يلجأ إلى غير المؤمنين في إحدى محاكم العدل. بل ليتبع التعليمات التي قدمها المسيح. وبدلا من محاولة الثأر لنفسه ليحاول تخليص أخيه. فالله لابد أن يصون مصالح من يحبونه ويتقونه، فيمكننا بكل ثقة أن نسلم قضيتنا في يدي ذاك الذي يقضي بعدل.

وفي غالب الأحيـان عندمـا تُرتكـب المظـالم مـرارا وتكـرارا ويعـترف المذنـب بخطئه فـإنّ المُسـاء إليـه يضجـر ويسـأم ويظـنّ أنـه قـد غفـر مـرّات كافيـة. ولكـن المخلـص أخبرنـا بكـل وضـوح كيـف نعـامل المخطئـين إذ قـال: «إن أخطـأ إليك أخـوك فوبخـه. وإن تـاب فـاغفر لـه» (لوقـا ١٧:٣). لا تتجنّبـه كمـن هـو غـير أهل لثقتك: «ناظرا إلى نفسك لئلا تُجـرّب أنـت أيضـاً» (غلاطيـة ٦:١).

فـإن أخطـأ أخوتـك فواجبـك يقتضـي أن تغفـر لهـم. فـإن جـاءوا إليـك معـترفين فـلا تقـل أظـن أنـهم لم يتذللـوا بمـا فيـه الكفايـة. ولسـت أظـن أن اعترافـهم صـادر عـن شـعور حقيقـي. فـأيّ حـق لـك في أن تحكـم عليـهم أو تدينـهم كمـا لـو كنـت تكشـف خفايـا القلـوب؟ إنّ كلمـة الله تقـول: «إن تـاب فـأغفر لـه. وإن أخطـأ إليـك سـبع مـرّات في اليـوم ورجـع إليـك سـبع مـرّات في اليـوم قـائلا أنـا تـائب فـاغفر لـه» (لوقـا ١٧:٣ و ٤). وليـس فقـط سـبع مـرّات بـل سبعين مرّة سبع مرّات - على قدر المرّات التي غفر لـك الله فيـها.

إننـا نحـن أنفسنا مدينـون بكـل شـيء لنعمـة الله المجانيـة. فالنعمـة في العـهد دبـرت تبنّينـا. والنعمـة في المخلـص حققـت فداءنـا وتجديدنـا وتمجيدنـا إلى أن نكـون ورثـة مع المسيح. فلتعلن هـذه النعمـة للآخريـن.

لا تعـطِ المخطـيء مجـالاً للفشـل. ولا تـدع الصرامـة الفرّيسـية تَتدخـل لتضـرّ أخـاك. ولا تسـمح للسـخرية المريـرة أن تخطـر لعقلـك أو قلبـك. ولا تجعـل نغمـة الاحتقـار ظـاهرة في صوتـك. فـإن نطقـت بكلمـة أو اتخـذت موقـف عـدم المبالاة أو أظهرت الشـك أو عـدم الثقـة فقـد يتسـبب ذلـك في هـلاك نفـس. إنّـه بحاجـة إلى أخ لـه قلـب عطـوف كقلـب الأخ الأكـبر ليلمـس قلبـه البشـري. دعـه يحـس مصافحـة اليـد القويـة العطـوف ويسـمعك تـهمس في أذنـه قـائلا: لنصـلِّ. والله سـيعطي كليكمـا اختبـارا غنيـا. إنّ الصـلاة توحِّدنـا بعضنـا مـع بعـض ومـع الله. الصـلاة تجعـل يسـوع يقـف إلى جانبنـا وتمنـح النفـس الخـائرة المرتبكـة

قـوة جديـدة لغلبـة العـالم والجسـد والشـيطان. والصـلاة تصـد عنـا هجمـات الشـيطان.

عندما يحـول الإنسـان نظـره بعيـدا عـن نقـائص البشـر لينظـر إلى يسـوع، فـإن تغيـيرا إلهيـاً يحـدث في الخُلُـق. وإذ يعمـل روح المسيح في القلـب فإنـه يجعلـه مشـابهاً لصورتـه. إذاً فـابذل جـهدك لتُعلّـي يسـوع. حـوّل عيـني ذهنـك إلى «حمـل الله الـذي يرفـع خطيـة العـالم» (يوحنـا ١:٢٩). وإذ تَنشـغل في هـذا العمـل أذكـر «أنّ مـن رد خاطئـا عـن ضـلال طريقـه يخلـص نفسـا مـن المـوت ويستر كثرة مـن الخطايـا» (يعقـوب ٥:٢٠).

«إن لم تغفروا للنـاس زلاتـهم لا يغفر لكـم أبوكـم أيضـا زلاتكـم» (متـى ٦:١٥). لا يوجد ما يبرّر الروح الحاقدة التي لا تغفر.إنّ مـن ليـس رحيمـا نحـو الآخريـن يـبرهن علـى أنـه ليـس شـريكا في نعمـة الله الغـافرة. ففـي غفـران الله. يُجتـذب قلـب المخطـيء إلى القلـب الكبـير قلـب المحبـة اللامحـدودة. إنّ نـهر رحمـة الله يفيـض في نفـس الخـاطيء، ومنـه إلى نفـوس الآخريـن. إنّ الرقـة والرحمـة الـتي قـد أظـهرهما المسيح في حياتـه الكريمـة سـتريان في حيـاة مـن يصـيرون شركاء في نعمته. ولكـن: «أن كـان أحـد ليـس لـه روح المسيح فذلـك ليـس لـه» (رومية ٨:٩). إنّه متجنب عن الله وليـس أهـلا إلا للانفصـال الأبـدي عنـه.

نعـم ربمـا يكـون قـد نـال الغفـران مـرة، ولكـنّ روحـه القاسـية الـتي لا تعـرف الرحمـة تـدل علـى أنـه الآن يرفـض محبـة الله الغـافرة. لقـد فصـل نفسـه عـن الله وهـو الآن في نفـس الحالـة الـتي كـان عليـها قبلمـا غُفـرت خطايـاه. لقـد جحـد توبته وخطاياه مستقرة عليه كما لـو لم يكـن قد تـاب.

ولكـن الـدرس العظيـم الـذي نتعلمـه مـن المثـل كـائن في المفارقـة بـين رحمـة الله وبـين قسـاوة قلـب الإنسـان، وفي حقيقـة كـون رحمـة الله الغـافرة

يجب أن تكون مقياس غفراننا. «أفما كـان ينبغـي أنـك أنـت أيضا ترحـم العبـد رفيقك كما رحمتك أنـا» ؟

إنّ الله لا يغفــر لنـا لأننــا نغفــر للآخريــن بـل كمـا نغفـر. إنّ أســاس كـل غفــران يوجـد في محبـة الله الـتي لا نسـتحقها، ولكننا بموقفنـا الـذي نقفـه مـن الآخريـن نـبرهن علـى مـا إذا كنـا قـد امتلكنـا تلـك المحبـة أم لا. لهـذا يقـول المسـيح: «بالدينونـة الـتي بـها تدينـون تدانـون. وبـالكيل الـذي بـه تكيلـون يكال لكم» (متـى٧:٢).

❷⓿ رِبح هو في حقيقتهِ خسَارة

كان المسيح يعلّم، وحسب العادة التف حوله أناس آخرون بالإضافة إلى تلاميذه. كان يحدّث تلاميذه عن المشاهد التي سرعان ما كانوا سيشتركون في القيام بدورهم فيها. كان عليهم أن يذيعوا الحقائق التي قد سلمها لهم وكانوا سيشتبكون في صراع مع حكام العالم. فلأجل اسمه سيؤخذون إلى محاكم ويوقَفون أمام ولاة وملوك. وقد أكد لهم أنهم سيُعطَون حكمة لا يمكن لأحد أن يناقضها. إنّ كلامه الذي حرك قلوب الشعب وأوقع في الارتباك خصومَه الماكرين شهد بقوة ذلك الروحُ الساكنُ فيه والذي وعد بأن يمنحه لتلاميذه.

ولكن كان يوجد كثيرون ممن اشتهوا نعمة السماء لخدمة مآربهم الأنانية لقد اعترفوا بقدرة المسيح العجيبة في تقديم الحق في نور واضح. وسمعوه يعدُ تلاميذَه بأنّه سيمنحهم حكمة بها يحتجون أمام الملوك والولاة. أفلا يستخدم قدرتَه لأجل فائدتهم الدنيوية ؟

«وقال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخي أن يقاسمني الميراث» (لوقا ١٣:١٢). لقد أعطى الله التعليمات الخاصة بعقود الأملاك على يد موسى. فكان الأخ الأكبر يأخذ نصيب اثنين من أملاك أبيه (تثنية ١٧:٢١). بينما أخوته الأصغر منه يأخذون أنصبة متساوية. فهذا الرجل يظنّ أن أخاه قد اختلس منه ميراثه. وقد فشلت مساعيه في الحصول على ما اعتبره من حقّه، ولكن لو تدخّل المسيح فلابدّ من أن يصل إلى مبتغاه. لقد استمع إلى محاجّات المسيح المثيرة وتشهيره الخطير بالكتبة والفريسيين. فلو وُجه مثل هذا الكلام المزود بسلطان إلى أخيه لما تجرأ على الضنّ على أخيه المغبون بنصيبه.

ففي وسط هذا التعليم المقدس الذي كان المسيح ينطق به كشف هذا الرجل عن أمياله الأنانية. لقد أمكنه أن يقدر مقدرة السيد التي كان يمكن أن تعمل لأجل نجاح وتقدم شؤونه الدنيوية، أما الحقائق الروحية فلم تتأصل في ذهنه وقلبه. لقد كان الحصول على الميراث هو شغله الشاغل. كان يسوع، ملك المجد الذي من أجلنا أفتقر وهو الغني، يفتح له كنوز المحبة الإلهية. وكان الروح القدس يتحاجج معه ليصير وارثا للميراث الذي «لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل» (١ بطرس ١:٤). لقد رأى البرهان على قدرة المسيح. والآن فها قد سنحت الفرصة له ليحدث المعلم العظيم ويعبر له عن أسمى أشواق قلبه. ولكن عينيه كانت مثبتتين في الأرض كالرجل الذي كان يجمع الأقذار والهشيم بمجرفته الوارد ذكره في كتاب سياحة المسيحي لبنيان. فهو لم ير الإكليل الذي كان فوق رأسه. وكسيمون الساحر كان يقدر موهبة الله كوسيلة للكسب العالمي.

كانت رسالة المخلص على الأرض موشكة على الانتهاء. فلم يبق له غير أشهر قليلة لإنجاز ما قد أتى ليكمله لتوطيد دعائم ملكوت نعمته. ومع ذلك فقد أراد الطمع البشري أن يحوّله عن عمله ليحسم نزاعا على قطعة أرض. ولكن يسوع لم يكن ممكنا تحويله عن رسالته. فقد كان جوابه لذلك الرجل هو هذا: «يا إنسان من أقامني عليكما قاضيا أو مقسما»؟ (لوقا ١٢:١٤).

كان يمكن ليسوع أن يخبر هذا الرجل بما هو حق وعدل. لقد عرف جانب الصواب في القضية، ولكن الأخوين كانا متخاصمين لأن كلا منهما كان طماعا. وقد قال المسيح في الواقع: إنّ عملي لا يتناول فض منازعات من هذا النوع. لقد أتى لأجل قصد آخر، ليكرز بالإنجيل وهكذا ليوقظ الناس للإحساس بالحقائق الأبدية.

إنّ في معالجة المسيح لهذه القضية درسا لكل من يخدمون باسمه. فعندما أرسل الاثني عشر قال لهم: «وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد أقترب ملكوت السموات. أشفوا مرضى. طهروا برصاً. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا» (متى ١٠: ٧ و ٨). لم يكن عملهم يتناول فض مشاكل الناس الزمنية، بل استمالة الناس إلى المصالحة مع الله. ففي هذا العمل انحصرت قوتهم في مباركة البشرية. إنّ المسيح هو الترياق الوحيد لخطايا الناس وأحزانهم. وإنجيل نعمته وحده يستطيع أن يشفي الشرور التي هي لعنة المجتمع. ثم إنّ ظلم الأغنياء للفقراء وكره الفقراء للأغنياء متماثلان إذ كلاهما من جذر واحد وهو الأنانية، وهذه لا يمكن استئصالها إلا عن طريق الخضوع للمسيح. فهو وحده يستطيع أن يستبدل قلب الخطية الأناني بقلب المحبة الجديد. فليكرز خدام المسيح بالإنجيل بالروح المرسل من السماء وليخدموا كما قد خدم هو لأجل خير الناس. حينئذ ستظهر مثل هذه النتائج في مباركة بني الإنسان والسموّ بهم، الأمر الذي يستحيل إنجازه إطلاقا بأيّة قوة بشرية.

إنّ ربنا قد ضرب في أصول المسألة التي أزعجت هذا السائل، وكل المنازعات المشابهة إذ قال: «انظروا وتحفظوا من الطمع. فإنه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله».

«وضرب لهم مثلا قائلا. إنسان غني أخصبت كورته. ففكر في نفسه قائلا ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري. وقال أعمل هذا. أهدم مخازني وأبني أعظم. وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي وأشربي وأفرحي. فقال له الله يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك. فهذه التي

أعددتها لمن تكون. هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيا لله» (لوقا ١٢:١٥ - ٢١).

كشف المسيح في مثل الغني الغبي عن غباوة من يجعلون العالم كل نصيبهم. لقد تناول هذا الرجل كل شيء من يد الله. سمح للشمس بأن تشرق على أرضه لأن أشعتها تشرق على الأبرار والظالمين. وأمطار السماء تنزل على الأشرار والصالحين. لقد جعل الرب النبات يزدهر وجعل الحقول تأتي بثمر وفير. وقد كان الرجل مرتبكا في ماذا يفعل بأثماره. كانت بيادره ممتلئة وفائضة ولم يكن له موضع يجمع فيه الفائض من محاصيله. لم يفكر في الله الذي منه تنحدر كل المراحم. ولم يدرك أن الله قد جعله وكيلا على أمواله لكي يساعد هو المحتاجين. كانت لديه فرصة مباركة لأن يكون وكيلا لله في توزيع الصدقات، ولكنه لم يفكر في غير خدمة نفسه وما يؤول إلى راحته.

لقد وُجه انتباه هذا الرجل الغني إلى حالة الفقير واليتيم والأرملة والمتضايق والمتألم، وكانت توجد أماكن كثيرة يمكنه أن يوزع عليها خيراته. فكان يمكنه بكل سهولة أن يريح نفسه من جزء من تلك الخيرات الوافرة، وكان يمكن لبيوت كثيرة أن تتحرر من العوز، وكان يمكن إشباع كثيرين من الجياع، وتوفير الكساء لكثيرين من العراة، وجلب السرور إلى كثير من القلوب الحزينة، وكانت تجاب صلوات كثيرة قُدمت في طلب الطعام والكساء وكانت ترفع إلى السماء أغاني الحمد. إنّ الرب قد سمع صلوات المحتاجين وهيأ بجوده للمساكين (مزمور ٦٨:١٠). كانت توجد مؤونة وافرة لسد احتياجات كثيرين في البركات الممنوحة للغني. ولكنّه أغلق قلبه فلم يسمع صرخات الفقراء، وإنما قال لعبيده: «أعمل هذا أهدم مخازني وابني أعظم. وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي يا

نفس لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة. استريحي وكلي وأشربي وأفرحي».

إنّ أهداف هذا الرجل لم تكن أعظم من أهداف البهائم التي تباد. لقد عاش كما لو لم يكن هنالك إله ولا سماء ولا حياة عتيدة، وكأن كل ما كان له هو ملكه، وكأنه لم يكن مديناً بشيء لله أو لإنسان. وقد كان المرنم يصف هذا الغني حين قال: «قال الجاهل في قلبه ليس إله» (مزمور ١:١٤).

لقد عاش هذا الإنسان ورسم خططه لذاته. إنّه يرى أنّ المستقبل معدّ له بوفرة، ولا شيء له الآن ليعمله سوى أن يجمع ثمار تعبه ويتمتع بها. إنّه يعتبر نفسه مُفضّلا على باقي الناس وهو يفاخر بنفسه لأجل تدبيره الحكيم. إنّه مكرّم من أبناء بلده على أنّه صائب الرأي ومواطنٌ ناجح. لأن الناس: «يحمدونك إذا أحسنت إلى نفسك» (مزمور ١٨:٤٩).

ولكن: «حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله» (١كورنثوس ١٩:٣). ففيما كان الغني ينظر إلى الأمام إلى سني تمتع فالرب يدبر خططاً أخرى تختلف عن ذلك. فها هي الرسالة تأتي إلى هذا الوكيل الخائن قائلة: «يا غبي هذه الليلة تُطلب نفسك منك». هنا مطلب لا يمكن للمال أن يسده. فالثروة التي اكتنزها لا يمكنها أن تشتري فرصة إمهال. ففي لحظة واحدة يمسي كل ما قد تعب مدى حياته ليحرزه عديم القيمة بالنسبة إليه «فهذه التي أعددتها لمن تكون»؟ إن حقوله الواسعة ومخازنه الممتلئة ما عاد له السلطان عليها. «يذخر ذخائر ولا يدري من يضمها» (مزمور ٦:٣٩).

والشيء الوحيد الذي كان يمكن أن يكون ذا قيمة بالنسبة إليه الآن لم يحصل عليه. فإذ عاش لذاته رفض تلك المحبة الإلهية التي كان يمكن أن تفيض بالرحمة لبني جنسه. وهكذا رفض الحياة. لأنّ الله محبة والمحبة هي الحياة. لقد اختار هذا الرجل الأرضيات بدل الروحيات، ومع الأرضيات

يجب أن يزول. «إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد» (مزمور ٤٩:٢٠).

«هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيا لله». إنّ هذه الصورة تنطبق على كل عصر. فقد تدبر خططك لأجل خيرك الذاتي فحسب، وقد تجمع كنوزا، وقد تبني قصوراً عظيمة وشاهقة كما فعل بناة بابل القديمة، ولكن لا يمكنك أن تبني سورا عاليا أو تبني بابا متينا بحيث يمكنك أن تصدّ رسل الدينونة. إنّ بيلشاصر الملك «صنع وليمة عظيمة» في قصره وكان يسبح «آلهة الذهب والفضة والنحاس والحديد والخشب والحجر». ولكن يد إنسان غير منظور كتبت على حائطه حكم الدينونة وسُمع وقع أقدام الجيوش المعادية تدق أبواب قصره. «في تلك الليلة قُتل بيلشاصرُ ملك الكلدانيين» وجلس على العرش ملك أجنبي (دانيال ٥:٣٠).

إنّ كون الإنسان يعيش لذاته هو الهلاك المحقق. فالطمع واشتهاء الإنسان المنفعة لذاته يبتر النفس عن الحياة. إنّ روح الشيطان هي أن يمتلك ويجمع كل شيء لنفسه. أما روح المسيح فهو أن يعطي ويضحي بالذات لأجل خير الآخرين. «وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه. من له الإبن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١ يوحنا ٥:١١ و١٢).

لذلك يقول: «أنظروا وتحفظوا من الطمع. فإنّه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله».

٢١ «هـوَّة عَظيمَة قَد أُثبتتْ»

يرينـا المسـيح في مثـل الغـني ولعـازر أنّ الإنسـان يقـرر مصـيره الأبـدي في هذه الحيـاة. وفـي أثنـاء فرصـة الإمـهال تُقـدَّم نعمـة الله لكـل نفس. ولكـن إذا أنفـق النـاس الفـرص المقدمـة لهـم وأضاعـوها في إرضـاء الـذات فإنـهم يفصلـون أنفسـهم مـن الحيـاة الأبديـة. ولـن تُعطـى لهـم فرصـة إمـهال أخـرى. فإنهم بمحض اختيارهم قد أثبتوا هـوَّة لا تُعـبر بينـهم وبـين الله.

هـذا المثـل يرسـم لنـا الفـرق بـين الأغنيـاء الذيـن لم يجعلـوا الله معتمدهـم والفقراء الذيـن قد جعلـوا الله سـندهم. والمسـيح يرينـا أنّـه قريبـا سـيأتي الوقـت الـذي فيـه سـينعكس مركـز كـل مـن الفريقـين. فـالذين هـم فقـراء في خـيرات هـذا العـالم ومـع ذلـك يثقـون بـالله ويصـبرون علـى الآلام والشـدائد سـيرتفعون يوما مـا ويتمجـدون فـوق مـن يحتلـون الآن أسمـى المراكـز الـتي يمكـن للعـالم أن يمنحها ومع ذلـك لم يسـلموا حياتـهم لله.

قـال المسـيح: «كـان إنسـان غـني وكـان يلبـس الأرجـوان والـبزّ وهـو يتنعّـم كـل يـوم مترفـها. وكـان مسـكين اسمـه لعـازر الـذي طـرح عنـد بابـه مضروبـا بـالقروح. ويشـتهي أن يشـبع مـن الفتـات السـاقط مـن مـائدة الغـني» (لوقـا ١٩:١٦ - ٢١).

لم يكـن الرجـل الغـني ينتمـي إلى الفريـق الـذي يمثلـه قـاضي الظلـم الـذي كـان يجـاهر باحتقـاره لله وللنـاس. فقـد كـان يّدعـي أنّـه ابـن لإبراهيـم. وهـو لم يقـسُ في معاملتـه للمسـكين ولا طلـب منـه أن ينصـرف عـن بيتـه لأنّ منظـره كريـه. فـإذا كـان الفقـراء الذيـن تعافـهم النفس تعـزّوا عندمـا شـاهدوه وهـو داخـل أبوابـه فقد كـان الرجـل الغـني راغبا في بقائـه. ولكنّـه كـان إنسـانا أنانيـا لا يكترث لحاجـات أخيـه المتـألم.

لم تكن توجد في ذلك الزمان مستشفيات يُعنى فيها بالمرضى. وكان المتألمون والفقراء يجلبون إلى انتباه من قد استأمنهم الربّ على المال حتى يمكنهم أن يحصلوا على العون والعطف منهم. وهكذا كان الحال مع المسكين وهذا الغني كان لعازر في أشد الحاجة إلى المعونة لأنّه لم يكن له أصدقاء ولا بيت ولا مال ولا طعام. ومع ذلك فقد سُمح له بأن يظل على هذه الحال يوما بعد يوم، في حين أن ذلك الشريف الغني كانت كل حاجاته مكفولة. فذاك الذي كانت له كل القدرة على أن يخفّف آلام واحد من بني جنسه عاش لنفسه كما يفعل كثيرون اليوم.

يوجد اليوم بالقرب منا كثيرون من الجياع والعراة والمشردين. فإهمالنا في اقتسام مواردنا مع هؤلاء الفقراء المتألمين يثقّل كواهلنا بجرم عظيم ستخيفنا مواجهته يوما ما. إنّ كل طمع محكوم عليه بأنه عبادة أوثان. إنّ كل انغماس أناني هو إثم في نظر الله.

لقد جعل الله الرجل الغني وكيلا له على أمواله، وقد كان الواجب يقتضيه أن يهتم بحالات أمثال ذلك الشحاذ. لقد صدر هذا الأمر من الله: «فتحبّ الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك» (تثنية ٦:٥)، «تحبّ قريبك كنفسك» (لاويين ١٩:١٨). كان الغني يهوديا وكان عارفا أمر الله ولكنه نسي أنه مسؤول عن كيفية استخدام الوسائل والإمكانيات المودعة عنده. لقد أغدق الله بركاته عليه بغنى، ولكنه استخدمها لنفسه ليكرم نفسه لا ليكرم خالقه. فبنسبة أمواله الكثيرة كان ملتزما أن يستخدم تلك الأموال في رفع شأن الإنسانية. هذا كان أمر الرب، ولكن الغني لم يكن يفكر في التزامه نحو الله. كان يقرض المال وكان يتقاضى الربا عما أقرضه، ولكنه لم يقدم أي فائدة عما أقرضه الله إياه. كانت عنده معرفة ومواهب ولكنه لم يحسن استخدامها. وإذ نسي مسؤوليته لله كرّس كل

قواه للمسرات. فكل ما كان محاطا به من جولات تسلياته ومديح أصدقائه وتمليقاتهم خدمت تمتّعه الأناني. لقد كان مستغرقا في مجتمع أصدقائه بحيث أضاع كل شعور بمسؤوليته في التعاون مع الله في خدمة رحمته. كانت لديه فرصة لفهم كلمة الله والعمل بتعاليمها، ولكن المجتمع المحب للذات والمسرّات الذي اختاره شغل وقته بحيث نسي الإله السرمدي.

ولكن جاء الوقت الذي حدث فيه تغيير في حالة ذينك الرجلين. كان المسكين يتألم يوما بعد يوم ولكنه احتمل آلامه بصبر وهدوء. وبمرور الوقت مات ودُفن. ولم يكن هناك من ينوح عليه، ولكنه بصبره واحتماله شهد للمسيح وصمد أمام امتحان إيمانه وعند موته يُصَّور على أن الملائكة قد حملته إلى حضن إبراهيم.

إنّ لعازر يرمز إلى الفقراء المتألمين المؤمنين بالمسيح. فعندما يضرب البوق ويسمع جميع من في القبور صوت المسيح ويخرجون سينالون جزاءهم لأن إيمانهم بالله لم يكن مجرد نظرية بل كان حقيقة.

«ومات الغني ودفن. فرفع عينيه في الجحيم وهو في العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر في حضنه. فنادى وقال له يا أبي ابراهيم ارحمني وأرسل لعازر ليبلّ طرف إصبعه بماء ويبرّد لساني لأنّي معذّب في هذا اللهيب».

في هذا المثل كان المسيح يلاقي الناس في ميدانهم. إنّ عقيدة وجود حالة يقظة بين الموت والقيامة كان يعتنقها كثيرون ممن كانوا يستمعون لأقوال المسيح. وقد عرف المخلص آراءهم فصاغ المثل لكي يدخل في أذهانهم حقائق هامة عن طريق هذه الآراء التي سبق فتصوروها. لقد رفع أمام أنظار سامعيه مرآة فيها يرون أنفسهم في علاقتهم الحقيقية بالله. فقد أستعمل الرأي الشائع لكي ينقل الفكرة التي أراد أن يجعلها بارزة فوق

غيرها - ألا وهي أنّ الإنسان لا يُقدَّر بكثرة أملاكه لأنّ كل ما يملكه هو له فقط كإعارة من الرب. وسوء استخدامه لهذه الهبات يضعه في مستوى أدنى من مستوى أفقر إنسان متألم ومبتلي يحب الله ويثق به.

والمسيح يريد أن يَفهم سامعوه أنه يستحيل على الناس أن يحصلوا على خلاص النفس بعد الموت. وإبراهيم يُصوَّر هنا على أنه يجيب الغني قائلا: «يا ابني أذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزى وأنت تتعذب. وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوَّة عظيمة قد أثبتت حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا إليكم لا يقدرون ولا الذين من هناك يجتازون إلينا». وهكذا صور المسيح القنوط من انتظارهم فرصة إمهال أخرى. فهذه الحياة هي الفرصة الوحيدة المعطاة للإنسان للاستعداد للأبدية.

لم يكن الغني قد تخلى عن فكرة كونه ابنا لإبراهيم، ويصوَّر كأنه يصرخ إليه في ضيقه في طلب العون. فصلى قائلا: «يا أبي ابراهيم ارحمني». فلم يصلِّ إلى الله بل إلى ابراهيم. وهكذا برهن على أنه يرفع من مقام ابراهيم فوق مقام الله، وأنّه اعتمد في أمر خلاصه على صلته بإبراهيم. إنّ اللص المصلوب على الصليب قدم صلاته إلى المسيح إذ قال: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» (لوقا ٢٣:٤٢). ففي الحال جاءته الإجابة، الحق أقول لك اليوم (فيما أنا معلق على الصليب في إذلال وعذاب) أنّك تكون معي في الفردوس (لوقا٢٣:٤٣). ولكن الغني صلّى إلى إبراهيم فلم يُعطَ له طلبه. فالمسيح هو وحده الذي رفعه الله ليكون «رئيساً ومخلصاً ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا» (أعمال ٥:٣١). «وليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال ٤:١٢).

لقد أنفق الغني حياته في إرضاء ذاته، وبعد فوات الأوان رأى أنّه لم يستعد للأبدية. فتحقق من غبائه وفكر في إخوته الذين كانوا يسيرون كما كان هو يسير ويعيشون ليلذذوا أنفسهم. ثم قدم ملتمسا آخر قائلا: «أسألك إذاً يا أبتِ أن ترسله (لعازر) إلى بيت أبي لأن لي خمسة أخوة. حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضاً إلى موضع العذاب هذا. قال له ابراهيم عندهم موسى والأنبياء. ليسمعوا منهم. فقال لا يا أبي ابراهيم. بل إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء. ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون» (لوقا ١٦:٢٧ – ٣١).

عندما توسّل الغني في إرسال برهان إضافي إلى أخوته قيل له بكل صراحة أنّه لو قدم هذا البرهان لهم فإنهم لا يقتنعون. إنّ طلبه ألقى بعض اللوم على الله. فكأنما الغني يقول لو كنت قد أنذرتني بما فيه الكفاية لما كنت أنا الآن في هذا المكان. إنّ إبراهيم بجوابه على هذا الطلب يصوِّر كأنه يقول: إنّ أخوتك قد أنذروا إنذارا كافيا. لقد أعطي لهم النور ولكنهم رفضوا أن يبصروا، وقد قُدم لهم الحق ولكنهم رفضوا أن يسمعوا.

«إن كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون». لقد تبرهن صدق هذا الكلام في تاريخ الأمة اليهودية. كانت آخر معجزات المسيح وخاتمتها هي معجزة إقامة لعازر في بيت عنيا بعدما ظل مدفونا في القبر أربعة أيام. وقد قُدم لليهود هذا البرهان العجيب على ألوهّية المخلص ولكنهم قسّوا قلوبهم أمام كل برهان بل حاولوا اغتياله (يوحنا ١٢:٩ – ١١).

إنّ الناموس والأنبياء هي وسائل الله المعينة لأجل خلاص الناس. وقد قال المسيح: ليلتفتوا إلى هذه الأدلة. فإذا لم يُصغوا إلى صوت الله في كلمته فإنهم لن يلتفتوا إلى شهادة إنسان مقام من الأموات.

إنّ من يلتفتون إلى أقوال موسى والأنبياء لن تكون لهم حاجة إلى نور أعظم عن الله فوق ما أعطي لهم، أمّا إذا رفض الناس النور ولم يقدروا الفرص الممنوحة لهم فلن يسمعوا لو جاءهم واحد من الأموات برسالة. لن يقتنعوا حتى بهذا البرهان، لأن من يرفضون الناموس والأنبياء يقسون قلوبهم جدّا بحيث يرفضون كل النور.

إنّ الحديث الذي جرى بين إبراهيم وهذا الرجل الذي كان قبلا غنيا حديث مجازي. إنما الدرس الذي نقتبسه منه هو أنّ كل إنسان قد أعطي نورا كافيا للقيام بالواجبات المطلوبة منه. إنّ مسؤوليات الإنسان متناسبة مع فرصه وامتيازاته. والله يمنح كل واحد نورا ونعمة كافيين للقيام بالعمل الذي قد أعطاه إيّاه ليعمله. فإذا أخفق إنسان في عمل ما يريه النور الضئيل أنه واجبه، فإنّ النور الأعظم سيكشف عن عدم أمانته وإهماله في استخدام البركات المعطاة له استخداما حسنا: «الأمين في القليل أمين أيضا في الكثير، والظالم في القليل ظالم أيضا في الكثير» (لوقا ١٦: ١٠). أن من يرفضون الاستنارة من كتب موسى والأنبياء ويطلبون إجراء معجزة عجيبة لن يقتنعوا لو أجيبوا إلى طلبهم.

إنّ مثل الغني ولعازر يرينا كيف يُقدَّر الفريقان اللذان يرمز إليهما هذان الرجلان في العالم غير المنظور. لا خطية في أن يكون الإنسان غنيا إذا لم يجمع الإنسان الثروة بالظلم. أن الرجل الغني ليس مدينا لأن عنده ثروة، ولكن الدينونة تستقر عليه إذا كان ينفق الأموال المودعة لديه على نفسه وأنانيته. ولكن كان أفضل من ذلك بكثير لو أنه كنز أمواله إلى جوار عرش الله باستخدامها في عمل الخير. إنّ الموت لا يمكن أن يفقر الإنسان الذي يكرس نفسه هكذا لطلب الغني الأبدي.أمّا ذاك الذي يكنز كنزه لذاته فلا يمكنه أن يأخذ شيئا منه إلى السماء. لقد برهن على أنّه وكيل خائن. ففي

حياته كانت له خيراته ولكنّه نسي التزامه لله. لقد أخفق في صيانة الكنز السماوي.

إن الرجل الغني الذي كانت له امتيازات هذا عددها يصوِّر لنا على أنّه إنسان كان ينبغي له أن ينمي مواهبه حتى تصل أعماله إلى عالم الأبد العظيم حاملة معها امتيازات روحية عظيمة. إنّ غاية الفداء ليست فقط غفران الخطايا بل أيضا أن تعيد إلى الإنسان تلك الهبات الروحية التي خسرها بفعل قوة الخطية المضعّفة. إنّ المال لا يمكن أن يؤخذ إلى الحياة الأخرى إذ لا حاجة إليه هناك. ولكن الأعمال الصالحة التي نعملها في ربح النفوس للمسيح تؤخذ إلى مواطن السماء. أما من ينفقون عطايا الله بكل أنانية على نفوسهم تاركين بني جنسهم الفقراء بلا عون. ولا يعملون شيئا لتقدم عمل الله في العالم فإنّهم يهينون جابلهم. فسيكتب أمام أسمائهم في أسفار السماء إنّهم قد سلبوا الله.

لقد كان عند الغني كل ما أمكن للمال أن يحصّله، ولكنّه لم يكن يملك الغنى الذي كان يمكن أن يجعل حسابه مضبوطا مع الله. لقد عاش كما لو إنّ كل ما كان عنده كان ملكه. لقد أهمل دعوة الله ومطاليب الفقراء المتألمين. ولكن أخيرا يأتيه نداء لا حيلة له في إغفاله. فبسلطان لا يستطيع أن يجادله أو يقاومه يُدعى لترك أملاكه التي ما عاد وكيلا عليها. فذاك الذي كان قبلا رجلا غنيّا هبط بحيث وصل إلى الفقر الذي لا يُجبر. وثوب برّ المسيح المنسوج في نول السماء لا يمكن أن يكسوه. وذاك الذي كان فيما مضى يلبس البز والأرجوان انحط فصار عارياً. لقد انتهت فرصة إمهاله. إنه لم يأت إلى العالم بشيء ولذلك لا يستطيع أن يأخذ منه شيئا.

لقد رفع المسيح الستار وعرض هذه الصورة أمام أذهان الكهنة والرؤساء والكتبة والفريسيين. فانظروا إليها يا من أنتم أغنياء في خيرات هذا العالم

ولكنكم لستم أغنياء لله. أفلا تتأملون في هذا المشهد؟ إنّ ما هو معتبر عظيما بين الناس مكروه في نظر الله. إنّ المسيح يسأل قائلا: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه. أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه» ؟ (مرقس ٣٦: و ٣٧).

تطبيق هذا على الأمة اليهودية

عندما قدم المسيح مثل الغني ولعازر، كان كثيرون من أبناء الأمة اليهودية في مثل حالة الغني التي يُرثى لها إذ كانوا يستخدمون خيرات الله في إشباع شهواتهم وأنانيتهم. على أهبة سماع الحكم عليهم قائلا: «وُزنت بالموازين فوجدت ناقصا» (دانيال ٢٧:٥). كان الغني منعما عليه بكل بركة زمنية وروحية، ولكنه رفض التعاون مع الله في استخدام هذه البركات. وهذا ما حدث مع الأمة اليهودية. لقد جعل الله اليهود مستودعات للحق المقدس وأقامهم وكلاء على نعمته. وقد منحهم كل امتياز روحي وزمني وطلب منهم أن يوزعوا هذه البركات. وقد أعطيت لهم وصية خاصة عن معاملتهم لإخوتهم الذين ساءت حالهم، وعن الغريب الذي في داخل أبوابهم والفقراء العائشين بينهم. لم يكن لهم أن يحاولوا جمع كل المغانم لأنفسهم بل كان عليهم أن يذكروا المعوزين ويقتسموا معهم تلك البركات. وقد وعد الله بأن يباركهم تبعا لأعمال المحبة والرحمة التي يعملونها. ولكنهم كالغني لم يمدوا يد العون لسد الاعواز الزمنية أو الروحية التي تعاني منها الإنسانية المتألمة.فإذ امتلأوا بالكبرياء اعتبروا أنفسهم شعب الله المختار والمحبوب، ومع ذلك فهم لم يخدموا الله ولا عبدوه. لقد جعلوا اعتمادهم على حقيقة كونهم أولاد ابراهيم. لقد قالوا في زهو وكبرياء: «أننا ذرية ابراهيم» (يوحنا ٣٣:٨). ولكن لما حلت الأزمة ظهر أنهم انفصلوا عن الله ووضعوا ثقتهم في إبراهيم كما لو كان هو الله.

وقد اشتاق المسيح أن يشرق بالنور في العقول المظلمة عقول الشعب اليهودي. فقال لهم «لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله ابراهيم» (يوحنا ٨:٣٩ و ٤٠).

إنّ المسيح لم يعترف بأية فضيلة في النسب. فقد علّم أنّ الرابطة الروحية تلغي كل الروابط الطبيعية. كان اليهود يدّعون أنهم من نسل إبراهيم، ولكن لأنهم لم يعملوا أعمال ابراهيم برهنوا على انّهم ليسوا أولاده بالحق. ولكن الذين يبرهنون روحيا على أنهم في توافق مع ابراهيم بإطاعة صوت الله هؤلاء هم وحدهم الذين يُحسبون من النسل الحقيقي. ومع أنّ المتسول المسكين كان ينتمي إلى فئة كان يُنظر إليها على أنّها من طبقة أدنى فالمسيح اعترف به كمن يحبّ إبراهيم أن يدخله في صحبته الخاصة.

إنّ الغني مع أنّه كان محاطا بكل أسباب ترف الحياة ورفاهيتها كان يجهل أنه قد وضع إبراهيم حيث يجب أن يكون الله. فلو أنّه قدّر امتيازاته السامية وسمح لروح الله بان يصوغ عقله وقلبه لكان قد أصبح في مركز يختلف اختلافاً بيّنا عمّا صار إليه. وكذلك الحال مع الأمة التي كان يمثلها. فلو أنّهم استجابوا لدعوة الله لكان مستقبلهم يختلف اختلافا عظيما عما صاروا إليه. فكانوا يبرهنون على تميزهم وفهمهم الروحي. كانت عندهم أموال كان يمكن لله أن يزيدها ويجعلها كافية لأن تبارك كل العالم وتنيره. ولكنهم كانوا قد انفصلوا وابتعدوا عن تدبير الرب حتى فسدت كل حياتهم. فلم يستخدموا عطاياهم كمن هم وكلاء لله بالحق والعدل. فلم يحسبوا للأبدية حسابا وكان من نتائج خيانتهم الدمار الذي حلّ بالأمة كلها.

لقد عرف المسيح أنّ اليهود سيذكرون إنذاره عند خراب أورشليم وحل بالشعب الجوع والآلام من كل نوع ذكروا أقوال المسيح هذه وفهموا

المثل. لقد جلبوا على أنفسهم الآلام بإهمالهم تقديم النور المعطى لهم من الله لينير العالم كله.

في الأيام الأخيرة

إنّ المشاهد الأخيرة في تاريخ هذه الأرض مصورة في ختام تاريخ الغني. فقد ادّعى الغني أنّه ابن إبراهيم ولكنّ هوة لا تُعبر فصلت بينه وبين إبراهيم هي الصفات الخاطئة التي تربّت فيه. لقد خدم إبراهيم الله متّبعا كلامه بالإيمان والطاعة. أمّا الغني فلم يكترث لله ولا لحاجات الإنسانية المتألمة. فالهّوة العظيمة التي قد أثبتت بينه وبين إبراهيم كانت هي هوة العصيان. ويوجد كثيرون اليوم يسيرون في نفس الطريق. فمع أنهم أعضاء في الكنائس فهم غير متجددين. قد يشتركون في خدمة الكنيسة وقد يترنمون قائلين: «كما يشتاق الإيّل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله» (مزمور ٤٢:١)، ولكنهم يشهدون كذباً. فهم ليسوا أبرّ في نظر الله من أنجس خاطيء. فالنفس التي تشتاق إلى إثارة السرور العالمي، والعقل الذي يملأه حب الظهور لا يمكنهما أن يخدما الله. وكالغني المذكور في المثل لا يميل مثل هذا الإنسان إلى إثارة الحرب ضدّ شهوة الجسد. إنّه يتوق إلى الانغماس في النهم ويختار جوّ الخطية. وفجأة يختطفه الموت، فينحدر إلى الهاوية بالصفات التي كوّنها مدى حياته في معاشرته للأعوان الشيطانية. وفي الهاوية لا يمكنه أن يختار شيئا خيرا كان أم شرا لأنّه في اليوم الذي فيه يموت الإنسان تهلك أفكاره (مزمور ١٤٦:٤؛ جامعة ٩:٥ و ٦).

وعندما يوقظ صوتُ الله الميّت فسيخرج من القبر بنفس الشهوات والأهواء، بنفس النزعات إلى الأشياء التي يحبّها والتي لا يحبها التي كانت له وهو على قيد الحياة. إنّ الله لا يصنع معجزة ليخلق من جديد إنساناً لم

يرغب في ذلك عندما قدمت له كل الفرص وأُعدّت له كل المساعدات. ففي أثناء سنيّ حياته لم يكن يفرح بالله ولا وجد سرورا في خدمته. فصفاته لا تتفق مع صفات الله ولم يستطع أن يسعد بوجوده بين الأسرة السماوية.

وفي العالم اليوم يوجد فريق من الناس هم أبرار في أعين أنفسهم. إنّهم ليسوا شرهين ولا سكيرين ولا ملحدين، ولكنّهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم لا لله. ليس الله في أفكارهم لذلك فهم يُحصَون بين غير المؤمنين. فلو كان من الممكن لهم أن يدخلوا من أبواب مدينة الله لما كان لهم الحق في الأكل من شجرة الحياة لأنه عندما وُضعت أمامهم وصايا الله بكل مطاليبها المُلزمة رفضوها. فلم يخدموا الله في العالم ولذلك فلن يخدموه في الأبدية. لم يمكنهم أن يعيشوا في حضرته فلذلك هم يحسّون بأنّ أي مكان آخر يفضلُ السماء.

إنّ التعلم من المسيح معناه قبول نعمته التي هي خلُقه وصفاته. ولكن الذين لا يقدّرون ولا يستثمرون الفرص الثمينة والتأثيرات المقدسة الممنوحة لهم على الأرض ليسوا مؤهّلين للاشتراك في العبادة الطاهرة في السماء. فصفاتهم غير مصوغة بحسب المثال الإلهي. فبإهمالهم قد خلقوا هوّة لا يمكن عبورها. فبينهم وبين الأبرار هوة عظيمة قد أثبتت.

❷❷ القَول والعَمَل

«كان لإنسان ابنان فجاء إلى الأول وقال له يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي. فأجاب وقال ما أريد. ولكنّه ندم أخيرا ومضى. وجاء إلى الثاني وقال كذلك. فأجاب وقال ها أنا يا سيّد. ولم يمض. فأي الاثنين عمل إرادة الأب. قالوا له الأول» (متى ٢١:٢٨ - ٣١).

قال المسيح في الموعظة على الجبل: «ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات» (متى ٧:٢١). إنّ الإخلاص لا يُختبر بالأقوال بل بالأعمال. إنّ المسيح لا يقول لأي إنسان: ماذا تقول أكثر من الآخرين ؟ بل: «أي فضل تصنعون» ؟ (متى ٥:٤٧). إنّ قوله: «إنّ علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه» (يوحنا ١٣:١٧) هو قول غني بالمعنى. إنّ الكلام لا قيمة له ما لم تصحبه الأعمال اللائقة. هذا هو الدرس الذي نتعلمه من مثل الإبنين.

نطق المسيح بهذا المثل عندما زار أورشليم آخر مرة قبل موته. كان قد طرد من الهيكل من كانوا يشترون ويبيعون. وقد تكلم صوته إلى قلوبهم بقوة الله. فإذ ذُهلوا وارتعبوا أطاعوا أمرَه بدون اعتذار أو مقاومة.

فبعدما هدأت مخاوفهم وعاد الكهنة والشيوخ إلى الهيكل وجدوا المسيح يشفي المرضى والمحتضرين. لقد سمعوا صوت الفرح وأغاني الحمد. وفي الهيكل نفسه كان الأولاد الذين عادت إليهم الصحة يلوحون بسعف النخل ويهتفون قائلين أوصنا لابن داود. والأطفال كانوا يلهجون بأصوات الحمد للشافي القدير. ومع ذلك فإن هذا كله لم يكن كافيا لقهر تعصّب الكهنة والشيوخ وحسدهم.

وفي اليوم التالي فيما كان المسيح يعلم في الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وقالوا له: «بأي سلطان تفعل هذا. ومن أعطاك السلطان» ؟ (متى ٢١:٢٣).

لقد أُعطِيَ للكهنة والشيوخ برهانٌ لا يُدحض على قدرة المسيح. ففيما كان يطهر الهيكل رأوا سلطان السماء يتألق في وجهه. ولم يستطيعوا أن يقاوموا السلطان الذي كان يتكلم به. ثم أيضا عندما كان يقوم بأعمال الشفاء العجيبة كان في ذلك الجواب على سؤالهم. لقد قدّم عن سلطانه البرهان الذي لم يمكن أن يجادل فيه. ولكن ما كان مطلوباً لم يكن هو البرهان. لقد كان الكهنة والشيوخ يتوقون إلى أن يعلن يسوع نفسه كمسيا حتى يمكنهم أن يحرِّفوا أقواله ويثيروا الشعب ضدّه. كانوا يريدون أن يقضوا على نفوذه ويقتلوه.

وقد علم يسوع أنّهم إذا لم يستطيعوا أن يميزوا الله في ذاته هو أو يروا في أعماله البرهان على صفته الإلهية فلن يصدقوا شهادتَه بأنه المسيح. ففي جوابه تجنّب النتيجة التي كانوا يرجون الوصول إليها وجعل الاتّهام يرتدّ على رؤوسهم.

فقال لهم: «وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة فإن قلتم لي عنها أقول لكم أنا أيضا بأي سلطان أفعل هذا. معمودية يوحنا من أين كانت من السماء أم من الناس» ؟

وقد ارتبك الكهنة والرؤساء: «ففكروا في أنفسهم قائلين إن قلنا من السماء يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به ؟ وإن قلنا من الناس نخاف من الشعب. لأنّ يوحنا عند الجميع مثل نبي. فأجابوا يسوع وقالوا لا نعلم. فقال لهم هو أيضا ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا».

«لا نعلم» لقد كان هذا الجواب كذباً. ولكنّ الكهنة رأوا المركز الحرج الذي كانوا فيه فكذبوا لكي يحموا أنفسهم. لقد أتى يوحنا المعمدان شاهداً للذي كانوا الآن يشكّون في سلطانه. وقد أشار إليه قائلا: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يوحنا ١:٢٩). وقد عمّده وبعد المعمودية فيما كان المسيح يصلي انفتحت السموات وروح الله مثل حمامة حَّل عليه بينما سُمع صوت من السموات قائلا: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (متى ٣:١٧).

إنّ الكهنة والرؤساء إذ ذكروا كيف كان يوحنا يردّد النبوات الخاصة بالمسيح، وإذ ذكروا المشهد الذي رُئيَ عند عماد المسيح لم يجرؤوا على أن يقولوا إنّ معمودية يوحنا كانت من السماء. فلو اعترفوا بأن يوحنا نبي كما كانوا يعتقدون، فكيف كان يمكنهم أن ينكروا شهادته بأنّ يسوع الناصري هو ابن الله ؟ كذلك لم يستطيعوا أن يقولوا إنّ معمودية يوحنا كانت من الناس بسبب الشعب الذين كانوا يؤمنون بأن يوحنا نبيّ. ولذلك قالوا : «لا نعلم».

حينئذ قدم المسيح مثل الأب والابنين. فعندما جاء الأب إلى الابن الأول وقال له: «اذهب اليوم اعمل في كرمي» أجابه الابن قائلا على الفور: «ما أريد» رفض أن يطيع وأسلم نفسه إلى طرق شريرة وسار مع عشراءُ أشرار. ولكنه بعد ذلك ندم وأطاع الدعوة.

ثم ذهب الأب إلى الابن الثاني بنفس الأمر قائلا: «اذهب اليوم اعمل في كرمي» فأجابه هذا الابن قائلا: «ها أنا يا سيد» ولكنه لم يمض.

نجد في هذا المثل أنّ الأب يرمز إلى الله والكرم رمز إلى الكنيسة. والابنان يرمزان إلى فريقين من الناس. والابن الذي رفض إطاعة الأمر قائلا: «ما أريد» يرمز إلى من يعيشون في العصيان العلني والذين لا يّدعون

التقوى، والذين يجاهرون برفضهم الخضوع لنير الردع والطاعة الذي تفرضه شريعة الله. ولكن كثيرين من هؤلاء ندموا بعد ذلك وأطاعوا دعوة الله. فعندما جاءهم الإنجيل في رسالة يوحنا المعمدان قائلا: «توبوا لأنّه قد اقترب ملكوت السموات» تابوا معترفين بخطاياهم (متى ٣:٢).

أما الابن الذي قال: «ها أنا يا سيّد» ولم يمض فقد ظهرت فيه صفات الفريسيين. إنّ رؤساء اليهود كانوا قساة القلوب ومتكلين على أنفسهم كهذا الابن. لقد صارت الحياة الدينية بالنسبة إلى الأمة اليهودية مجرّد إدعاء. فعندما أعلنت الشريعة على جبل سيناء بصوت الله تعهد جميع الشعب بأن يطيعوها. فقد قالوا: «ها أنا يا سيّد» ولكنّهم لم يمضوا. وعندما جاء المسيح بنفسه ليضع أمامهم مبادىء الشريعة رفضوه، وقد قدم المسيح لرؤساء اليهود في أيامه البرهان الكافي على سلطانه وقدرته الإلهية ولكن مع أنهم اقتنعوا فقد رفضوا قبول البرهان. أراهم المسيح أنهم ظلوا سادرين في عدم إيمانهم لأنّه لم تكن عندهم الروح التي تقود إلى الطاعة. وقد أعلن لهم قائلا: «فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ... وباطلا يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس» (متى ١٥:٦ و ٩).

وكان بين الجمع الذين كانوا أمام المسيح كتبة وفريسيون وكهنة ورؤساء، فبعدما قدّم مثل الابنين وجّه المسيح إلى سامعيه هذا السؤال: «فأي الاثنين عمل إرادة الأب»؟ فإذ نسي الفريسيون أنفسهم أجابوه قائلين: «الأول». قالوا هذا وهم لا يدرون أنّهم إنّما يحكمون على أنفسهم. وحينئذ نطق المسيح بهذا الإنذار: «الحق أقول لكم إنّ العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله. لأنّ يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا به. وأمّا العشارون والزواني فآمنوا به. وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيرا لتؤمنوا به».

لقد جاء يوحنا المعمدان كارزا بالحق وبواسطة كرازته تبكّت الخطاة وتجدّدوا. هؤلاء يسبقون إلى ملكوت السموات من قد قاوموا الإنذار المقدس متّكلين على برّ أنفسهم. كان العشارون والزواني جهلة. أما هؤلاء العلماء فكانوا يعرفون طريق الحق. ومع هذا فقد رفضوا السير في الطريق المؤدي إلى فردوس الله. فالحقّ الذي كان ينبغي أن يكون لهم رائحة حياة لحياة أمسى رائحة موت لموت. فالذين كانوا يخطئون جهارا وكانوا يكرهون أنفسهم قبلوا المعمودية على يدي يوحنا، أمّا هؤلاء المعلمون فكانوا مرائين. لقد كانت قلوبهم العنيدة هي العقبة التي منعتهم من قبول الحق. لقد رفضوا تبكيت روح الله. ورفضوا الطاعة لوصايا الله.

إنّ المسيح لم يقل لهم: أنتم لا تستطيعون دخول ملكوت السموات، بل أراهم أنّ العقبة التي منعتهم هي من صنع أيديهم. كان الباب لا يزال مفتوحا أمام رؤساء اليهود هؤلاء، وكانت الدعوة لا تزال مقدمة. وقد تاق المسيح لأن يراهم متبكتين متجددين.

لقد قضى كهنة إسرائيل وشيوخه حياتهم في ممارسة طقوس دينية اعتبروها أقدس من أن ترتبط بالأعمال الدنيوية. ولذلك كان من المفروض أن تكون حياتهم بجملتها حياة دينية. ولكنهم كانوا يمارسون طقوسهم ليراهم الناس ليظن العالم أنهم أتقياء ومكرسون. ففي حين كانوا عاملين بالحق الذي كانوا يعلّمون به.

وقد أعلن المسيح أنّ يوحنا المعمدان نبي من أعظم الأنبياء، وأبان لسامعيه أنه قد قُدم لهم البرهان الكافي على أنّ يوحنا مرسل من الله. فلقد كان نبي البرية يتكلم بقوة وقد حمل رسالته بلا تراجع، موبخا خطايا الكهنة والرؤساء وموصيا إياهم بأن يعملوا أعمال ملكوت السموات. وقد وجه

أنظارهم إلى احتقارهم الآثم لسلطان أبيهم برفضهم القيام بالعمل المعين عليهم. إنّه لم يجارِ الخطية وقد رجع كثيرون عن آثامهم.

ولو كان رؤساء اليهود صادقين في ادعائهم لقبلوا شهادة يوحنا وقبلوا يسوع كمسيا. ولكنهم لم يظهروا ثمار التوبة والبرّ. ونفس الناس الذين كانوا يحتقرونهم تقدموا نحو ملكوت الله قبلهم.

إنّ الابن المذكور في المثل والذي قال: «ها أنا يا سيّد» ادَّعى أنه أمين ومطيع، ولكنّ الزمن برهن على أنّ اعترافه لم يكن حقيقيا. لم يكن يحب أباه محبة صادقة. وهكذا كان الفريسيون يفخرون بقداستهم، ولكن لدى الامتحان وُجدت ناقصةً. فعندما قضت مصلحتهم أن يفعلوا هكذا جعلوا مطاليب الناموس صارمةً جداً، ولكن عندما كان يُطلب منهم أن يطيعوا فإنّهم بسفسطاتهم الماكرة أفقدوا وصية الله قوتها. وقد أعلن المسيح عنهم قائلا: «حسب أعمالهم لا تعملوا لأنّهم يقولون ولا يفعلون» (متى ٢٣:٣). فلم تكن في قلوبهم محبة صادقة لله أو الإنسان. لقد دعاهم الله ليكونوا عاملين معه في جلب البركات إلى العالم، ولكن في حين أنهم قبلوا الدعوة بأفواههم فإنهم بأعمالهم رفضوا الطاعة. لقد اتكلوا على ذواتهم وافتخروا بصلاحهم ولكنهم تحدّوا أوامر الله. وقد رفضوا العمل المعين لهم من الله وبسبب عصيانهم كان الرب مزمعا أن يفصل نفسه عن الأمة العاصية.

إنّ البر الذاتي ليس برّا حقيقيا والذين يتعلقون به سيُتركون ليحصدوا نتائج التمسك بخدعة قاتلة. إنّ كثيرين اليوم يدَّعون أنهم يطيعون وصايا الله ولكن ليست لهم محبة الله في قلوبهم لتفيض على الآخرين. فالمسيح يدعوهم لمشاركته في عمله لأجل خلاص العالم ولكنهم يكتفون بالقول: «ها أنا يا سيّد» ولكنهم لا يمضون. وهم لا يتعاونون مع من يقومون بخدمة الله. إنّهم متكاسلون. فكالإبن الخائن يقدمون لله مواعيد كاذبة. فإذ أخذوا

علـى أنفسـهم عـهدَ الكنيسـة المقــدس تعـهّدوا بقبــول كلمــة الله وإطاعتــها، وأن يكرّسـوا ذواتـهم لخدمـة الله ولكنـهم لا يفعلـون هــذا. إنّــهم بالاعــتراف يدّعــون أنّـهم أبنـاء الله ولكنـهم في حياتــهم وأخلاقــهم ينكــرون هــذه العلاقــة. وهــم لا يسلّمون الإرادة لله. فـهم يحيـون حيـاة الإدعـاء.

ويبدو أنهم يتمّمون الوعد بالطاعة عندما لا ينطـوي هـذا علـى أيـة تضحيـة، ولكـن عندمـا يتطلّـب الأمـر إنكـار الـذات والتضحيــة، وعندمـا يـرون الصليــب الـذي يجـب أن يحملـوه يـتراجعون. وهكـذا يتلاشـى الاقتنـاع بـالواجب ويصـير العصيـان السـافر لوصايـا الله عـادة عندهــم. فقــد تســمع الأذن كلمــة الله ولكــن القـوى الروحيـة الواعيـة قـد تركـت الإنسـان. لقـد صـار القلـب قاسـيا والضمـير موسـوما.

لا تظـنّ أنّــك لكونـك لا تبـدي للمسـيح عـداوة صريحـة فـأنت تقـدم لـه خدمـة. فنحـن بـهذا نخـدع أنفسـنا. فـإذ نمسـك عـن الله مـا قـد أعطـاه لنـا لنستخدمه في خدمتـه سـواء أكـان ذلـك وقتـا أو مـالا أو أيّ هبـة مـن الهبـات المودعة لدينا فإنّنا بذلـك نحاربـه.

إنّ الشـيطان يسـتخدم بــلادة وخمــول المعــترفين بالمســيحية المتغــافلين ليدعُـمَ قوّاتِـه ويكسـب النفـوس إلى جانبــه. وكثـيرون ممّــن يظنــون أنــهم مـع كونـهم لا يقومـون بعمـل حقيقـي لأجـل المسـيح فإنـهم مـع ذلـك في صفّـه، هـؤلاء يسـاعدون العـدو علـى أن يسبق لاحتـلال مواقـع وكسـب مـيزات. إنّ هـؤلاء النـاس بإخفاقـهم في أن يكونـوا خدامـا مجدّيـن لأجـل السـيّد، وبتركــهم للواجبـات دون أن يعملوهـا، وصمتـهم في حـين يجـب أن يتكلمــوا – بذلــك سمحـوا للشيطان بأن يسيطر على نفوسهم التي كان يمكـن ربحـها للمسيح.

لا يمكننـا أبـدا أن نخلُــصَ في خمولنـا وتوانينـا. لا يوجــد أبــدا شــخص متجـدد تجديـداً صحيحـاً وهـو يعيـش حيــاة عــاجزة عديمـة النفـع. ومـن غـير

الممكـن لنـا أن ننجـرفَ مـع التيـار إلى داخـل السـماء. فالسـماء لا يمكـن أن يدخلـها إنسـانٌ كسـول، فـإن لم نجتـهد في الدخـول إلى الملكـوت، ولم نحـاول بكـلّ غـيرة في تعلّـم مـا يكـوّن شـرائعها فلسـنا مؤهلـين للحصـول علـى نصيـب فيـها. والذيـن يرفضـون التعـاون مـع الله علـى الأرض لـن يتعـاونوا معـه في السـماء. فلا يكـون مـن الأمـان أخذهـم إلى السـماء.

يوجـد رجـاء للعشـارين والخطـاة أكـثر ممّـا لأولئـك الذيـن يعرفـون كلمـة الله ولكنهم يرفضـون إطاعتـها. فـالذي يـرى نفسـه خاطئـا دون أن تكـون لديـه حجـة يعتـذر بـها عـن خطيتـه، والـذي يعـرف أنّـه دائـب علـى إفسـاد نفسـه وجسـده وروحـه أمـام الله يرتعـب لئـلا يُطـرد إلى الأبـد مـن ملكـوت السـموات. إنّـه متحقـق مـن حـالته العليـلة ويلتمـس الشـفاء مـن الطبيـب العظيـم الـذي قـال : «من يُقبل إليّ فـلا أخرجـه خارجـا» (يوحنـا ٦:٣٧). هـؤلاء النـاس يمكـن للـرب أن يسـتخدمهم خداما في كرمـه.

إنّ الابن الـذي رفض طاعـة أمـر أبيـه إلى حـين لم يدنْـهُ المسيح ولا مدحـه. إنّ الفريـق الـذي يقـوم أفـراده بـدور الابـن الأول في رفـض الطاعـة لا يسـتحقّون المديـح لوقوفـهم هـذا الموقـف. إنّ صراحتـهم يجـب أن لا تُحسـب فضيلـة. فالصراحـة إذ يقدّسـها الحـقّ والقداسـة كفيلـة بجعـل النـاس شـهودا باسلين للمسيح، ولكـن إذ يسـتخدمها الخـاطيء فإنّـها تنطـوي علـى الإهانـة والتحدّي وتكاد تكـون تجديفا. إنّ حقيقـة كـون الإنسـان ليس مرائيـاً تقلِّـل مـن كونـه خاطئـاً. فعندمـا تصـل دعـوات الـروح القـدس إلى القلـب فسـلامتنا الوحـيدة هـي في.الاستجـابة لهـا بـلا إبطـاء. وعندمـا تـأتي الدعـوة قائلـة : «اذهـب اليـوم اعمـل في كرمـي» فـلا ترفضـها: «اليـوم إنّ سمعتـم صوتـه فـلا تقسـوا قلوبكـم» (عـبرانيين ٤:٧). إنّ تـأجيل الطاعـة لا يؤمّـن جانبـه. فقـد لا تسمع الدعـوة مرّة ثانيـة أبـداً.

ولا يخدعنّ أحد نفسه بالظن أنّ الخطايا التي قد احتضنها بعض الوقت يستطيع بكل سهولة أن يتخلّص منها بعد قليل. إنّ الأمرَ ليس كذلك. فكل خطية يراعيها الإنسان في قلبه تُضعفُ الخُلُقِ وتقوّي العادة، وينتج عن ذلك انحطاط جسماني وعقلي وأدبي. قد تتوب عن خطأ ارتكبته وتسير في طرق الحق، ولكن اتجّاه عقلك وخبرتك بالشرّ سيجعلان من الصعب عليك أن تميّز بين الصواب والخطأ. فعن طريق العادات الشريرة التي كونتها سيهاجمك الشيطان مرارا وتكرارا.

في الأمر القائل: «اذهب اليوم اعمل في كرمي» يُمتحَن إخلاصُ كل نفس. فهل ستكون هنالك أفعالٌ كما توجد أقوال؟ وهل سيستخدم المدعو كل المعرفة التي عنده ويخدم بأمانة ليس لمصلحته بل لأجل صالح صاحب الكرم؟

إنّ بطرس الرسول يوصينا فيما يختص بالخطة التي بموجبها يجب أن نخدم. فيقول: «لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. كما أنّ قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة».

«ولهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد قدموا في إيمانكم فضيلة وفي الفضيلة معرفة، وفي المعرفة تعففا وفي التعفف صبرا. وفي الصبر تقوى وفى التقوى مودة وفي المودة الأخوية محبة» (٢بطرس ١:٢ - ٧)

فإذا كنت بكل أمانة تهذّب كرم روحك فالله يجعلك عاملا معه. وسيكون لديك عمل تعمله ليس لأجل نفسك فقط بل أيضا لأجل الآخرين. إنّ المسيح وهو يرمز إلى الكنيسة بالكرم لا يعلّمنا أن نقصر عطفنا وخدماتنا على

أفرادها فقط بل يجب توسيع كرم الرب. وهو يريده أن يمتد إلى كل أنحاء الأرض. وإذ نحصل على تعليمات ونعمة من الله يجب أن نخبر الآخرين ونعلمهم كيف يعتنون بالاغراس الثمينة. وهكذا يمكننا أن نوسع كرم الرب. إن الله يراقبنا ليرى برهان إيماننا ومحبتنا وصبرنا. إنه يتطلع ليرى ما إذا كنا نستخدم كل ميزة روحية لنصير خداما ماهرين في كرمه على الأرض حتى يمكننا الدخول إلى فردوس الله، أي جنة عدن التي قد طرد منها آدم وحواء بسبب عصيانهما.

إن الله يقف من شعبه موقف الأب، وله علينا حقوق الأب في خدمتنا له بأمانة. تأملوا في حياة المسيح. فإذ يقف على رأس البشرية خادما أباه يقدم نفسه مثالا لنا في ما يجب على كل ابن أن يكون وما يمكنه أن يكون. إن الله يطلب من كل بني الإنسان اليوم أن يقدموا له طاعة كالتي قدمها المسيح. لقد خدم أباه بمحبة ورغبة وبمحض حريته. فقد أعلن قائلا: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت. وشريعتك في وسط أحشائي» (مزمور ٤٠:٨). إن المسيح لم يستعظم أية تضحية ولم يستصعب أي تعب في سبيل إنجاز العمل الذي جاء ليكمله. وفي الثانية عشرة من عمره قال: «ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي» ؟ (لوقا ٢:٤٩). لقد سمع الدعوة وبدأ بالعمل. وهو الذي قال: «طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يوحنا ٤:٣٤).

فهكذا ينبغي لنا أن نخدم الله. إن من يسلك بموجب أسمى مقياس للطاعة هو وحده الذي يخدم. فكل من يريدون أن يكونوا أولادا لله ينبغي لهم أن يبرهنوا على أنهم عاملون مع الله والمسيح وملائكة السماء. هذا هو الاختبار لكل نفس. والذين يخدمون الرب بأمانة يقول عنهم : «ويكونون

لي ... في اليوم الذي أنا صانع خاصّة. وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمه» (ملاخي ٣:١٧).

إنّ غرض الله العظيم في تنفيذ أعمال عنايته هو أن يمتحن الناس ويمنحهم فرصة لإنماء خلُقهم. وهكذا هو يبرهن ما إذا كانوا مطيعين لأوامره أو عصاة. إنّ الأعمال الصالحة لا تشتري محبة الله ولكنها تعلن عن امتلاكنا لهذه المحبة. وإنّ سلمنا أرادتنا لله فإننا لا نعمل لكي نستحق محبة الله. ولكننا سنقبل محبته في نفوسنا كهبة مجانية ومن محبتنا له سنسرّ بإطاعة وصاياه.

يوجد في العالم اليوم فريقان، وهما الفريقان اللذان سيُعترَف بهما في يوم الدينونة - الذين ينتهكون شريعة الله، والذين يطيعونها. والمسيح يقدم الاختبار الذي به يتبرهن ولاؤنا أو عدم ولائنا. فهو يقول: «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ... الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه واظهر له ذاتي ... الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي. والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني» «إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي كما أنّي أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته» (يوحنا ١٤:١٥ و ٢١ و ٢٤ ؛ ١٥:١٠).

❷❸ كَرْمُ الرّبُ

الأمة اليهودية

لقد تبع مثَلُ الإبنين مثَلَ الكرم. ففي المثَل الأول وضع المسيح أمام معلمي اليهود أهمية الطاعة. أما في المثل الثاني فقد أشار إلى البركات الغنية الممنوحة لإسرائيل، وفي هذه أبان حقّ الله في طلب طاعته. وقد وضع أمامهم قصد الله المجيد الذي كان يمكنهم إتمامه بالطاعة. وإذ أزاح الستار عن المستقبل أراهم كيف أنّ الأمة كلها بسبب إخفاقها في إتمام قصده خسرت بركته وجلبت على نفسها الدمار.

قال المسيح: «كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبني برجا وسلمه إلى كرامين وسافر» (متى ٣٣:٢١).

لقد قدم إشعياء وصفا لهذا الكرم فقال: «لأنشدنّ عن حبيبي نشيد محبّي لكرمه. كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة. فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورق وبنى برجا في وسطه ونقر فيه أيضا معصرة فانتظر أن يصنع عنبا» (إشعياء ١:٥ و ٢).

إنّ الكرام يختار قطعة أرض من البرية، ويحيطها بسياج وينقّبها ويفلحها ويغرسها بأجود أنواع الكرم منتظرا محصولا غنيا. إنّه ينتظر أنّ بقعة الأرض هذه في تفوّقها على القفر القاحل ستكرمه بكونها تبيّن نتائج عنايته وتعبه في إصلاحها وزرعها. وهكذا اختار الله لنفسه شعبا من بين العالم ليدرّبه المسيح ويعلّمه. والنبي يقول: «إنّ كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا» (إشعياء ٧:٥). لقد أغدق الله على هذا الشعب بركاتٍ وامتيازاتٍ عظيمةً مباركا إياهم بغنى من فيض جوده. وقد انتظر أنّهم

يكرمونـه بكونـهم يـأتون بثمـر. كـان عليـهم أن يُظـهروا مبـادئ ملكوتـه. ففـي وسط العالم الساقط الشرير كـان عليـهم أن يُظـهروا صفـاتِ الله.

فككـرم الـرب كـان عليـهم أن يثمـروا ثمـرا يختلـف اختلافـا كليـا عــن الأمــم الوثنيـة. فـهذه الشـعوب الوثنيــة كــانت قــد أسـلمت نفسـها لعمـل الشــر. فقــد انغمــس النــاس في القســوة والجرائــم والطمــع والظلــم وأفســدوا الأعمــال النجسة بغير مانع. فقد كـان الإثـم والانحطـاط والشـقاء هـي ثمـار هـذه الشـجرة الفاسدة. ولكـن الكـرم الـذي هـو مـن غـرس يـدي الله كـان يجـب أن يثمـر ثمـرا يختلف عـن هـذه الثمار اختلافـا ملحوظـا.

وقــد كــان امتيــازُ للأمــة اليهوديــة أن تُظـهر صفـات الله كمـا قــد أظــهرت لموسى. وقد استجاب الـرب لطِلبـة موسـى : «أرنـي مجـدك» بـأن وعـده قـائلا : «أجـيز كـلّ جودتـي قدامـك» (خـروج ١٨:٣٣ و ١٩). «فاجتـاز الــرب قدامــه ونـادى الـرب الـرب إلـه رحيـم رؤوف بطـيء الغضـب وكثـير الإحسـان والوفـاء. حـافظ الإحسـان إلى ألـوف. غـافر الإثـم والمعصيـة والخطيـة» (خـروج ٦:٣٤ و ٧). هـذا هـو الثمـر الـذي طلبـه الله مـن شـعبه. ففـي طـهارة أخلاقـهم وقداسـة حيـاتهم ، في رحمتـهم ورأفتـهم وإشفـاقهم كـان عليـهم أن يبرهنــوا علـى أنّ «نـاموس الـرب كـامل يــرد النفـس» (مزمـور ٧:١٩).

فعـن طريـق الأمـة اليهوديـة قصـد الله أن يـوزع بركاتِـه علـى كـل الشـعوب. وعـن طريق إسرائيل كـان يجـب إعـداد الطريـق حتـى يشـعّ نـور الله علـى كـل العـالم. إنّ أمـم العـالم بمزاولتـها أعمـالا فاسـدة أضـاعت معرفـةَ الله. ومـع ذلـك فإنّ الله في رحمته لم يمحُها مـن الوجـود. فقـد قصـد أن يعطيـهم فرصـة للتعـرف بـه عـن طريـق كنيسته. وقـد قصـد أنّ المبـادئ المعلنـة بواسـطة شـعبه تكـون وسيلةَ إعـادة صـورة الله الأدبيـة إلى الإنسـان.

ولأجل إتمام هذا الغرض دعا الله إبراهيم من بين عشيرته الوثنية وأمره بالسكنى في أرض كنعان. فقال له: «أجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة» (تكوين ١٢:٢).

وقد نزل نسل ابراهيم، يعقوب وأولاده، إلى مصر حتى وهُم في وسط تلك الأمة العظيمة الشريرة يعلنون مباديء ملكوت الله. هذا وإنّ استقامة يوسف ونزاهته وعمله العجيب في حفظ حياة الشعب المصري كله كانت تصويرا لحياة المسيح. وقد كان موسى وكثيرون غيره شهوداً لله.

وعند إخراج إسرائيل من مصر أظهر الرب قدرته ورحمته مرة أخرى. وعجائبه التي أجراها في إنقاذهم من العبودية ومعاملاته معهم أثناء ترحالهم في البرية لم تكن لاجل منفعتهم وحدهم. فقد كان القصد منها أن تكون مثلا منظورا للأمم المجاورة. لقد أعلن الرب نفسه كالإله الذي يسمو فوق كل سلطان وعظمة بشرية. والآيات والعجائب التي أجراها لاجل شعبه برهنت على أن له سلطاناً على الطبيعة وعلى أعظم العظماء الذين عبدوا الطبيعة. لقد اجتاز الله ففي وسط أرض مصر المتكبّرة كما سيجتاز في الأرض في الأيام الأخيرة. فبالنار والعواصف والزلازل والموت افتدى أهيه العظيم شعبه. لقد أخرجهم من أرض العبودية. سار بهم في «القفر العظيم المخوف مكان حيّات محرقة وعقارب وعطش» وأخرج لهم «ماء من صخرة الصوَّان» (تثنية ٨:١٥)، «وبرَّ السماء أعطاهم» (مزمور ٧٨:٢٤). فقد قال موسى: «إن قسم الرب هو مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه هكذا الرب وحده اقتاد وليس معه إله أجنبي» (تثنية ٩:٣٢ - ١٢). وهكذا أتى بهم إلى نفسه ليسكنوا في ظل القدير.وقد كان المسيح هو القائد لبني إسرائيل في رحلاتهم عبر البرية. فإذ كان محتجبا

في عمـود السـحاب في النـهار وعمـود النـار في الليـل قـادهم وهداهـم. وقـد حفظـهم مـن مخـاطر البريـة، وأتـى بـهم إلى أرض الموعـد، وأمـام عيـون كـل الأمم التي لم تعترف بالله ثبَّت إسرائيل كخاصتـه المختـارة وكـرّم الـرب.

هـذا الشعب أستؤُمن علـى أقـوال الله. وقـد أُقيـم حولهـم سياج مـن وصايـا شـريعته - مبـاديء الحـق والعـدل والطـهارة. فكـانت حمايتـهم في إطاعتـهم لهذه المباديء لأنّ ذلك كـان يحفظـهم مـن إهـلاك أنفسـهم بالأعمـال الشـريرة. وكالبرج الـذي بُـني في الكـرم أقـام الله في وسـط الأرض هيكلـه المقـدس.

ثـم إنّ المسـيح كـان معلّمـا لهـم. فكمـا كـان معـهم في البريـة كذلـك كـان سـيظل معلّمـهم ومرشـدهم. فقـد حـل مجـده في الشـكينا المقـدس فـوق غطـاء الرحمة في الخيمة وفي الهيكل. وقد كشـف لهـم عـن غنـى محبتـه وصـبره علـى الـدوام.

كـان الله يتـوق لأن يجعـل شـعبه إسـرائيل تسـبيحة ومجـداً. فقـد أعطـى لهـم كل امتيـاز روحـي. فـالله لم يمنـع عنـهم شـيئا موافقـا أو مسـاعدا لتكويـن الخلـق الكفيل بأن يجعلهم نوابا عنـه.

إنّ طاعتـهم لشـريعة الله كـانت عتيـدة أن تجعلـهم معجـزات للنجـاح أمـام أمـم العـالم. فـذاك الـذي يسـتطيع أن يمنحـهم حكمـة ومـهارة في كـل أعمـال الصناعـة الحاذقـة كـان يمكـن أن يظـل معلّمـا لهـم ويسـمو بـهم ويرفعـهم عـن طريـق الطاعـة لنواميسـه. فلـو أطـاعوا كـانوا يُحفظـون مـن الأمـراض الـتي ابتُليـت بـها الأمـم الأخـرى وكـانوا يبارَكون بالنشـاط الفكـري. وكـان مجـد الله وجلالُـه وقدرتُـه تُعلَـن في كـل نجاحـهم. وكـانوا يصـيرون مملكـة كهنـة ورؤسـاء. وقد أمدّهم الله بكل ما يساعدهم على أن يكونـوا أعظـم أمـة علـى الأرض.

لقـد أعلمـهم المسيح علـى لسـان موسـى قصـد الله بكيفيـة ثابتـة ومحـددة، وأوضح لهم شروط نجاحهم فقـال: "أنـت شـعب مقدس للـرب إلهـك. إيـاك قـد

اختار الرب إلهُك لتكون له شعبا أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ... فاعلم أنّ الرب إلهَك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل ... فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها. ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهُك العهدَ والإحسانَ اللذَين أقسم لآبائك. ويحبُّك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرةَ بطنك وثمرةَ أرضك قمحَك وخمرَك وزيتَك ونتاجَ بقرِك وإناثَ غنمك على الأرض التي أقسم لآبائك أن يعطيكَ إياها. مباركا تكون فوق جميع الشعوب ... ويردُّ الرب عنك كل مرض وكل أدواءِ مصر الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك» (تثنية ٧:٦ و ٩ و ١١ – ١٥).

فإذا حفظوا وصايا الله فقد وعد بأن يعطيهم أجود الحنطة ويخرج لهم من الصخرة عسلا. ومن طول الأيام يشبعهم ويريهم خلاصه.

إن آدم وحواء قد أضاعا عدن بسبب عصيانهما لله، وبسبب الخطية لُعِنت الأرض كلها. ولكن إذا اتبع شعب الله وصاياه فإنّ أرضهم سيُرَدّ إليها الخصب والجمال. وقد أعطاهم الله نفسُه توجيهاتٍ عن زرع الأرض، وكان عليهم أن يتعاونوا معه على استردادها. وهكذا تصير الأرض، تحت سلطان الله مثلا ملموسا لتعلم الحق الروحي. فكما أنّه بالطاعة لنواميس الله الطبيعية تخرج الأرض للإنسان خيراتِها وكنوزَها فكذلك في الطاعة لناموسه الأدبي كانت قلوب الشعب ستعكس صفاتِ الله وحتى الوثنيون يعترفون بسمو وتفوق من خدموا الإله الحيّ وعبدوه.

وقد قال موسى: «انظر، قد علمتُكم فرائضَ وأحكاما كما أمرني الرب إلهي لكي تعملوا هكذا في الأرض التي أنتم داخلون إليها لكي تمتلكوها. فاحفظوا وأعملوا. لأنّ ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين الشعوب الذين

يسمعون كل هذه الفرائض فيقولون هذا الشعب العظيم إنما هو شعب حكيم وفطن. لأنه أي شعب هو عظيم له آلهة قريبة منه كالرب إلهنا في كل أدعيتنا إليه ؟ وأي شعب هو عظيم له فرائض وأحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع أمامكم اليوم» ؟ (تثنية ٤:٥ – ٨).

كان على بني إسرائيل أن يحتلوا كل الإقليم الذي عيّنه الله لهم. والأمم التي رفضت أن تعبد الإله الحقيقي وتخدمه كانت ستُطرد من الأرض. ولكن قصد الله كان أنه بواسطة إعلان صفاته عن طريق إسرائيل يُجتذب الناس إليه. وكان يجب أن تُقدّم دعوة الإنجيل لكل العالم. وبواسطة تعليم الخدمة الكفارية كان المسيح سيُرفع أمام الأمم وكل من ينظرون إليه يحيون. وكل من يهجرون عبادة الأوثان وخدمتهم. هؤلاء الكرامون طلبوا مجد أنفسهم. فقد أرادوا الاستيلاء على ثمار الكرم. وقد اجتهدوا في تحويل أنظار الناس وولائهم إلى أنفسهم.

إن ذنب هؤلاء القادة في إسرائيل لم يكن كذنب أي خاطيء عادي. فهؤلاء الرجال كانوا تحت أقدس التزام ومسؤولية أمام الله. فقد تعهدوا بأن يعلّموا الناس ما قاله الرب وأن يطيعوا الله طاعة دقيقة في حياتهم العملية. ولكنهم بدلا من هذا كانوا يحرّفون الكتب المقدسة. فكانوا يحمِّلون الناس أحمالا ثقيلة ويفرضون عليهم طقوسا تناولت كل خطوة في الحياة. وقد عاش الشعب في انزعاج دائم إذ لم يستطيعوا إتمام كل المطاليب التي فرضها عليهم الأحبار. فإذ رأوا استحالة حفظ وصايا الناس أهملوا في حفظ وصايا الله.

وقد أوصى الرب شعبه وعلّمهم بأنّه هو صاحب الكرم وأنّ كل ما يملكونه قد أُعطيَ لهم كأمانة ليستخدموا لأجله. ولكن الكهنة والمعلمين لم يقوموا بأعمال وظيفتهم المقدسة كما لو كانوا يتصرفون في ملك الله. وبانتظام

كانوا يسلبون الله أمواله وخيراته وهي التي أودعت بين أيديهم لأجل تقدم عمله. إنّ طمعهم وجشعهم جعلاهم محتقرين حتى في نظر الوثنيين. وهكذا أُعطيت فرصة للعالم الأممي ليشوّه صفاتِ الله وقوانين ملكوته.

ولكن الله احتمل شعبه وصبر عليهم بقلب الآب الصفوح الرحيم. فقد توسّل إليهم بالمراحم التي منحها لهم والمراحم التي أخذها منهم. وبكل صبر جعل خطاياهم أمام عيونهم وبطول أناة انتظر اعترافهم. وقد أرسل إليهم الأنبياء والرسل ليلحوا بحق الله على الكرامين، ولكن بدلا من الترحيب بهم عوملوا معاملة الأعداء. فقد أضطهدهم الكرامون وقتلوهم. وقد عاد الله فأرسل رسلا آخرين ولكنهم عوملوا بنفس معاملة الأولين، بل ذاد الكرامون في عدوانهم العنيد.

وقد أرسل الله أبنه كحل أخير قائلا: «يهابون ابني» (متى ٢١:٣٧). ولكن مقاومتهم جعلتهم ناقمين فقالوا فيما بينهم: «هذا هو الوارث. هلموا نقتله ونأخذ ميراثه» (متى ٢١:٣٨). وحينئذ سنُترك لنستمتع بالكرم ونتصرف في ثمره كما نشاء.

إن رؤساء اليهود لم يحبوا الله، ولذلك قطعوا صلتهم به، ورفضوا كل العروض للوصول إلى تسوية عادلة. فالمسيح حبيب الله أتى ليثبت حقوق صاحب الكرم، ولكن الكرامين عاملوه بازدراء ملحوظ قائلين لا نريد أن هذا يملك علينا. وقد حسدوا المسيح على جمال خلُقه. وطريقته في التعليم كانت اسمى بكثير من طريقتهم وكانوا يخشون من نجاحه. وقد آلمتهم توبيخاته التي لم يستطيعوا إسكاتها. وقد أبغضوا مقياس البرّ السامي الذي قدمه المسيح على الدوام. ورأوا أن تعليمه وضعهم في كشف عن أنانيتهم فعوَّلوا على قتله. لقد أبغضوا مثاله في الصدق والتقوى والروحانية السامية الظاهرة في كل ما فعل. وقد كانت بجملتها توبيخا لأثرتهم، وعندما جاء

الامتحان الأخير، الامتحان الذي كان معناه إما الطاعة للحياة الأبدية أو العصيان للهلاك الأبدي، رفضوا قدوس إسرائيل. وعندما قُدّمت لهم الفرصة ليختاروا إما المسيح أو باراباس صرخوا قائلين: «أطلق لنا باراباس» (لوقا ١٨:٢٣).وعندما سألهم بيلاطس قائلا: «فماذا أفعل بيسوع» ؟ صرخوا بشدّة قائلين: «ليُصلب» (متى ٢٢:٢٧). فلما سألهم بيلاطس قائلا: «أأصلب ملككم» ؟ جاء الجواب من أفواه الكهنة والرؤساء: «ليس لنا ملك إلاّ قيصر» (يوحنا ١٥:١٩). وعندما غسل بيلاطس يديه قائلا: «إنّي بريء من دم هذا البار» أشترك الكهنة مع الرعاع الجهلة مصرِّحين بانفعال: «دمه علينا وعلى أولادنا» (متى ٢٤:٢٧ و ٢٥).

وهكذا تم اختيار رؤساء اليهود. وقد سُجِّلَ قرارهم هذا في السفر الذي رآه يوحنا في يد الجالس على العرش، السفر الذي لم يستطع أحد أن يفتحه. هذا القرار بكل ما ينطوي عليه من حقد وحب انتقام سيظهر أمامهم في اليوم الذي فيه سيفتحُ هذا السفر الأسدُ الذي من سبط يهوذا.

كان اليهود يعتزون بفكرة كونهم أحبّاء السماء ومحاسيبها وأنهم سيتمجدون دائما ككنيسة الله. وقد أعلنوا أنهم أولاد ابراهيم، وقد بدأ أساس نجاحهم ثابتا بحيث كانوا يتحدّون الأرض والسماء عن أن تحرماهم من حقوقهم. ولكنّهم بحياة عدم الأمانة كانوا موشكين على الوقوع تحت دينونة السماء والانفصال عن الله.

فبعدما صوَّر المسيح أمام الكهنة آخر أعمالهم الشريرة في مثل الكرم قدم لهم هذا السؤال: «فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين» ؟ كان الكهنة يتتبعون القصة باهتمام عظيم وبدون أن يلاحظوا علاقة الموضوع بأنفسهم اشتركوا مع الشعب في الإجابة قائلين: «أولئك الارديـاء

يهلكهم هلاكا ردياً ويسلم الكرم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها» (متى ٢١: ٤٠ و ٤١).

بدون علمهم نطقوا على أنفسهم بحكم الدينونة. فنظر يسوع إليهم، وأمام نظرته الفاحصة علموا أنه كان يقرأ خفايا قلوبهم. لقد تألّقت ألوهيتُه أمامَهم بقوة واضحة جليّة فقد رأوا في الكرّامين صورةً لأنفسهم وعلى رغمهم صرخوا قائلين: «حاشا» ! (لوقا ٢٠: ١٦).

فسألهم المسيح بوقار وأسف قائلا: «أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضّض ومن سقط هو عليه يسحقه» (متى ٢١: ٤٢ - ٤٤).

كان يمكن للمسيح أن يبعد الدينونة عن الأمة اليهودية لو كان الشعب قد قبله. ولكن الحسد والغيرة جعلتهم متصلبين. لقد أصروا على عدم قبول يسوع الناصري كمسيا. وقد رفضوا نور العالم ومنذ ذلك الحين اكتنفت حياتَهم ظلماتٌ داجيةٌ كظلمة منتصف الليل. والدينونة التي أُنبيء بها حاقت بالأمة اليهودية. ففي غضبهم الأعمى أهلكوا بعضُهم بعضا. فكبرياؤهم المتمرّدة العنيدة جلبت عليهم غضب قاهريهم الرومان. فلقد خُرّبت أورشليم وصار الهيكل خرابا وحرث موقعه كحقل. وقد هلك بنو يهوذا بأرهب الميتات، وملايين منهم بيعوا ليخدموا كعبيد في بلدان وثنية.

لقد أخفق اليهود كشعب في إتمام غرض الله فنُزع الكرم منهم. والميزات التي أساءوا استعمالها والعمل الذي استخفوا به استُودع بين أناس آخرين.

كنيسة اليـوم

إنّ مثَل الكرم لا ينطبـق علـى الأمـة اليهوديـة وحدَهـا. ولكـنّ لنـا فيـه درسـا. فالكنيسـة في هـذا العصر قـد منحـها الله مـيزاتٍ وبركـاتٍ عظيمـةً وهـو ينتظـر نتائجَ تناسب ذلك كلـه.

إنّنـا قـد افتُدينـا بثمـنٍ غـالٍ. فبواسـطة هـذه الفديـة وعظمتـها يمكننـا إدراكَ نتائجـها. فعلـى هـذه الأرض، الأرض الـتي قـد رُويَـت تربتُـها بدمـوع ابـن الله ودمـه يجـب أن تطلـعَ ثمـارُ الفـردوس. وفي حيـاة شـعب الله يجـب أن تُعلـنَ حقـائقُ كلمتـه مجدَهـا وسموهـا. والمسـيح سـيُظهر صفاتِـه ومبـاديءَ ملكوتـه بواسطة شـعبه.

إنّ الشيطان يحاول أن يقـاومَ عمـل الله وهـو علـى الـدوام يلـحّ علـى النـاس في قبـول مبادئه. وهـو يصـور شـعب الله المختـار كمـن هـو شـعب مخـدوع. إنّـه المشـتكي علـى الإخـوة، وقوّتـه علـى الاتّـهام تُستخدَم ضدّ مـن يصنعـون الـبرّ. والـرب يرغـب بواسـطة شـعبه أن يجـاوب علـى اتـهامات الشـيطان بإظـهار نتـائج الطاعـة للمبـاديء الصحيحـة.

هـذه المبـاديء يجـب أن تظـهرَ في حيـاة كـل فـرد مسـيحي وفي العائلـة والكنيسة وكل مؤسّسة تُقـام لأجـل خدمـة الله. فيجـب أن يكـون الجميـع رمـوزا لمـا يمكـن عملـه لأجـل العـالم. يجـب أن يكونـوا رمـوزا لقـوّة حقـائق الإنجيـل المخلصـة. وعلـى الجميـع أن يكونـوا أعوانـا في إتمـام قصـد الله العظيـم للجنس البشـري.

كـان رؤسـاء اليـهود ينظـرون بفخـر إلى هيكلـهم العظيـم وإلى طقـوس خدمتـهم الدينيـة المهيبـة، ولكـن كـانت تنقصـهم الرحمـة والعـدل ومحبـة الله. فمجـد الهيكـل وبـهاء خدمتـهم لم يمكنـهما أن يعطيـاهم قبـولا لـدى الله، لأنّـهم

لم يقدموا له الشيء الوحيد الذي له قيمة في نظره. لم يقدموا له ذبيحة الروح المتواضعة المنسحقة. فعندما تختفي مباديءُ ملكوت الله الحيوية تصبح الطقوس عديدة ومسرفة. فعندما يُهمَل بناءُ الخلُق، وعندما لا توجد زينةُ النفس، وعندما يغيب عن الأنظار جمالُ التقوى وبساطتُها فإنّ الكبرياء وحب التفاخر يتطلبان أن تكون أبنية الكنائس فخمة، وزيناتُها فاخرة واحتفالاتُها مهيبةً. وفي كل هذا لا يُكرَم الله – فالديانة التي تتمشّى مع العصر والتي تنحصر في الطقوس والتظاهر والتفاخر غير مقبولة لديه. فخدماتُها لا تجدُ استجابةً من رسل السماء.

إن الكنيسة عزيزة جدا ففي نظر الله. وهو يقدرها لا على أساس ميزاتها الخارجية بل على أساس التقوى الخالصة التي تميزها على العالم. وهو يقدرها بنسبة نمو أعضائها في معرفة المسيح وبنسبة تقدمهم في الاختبار الروحي.

إنّ المسيح يشتهي لأن يحصل من كرمه على ثمر القداسة والإيثار. وهو يبحث عن مباديء المحبة والصلاح. إنّ كل جمال الفنّ لا يمكنه أن يضارع جمال الطبع والخلُق الذي يظهر في من يمثلون المسيح. إنّ جوّ النعمة الذي يحيط بنفس المؤمن، والروح القدس العامل في الذهن والقلب هو الذي يجعله رائحة حياةٍ لحياةٍ ويجعل الله قادرا على أن يباركَ عمله.

قد تكون جماعة هي من أفقر الجماعات في البلاد. وقد لا يكون هنالك أي مظهر خارجي يجذب الناس إليها، ولكن إذا كان لأعضائها مبادئ صفات المسيح فسيملأ فرحُه نفوسهم. والملائكة سيشاركونهم في عبادتهم. وستصعد أغاني الحمد والشكر من القلوب الشاكرة كتقدمة طيّبة مقبولة.

والرب يريدنا أن نذكرَ صلاحَه ونخبرَ بقوّته. إنّ الذي يكرمه هو تعبيرُنا عن حمدنا وشكرنا. فهو يقول: «ذابح الحمد يمجّدني» (مزمور ٥٠:٢٣). إنّ جموع شعب إسرائيل وهم يسافرون عبر البرية حمدوا الله بالأغاني المقدسة. وقد نُظِّمت ألحانُ لوصايا الله ومواعيده، وعلى طول الطريق في رحلاتهم رنم هؤلاء السيّاح بتلك الألحان. وفي كنعان عندما كانوا يجتمعون في أعيادهم المقدسة كان عليهم أن يعدّدوا عجائب الله، ويقدموا الشكر والحمد لاسمه. وقد رغب الله في أن تكون كل حياة شعبه حياة الحمد والتسبيح. وهكذا كان يجب أن «يُعرف في الأرض» طريقه «وفي كل الأمم» خلاصه. (مزمور ٦٧:٢).

وهذا ما يجب أن يكون الآن. فأهل العالم يتعبّدون للآلهة الكاذبة. فيجب تحويلهم عن عبادتهم الكاذبة، ليس بواسطة التشهير بأوثانهم بل بتوجيه أنظارهم إلى شيء أفضل. ليُعلنَ جودُ الله: «أنتم شهودي يقول الرب وأنا الله» (إشعياء ٤٣:١٢).

والرب يريدنا أن نقدر تدبير الخلاص العظيم، وأن نستوعب امتيازَنا السامي كأولاد الله وأن نسلكَ أمامَه في طاعة بحمد وشكر. وهو يريدنا أن نخدمه في جدة الحياة بفرح في كل يوم. وهو يتوق لأن يرى الشكر يفيض من قلوبنا لأنّ أسماءَنا قد كُتبت في سفر حياة الخروف، ولأنه يمكننا أن نلقي كل همومنا على ذاك الذي يعتني بنا. إنّه يأمرنا بأن نفرحَ لأننا ميراث الرب، ولأنّ برّ المسيح هو رداء قدّيسيه الأبيض، ولأن لنا الرجاء المبارك، رجاءُ مجيء مخلصنا سريعا.

إنّ تسبيح الله في ملء وإخلاص القلب هو واجب كالصلاة. فعلينا أن نُظهر للعالم ولكل الكائنات السماوية على أننا نقدر محبة الله العجيبة للبشرية الساقطة، وعلى أننا ننتظر بركات أعظم وأعظم من ملئه غير المحدود. وعلينا

أن نتحدث عن المراحل الثمينة في اختبارنا أكثر مما اعتدنا أن نفعل. فبعدما ينسكب علينا الروح القدس انسكابا خاصا فإنّ فرحَنا في الرب وكفاءَتنا في خدمته تزداد زيادة عظيمة متى أحصينا مظاهر جوده وأعماله العجيبة في صالح أولاده.

هذه الشهادات تصدُ قوة الشيطان. وهي تطرد روح التذمّر والشكوى والطبع الحاد لا يستطيع الثبات. وهي تغرس تلك السجايا الخلقية التي تؤهّل ساكني الأرض للمواطن السماوية.

مثلُ هذه الشهادة سيكون لها تأثيرٌ على الآخرين. ولا توجد وسائل أخرى أفعلَ منها يمكن استخدامُها في ربح النفوس للمسيح.

وعلينا أن نسبّحَ الله بخدمة ملموسة ظاهرة بأن نفعل كلَّ ما في مقدورنا لنقدّم مجدَ اسمه. فالله يمنحنا هباته لكي نوزعها نحن أيضا وهكذا نذيع صفاتِه في العالم. ففي النظام اليهودي كانت العطايا والتقدمات تكوّن جزءا جوهريا من عبادة الله. فقد تعلّم بنو إسرائيل أن يكرّسوا عشر إيرادهم كله لخدمة المقدس. وفضلا عن هذا فقد كان عليهم أن يقدموا ذبائح خطية وعطايا اختيارية وتقدمات شكر. كانت هذه هي الوسائل المعينة لإعالة خدمة الإنجيل في ذلك الحين. والله لا ينتظر منّا أقل مما كان ينتظر من شعبه في القديم. فالعمل العظيم لأجل خلاص النفوس ينبغي أن يسير قُدما. ففي العشور مع العطايا والتقدمات أعدّ الربُ موردا لأجل هذا العمل. بهذه الكيفية هو يقصد أن تُعال خدمة الإنجيل. وهو يطالب بالعشور على أنّها له فينبغي اعتبارها دائما على أنّها ذخيرة مقدسة توضع في الخزانة لأجل خير عمله. ثم هو يطلب منا أيضا عطايانا الطوعية وتقدمات الشكر. فينبغي تكريس هذه كلها لأجل إرسال الإنجيل إلى أقصى الأرض.

ثـم إن الخدمـة لله تتضمـن أيضـا الخدمـة الشـخصية. بواسـطة المجـهود الفـردي علينـا أن نتعـاون معـه لأجـل خـلاص العـالم. إن مأموريـة المسيح الـتي قـال فيـها: «اذهبـوا إلى العـالم أجمـع واكـرزوا بـالإنجيل للخليقـة كلـها» موجهـة إلى كـل واحـد مـن أتباعـه (مرقـس ١٦:١٥). فجميـع المكرسـين لحيـاة المسـيح هـم معينـون ليخدمـوا لأجـل خـلاص بـني جنسـهم. وقلوبـهم سـتختلج بانسـجام مع قلـب المسيح. وسيظهر فيهم نفـس الشـوق لخـلاص النفـوس الـذي كـان هـو يحـس بـه. لا يمكـن للجميـع أن يمـلأوا نفس المكـان في العمـل، لكـن يوجـد مكـان وعمـل للجميـع.

في العصـور السـالفة نجـد أن إبراهيـم واسـحق ويعقـوب، وموسـى بوداعتـه وحكمتـه، ويشـوع بإمكانياتـه المتعـددة، كلـهم جنـدوا في خدمـة الله. وكـانت الحاجـة إلى الموسـيقى الـتي قدمتـها مريـم وإلى شـجاعة دبـورة وتقواهـا، وإلى محبـة راعـوث كابنـة، وإلى طاعـة صموئيـل وأمانتـه، وإلى ولاء ايليـا الصـارم، وإلى تأثير أليشـع المـهديء المخضـع. وهكـذا الآن كـل مـن قـد أغـدق الله عليهم بركاتـه عليـهم أن يسـتجيبوا بالخدمـة الفعليـة، فينبغـي اسـتخدام كـل هبـة لأجل تقدم ملكوته ومجد اسمـه.

وعلـى كـل مـن يقبلـون المسـيح كمخلصـهم الشـخصي أن يقيمـوا الدليـل علـى صدق الإنجيـل وقوتـه المخلصـة للحيـاة. إن الله لا يطلـب شـيئا بـدون أن يدبر ما يلزم لإتمامه. فبنعمـة المسـيح يمكننـا أن ننجـز كـل مـا يطلبـه منـا. فكـل غنـى السـماء وكنوزهـا سـتعلن بواسـطة شـعب الله. فقـد قـال المسـيح: «بـهذا يتمجد أبـي أن تـأتوا بثمـر كثير فتكونـون تلاميـذي» (يوحنـا ١٥:٨).

إن الله يطـالب بـالأرض كلـها ككرمـه. فمـع أنـها الآن في أيـدي الغـاصب فهي ملك لله. فهي لـه بحق الفداء كما أنها لـه بحق الخلـق. لقـد قـدم المسـيح نفسـه ذبيحـة لأجـل العـالم: «هكـذا أحـب الله العـالم حتـى بذل أبنـه الوحيـد»

(يوحنا ١٦:٣). فبواسطة تلك الهبة الواحدة تُمنح كل هبة أخرى للناس. وفي كل يوم يتناول العالم كله البركة من الله. فكل قطرة من قطرات المطر، وكل شعاعة من أشعة النور المنسكبة على جنسنا غير الشكور، وكل ورقة وزهرة وثمرة تشهد لطول أناة الله وحبه العظيم.

وما هي التعويضات التي تقدَّم للمعطي العظيم ؟ وكيف يتعامل الناس حيال مطاليب الله ؟ ولمن يقدم جموع بني الإنسان خدمات حياتهم ؟ إنّهم يخدمون المال. فالثروة والمركز والمسرات هي هدفهم في الحياة. فالثروة يحصلون عليها بالسلبِ، لا سلبِ الإنسان وحدَه بل سلبِ الله أيضا. فالناس يستخدمون هباتِه في إشباع أنانيتهم. وكل ما يمكنهم أن يستحوذوا عليه يستخدمونه في خدمة طمعهم وحبهم للملذات الأنانية.

إنّ خطية العالم اليوم هي الخطية التي جلبت على إسرائيل الهلاك. فنكران فضل الله وإهمال الفرص والبركات، والأنانية البادية في تخصيص هباتِ الله لذواتهم.

هذه كانت متضمنة في الخطية التي جلبت الغضب على إسرائيل. وهي لا تزال تجلب الدمار على العالم اليوم.

إنّ الدموع التي سكبها المسيح على جبل الزيتون عندما وقف يشرف علي المدينة المختارة لم تكن لأجل أورشليم وحدها. فلقد شاهد في مصير أورشليم هلاك العالم «لو علمت أنت أيضا حتى في يومك هذا ما هو لسلامك! ولكن الآن قد أُخفِيَ عن عينيك» (لوقا ٤٢:١٩)

في يومك هذا «إنّ اليوم موشك على الانتهاء. وفرصة الرحمة والامتياز قاربت أن تنتهي. وها هي سحب النقمة تتجمع. ورافضو نعمة الله موشكون على أن يطويهم الهلاك السريع الذي لا يجبر. ومع ذلك فالعالم نائم. فالناس لا يعرفون زمان افتقادهم».

وفي هـذه الأزمـة أيـن توجـد الكنيسـة ؟ هـل أعضاؤهـا يتممـون مطـاليب الله؟ وهل يقومـون بنشـر رسـالته وتمثيـل صفاتـه للعـالم؟ وهـل يوجـهون بلجاجـة انتباه بني جنسهم إلى رسالة الإنـذار الرحيمـة الأخـيرة؟

إنّ الناس في خطـر. فجماهـيرُ كثـيرة تـهلك. ولكـن مـا أقـل الذيـن يعـترفون بأنّـهم أتبـاع المسيح الذيـن هـم مثقّلـون بالمسـؤولية نحـو هـذه النفـوس! إنّ مصير العالم يتأرجح بـين كفـتي المـيزان، ولكـن هـذا لا يكـاد يحـرّك حتـى مـن يدّعـون بأنّهم يؤمنـون بـأعظم حـق بعيـد المـدى قـد أُعطِـيَ لبـني الإنسـان. فـلا توجـد تلـك المحبـة الـتي جعلـت المسـيح يـترك وطنـه السـماوي ويتخـذ طبيعـة الإنسـان حتـى يلامـس ببشـريّته بـني الإنسـان ويجتـذب البشـرية إلى الألوهيـة. يوجد ذهـول وشلل أصابا شـعب الله يمنعانـهم مـن إدراك واجـب السـاعة.

عندمـا دخـل بنـو إسـرائيل كنعـان لم يتمّمـوا غـرض الله بـامتلاك الأرض كلـها. فبعدمـا حـازوا انتصـاراتٍ جزئيـةً اسـتكانوا ليتمتعـوا بثمـرة انتصاراتِـهم - ففـي عـدم إيمانـهم وحبـهم للراحـة اجتمعـوا في أمـاكن سـبق لهـم أن افتتحوهـا بـدلا مـن الاندفـاع إلى الأمـام لاحتـلال أقـاليم جديـدة. وهكـذا ابتـدأوا يبتعـدون عـن الله. فبإخفاقـهم في تنفيـذ قصـده جعلـوا مـن المسـتحيل عليـه أن يتمّـم لهـم وعـدَه بالبركـة. ألا تعمـل كنيسـة اليـوم نفـس هـذا العمـل؟ إنّ المعـترفين بالمسـيحية، والعـالم كلّـه أمامّـهم يحتـاج إلى الإنجيـل، يجتمعـون في أمـاكن يمكنـهم فيـها أن يمتعـوا أنفسـهم بامتيـازات الإنجيـل. إنّـهم لا يحسّـون بضرورة احتلال أقاليم جديـدة وحمـل رسـالة الخـلاص إلى أقـاليم بعيـدة. إنّـهم يرفضـون إتمـام أمـر المسـيح القـائل: «اذهبـوا إلى العـالم أجمـع واكـرزوا بـالإنجيل للخليقـة كلـها» (مرقـس ١٦:١٥). فـهل هـم أقـلّ جرمـا مـن الكنيسـة اليهوديـة؟

إنّ المعترفين أتباع المسيح يُمتحنون علي ملا من المسكونة السماوية، ولكنّ فتور غيرتهم وضعف جهودهم في خدمة الله تدمغهم بوصمة عدم الأمانة. فلو أنّ ما يعملونه هو افضل ما يمكنهم عمله ما كانت الدينونة تستقرّ عليهم. ولكن لو انّهم جنّدوا قلوبهم للعمل لكانوا يعملون اكثر من ذلك بكثير. إنّهم يعلمون كما يعلم العالم أنّهم قد أضاعوا روح إنكار الذات وحمل الصليب إلى حد كبير. يوجد كثيرون ممن سيوجد مكتوبا أمام أسمائهم في أسفار السماء: ليسوا منتجين بل مستهلكين. إنّ كثيرين ممن يحملون إسم المسيح يحجبون مجدَه ويُخفون جمالَه ويحجزون كرامتَه.

ويوجد كثيرون ممّن أسماؤهم مكتوبة في سجلات الكنيسة ولكنهم ليسوا تحت سلطان المسيح. إنّهم لا يكترثون لوصاياه ولا يعملون عمله. ولذلك هم تحت سيطرة العدّو. إنّهم لا يقومون بأي عمل إيجابي، لذلك فهم يحدثون ضرراً لا يُحصر. فلكون تأثيرهم ليس رائحة حياة لحياة فهو إذن رائحة موت لموت.

يقول الرب: «أما أعاقب على هذا» (أرميا ٥:٩). فلكون بني إسرائيل أخفقوا في إتمام قصد الله فقد أُلقِيَ بهم جانباً وامتدت دعوة الله إلى شعوب أخرى. فإذا برهن هؤلاء على عدم أمانتهم أفلا يُرفَضون كذلك؟

في مثل الكرم حكم المسيح علي الكرامين بأنّهم مذنبون. فهم الذين رفضوا أن يردُوا لسيدهم من ثمر الكرم الذي هو ملكه. وبالنسبة إلى الأمة اليهودية نجد أن الكهنة والمعلّمين هم الذين بسبب تضليلهم للشعب سلبوا الله الخدمة التي طالبهم بها. فهم الذين أبعدوا الأمّة عن المسيح.

لقد قدم المسيح شريعة الله غير ممتزجة بالتقاليد البشرية كالمقياس العظيم للطاعة. هذا أثار عداوة الأحبار. لقد رفعوا تعاليم الناس فوق كلمة الله وحولوا الشعب بعيداً عن وصايا الناس ليطيعوا مطاليب كلمة الله.

ورفضوا التضحية بكبرياء التفكير ومديح الناس لاجل الحق. وعندما جاء المسيح مقدماً مطاليب الله للامة أنكر عليه الكهنة والشيوخ حقّه في التدخل بينهم وبين الشعب. ورفضوا توبيخاته وإنذاراته وعوَلوا على إثارة الشعب ضدّه لكي يقتلوه.

لقد كانوا مسؤولين عن رفض المسيح والنتائج التي تلت ذلك. فخطية الأمة وهلاكها نُسِبا إلي الرؤساء الدينين.

وفي يومنا هذا ألا نري أنّ التأثيراتِ دائبةٌ على العمل ؟ ألا يوجد كثيرون من الكرامين في كرم الرب سائرين في نفس خطوات رؤساء اليهود؟ ألا يحوّل المعلّمون الدينيون الناسَ بعيداً عن مطاليب كلمة الله الصريحة؟ وبدلا من أن يعلّموهم الطاعة لشريعة الله ألا يعلّمونهم العصيان؟ فالناس يتعلّمون من فوق كثير من منابر الكنائس أنّ شريعة الله ليست ملزمةً لهم. فتقاليدُ الناس وفرائضُهم وعاداتُهم تتمجّد. والكبرياء والرضا بالنفس بسبب هباتِ الله تترعرعُ بينما يتجاهل الناسُ مطاليبَ الله.

والناس إذ يطرحون شريعة الله جانبا لا يدرون ما هم فاعلون. إنّ شريعة الله هي صورةٌ حيّةٌ من صفاتِه. وهي تشمل مباديء ملكوته. فالذي يرفض قبول هذه المباديء إنّما يُبعد نفسَه عن نطاق مجرى بركاتِه.

إنّ الإمكانيات المجيدة التي وُضِعت أمام إسرائيل كان يمكن تحقيقها بواسطة الطاعة لوصايا الله فقط. ونفس السموّ في الخلُق، ونفس ملءِ البركة - البركة للعقل والنفس والجسد، البركة في البيت وفي الحقل، والبركة في هذه الحياة والحياة العتيدة - ممكنةٌ لنا عن طريق الطاعةِ وحدَها.

وفي العالم الروحي كما في العالم الطبيعي نجد أنّ الطاعة لنواميس الله هي شرطُ الإتيانِ بثمر. فعندما يعلّم الناس الشعب أن يحتقروا وصايا الله

فإنهم يمنعونهم من الإتيان بثمرٍ لمجده. إنّهم مذنبون في حرمان الرب من ثمار كرمه.

إنّ رسل الله يأتون إلينا بناء على أمر المسيح. إنّهم يقدّمون حقّه بالثمار ثمار الكرم، ثمار المحبة والوداعة والخدمة المضحية. ولكن ألاّ يهتاج كثيرون من الكرامين في الكرم ويغضبون كما فعل رؤساء اليهود؟ وعندما يوضع حق شريعة الله أمام الشعب ألا يستخدم هؤلاء المعلّمون نفوذهم لتحريض الناس علي رفضه؟ مثل هؤلاء المعلّمين يدعوهم الله خُداما غيرَ أمناء.

إنّ كلام الله لإسرائيل قديما فيه إنذار خطير للكنيسة وقادتها اليوم. فالرب يقول عن إسرائيل: «اكتب له كثرة شرائعي فهي تحسب أجنبيه» (هوشع ٨:١٢). وقد أعلن للكهنة والمعلمين قائلاً: «قد هلك شعبي من عدم المعرفة. لأنّك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا ... ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضا بنيك» (هوشع ٤:٦)؟

فهل نسمحُ لإنذارات الله أن تمرّ بنا دون أن نكترث لها؟ ألا نحسن استخدام فرص الخدمة؟ وهل احتقار العالم وكبرياء الفكر والتشبّه بالناس في عاداتهم وتقاليدهم تمسّك من يعترفون بأنّهم تلاميذ المسيح عن خدمته؟ وهل يرفضون كلمة الله كما قد رفض رؤساء اليهود المسيح؟ إنّ عاقبة خطية إسرائيل هي أمامَنا؟ فهل تقبل كنيسة اليوم الإنذار؟

«فإن كان قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكا في اصل الزيتونة ودسمها. فلا تفتخر... من أجل عدم الإيمان ثبت. لا تستكبر بل خف. لانه أن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضا» (رومية ١١:١٧-٢١).

٢٤ «إنسَان ليسَ عَليهِ لبَاس العُرس»

إنّ مثل لباس العرس يكشف لنا درساً له اعظم النتائج. فالزواج يرمز إلى الاتحاد بين الناسوت واللاهوت، ولباس العرس رمز إلى الخُلُق الذي يجب أن يتحلّى به كل من يحسبون ضيوفا للعرس.

في هذا المثل كما في مثل العشاء تُوضّح دعوةُ الإنجيل. ورفضُ الشعب اليهودي لها، ودعوة الرحمة للأمم. أمّا من جانب من يرفضون الدعوة فان هذا المثل يعرض للأنظار إهانة اعظم وقصاصا أرهب. إنّ الدعوة إلى العرس هي دعوة ملك. فهي مرسلة من قبل من هو مزود بسلطان لان يأمر. وهي تمنح كرامة عظيمة. ومع ذلك فليس من يقدّر هذه الكرامة. فالناس يزدرون بسلطان الملك. ففي حين أنّ دعوة ربّ البيت قوبلت بعدم اكتراث فان دعوة الملك قوبلت بالإهانة والقتل. فلقد عاملوا عبيده بالاحتقار إذ شتموهم وقتلوهم.

إنّ ربّ البيت إذ رأي دعوته وقد استُخِفّ بها أعلن أنّه ولا واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشاءه. أمّا الذين احتقروا الملك فقد أمر الملك لهم بقصاص أعظم من الطرد من حضرته والحرمان من طعام مائدته: «أرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم» (متي ٢٢:٧).

في كلا المثلين أُعِدَّ ضيوفٌ للوليمة، ولكن المثل الثاني يرينا أنّ هنالك استعدادا يجب أن يقوم به كلّ من يحضرون إلى العرس. فالذين يهملون هذا الاستعداد يُطرحون خارجا: «فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأي هناك إنسانا لم يكن لابسا لباس العرس. فقال له يا صاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس. فسكت. حينئذ قال الملك للخدام اربطوا

رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان» (متى ٢٢:١١ - ١٣).

إن الدعوة إلي الوليمة كان قد قدمها تلاميذ المسيح. لقد أرسل سيدنا الاثنى عشر وبعد ذلك أرسل السبعين معلنين أنّ ملكوت الله قد اقترب ومنادين الناس أن يتوبوا ويؤمنوا بالإنجيل. ولكن لم يكن من يكترث للدعوة. فالذين دُعوا إلي الوليمة لم يأتوا. وبعد ذلك أرسل العبيد ليقولوا: «هوذا غذائي أعددته. ثيراني ومسمناتي قد ذبحت وكل شيء معدّ. تعالوا إلى العرس» (متى ٤:٢٢). كانت هذه هي الرسالة المقدمة إلى الأمة اليهودية بعد صلب المسيح، ولكنّ الأمة التي ادّعت أنّها شعب الله الخاص رفضت الإنجيل المرسل إليها بقوة الروح القدس. وكثيرون اغتاظوا جدا بسبب عطية الخلاص، وعطية غفران الخطايا، فعلوا هذا بكيفية تدل على منتهى الاحتقار. وآخرون اغتاظوا جداً ورفضوا رب المجد بحيث انقلبوا على حاملي الرسالة. فكان «اضطهاد عظيم» (أعمال ١:٨). وكثيرون من الرجال والنساء أُلقِيَ بهم في السجن وبعض من رسل الرب كاستفانوس ويعقوب قتلوا.

وهكذا ختم الشعب اليهودي على رفضه لرحمة الله. كان المسيح قد سبق فأنبأ بالنتيجة حين قال أن الملك: «أرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم» (متى ٧:٢٢). فالدينونة التي نطق بها حلت باليهود في خراب أورشليم وتشتيت الأمة.

أما الدعوة الثالثة إلي الوليمة فترمز إلي تقديم الإنجيل إلى الأمم. فقد قال الملك «أما العرس فمستعد وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين، فاذهبوا إلي مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس» (متى ٨:٢٢، ٩). أما عبيد الملك الذين خرجوا إلى الطرق فقد «جمعوا كل الذين

وجدوهم أشراراً وصالحين» (متى ٢٢:١٠). كانوا جماعة مختلطة. فبعض منهم لم يكن عندهم اعتبار حقيقي لصاحب الوليمة اكثر ممن قد رفضوا الدعوة. فالفريق الذين دعوا أولاً ظنوا بأنهم لا يستطيعون التضحية بأية منفعة عالمية ليحضروا إلي وليمة الملك، أمّا الذين قبلوا الدعوة فقد كان بينهم قوم لم يفكروا في غير منفعة أنفسهم. فقد جاءوا ليقتسموا طعام الوليمة ولكنهم لم يكونوا يرغبون في إكرام الملك.

وعندما دخل الملك لينظر الضيوف انكشف أمامه أخلاق الجميع علي حقيقتها. وقد أُعِدّ لكل ضيف حضر إلى الوليمة ثوبٌ هو لباس العرس. وكان هذا الثوب هبةً من الملك. فإذ لبسه الضيوف برهنوا علي احترامهم لصاحب الوليمة. ولكن كان يوجد إنسانٌ يرتدي ثوبَه العادي. وقد رفض أن يقوم بالاستعداد الذي طلبه الملك فالثوب المعد له بثمن غال استنكف هو أن يلبسَه. وهكذا أهان مولاه. فعندما سأله الملك قائلاً : «كيف دخلت إلي هنا وليس عليك لباس العرس» (متى ٢٢:١٢)، لم يستطع أن يجيب بشيء. لقد حكم على نفسه. حينئذ قال الملك : «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية» (متى ٢٢:١٣).

إنّ فحص الملك للضيوف الذين كانوا علي المائدة يرمز إلي عمل من أعمال الدينونة. إنّ ضيوف وليمة الإنجيل هم الذين يعترفون بأنهم يخدمون الله، والذين أسماؤهم مكتوبة في سفر الحياة. ولكن ليس كلّ من يعترفون بأنّهم مسيحيون هم تلاميذ أمناء. فقبل تقديم الجزاء الأخير ينبغي الحكم في من هم المؤهلون لشركة ميراث الأبرار. وهذا الحكم ينبغي أن يسبق المجيء الثاني للمسيح في سحاب السماء ، لأنه عندما يأتي ستكون أجرته معه: «لأجازي كل واحد كما يكون عمله» (رؤيا ٢٢:١٢). إذا فقبل

مجيئه ستكون قد تقرّرت طبيعة عمل كل واحد، وكل واحد من تلاميذ المسيح سيُخصّص له الجزاء بحسب أعماله

ففيما لا يزال الناس ساكنين على الأرض يأخذُ عمل الدينونة التحقيقية مجراه في ديار السماء. والله سيراجع حياة كل من يعترفون بأنّهم تلاميذه. وسيمتحن الجميع بموجب سجل أسفار السماء، وسيتقرّر المصير الأبدي لكل واحدٍ بحسب أعماله.

إنّ لباس العرس المذكور في المثل يرمز إلى الخلُق النقي غير الملوث الذي يملكه تلاميذ المسيح الحقيقيون. ولقد أُعطِيَ للكنيسة أن «تلبسَ بزاً نقياً بهيا». «لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك» (رؤيا ١٩:٨؛ افسس ٥:٢٧). إنّ الكتاب يقول عن البرّ النقي أنّه «تبرّرات القديسين». انّه برّ المسيح وصفاته التي بلا لوم التي تعطي لكل من يقبلونه بإيمان كمخلصهم الشخصي

كان أبوانا الأولان يلبسان ثوب الطهارة الأبيض حين وضعهما الله في عدن المقدسة. لقد عاشا في حالة توافق تام مع إرادة الله. فكل قوة عواطفهما كانت معطاة لأبيهما السماوي. وقد اكتنف ذينك الزوجين المقدسين نورُ جميلُ ولطيفُ هو نورُ الله. وكان ثوب النور هذا رمزا لثيابهما الروحية ثياب الطهارة السماوية. فلو ظلاّ على أمانتهما لله لظل ذلك الثوب يكسوهما إلى الأبد. ولكن لمّا دخلت الخطية قطعا صلتَهما بالله واختفى النور الذي كان قبلا يحيط بهما. فإذ كانا عاريين خجلا وحاولا الاستعاضة عن الثياب السماوية بأن خاطا أوراق تين ليصنعا لأنفسهما مآزر.

هذا ما فعله من عصوا شريعة الله منذ عصر آدم وحواء لقد خاطوا أوراق تين لتغطية عريهم الذي كان سببه العصيان. لقد لبسوا ثيابا من ابتكارهم فبأعمالهم حاولوا ستر خطاياهم والظفر بقبول الله.

ولكــن هــذا عمــل لا يســتطيعونه أبــدا. ولا يمكــن للإنســان أن يبتكــر شــيئا يــأخذ مكــان ثــوبِ الطــهارة الــذي قــد أضاعــه. فــلا يمكــن لثــوب مصنــوع مــن أوراق التــين، أو ثــوبٍ عــالمي أن يلبســه مــن يجلســون مــع المســيح وملائكتــه في عشاء عرس الحمــل.

ولا يمكــن لغــير الكســاء الــذي قــد أعــدّه المســيح بنفســه أن يجعلنــا أهــلا للمثول في حضرة الله. هذا الكساء الــذي هــو ثــوب بــرّ المســيح سيستر بــه كــلّ نفسٍ تائبة مؤمنة. إنّه يقــول : «أشــير عليــك أن تشــتري مــني ... ثيابــا بيضــا لكــي تلبس فلا يظهر خزي عريتــك» (رؤيــا ٣:١٨).

هذا الثــوب المنســوج في نــول الســماء لا يوجــد فيــه خيــط واحــد مــن صنــع النــاس. فالمسيح في بشرّيته صاغ خلُقا كــاملا وهــذا الخلُــق هــو مستعد لأن يمنّــه لنا «كثوب عدة كل أعمال برنا» (إشعياء ٦٤:٦). فكــل مــا يمكننــا أن نعملــه مــن أنفسنا هــو منجّــس بالخطيــة. ولكــنّ ابــن الله قــد «أظــهر لكــي يرفــع خطايانــا وليــس فيــه خطيــة » وتعريــف الخطيــة هــي «التعــدي» (١يوحنــا٣:٥و٤) ولكــن المسيح كــان مطيعــاً لكــل مطــاليب النــاموس. فقــد قــال عــن نفســه: «أن أفعــل مشيئّتك يــا إلهــي ســررت. وشــريعَتك في وســط أحشــائيِ» (مزمــور ٤٠:٨). وعندمــا كــان علــى الأرض قــال لتلاميــذه: «أنــا قــد حفظــت وصايــا أبــي» (يوحنــا ١٥:١٠). فبطاعتــه الكاملــة جعــل في إمكــان كــل إنســان أن يطيــع وصايــا الله. فعندمــا نُخضِــع ذواتِنــا للمســيح فــالقلب يتّحــد بقلبــه والإرادة تندمــج في إرادتــه والفكــر يصبــح واحــدا مــع فكــره والتــأملات يستأســرها لنفســه، فنحيــا حياتَــه. هــذا هــو معنــى كوننــا نلبس ثــوب بــرّه. فحينئــذ إذ ينظــر الــربّ إلينــا فــهو لا يــرى ثوبــا مــن أوراق التــين، لا عــري الخطيــة وتشــويهاتها بــل يــرى ثــوبَ بــرّه هــو الــذي هــو الطاعــة الكاملــة لشريعة الــرب.

وقد فحص الملك ضيوف العرس. فالذين أطاعوا أوامره ولبسوا ثوب العرس هم وحدهم الذين قبلوا وهكذا ستكون الحال مع ضيوف وليمة الإنجيل. فلا بدّ من أنّ الجميع يمرّون أمام نظرة الملك العظيم الفاحصة، فالذين قد لبسوا ثوب برّ المسيح هم وحدهم الذين يرحّب بهم.

البرّ هو عمل الصواب والحق. فبموجب هذه الأعمال يُدان الجميع. إنّ صفاتِنا تكشف عنها أعمالنا. فالأعمال هي التي تبرهن عما إذا كان الإيمان حقيقياً.

لا يكفي كوننا نؤمن بأن يسوع لم يكن محتالا وان ديانة الكتاب ليست خرافاتٍ مصنّعة. فقد تؤمن بأن اسمَ يسوع هو الاسمُ الوحيد تحت السماء الذي به ينبغي أن نخلُص، ومع ذلك فقد لا نجعله مخلصنا الشخصي بالإيمان. فلا يكفي كوننا نؤمن بنظرية الحق، ولا يكفي كوننا نعترف بإيماننا بالمسيح وأن تُسجل أسماؤنا في سجلات الكنيسة: «من يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه. وبهذا نعرف انه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا». «بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه» (١يوحنا ٣:٢٤؛ ٢:٣) هذا هو البرهان الحقيقي علي التجديد. فمهما يكن اعترافنا فهو لا يساوي شيئاً ما لم يظهر المسيح في أعمال البر.

والحق ينبغي أن يُغرس في القلب. ويجب أن يسيطر على العقل وينظم العواطف. والخلق كله يجب أن يُطبع بالأقوال الإلهية. وينبغي أن كل حرف وكل نقطة من كلمة الله تتدخل في الأعمال اليومية.

إنّ من يصير شريكا في الطبيعة الإلهية لابد أن يكون في وفاق مع مقياس الله العظيم للبرّ، أي شريعته المقدسة. هذا هو القياس الذي عليه يقيس الله أعمال الناس. وهذا سيكون محكّ الخلق في يوم الدين.

كثيرون يدّعون أنّه بموت المسيح أُلغِيَ الناموس، ولكنهم بهذا يناقضون نفس كلام المسيح إذ قال: «لا تظنوا أنّي جئت لأنقض الناموس والأنبياء ... إلي أن تزول السماء والأرض لا يزول حرفٌ واحدٌ أو نقطة واحدة من الناموس» (متى ٥:١٧و١٨). إنّ المسيح قد بذل حياته لكي يكفّر عن تعدّي الإنسان علي الناموس. فلو أمكن تغيير الناموس أو طرحه جانبا لما كانت بالمسيح حاجة لأن يموت. فبحياته على الأرض أكرم شريعة الله وبموته ثبّته. ولقد بذل نفسه ذبيحة لا لينقض شريعة الله ولا ليخلق مقياسا أدني، بل لكي يحفظ العدل ولكي يتبرهن ثبات الشريعة ولكي تظلّ وطيدة إلي الدهر.

لقد ادّعى الشيطان انّه يستحيل على الإنسان أن يحفظ وصايا الله، الحقيقة هي أننا لا يمكننا إطاعتها بقوتنا الذاتية. ولكن المسيح جاء في صورة إنسان وبطاعته الكاملة برهن على أنّه إذا اتحدت البشرية بالألوهية يمكن إطاعة كل وصايا الله.

«أمّا كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يوحنا ١٢:١). فهذا السلطان ليس في الإنسان بل هو سلطان الله. فمتى قبل أي إنسان المسيح فهو يقبل القوة ليحيا في المسيح.

إنّ الله يطلب من أولاده أن يكونوا كاملين. فشريعته هي صورةٌ طبق الأصل لصفاته وهي مقياس كل خلُق. فهذا المقياس اللامحدود مقدّمٌ للجميع لكيلا يكون هناك أيّ خطأ فيما يختص بنوع الناس الذين يقبلهم الله لكي يكوّنوا ملكوته. فقد كانت حياة المسيح على الأرض تعبيرا كاملا لشريعة الله. وعندما يصير من يدّعون انّهم أولاد الله كالمسيح في صفاتهم فسيكونون مطيعين لوصايا الله. وحينئذ يمكن للرب أن يثق بهم ليكونوا ضمن من سيكوّنون أسرة السماء. فإذ يتسربلون بثوب بر المسيح المجيد

يكون لهم مكان في وليمة الملك. ولهم حق الانضمام إلى جموع المغتسلين بالدم.

إن الإنسان الذي دخل إلى الوليمة ولم يكن عليه لباس العرس يصوّر حالة كثيرين في عالمنا اليوم. فهم يدّعون انّهم مسيحيون ويطالبون بحقهم في بركات الإنجيل وامتيازاتِه ومع هذا فهم لا يحسّون بالحاجة إلي تغيير أخلاقهم. إنّهم لم يحسّوا قط بتوبة حقيقية عن الخطية. وهم لا يدركون حاجتَهم إلى المسيح أو ممارسة الإيمان به. ولم ينتصروا على ميلهم الموروث أو المغروس فيهم لفعل الشرّ. ومع ذلك فهم يظنون انّهم في أنفسهم صالحون صلاحا كافيا ويستندون على استحقاقاتِهم بدلا من الاتكال على المسيح والثقة به. فكمن يسمعون الكلمة يحضرون الوليمة وليس عليهم لباس العرس أي ثوب برّ المسيح.

كثيرون ممن يدعون أنفسهم مسيحيين هم مجرد رجال أخلاق وآداب عالمية. لقد رفضوا الهبة التي هي وحدها تمكنهم من إكرام المسيح بتمثيله للعالم. إنّ عمل الروح القدس عمل غريب بالنسبة إليهم. إنّهم ليسوا عاملين بالكلمة. فالمباديء السماوية التي تميز من هم متحدون بالمسيح عمن هم متحدون بالعالم يكاد يمسي من الصعب تمييزها. فالمعترفون بأنهم تلاميذ المسيح ما عادوا شعبا منفصلا خاصا. فالحد الفاصل غير واضح المعالم. فالشعب نفسه يتبع العالم، في تصرفاته وعاداته وأنانيته والكنيسة تعبر إلي العالم في عصيانها للشريعة، في حين كان يجب أن يعبر العالم إلى الكنيسة في إطاعة الشريعة. وفي كل يوم ترجع الكنيسة إلى العالم.

كل هؤلاء ينتظرون أن يخلصوا بموت المسيح بينما هم يرفضون أن يحيوا حياتَه حياةَ التضحية. إنّهم يمجدون غنى النعمة المجانية ويحاولون

أن يستروا أنفسهم بمظهر البر آملين أن يخفوا النقائص في خلقهم، ولكن جهودهم لن تجديهم نفعا في يوم الله.

إنّ بر المسيح لن يخفي خطية واحدة محبوبة. قد يكون إنسان كاسرا للشريعة في قلبه، ومع ذلك فإذا لم يرتكب عملا واحدا من أعمال العصيان العلني قد يعتبره العالم حائزا على نصيب كبير من الاستقامة والنزاهة. ولكن شريعة الله تفحص أعماق القلب وسرائره. فكل عمل يحكم عليه بالبواعث التي تدفع الإنسان لعمله. فقط ما يتفق مع مباديء شريعة الله هو الذي يثبت في يوم الدين.

الله محبة. وقد برهن على محبته في عطية المسيح. عندما «بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» لم يمنع شيئاً عن خاصته التي اقتناها (يوحنا ١٦:٣). لقد وهب كل السماء التي منها يمكننا أن نستمد القوة والمقدرة حتى لا يصدنا خصمنا العظيم أو يغلبنا. ولكن محبة الله لا تجعله يتسامح مع الخطية. إنّه لم يتسامح مع الشيطان عندما اخطأ. وكذلك الخطية. ولن يتسامح معها في حياة أي واحد من بني الإنسان. ولن يتغاضى عن خطايانا أو يغتفر لنا مواطن النقص في أخلاقنا. فهو ينتظر منا أن ننتصر باسمه.

والذين يرفضون هبة برّ المسيح إنما يرفضون سجايا الخلق التي تؤهلهم لأن يكونوا أبناء الله وبناته. إنّهم يرفضون الشيء الوحيد الذي يستطيع دون سواه أن يعطيهم الصلاحية للحصول على مكان في وليمة العرس.

نجد في المثل أنّ الرجل عندما سأله الملك قائلا: «كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس»؟ سكت. وكذلك سيكون الحال في يوم الدينونة العظيم. قد يتسامح الناس مع النقص البادي في أخلاقهم أمّا في ذلك اليوم فلن يقدّموا عذرا.

أن الكنائس المعترفة بالمسيح في هذا العصر قد سمت إلى أعلى حدود الامتيازات. فقد أعلن الرب لنا بنور متزايد على الدوام. وامتيازاتنا هي أعظم بكثير من امتيازات شعب الله قديما. فإننا فضلا عن كوننا نملك النور العظيم المُسلّم لإسرائيل فإنّ لنا زيادة على ذلك البرهان المتزايد للخلاص العظيم المُعطى لنا بواسطة المسيح. فما كان لليهود صورا ورموزا صار حقيقة لنا. كانت عندهم شهادة العهد القديم وتاريخه أمّا نحن فلنا العهد الجديد أيضا. وعندنا يقين المخلص الذي قد أتى والذي صلب وقام والذي من فوق قبر يوسف المفتوح أعلن قائلا: «أنا هو القيامة والحياة» (يوحنا ١١:٢٥). إنّ المسيح معلن لنا في العظات ونسمع اسمه يتردد في التسابيح. وها هي الوليمة الروحية مرتبة أمامنا بوفرة وغنى. وثوب العرس الذي أُعدّ لنا بثمن لا يمكن تقديره يُقدّم مجانا لكل نفس. وهاهم رسل الله يقدّمون لنا برّ المسيح، والتبرير بالإيمان والمواعيد العظمى والثمينة في كلمة الله، والقدوم بسعة إلى الآب بالمسيح وتعزية الروح، واليقين الراسخ بالحياة الأبدية في ملكوت الله. فما الذي كان الله يستطيع أن يعمله لأجلنا ولم يعمله في إعداد العشاء العظيم والوليمة السماوية؟

وفي السماء يقول الملائكة الخادمون: لقد قمنا بالخدمة التي كُلفنا بها. فقد صددنا جيش الملائكة الأشرار. وقد أدخلنا الصفاء والنور إلى نفوس الناس، إذ أنعشنا عقولهم بمحبة الله في يسوع المسيح. وقد تأثرت قلوبهم تأثراً عميقا بالشعور بالخطية التي صلبت ابن الله. وقد تبكتوا. وقد رأوا الخطوات التي تُتخذ في التجديد، وقد أحسّوا بقوة الإنجيل، وصارت قلوبهم رقيقة عندما رأوا عذوبة محبة الله. وشاهدوا جمال صفات المسيح. ولكنّ كل هذا كان عبثا بالنسبة لكثيرين. فلم يريدوا التنازل عن عاداتهم وأخلاقهم. لم يريدوا أن يخلعوا ثياب الأرض ليلبسوا حلة السماء. لقد أسلموا قلوبهم للطمع. وقد أحبوا عشرة العالم أكثر مما احبوا إلههم.

وسيكون يوم الحكم النهائي يوما رهيبا. إنّ يوحنا الرسول يصفه في رؤيا نبوية فيقول: «ثم رأيت عرشا عظيما أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع. ورأيت الأموات صغارا وكباراً واقفين أمام الله. وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم» (رؤيا ٢٠:١١و١٢).

وستكون ذكرى الماضي محزنة في ذلك اليوم الذي فيه يواجه الناس الأبدية. وستعرض الحياة بجملتها كما كانت تماما. ولن تبدو مسرات الناس وغناه وكراماته ذات أهمية تذكر. وسيرى الناس حينئذ أنّ البرّ الذي احتقروه هو وحده الذي له قيمته. وسيرون انهم قد صاغوا أخلاقهم تحت تأثير إغراءات الشيطان الخادعة. والثياب التي اختاروها هي وسام ولائهم للمرتدّ الأعظم الأول. وحينئذ سيرون عواقب اختيارهم. وسيعرفون معنى التعدي على وصايا الله.

ولن يكون هنالك إمهال في المستقبل فيما هم يستعدون للأبدية. ولكن علينا أن نلبس ثوب برّ المسيح في هذه الحياة. هذه هي فرصتنا الوحيدة لصوغ أخلاقنا للذهاب إلى الوطن الذي قد أعده المسيح لمن يطيعون وصاياه

إنّ أيام إمهالنا تسرع إلى نهايتها. فالنهاية قريبة. وقد أُعطيَ لنا هذا الإنذار: «فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة فيصادفكم ذلك اليوم بغتة» (لوقا ٢١:٣٤). احترس لئلا يجدك ذلك اليوم غير مستعد. احترس لئلا توجد جالسا في وليمة الملك وليس عليك لباس العرس.

«في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان». «طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشي عريانا فيروا عورته» (متى ٢٤ : ٤٤؛ رؤيا ١٦ : ١٥)

٢٥ الوَزنَات

إنّ المسيح إذ كان جالسا على جبل الزيتون تحدث مع تلاميذه عن مجيئه الثاني إلي العالم. وقد ذكر بعض الحوادث التي تدل على قرب مجيئه، وكان قد أوصى تلاميذه بأن يسهروا ويستعدوا. ومرة أخرى كرر الإنذار قائلا: «فاسهروا إذا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان» (متى ٢٥ : ١٣). ومن ثم أبان لهم معنى السهر لمجيئه. فالوقت ينبغي أن لا يصرف في الانتظار الباطل بل في العمل باجتهاد. هذا هو الدرس الذي قدمه المسيح في مثل الوزنات.

فقال لهم ملكوت السموات «كأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله. فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة. كل واحد على قدر طاقته. وسافر للوقت» (متى ٢٥ : ١٤و١٥).

إنّ الرجل المسافر إلى كورة بعيدة يرمز إلى المسيح الذي حينما نطق بهذا المثل كان مزمعا أن ينطلق من الأرض إلى السماء. و«عبيده» أي الأسرى المذكورون في المثل يرمزون إلى أتباع المسيح. إننا لسنا لأنفسنا فقد «اشتريتم بثمن» (١كورنثوس ٦ : ٢٠) «لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب... بل بدم كريم... دم المسيح» (١بطرس ١: ١٨و١٩). «كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» (٢كورنثوس ٥ : ١٥)

كل الناس قد اشتُروا بهذا الثمن الذي لا يمكن تقديره. إذ سكب الله كل ما في خزانة السماء إلي هذا العالم، وإذ منحنا كل السماء في المسيح، فإنّه قد اشترى إرادةَ كل إنسان وعواطفَه وعقلَه ونفسَه. إنّ كلّ الناس، مؤمنين كانوا أو غير مؤمنين هم خاصة الرب. والجميع يُدعون ليخدموه،

ولأجل الكيفيـة الـتي بـها قـابلوا هـذا الطلـب، سيُطلب مـن الجميـع أن يقدمـوا حسابا في يـوم الدينونـة العظيـم.

ولكـنّ حقـوق الله لا يعـترف بـها الجميـع. فـالذين يدّعـون انّـهم قـد قبلـوا خدمة المسيح هم الذين يرمز إليهم المثل علي انّـهم عبيـده.

لقـد افتُـدِيَ أتبـاعُ المسـيح ليخدمـوا. إنّ ربّنـا يعلمنـا أنّ هـدف الحيـاة الحقيقي هـو الخدمـة. فقـد كـان المسيح نفسـه خادمـا، وهـو يقـدّم لكـل اتباعـه قـانون الخدمـة ـ خدمـة الله وخدمـة بـني جنسـهم. لقـد قـدم المسـيح للعـالم هنـا فكـرة عـن الحيـاة أسمـى مـن كـل مـا سـبقوه فعرفـوه. إنّ الإنسـان إذ يعيـش ليخـدم الآخريـن يصـير مرتبطـاً بالمسـيح. فقـانون الخدمـة يصـير حلقـة الاتصـال الـتي تربط بيننا وبين الله وبـني جنسـنا.

إنّ المسـيح يسـلم عبيـده «أموالـه» – أي شـيء يسـتثمر لأجلـه ، فـهو يعطـي «لكـل واحـد عملـه» (مرقـس ١٣ : ٣٤). فلكـلٍ مكانـه في تدبـير السـماء الأبـدي. وعلـى كـل واحـد أن يعمـل متعاونـا مـع المسـيح لأجـل خـلاص النفـوس. فكمـا نحـن موقنـون مـن انّـه يوجـد مكـان معـد لنـا في المواطـن السـماوية فكذلـك يجب أن نوقن انـه قد تعين لنا مكـان خاص علـى الأرض حيـث نخـدم الله.

مواهب الروح القـدس

إنّ الوزنـاتِ الـتي يسـلمها المسـيح لكنيسـته تمثـل خاصـة المواهـب والبركـات الـتي يمنحـها الـروح القـدس: « فانـه لواحـد يُعطـى بـالروح كـلام حكمة. ولآخر كلام علم بحسب الـروح الواحـد. ولآخـر إيمـان بـالروح الواحـد. ولآخـر مواهـب شـفاء بـالروح الواحـد. ولآخـر عمـل قـوات ولآخـر نبـوة، ولآخـر تمييز الأرواح. ولآخر أنـواع ألسنة ولآخـر ترجمـة ألسـنة ولكـن هـذه كلـها يعملـها الـروح الواحـد بعينـه قاسمـاً لكـل واحـد بمفـرده كمـا يشـاء» (١كورنثـوس ١٢ :

٨-١١). إنّ كل الناس لا يتقبلون نفس المواهب، ولكن قد أُعطيَ الوعدُ بإعطاء موهبة من مواهب الروح لكل خادم للسيّد.

إنّ المسيح قبلما ترك تلاميذه: «نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس» (يوحنا ٢٠: ٢٢). ثم قال: «ها أنا أرسل إليكم موعد أبي» (لوقا ٢٤ : ٤٩). ولكنّهم لم يقبلوا تلك الهبة في ملئها إلا بعد الصعود. فلم يقبل التلاميذ انسكاب الروح إلاّ بعدما سلموا ذواتهم بالتمام لعمله بالإيمان والصلاة. حينئذ سلمت أموال السماء إلى تلاميذ المسيح بمعنى خاص: «إذ صعد إلى العلاء سبى سبيا وأعطى الناس عطايا» «لكل واحد منا أعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح» (أفسس ٤ : ٨و٧) (الروح) «قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١كورنثوس ١٢ : ١١). إنّ الهبات هي لنا الآن في المسيح ولكن امتلاكها امتلاكا فعليا يتوقف على قبولنا لروح الله.

إنّ الوعد بإرسال الروح لا يقدّر كما ينبغي. وإتمامه لا يتحقق كما يجب. إنّ غياب الروح هو الذي يجعل خدمة الإنجيل بلا قوة. قد تمتلك العلم والمواهب والفصاحة وكل هبة طبيعية أو مكتسبة، ولكن بدون حضور روح الله لا يمكن أن يتأثر أي قلب، ولا يمكن ربح أي خاطيء للمسيح. ومن الناحية الأخرى فإن أفقر تلاميذ المسيح وأجهلهم إذا كانوا مرتبطين به وإن كانت لهم هبات الروح ستكون لهم قوة تؤثر في القلوب. فالله سيجعلهم سبيلا لإحداث اعظم تأثير في المسكونة.

وزنات أخرى

إنّ هبات الروح الخاصة ليست هي الوزنات الوحيدة المبينة في المثل. فهي تشمل كل الهبات والعطايا سواء أكانت أصيلة أو مكتسبة، طبيعية أو روحية. وهذه كلها ينبغي استخدامها في خدمة المسيح. فنحن إذ نصير

تلاميذَ له. نسلم ذواتنا له بكل كياننا وكل ما نملك. وهو يعيد إلينا هذه الهبات طاهرة وسامية لتُستخدَم لمجده في جلب البركة لبني جنسنا.

إنّ الله قد أعطى كل واحد «على قدر طاقته» (متى ٢٥ : ١٥). إنّ الوزنات لا تُقّسم لكل واحد على هواه. ولكن الذي له المقدرة على استثمار خمس وزنات أُعطِيَ خمسا. والذي يمكنه أن يحسّن وزنتين يأخذ اثنتين، والذي يمكنه أن يتصرف بحكمة في وزنة واحدة فقط أعطيت له وزنة. فلا حاجة لأحد في أن ينتدب لأنه له وزنات أكثر، لأنّ الذي قسم لكل واحد نصيبه يتمجد عندما تحسّن كل وديعة سواء أكانت كثيرة أو قليلة. فالذي سُلّمَت إليه خمس وزنات عليه أن يستثمر الوزناتِ الخمس، والذي أخذ وزنة واحدة عليه أن يُحسن استخدام الواحدة فالله ينتظر نتائج «على حسب ما للإنسان لا على حسب ما ليس له» (٢كورنثوس ٨ : ١٢).

نجد في المثل أن «الذي أخذ الخمس وزنات» مضى «وتاجر بها فربح خمس وزنات أخر. وهكذا الذي أخذ الوزنتين ربح أيضا وزنتين أخريين» (متى ٢٥ : ١٦و١٧)

إنّ الوزنات مهما تكن قليلة العدد ينبغي أن تُستثمر. إنّ السؤال الذي يهمنا أكثر من غيره هو ليس : كم أخذت؟ بل : ماذا أنا فاعل بما قد أخذت؟ إنّ تحسين كل قوانا هو أول واجب نحن مدينون به لله ولبني جنسنا. فمن لا ينمو كل يوم في المقدرة والنفع لا يتمّم غرضَ الحياةِ. إننا إذ نعترف بإيماننا بالمسيح فنحن نتعهد أن نصبو إلى كل ما يمكننا أن نصير إليه كخدام للسيد، وان ننمّي كلّ قوة فينا إلى أقصى درجات الكمال حتى نستطيع أن نعمل أعظم قدر من الخير الذي نحن قادرون عليه.

إنّ للرب عملا عظيما يجب إنجازه، وفي الحياة العتيدة سيورث النصيب الأكبر لمن يقومون بأعظم خدمة أمينة عن طيب خاطر في الحياة الحاضرة.

والـرب يختـار عماله وفي كـل يـوم في ظـروف مختلفـة يقـدّم لهـم اختبـارا في خطة عمله، وفي كل مسعى أمـين لتنفيـذ خطّتـه يختـار عمالـه لا لأنـهم كـاملون، بل لأنهم عن طريق ارتباطهم به يمكنهم أن يبلغوا حـدّ الكمـال.

والله لا يقبـل إلاّ مـن يصمّمـون علـى أن يسـموا بأهدافـهم. وهـو يجعـل كـل عامل تحت التزام بان يفعل أفضل ما يسـتطيعه. والكمـال الأدبـي مطلـوب مـن الجميـع. فينبغـي ألاّ نخفـض مقيـاس الـبرّ لكـي نوفـق بـين الأميـال الموروثـة أو المغروسـة وبـين عمـل الشـر. وعلينـا أنّ نـدرك أن النقـص في الخلُـق هـو خطيـة. وكـل سـجايا الخلـق البـارة هـي في الله الـذي هـو كـلٌّ كـامل ومنسـجم، وكـل من يقبل المسيح مخلّصاً شخصيا له يصبح له امتياز امتلاك هـذه السـجايا.

وعلـى الذيـن يريـدون أن يكونـوا عـاملين مـع الله أن يجتـهدوا في جعـل كـل عضـو مـن أعضـاء الجسـم وكـل صفـة مـن صفـات العقـل في حالـة الكمـال. الثقافـة الصحيحـة هـي إعـداد القـوى الجسـمية والعقليـة والأدبيـة لاداء كـل واجـب، وهـي تهيئـة الجسـم والعقـل والنفـس للخدمـة المقدسـة - تلـك هـي الثقافة الباقية للحيـاة الأبديـة.

إنّ الـرب يطلـب مـن كـل مسيحي أن ينمـو في الكفـاءة والمقـدرة في كـل فروع العمل. لقـد دفـع لنـا المسيح أجرتنـا أي دمَـه وآلامَـه، لكـي يحصـل علـى خدمتنـا الطوعيـة. ولقـد أتـى إلى عالمنـا ليقـدم لنـا مثـالا في كيـف يجـب أن نخـدم وأي روح يجـب أن ندخلـها في عملنـا. وهـو يريدنـا أن نفكـر في كيـف يمكننـا أن نتقـدم بعملـه ونمجـد اسـمه في العـالم، ونتـوّج بالكـرامة وبأعظـم محبـة وتكريـس الآب الـذي «هكـذا أحـب الله العـالم حتـى بـذل ابنـه الوحـيد لكـي لا يـهلك كـل مـن يؤمـن بـه بـل تكـون لـه الحيـاة الأبديـة» (يوحنـا٣ : ١٦).

ولكن المسيح لم يقدم لنا ضمانا بإنّ بلوغ الكمال في الخلُق مسألة سهلة. إنّ الخلُق النبيل المكمّل لا يورث، ولا نؤتاه بمحض الصدفة، بل يُكتسب بالمجهود الشخصي باستحقاق المسيح ونعمته. فالله يُعطي الوزنات وقوي العقل أمّا نحن فنصوغ الخلُق. وهو إنما يُصاغ بمعارك شديدة حامية مع الذات، إذ لابدّ من إثارة حرب بعد حرب ضدّ الأميال الموروثة، ولابد لنا من أن ننتقد نفوسنا بشدة وألاّ نسمح لأي خلة من الخلال غير المقبولة أن تظل بدون إصلاح.

لا يقل أحد: أنا عاجز عن إصلاح ضعفاتي الخلقية. فإذا وصلت إلي هذا القرار فستخفق في الحصول على الحياة الأبدية. إنّ الاستحالة كامنة في أرادتك أنت، فإذا لم ترد فلن تنتصر. إنّ الصعوبة الحقيقة ناشئة من فساد القلب النجس والنفور من الخضوع لسلطان الله.

ولكن كثيرين ممن قد أهّلهم الله للقيام بعمل جليل لا ينجزون إلاّ قليلا جدا، لانهم يحاولون قليلا. إنّ آلافا من الناس يسيرون في الحياة وكأنّ ليس لهم غرض معين يعيشون لأجله ولا جعالة يصلون إليها. هؤلاء سينالون مجازاة تتناسب وأعمالهم.

واذكر انك لن تصل إلى مقياس أعلى مما قد وضعته لنفسك. إذا فاجعل هدفك عاليا، وحينئذ فخطوة بعد خطوة. وان يكن بمجهود مؤلم لك، وبإنكار ذات وتضحية اصعد سلم النجاح إلى قمّته. ولا تدع شيئاً يعوقك. إنّ الحظ لم ينسج خيوطه حول أيّ إنسان بكل قوة بحيث يظل عاجزاً وفي شكّ. إنّ مقارعة الظروف ومقاومتها ينبغي أن تخلق في النفس العزم الصادق على الانتصار عليها. إنّ نقض سياج واحد كفيل بان يخلق في النفس قوة وشجاعة اعظم للتقدم إلى الأمام. فسر قدماً بعزم صادق في طريق الحق، وستكون الظروف مساعدة لك لا معرقلة.

كـن طموحـا لأجـل مجـد السيد لأن تغـرس في خلُقـك كـلّ فضيلــة. عليــك في كــلّ دور مــن أدوار بنــاء خلُقــك أن ترضــي الله. وأنــت تســتطيع أن تفعــل هــذا، لأنّ اخنــوخَ أرضــى الله مــع انّــه كــان يعيــش في وســط جيــل منحــط، ويوجد كثيرون من أمثال اخنوخ في يومنــا هــذا.

قــف كدانيــالَ الســياسي الأمــين، الــذي لم يمكّــنْ لأيــة تجربــة أن تفســده. لا تخيّــب انتظــارات مــن «هكــذا احبــك حتــى بــذل نفســه ليمحـــو خطــاياك». انّــه يقــول: «بدونــي لا تقــدرون أن تفعلــوا شــيئا» (يوحنــا ١٥ : ٥). فــاذكر هــذا. فــان كنــت قــد أخطــأت فــأنت بالتــأكيد تحــرز النصــرة إذا كنــت تــرى هــذه الأخطــاء وتعتبرهــا إنــذارات بــالخطر. وهكــذا تقلــب الهزيمــة إلى نصــرة، وهكــذا تخيب انتظارات العدو وتكــرم فــاديك.

إنّ الخلــق الــذي يُصــاغ حســب صــورة الله هــو الكــنز الوحيــد الــذي نســتطيع أن ننقلــه مــن هــذا العــالم إلى العــالم الآتــي. والذيــن هــم خــاضعون لتعليمــات المسيح في هــذا العــالم سيأخـــذون معـــهم كــل مــا قــد حصلــوه مــن الأمــور الإلــهية إلــي مســاكن الســماء. وفي الســماء ستســير علــى الــدوام في طريــق التحسن. إذا فما أهم أن ننمّي خلقنــا في هــذه الحيــاة

إنّ أجنــاد الســماء ســيعملون مــع العــامل البشــري الــذي يطلــب بإيمــان ثــابت كمــال الخلــق الــذي يصــل إلى كمــال في العمــل. إنّ المســيح يقــول لكــل مــن يشتغل في هذا العمل. إنّــني سأعينك.

وإذ تتعــاون إرادة الإنســان مــع إرادة الله فــهي تصبـــح مقتـــدرة. وكــل مــا يمكـــن أن يعمـــل بأمـــره يمكـــن أن يتـــم بقـــدرته. وكــل ملزمـــاته تصـــير إمكـــانيات.

القـوى العقليـة

إن الله يطلب تدريب القوى العقلية. فهو يقصد أن يكون خدّامه حائزين ذكاء اعظم وتميزاً أوضح من الإنسان العالمي، وهو يسخط على من هم عديمو الاكتراث ومتكاسلون جدا عن أن يصيروا خدّاما مقتدرين ذوي علم ودراية. إنّ الرب يأمرنا بان نحبه من كل القلب ومن كل النفس ومن كل القدرة ومن كل الفكر. هذا يضعنا تحت التزام تنمية العقل إلى اكمل سعته، حتى نعرف خالقنا ونحبه بكل فكرنا.

إنّ العقل إذا صار تحت سيادة الروح فكلّما أُجيدَ تثقيفه وتهذيبه كلما أمكن استخدامه بأكثر فاعلية في خدمة الله. إنّ الرجل غير المتعلم المكرس لله والمشتاق لأن يبارك الآخرين يمكن للرب أن يستخدمه في خدمته. ولكن الذين قد حصلوا علي منفعة التعليم السليم ولهم نفس روح التكريس يمكنهم أن يخدموا المسيح خدمة أعظم في مجالات أوسع. فهم يقفون في مركز ممتاز.

إنّ الرب يريدنا أن نحصل على كل تعليم ممكن، وأمام أنظارنا هذا الغرض وهو أن نعرّف به الآخرين. ليس منا من يعرف أين أو كيف يمكن أن يُدعي ليخدم الله أو يتحدث عنه. إنّ أبانا السماوي هو وحده الذي يرى ما يمكنه أن يصنع من الناس. توجد أمامنا إمكانيات لا يمكن لإيماننا الضعيف أن يراها أو يميزها. فينبغي أن ندرّب عقولنا بحيث إذا لزم يمكننا أن نقدم حقائق كلمته لأرقى السلطات الأرضية بطريقة تمجّد اسمه. فلا نترك فرصة واحدة تفلت منا دون أن نؤهل ذواتِنا عقليا لخدمة الله.

فعلى الشباب المحتاجين إلى العلم أن يبدأوا بالعمل بعزم لاجتناء ثمراته. لا تنتظروا حتى يُفتَح لكم الباب، بل افتحوا لأنفسكم. وتمسّكوا بأي

طريق صغير يعرضُ نفسه لكم. ثم مارسوا الاقتصاد. فلا تنفقوا أموالكم في إشباع نهمكم أو طلب الملذات. اعزموا على أن تصيروا نافعين ومقتدرين كما يدعوكم الله أن تكونوا. كونوا كاملين ومتقنين وأمناء في كل ما تباشرونه. حصّلوا كل منفعة أو ميزة في متناول أيديكم لأجل تقوية عقولكم. واجمعوا بين دراسة الكتب والعمل اليدوي النافع، وبالمسعى الأمين والسهر والصلاة احرزوا الحكمة التي من فوق. هذا يمنحكم تعليما شاملا. وهكذا يمكنكم أن تسموا بأخلاقكم وتكسبوا تأثيرا على عقول أخرى يقدركم على أن ترشدوهم في طريق البرّ والقداسة.

ويمكن إتمام أشياء اكثر في عمل تعليم النفس إذا كنا يقظين لفرصنا وامتيازاتنا. إنّ التعليم الصحيح يعني شيئا اكثر ممّا يمكن للكليات أن تقدمه. ففي حين يجب ألاّ نغفل درس العلوم فإنّ هنالك تعليما أعلى يمكن الحصول عليه عن طريق الارتباط الحيوي بالله. فليأخذ كل طالب كتابه المقدس ويدخل في شركة مع المعلّم العظيم. وليتعلم العقل ويتدرب على أن يصارع المشاكل المستعصية بحثا عن الحق الإلهي.

إنّ من يجوعون إلى العلم لكي يباركوا بني جنسهم سيحصلون هم أنفسهم على بركة من الله. وعن طريق درسهم لكلمته تستيقظ قوى عقولهم للنشاط والعمل الغيور. وستتسع قواهم العقلية وتنمو وسيحصل العقل على القوة والكفاءة

وينبغي لكل من يريد أن يكون خادما لله أن يمارس تدريب نفسه. هذا ينجز اكثر ممّا تستطيع الفصاحة أو أعظم المواهب المتألقة أن تنجزه. إنّ العقل العادي متى أُحسِنَ تدريبه ينجز عملا أكثر وأسمى مما يمكن أن ينجزه العقل الحاصل على أعلى تعليم وأعظم ثقافة وأعظم المواهب بدون ضبط النفس.

الخطابـة أو الكـلام

إنّ القدرة علـى الكـلام هـي موهبـة ينبغـي الاجتـهاد في إصلاحـها وتهذيبـها. ومن بـين كـل الهبـات الـتي تسـلمناها مـن الله لا توجـد هبـة أخـرى يمكنـها أن تكون بركـة أعظم من هـذه. فبـهذا الصـوت نقنـع النـاس ونسـتميلهم، وبـه نقـدم الصلاة والتسبيح إلى الله. وبـه نخـبر الآخريــن عــن محبــة المخلــص. إذا فكــم هـو أمـر مهمّ جدّا أن ندربه ليكـون اكثر فاعلية للخـير.

إنّ تــهذيب الصــوت واســتخدامه اســتخداما صائبــاً مــهملان إلى حــدّ كبــير حتـى مـن ذوى الذكــاء والنشــاط المســيحي. يوجــد كثــيرون ممــن يقــرأون أو يتكلمــون بصــوت منخفــض أو بســرعة بحيــث لا يمكــن فــهم الكــلام بســهولة. والبعض نطقهم غليظ وغير واضـح، وغـيرهم يتكلمـون بنغمـة عاليـة وصـوت حـاد «مصرصع» بحيث يتألم منـه السـامعون. والآيـات والـترانيم والتقـارير وغيرهـا مـن الأوراق التي تقدم أمام مجتمعات عامة تقـرأ أحيانـاً بطريقـة تجعلـها غـير مفهومـة وفي الغالب ما تضيع قوّتها علـى التأثـير.

هـذا شـرّ يمكـن ويجـب إصلاحـه. والكتـاب يقـدم لنـا تعليمـات بـهذا الشـأن. قد قيـل عـن اللاويـين الذيـن قـرأوا مـن الكتـاب للشـعب في أيـام عـزرا: «قـرأوا في السـفر في شـريعة الله وفسـروا المعنـى وأفـهموهم القـراءة» (نحميـا ٨:٨)

فبواسـطة الإجتـهاد والمثـابرة يمكــن للجميــع أن يحصلــوا علــى قــوة علــى القـراءة بوضـوح ويتكلمـوا بنغمـة كاملـة جليـة ممتلئـة وبكيفيـة واضحـة ومؤثـرة. فإذ نفعل هذا قد نزيد من مقدرتنا كخدام للمسيح إلى حـد كبـير.

إنّ كــل مســيحي مدعــوّ لأن يعــرّف الآخريــن بغنـــى المســيح الـــذي لا يُستقصي. فلـهذا عليــه أن يجتـهد في أن يكـون كـاملا في الخطابـة. وعليـه أن يقـدم كلمـة الله بطريقـة تمتدحـها لـدى السـامعين. فـالله لا يقصـد أن تكــون

اقنيته البشرية فظة أو خشنة. وليس من إرادته أن يحقر الإنسان أو يحط من شأن المجرى السماوي الذي يجري عن طريقه إلي العالم.

ينبغي لنا أن ننظر إلى يسوع مثالنا الكامل. ولنصل في طلب معونة الروح القدس، وبقوته علينا أن نحاول تدريب كل عضو ليعمل عملا كاملا.

وهذا ينطبق خصوصا على من يدعون لخدمة جهارية عامة. فعلى كل خادم وكل معلم أن يذكر انه إنما يقدم للشعب رسالة تتضمن مصالح أبدية. والحق الذي يقال سيدينهم في اليوم الأخير يوم الحساب العظيم. وبالنسبة إلى البعض نجد أن طريقة إلقاء الرسالة تقرر قبولها أو رفضها. إذا لينطق بالكلمة بحيث تروق للفهم وتؤثر في القلب. يجب النطق بها على مهل وبوضوح ووقار، ومع ذلك بكل الغيرة التي تتطلبها أهميتها.

إن التهذيب الصحيح والاستخدام الصائب لقوة الخطابة لها أهمية في كل فروع الخدمة المسيحية. لها دخل في الحياة البيتية وفي كل اتصالاتنا مع بعضنا البعض. فيجب أن نعود أنفسنا التحدث بنغمات مسرة ونستعمل لغة طاهرة وصحيحة وأقوالا مشفقة ولطيفة. فالأقوال الحلوة والمشفقة هي كالندى والسيول اللطيفة للنفس. والكتاب يقول عن المسيح إن النعمة قد انسكبت على شفتيه. «لأعرف أن أغيث المعيي بكلمة» (مزمور ٤٥: ٢؛ إشعياء ٥٠ : ٤). والرب يأمرنا قائلا : «ليكن كلامكم كل حين بنعمة» (كولوسي ٤ : ٦) «كي يعطي نعمة للسامعين» (أفسس ٤: ٢٩).

وعندما نحاول تصحيح أخطاء الآخرين أو إصلاحهم علينا أن نكون حذرين وحريصين في كلامنا. فقد يكون كلامنا رائحة حياة لحياة أو رائحة موت لموت. إن كثيرين حين يوبخون إنسانا أو ينصحون يتكلمون كلاما حادا صارما وكلمات لا تتلاءم مع النفس الجريحة. إذ بسبب هذه العبارة غير السديدة نغضب الروح وغالبا ما يجنح المخطئون إلى العصيان والتمرد. إن

كل من يريدون أن يدافعوا عن مباديء الحق يحتاجون إلى أن يُمسحوا بزيت المحبة السماوية. وفى كل الظروف يجب أن يكون التوبيخ بمحبة. وحينئذ يُصلِحْ كلامنا الناس دون أن يسخطهم. فالمسيح بروحه القدوس سيعطي القوة والسلطان. هذا هو عمله.

ينبغي ألاّ تُقال كلمة بتهوّر، وينبغي لمن يتبع المسيح ألاّ تفلت من شفتيه أيّ كلمة شرّيرة ولا حديث استهتار ولا كلمة تبرّم نكد أو اقتراح نجس. إنّ بولس الرسول يكتب بالروح القدس فيقول: «لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم» (افسس ٤ : ٢٩). إنّ الكلمة الردية لا تعني فقط الكلام الدنيء. ولكنّها تعني أيضا أيّ تعبير يتنافى مع المباديء المقدسة والديانة الطاهرة النقية. وهي تشمل أيضا التلميحات النجسة والايعازات الخفية للشرّ. فهذه إذا لم نقاومها في الحال تقود إلى خطية عظيمة.

فعلى كل عائلة وفرد مسيحي يوضع واجب سد الطريق على الكلام الفاسد. فعندما نكون في رفقة من يكثرون من كلام الغباء علينا أن نغيّر موضوع الحديث إذا أمكن. فعلينا بنعمة الله أن ننطق بكلام أو ندخل موضوعاً يحوّل الحديث في مجرى نافع.

إنّ عمل الوالدين هو أن يربّوا أولادهم على العادات السليمة في الكلام. وأفضل مدرسة لهذه التربية هي الحياة البيتية. فمن بدء سني حياة الأولاد يجب تعليمهم أن يتكلموا مع والديهم ومع بعضهم البعض باحترام ومحبة. ويجب أن يتعلموا ألاّ يخرج من أفواههم إلاّ كلام اللطف والصدق والطهارة. وليتعلم الوالدون أنفسهم كل يوم في مدرسة المسيح. وحينئذ يمكنهم بواسطة الوصية والمثال أن يعلّموا أولادهم كيف يقولون: «كلاما صحيحا غير ملوم» (تيطس ٢: ٨). هذا هو أحد واجباتهم الأعظم والأكثر مسؤولية.

وكتلاميذ للمسيح ينبغي أن نجعل كلامنا بحيث يكون عونا وتشجيعا لبعضنا البعض في الحياة المسيحية. وعلينا أن نتحدث عن الفصول الثمينة في اختبارنا اكثر بكثير مما نفعل. ويجب أن نتحدث عن رحمة الله ورأفته وعن أعماق محبة المخلص التي لا يُسبَرُ غورُها. ويجب أن يكون كلامنا كلام الشكر والحمد. وإذا كان العقل والقلب مفعمين بمحبة الله فهذا سيظهر في الحديث. ولن يكون أمراً صعبا أن نعطي للغير ما له صلة في حياتنا الروحية. فالأفكار العظيمة والاشتياقات النبيلة والإدراك الواضح للحق والأهداف الخالية من الاثرة والحنين إلى التقوى والقداسة، هذه كلها ستؤتي ثمرها في الأقوال التي تكشف عن صفة كنز القلب. فمتى أعلن المسيح هكذا في حديثنا فسيكون لذلك قوة في ربح النفوس له.

وينبغي لنا أن نتحدث عن المسيح مع من لا يعرفونه. فيجب أن نعمل كما عمل المسيح. فأينما وجد إن في المجمع أو على جانب الطريق أو في وليمة الفريسي، أو على مائدة العشار كان يحدث الناس عن الأمور المتعلقة بالحياة الأسمى. فأمور الطبيعة وحوادث الحياة اليومية كان يُربَط بينها وبين كلام الحق. وقد اجتذبت إليه قلوب سامعيه لأنه قد شفى مرضاهم وعزّى المحزونين منهم وحمل أولادهم بين ذراعيه وباركهم. فعندما فتح فمه ليتكلم اتّجه انتباههم إليه وكانت كل كلمة من كلامه رائحة حياة لحياة لبعض النفوس.

وهكذا ينبغي أن يكون الحال معنا. فأينما نكون يجب أن نراقب الفرص للتحدث مع الآخرين عن المخلّص. فإذا تمثلنا بالمسيح في عمل الخير فستنفتح لنا القلوب كما قد انفتحت للسيد. فيمكننا بدون أن نقطع حبل الحديث بل بلباقة صادرة من المحبة الإلهية يمكننا أن نحدثهم عن ذاك الذي هو «مُعلَمٌ بين ربوة» و «كلّه مشتهيات» (نشيد ٥ : ١٠ و ١٦). هذا هو

أسمى عمل يمكننا فيه أن نستخدم موهبة الكلام. فلقد أُعطيت لنا حتى يمكننا أن نقدّم للناس المسيح كالمخلص غافر الخطايا.

التأثير

لقد كانت حياة المسيح تأثيرا دائم الاتساع لا شواطيء له، تأثير ربط بينه وبين الأسرة البشرية كلها. وبواسطة المسيح منح الله الإنسان تأثيرا يجعل من المستحيل عليه أن يعيش لنفسه. إنّ كل فرد منا مرتبط ببني جنسه، وهو جزء من كلّ الله العظيم، ونحن تحت التزامات متبادلة. ولا يمكن لإنسان أن يعيش مستقلا عن بني جنسه، لأن خير كل فرد أو رفاهيته تؤثر في الآخرين. والله يقصد أنّ كل واحد يشعر بأنّه لازم وضروري لأجل خير الآخرين، وأن يجتهدَ في العمل على إسعادِهم.

إنّ كل نفس محاطة بجو خاص بها - جو يمكن أن يكون مشحونا بقوة الإيمان المانح الحياة والشجاعة والرجاء ومعطر بأريج المحبة، أو ربما يكون ثقيلا وباردا بفعل الحزن الناشيء عن التذّمر والأنانية، أو مسموما بسبب وصمة عار خطية محبوبة. وكل إنسان نختلط به لابدّ أن يتأثّر بالجو المحيط بنا، سواء علم بذلك أو لم يعلم.

هذه مسؤولية لا يمكننا أن نخلي أنفسنا منها. فأقوالنا وأعمالنا ولبسنا وتصرفنا وحتى تعبيرات وجوهنا لها تأثيرها. وعلى التأثير الذي يحدث تتوقف نتائج للخير أو للشر لا يمكن لإنسانٍ أن يقيسها. فكل دافع يبذل هكذا هو بذرة تزرع ولابد أن تؤتي ثمارها. وهو حلقة في السلسلة الطويلة سلسلة الحوادث البشرية التي لا نعلم إلي أين تمتدّ. فإذا كنا بمثالنا نساعد الآخرين على إنماء المباديء الصالحة فإننا نزودهم بالقوة على عمل الخير. وهم بدورهم يستخدمون نفس التأثير على الآخرين، وهؤلاء على

آخرين أيضا. وهكذا بتأثيرنا الذي لا نعلم به يمكن لآلاف من الناس أن يتباركوا.

ألقِ بعض الحصى في البحيرة فتتكون موجة وأخرى وأخرى. وإذ تزيد يتسع محيطها حتى يصل إلى الشاطيء. وكذلك الحال مع تأثيرنا. فبدون علمنا أو سيطرتنا هو يؤثر في الآخرين إن للبركة أو اللعنة.

والخلُق قوّة. فالشهادة الصامتة للحياة الأمينة التقيّة غير المحبة لذاتها تعمل تأثيرا يكاد لا يقاوم فنحن إذ نعلن صفات المسيح في حياتنا نتعاون معه في عمل خلاص النفوس. ولا يمكننا التعاون معه ما لم تظهر صفاته في حياتنا.

وكلما اتسع نطاق تأثيرنا كل ما أمكننا أن نفعل خيراً أعظم. فعندما يتبع من يعترفون بأنهم يخدمون الله مثال المسيح ممارسين مباديء الناموس في حياتهم اليومية وعندما يشهد كل عمل بأنّهم يحبون الله أعظم حبّ ويحبون القريب كأنفسهم، حينئذ تكون في الكنيسة قوة بها تحرك العالم.

ولكن ينبغي ألاّ ننسى أنّ للتأثير قوة مماثلة للشرّ. إن خسر إنسان نفسه فذلك أمر مخيف، ولكن كون الإنسان يتسبب في هلاك نفوس الآخرين فهذا فكر مريع. إنّ كثيرين ممن يعترفون بأنّهم يجمعون مع المسيح هم في الواقع يفرقون الناس بعيدا عنه. وهذا هو السبب في ضعف الكنيسة. وكثيرون يمعنون في الانتقاد والشكوى والاتهام. فإذ يعبرون عن الشك والحسد والتبرم يسلّمون ذواتهم آلات طيّعة في يد الشيطان. وقبلما يدركون ماذا هم صانعون يكون العدّو قد تمّم غرضه عن طريقهم. فلقد حدث التأثير الشرير وأُلقِيَ الظل وسهام الشيطان قد أصابت مقتلا. فالشكّ وعدم الإيمان والإلحاد الصريح قد ضيقت الخناق على أولئك الذين لولا ذلك كان يمكنهم أن يقبلوا المسيح. وفي أثناء ذلك ينظر خدام الشيطان بفرح إلي

مـن قـد سـاقوهم إلى الإلحـاد والذيـن قـد تقسّـوا الآن ضـد التوبيـخ والتوسـل. انهم يخدعـون أنفسهم قـائلين إنّهم بالمقارنـة مـع هـذه النفـوس يعتـبرون أفـاضل وأبـرارا. ولكنـهم لا يدركـون أن حطـام هـذه الأخـلاق إنّمـا هـو مـن صنـع ألسـنتهم الـتي أطلقـوا لهـا العنـان وقلوبـهم المتمـردة، فبسـبب تأثـيرهم سـقط هـؤلاء النـاس المجرّبـون.

وهكـذا نجـد أنّ الاسـتهتار والانغمـاس الأنـاني والإهمـال وعـدم الاكـتراث من جانب المعترفين بالمسيحية تبعـد نفوسـا كثـيرة عـن طريـق الحيـاة. ويوجـد كثيرون ممـن سـيخافون أن يواجـهوا عواقـب تأثـيرهم أمـام محكمـة الله.

إنّمـا بواسـطة نعمـة الله يمكننـا اسـتخدام هـذه الهبـة اسـتخداما صائبـا. ولا شيء في ذواتنا بـه يمكننا أن نؤثّـر في الآخريـن للخـير. فـإذا تحققنـا مـن عجزنـا وحاجتنا إلى القـوة الإلهيـة لـن نثـق بذواتنـا. إننـا لا نعـرف أيّ النتـائج يمكـن أن تُحدّد في يـوم أو سـاعة أو لحظـة، وينبغـي ألا نبـدأ اليـوم بـدون أن نسـلّم طرقنـا لأبينـا السـماوي. إنّ ملائكتـه مكلّفـون بالسـهر علينـا فـإذا وضعنـا أنفسـنا تحـت رعايتهم ففـي كل وقت نتعـرّض فيـه للخطـر يكونـون عـن يميننـا. وعندمـا نكـون في خطـر إحـداث تأثـير خـاطيء علـى غـير علـم منـا فالملائكـة يكونـون إلـي جانبنـا يسـتحثوننا للسير في طريـق افضـل، فيختـارون لنـا أقوالنـا ويؤثـرون في أعمالنا. وهكـذا يمكـن أن يكـون تأثيرنـا قـوة وان تكـن صامتـة ولا نعلـم بـها فإنّـها قـوة جبّـارة في اجتـذاب الآخريـن إلى المسيح وإلى العـالم السـماوي.

الوقـت

أن وقتنا هو مـن حـق الله، فكـل لحظـة هـي لـه ونحـن تحـت أخطـر الـتزام بأن نحسن استخدامه لمجده. ولـن يطلـب منّا إعطـاء حساب عـن أيـة وزنـة مـن الوزنـات الأخرى بأشدّ دقة من وقتنـا.

إنّ قيمة الوقت هي فوق كل تقدير. لقد اعتبر المسيح كل برهة ثمينة ونحن يجب أن نعتبرها كذلك. إنّ الحياة أقصر من أن ننفقها في غير طائل. لقد أُعطيتْ لنا أيامُ إمهال قليلة فيها نستعد للأبدية. لا وقت لنا نضيعه ولا وقت ننفقه في المسرات الأنانية ولا وقت للانغماس في الخطية. فعلينا الآن أن نصوغ أخلاقنا للحياة العتيدة الخالدة. علينا الآن أن نتأهب للدينونة الكاشفة.

إنّ الأسرة الإنسانية ما أن بدأت تحيا حتى بدأت تموت، وإنّ تعب العالم الذي لا ينقطع ينتهي إلى العدم ما لم يحصل الإنسان على معرفة حقيقية بالحياة الأبدية. والإنسان الذي يقدّر الوقت على أنّه يوم عمله سيؤهل نفسه لمسكن وحياة خالدة. فخير لهذا الإنسان انه قد ولد.

إنّ الكتاب يوصينا بأن نفتدي الوقت. ولكن الوقت الذي يبعثر لا يمكن افتداؤه. إننا لا يمكننا استرداد لحظة واحدة. والطريقة الوحيدة التي يمكننا أن نفتدي بها الوقت هي أن ننتفع أعظم انتفاع بما قد بقي وهو بان نعمل مع الله في تدبيره العظيم تدبير الفداء.

فالذي يفعل هذا يحدث تغييرُ في أخلاقه. فيصير ابنا لله وعضوا ضمن الأسرة الملكية وابنا لملك السماء. ويؤهل لأن يكون عشيرا للملائكة.

هذا هو الوقت الذي فيه نعمل لأجل خلاص بني جنسنا. يوجد بعض من يظنون أنهم لو قدّموا مالاً لعمل المسيح فهذا كل ما يُطلب منهم عمله، والوقت الثمين الذي فيه كان يمكنهم أن يقوموا بخدمة شخصية له يمرّ عبثا. ولكنّه امتياز وواجب على كل من يتمتعون بالصحة والقوة أن يقدموا لله خدمة نشيطة. فعلى الجميع أن يعملوا لربح النفوس للمسيح. فالعطايا المالية لا يمكنها أن تسدّ في مكان هذا العمل.

إنّ كل برهة محملة بنتائج أبدية. فيجب أن نقف كرجال الساعة مستعدين للخدمة لدى أول طلب فالفرصة التي بين أيدينا الآن لنتحدث مع نفس محتاجة بكلام الحياة قد لا تعرض لنا مرّة أخرى. فقد يقول الله لذلك الإنسان: «هذه الليلة تطلب نفسك منك (لوقا ١٢: ٢٠). وقد لا يكون مستعدّا بسبب إهمالنا. فكيف نقدّم حسابنا لله في يوم الدينونة العظيم؟

إنّ الحياة أخطر من أن تبتلعها المسائل الزمنية الأرضية، في طاحون الهم والقلق على الأشياء التي ليست سوى ذرة بالمقارنة بالأشياء التي بها خطورة أبدية. ومع هذا فقد دعانا الله لنخدمه في شؤون الحياة الزمنية. والاجتهاد في هذا العمل هو جزْء من الديانة الحقيقية بقدر ما هي العبادة. والكتاب لا يوافق علي البطالة. فهي اعظم لعنة تصيب عالمنا. فكل رجل وامرأة متجددين حقا لابد أن يكونا عاملين مجدين.

وعلى استخدامنا الصائب لوقتنا يتوقف نجاحنا في الحصول على المعرفة والثقافة العقلية. إنّ تهذيب العقل لا ينبغي أن يعيقه الفقر أو الأصل الوضيع أو البيئة غير الموافقة. إنما ينبغي ادخار اللحظات. فاللحظات القليلة هنا والقليل منها هناك التي يمكن إنفاقها في حديث بلا هدف. وساعات الصباح التي تضيع ونحن راقدون في الفراش. والوقت الذي ينفق في السفر في الترام أو في سكة الحديد أو في الانتظار على المحطة، واللحظات التي فيها ننتظر وجبات الطعام أو انتظار مجيء من قد تأخروا عن الميعاد المضروب - فلو أمسك الإنسان كتابا وأحسن استعمال هذه اللحظات في الدرس والمطالعة أو التفكير الحريص فما اكثر ما يمكن إنجازه. إنّ العزم الصادق والجد والمثابرة التي لا تلين والاقتصاد الحريص في صرف الوقت لابدّ أن يساعد الناس على اجتناء العلم وتدريب العقل ممّا يؤهلهم لأي مركز ذي نفوذ ونفع.

إنّه من واجب كل مسيحي أن يكتسب عادات النظام والإتقان والسرعة. لا عذر لاحد في التباطؤ أو عدم إتقان العمل من أي نوع. فإذا كان الإنسان دائبا على العمل دائما دون أن ينهي عمله فالسبب في ذلك هو انّه لا يضع كل عقله وقلبه في العمل. فالإنسان البطيء والذي يعمل لغير طائل بل للخسارة يجب أن يتأكد من أن هذه أخطاء ينبغي إصلاحها. إنّه بحاجة إلى تدريب عقله في رسم الخطة التي بها يستخدم وقته بحيث يحصل على أفضل النتائج. فبواسطة اللباقة والنظام يمكن للبعض أن ينجزوا في خمس ساعات قدر ما ينجزه غيرهم في عشر ساعات. إنّ بعض من ينشغلون في عمل منزلي هم دائما يشتغلون لا لأن عليهم عملا كثيرا بل لأنهم لا يحسبون حساب توفير الوقت. فبسبب طرق البطء والتواني التي يسيرون عليها يخلقون من العمل القليل عملاً كثيرا. ولكن كل من يريدون يمكنهم الانتصار علي هذه العادات المملّة البطيئة. فليكن لهم هدف معين في عملهم. حدد الوقت المطلوب للقيام بعمل معين ثم ابذل قصاراك لإنجازه في الوقت المحدد. إن استخدام قوة الإرادة يجعل اليدين تعملان بمهارة.

إنّ الأشخاص عندما لا يوجد عندهم العزم لكي يضعوا أنفسهم في أيديهم ويصلحوا أمورهم يصيرون مصحّفين في طريق خاطيء للعمل، لكن إن دربوا قواهم يكتسبون قوة للقيام بأفضل خدمة. وحينئذ تنهال عليهم الطلبات في أي زمان وفي كل مكان. وسيقدرهم الناس بحسب قدرهم.

إنّ كثيرين من الأولاد والشباب يضيعون الوقت الذي كان يمكن صرفه في حمل أعباء البيت وبذلك كانوا يبرهنون على اهتمامهم ومحبتهم لآبائهم وأمهاتهم. فيمكن للشباب أن يأخذوا على عواتقهم القوية الشابة كثيرا من التبعات التي يجب أن يحملها شخص ما.

إنّ حياة المسيح منذ سني عمره الباكرة كانت حياة النشاط والغيرة. فهو لم يعش ليرضي نفسه. كان ابنَ الإله السرمدي ومع ذلك فقد كان يحترف النجارة مع يوسفَ أبيه*. وقد كان لحرفته مغزاها. فلقد أتى إلى العالم كبنّاء للأخلاق، وقد كان كل عمله بالغا حد الكمال من هذه الناحية. وقد أدخل إلى كل عمله الدنيوي نفس الكمال الذي أدخله في الصفات التي كان ينيرها بقدرته الإلهية. وهو مثالنا.

على الآباء أن يعلّموا أولادهم قيمة الوقت وكيف يستخدمونه استخداماً صائباً. فعلموهم إنّ كونهم يعملون عملا به يكرمون الله ويباركون الإنسانية هو عمل يستحق أن يعيشوا لأجله. ويمكنهم حتى في بكور شبابهم أن يكونوا مرسلين لله.

إنّ أعظم خطية يرتكبها الوالدون هي أن يسمحوا لأولادهم بان لا يكون لهم شيء يعملونه. وسرعان ما يحب الأولاد البطالة فيشبّون رجالا ونساء عديمي التدبير عديمي النفع. وعندما يكبرون ليكسبوا رزقهم ويجدون عملا فهم يقومون به بتراخٍ وتكاسل، ومع ذلك ينتظرون أجرا كاملا كما لو كانوا أمناء في عملهم. يوجد بونٌ شاسع بين هؤلاء العاملين وبين من يدركون أنهم يجب أن يكونوا وكلاء أمناء.

إنّ عادات الخمول والإهمال متي انغمس فيها الإنسان وهو يمارس أعماله الدنيوية لابدّ أن تتغلغل في الحياة الدينية وتجعله غير أهل لأن يقوم بخدمة نافعة لله. إنّ كثيرين ممّن كان يمكنهم بواسطة الاجتهاد في العمل أن يكونوا بركة للعالم أصابهم الدمار بسبب البطالة. إنّ كون الإنسان بلا عمل وبلا غرض ثابت يفتح الباب لآلاف التجارب. إنّ عشراء السوء والعادات

* كان يسوع مسجلاً قانونياً كإبن ليوسف خطيب مريم.

الشريرة تفسد العقل والنفس، ونتيجة ذلك الدمار في هذه الحياة والحياة الآتية.

مهما يكن نوع العمل الذي نشتغل فيه فإنّ كلمة الله تعلّمنا أن نكون «غير متكاسلين في الاجتهاد. حارّين في الروح عابدين الرب» «كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك»، «عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث. لأنكم تخدمون الرب المسيح» (رومية ١٢ : ١١ ؛ جامعة ٩ : ١٠ ؛ كولوسي ٣ : ٢٤).

الصحة

الصحة بركة لا يقدّر قيمتها غير القليلين. ومع ذلك فإنّ عليها تتوقف كفاءةُ قوى عقولنا وأجسامنا إلى حد كبير. إنّ نوازعنا وأهواءنا مركزها الجسم فينبغي حفظه في أفضلِ حالاته صحياً وتحت أكثر المؤثرات روحية حتى يمكننا أن نستخدم مواهبنا أسمى استخدام.

إنّ أيّ شيءٍ يقلل القوة البدنية يضعف العقل ويجعله أقل اقتداراً على التمييز بين الصواب والخطأ. ونحن نصير أقل اقتداراً على اختيار الخير وتصير إرادتنا أضعف من أن تعمل ما نعرف انّه الصواب.

إنّ سوء استخدامنا لقوانا البدنية يقصّر الوقت الذي فيه يمكن استخدام حياتنا لمجد الله. وهذا يجعلنا غير أهل لإتمام عمل الله الذي أعطاه لنا لنعمله. وإذ نسمح لنفوسنا بتكوين عادات خاطئة والتأخر ساعات طويلة وإشباع نهمنا على حساب صحتنا فإننا إنما نضع أساس ضعفنا. وإذ نهمل التمرينات البدنية ونجهد عقولنا أو أجسامنا فإننا نحدث اختلالا في الجهاز العصبي. والذين يقصّرون أعمارهم بهذه الكيفية ويجعلون أنفسهم غير أهل للخدمة بعدم مراعاتهم لقوانين الطبيعة فهم مجرمون بسلب الله. كما انهم

يسلبون بني جنسهم أيضاً. إنّ فرصة منحهم البركة للآخرين، أي نفس العمل الذي قد أرسلهم الله إلى العالم لأجله أمست قصيرة بسبب تصرّفهم. وقد جعلوا أنفسهم غير أهلٍ لأن يعملوا ما كان يمكنهم أن يعملوه حتى في فترة حياة أقصر. والرب يعتبرنا مجرمين عندما نحرم العالم من الخير بهذه العادات الضارة.

التعدّي على الناموس الطبيعي هو أيضاً تعدّ على الناموس الأدبي، لأنّ الله هو مشرّع النواميس الطبيعية كما هو مشرع الناموس الأدبي. فناموسه مكتوب بإصبعه على كل عصب وعلى كل عضلة وعلى كل قوة عقلية أعطيت للإنسان. ففي كل مرّة نسيء استخدام أيّ جزء من جهازنا فنحن ننتهك ذلك القانون.

وينبغي أن نكون للجميع معرفة واعية للجسم البشري لكي يحفظوا أجسامهم في الحالة اللازمة للقيام بعمل الله. فيجب حفظ الحياة الطبيعية بكل حرص وتقويتها حتى عن طريق الطبيعة البشرية تعلن الطبيعة الإلهية في ملئها. إنّ العلاقة بين جهاز الجسم والحياة الروحية لمن أهم فروع التعليم. فيجب أن يُلتفتَ إليه بكل حرص في البيت وفي المدرسة. فالجميع بحاجة إلى التعرّف على تكوينهم الجسماني والقوانين التي تتحكم في الحياة الطبيعية. وينتهكها في جهل هو مخطيء إلى الله. فعلي الجميع أن يضعوا أنفسهم في أفضل صلة ممكنة بالحياة والصحة. فيجب أن تخضع عاداتنا للعقل الذي يسود عليه الله.

يقول بولس الرسول: أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن. فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله (١كورنثوس ٦: ١٩و٢٠).

القـوة

علينـا أن نحـب الله ليـس فقـط مـن كـل القلـب ومـن كـل الفكـر ومـن كـل النفس بـل أيضاً مـن كـل القـوة. وهـذا يتنـاول الاسـتخدام الواعـي الكـامل للقـوي البدنيـة .

كـان المسيح خادمـا أمينـا في الأمـور الزمنيـة كمـا في الروحيـة. وفي كـل عمله قـرّر أن يفعـل إرادة أبيـه. إنّ أمـور السـماء والأرض هـي مرتبطـة معـا بربـط دقيقة وتحت إشراف المسيح المباشـر أكـثر ممّـا يدركـه الكثـيرون. فالمسيح هـو الـذي رسـم ترتيبـات المسـكن الأرضـي الأول. وهـو الـذي أعطـي كـل المواصفات الخاصة ببناء هيكـل سليمان. فـذاك الـذي كـان في حياتـه الأرضيـة يشتغل كنجار في قرية النـاصرة كـان هـو المـهندس السـماوي الـذي رسـم خطـة البناء المقدس حيث كان اسمـه سيُمجّد.

والمسيح هـو الـذي منـح بنـاة المسـكن حكمـة لإتمـام أمـهر وأجمـل صناعـة. فقد قال: «انظر قد دعـوت بصلئيل بـن اوري بـن حـور مـن سـبط يـهوذا باسمـه. وملأتـه مـن روح الله بالحكمـة والفـهم والمعرفـة وكـل صنعـة ... وهـا أنـا قـد جعلـت معـه أهوليـآب بـن اخيسـاماك مـن سـبط دان. وفي قلـب كـل حكيـم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كـل مـا أمرتـك» (خـروج ٣١: ٢-٦).

إنّ الله يريـد أن خدامـه ينظـرون إليـه، في كـل أنـواع العمـل، كمـن قـد أعطـاهم كـل مـا يملكـون. فكـل المخترعـات والتحسـينات الصحيحـة مصدرهـا منـه هـو العجيـب في المشـورة والمبـدع في العمـل. إنّ لمسـةَ يـدِ الطبيـبِ المـاهرة، وسـلطانَه علـى الأعصـاب والعضـلات، ومعرفتَـه لـتركيب أعضـاء الجسـم الدقيـق هـي حكمـة القـدرة الإلهيـة لتُستخدم لخـير المتـألمين. والمـهارة الـتي بـها يسـتعمل النجـار المطرقـة، والقـوة الـتي بـها يجعـل الحـداد السـندان يـدق

ويطنّ آتية من الله. لقد استودع لـدي النـاس وزنـات وهـو ينتظـر انّـهم ينظـرون إليـه في طلـب المشـورة. فكـل مـا نفعلـه في أيّ قسم مـن أقسـام العمـل نكـون يريد هـو أن يدير أفكارَنا حتى يمكننا أن نعمل عمـلا كـاملا.

إنّ الديـن والعمـل ليسـا شـيئين منفصلـين، فـهما واحــد. فيجـب أن تتدخــل ديانـة الكتـاب في كـلّ مـا نعملـه أو نقولـه. يجـب أن تتّحـد الوسـائل البشـرية في الأعمـال الزمنيــة كمــا في الأعمــال الروحيــة. فيجــب أنّــها تتّحــد في كــلّ المطـالب البشـرية في الأعمــال الميكانيكيــة والزراعيــة والمشــاريع التجاريــة والعلميـة. وأن يكـون هنـاك تعاون في كـلّ مـا يشـمله النشـاط المسـيحي.

ولقـد أعلـن الله المبـاديء الـتي بـها وحدهـا يمكــن تحقيــق هــذا التعــاون. فيجـب أن يكـون مجـده هـو البـاعث لكـل مـن يعملـون معــه. وأن نعمـل كـلّ عملنا بدافع المحبة لله والتوافـق مـع إرادتـه.

إنّـه أمر جوهري أن نفعـل إرادة الله ونحـن نقيـم بنـاء كمـا عندمـا نشـترك في خدمــة دينيــة تمامــا. وإذا كــان العمــال قــد ادخلــوا المبــاديء الســليمة في تكوين أخلاقهم ففي إقامة كـل بنـاء سينمون في النعمـة والمعرفـة.

ولكــن الله لــن يقبـل أعظـم المواهــب ولا أجــلّ الخدمــات مــا لم توضــع الــذات علــي المذبـح ذبيحـة حيّـة مسـتهلكة، فينبغـي أن يكــون الأصـل مقدسـا وإلاّ فلـن يكـون هنالك ثمر مقبــول لــدى الله.

ولقـــد جعـــل الـــرب دانيـــال ويوســـف مدبريَـــن ذكيّيَـــن. وقـــد أمكنـــه أن يستخدمهما لأنهما لم يعيشا لإرضـاء أميالهمـا بـل لإرضـاء الله.

وفي حالــة دانيــال يوجــد لنــا درس نتعلمــه. فـــهي تكشــف لنــا أنّ رجــل الأعمـال ليـس بـالضرورة رجــلاً صارمـا في سياسـته. فيمكنـه أن يتعلّـم مــن الله عنـد كـل خطـوة. إنّ دانيـال إذ كـان رئيسـاً لـوزراء مملكــة بـابل كـان نبيـاً لله

يقتبل نور الوحي الإلهي. إنّ الساسة العالميين الطموحين مصوّرون في كلمة الله كالعشب الذي ينمو وزهر العشب الذي يذبل. ومع ذلك فالرب يريد أن يكون في خدمته رجال أذكياء، رجال مؤهلون لمختلف فروع العمل. فتوجد حاجة إلي رجال أعمال يدخلون مباديء الحق السامية في كل صفقاتهم وأعمالهم. ويجب أن تكمل مواهبهم بأكمل درس وتدريب. فإذا احتاج الناس في أيّ فرع من فروع العمل أن يستثمروا الفرص المعطاة لهم ليصيروا حكماء وكفاة فإنّما هم الذين يستخدمون مقدرتهم في بناء ملكوت الله في عالمنا. وإنّنا نعرف عن دانيال انّه في كلّ أعماله ومشاريعه عندما فُحِصَ فحصاً دقيقاً جدّا لم يوجد خطأٌ ولا عيب. لقد كان نموذجاً لما يمكن أن يكون كل رجل أعمال. إن تاريخه يرينا ما يمكن أن يتمّ بواسطة رجل يكرّس قوى عقله وجسمه وعضلاته وقلبه وحياته لخدمة الله.

المال

ثم إنّ الله يستودع المال لدى الناس. فهو يعطيهم قدرة لاصطناع الثروة. هو يروي الأرض بندى السماء وبسيول المطر المنعشة. وهو يمنح النور الذي يملأ الأرض دفئاً محييا أشياء الطبيعة وجاعلاً إياها تزدهر وتثمر. وهو ينتظر أن نعطيه تعويضاً مما له.

إنّ أموالنا لم تُعطَ لنا لكي نكرم بها ذواتنا ونمجّدها. إنما علينا كوكلاء أمناء أن نستخدمَها في إكرام الله وتمجيدِه. البعض يظنّون أن ما يخص الله هو جزء صغير من مالهم. فبعدما يفرزون جزءا منه للأغراض الدينية والخيرية يعتبرون أنّ الباقي هو ملكهم لينفقوه في ما يروق لهم. ولكنّهم في هذا مخطئون. فكل ما نملكه هو للرب ونحن مسؤولون أمامه عن كيف نتصرّف

فيه. فعند صرف كلّ قرش سيُرى مـا إذا كنـا نحـب الله مـن كـل القلـب ونحـب القريـب كـالنفس أم لا.

إنّ المال قيمة عظيمة لأنـه يمكنـه أن يصنـع خـيرا عظيمـا. والمـال إذ يكـون في أيـدي أولاد الله يصـير طعامـا للجيـاع ومـاء للعطـاش وكسـاء للعـراة. وهـو حِمـى للمظلومـين ووسـيلة لمعونـة المرضـى. ولكـن المـال لـن تكـون لـه قيمـة اعظـم مـن الرمـال إلا إذا اسـتُخدم في تدبـير لـوازم الحيـاة وجلـب البركـة للآخريـن وتقدّم ملكـوت المسيح.

والمـال المخـزون لا يكـون فقـط عديـم النفـع بـل هـو لعنـة. فـهو في الحيـاة الحاضرة شـرك للنفـس إذ يبعـد عواطـف النـاس بعيـداً عـن الكـنز السـماوي. وفي يـوم الله العظيـم تكـون الشـهادة عـن الوزنـات الـتي لم تسـتعمل والفـرص المهملـة سـببا في إدانـة صاحبـه. فالكتـاب يقـول: هلـم الآن أيـها الأغنيـاء ابكـوا مولولـين علـى شـقاوتكم القادمـة. غنـاكم قـد تـهرأ وثيـابكم قـد أكلـها العـث. ذهبكـم وفضتكـم قـد صدئـاً وصداهمـا يكـون شـهادة عليكـم ويـأكل لحومكـم كنار. قد كنزتم في الأيام الأخيرة. هـوذا أجـرة الفعلـة الذيـن حصـدوا حقولكـم المبخوسـة منكـم تصـرخ وصيـاح الحصـادين قـد دخـل إلى أذنـي رب الجنـود» (يعقـوب ٥: ١-٤).

ولكـن المسيح لا يُقرّ الإسـراف أو الإهمـال في اسـتخدام المـال. إن قـول المسيح: «اجمعـوا الكسـر الفاضلـة لكـي لا يضيـع شـيء» (يوحنـا ٦: ١٢) موجّـه لكـل تلاميـذه. فـالذي يـدرك أنّ أموالـه هـي وزنـة معطـاة لـه مـن الله لابـد أن يسـتخدمها بكـلّ حـرص وتدبـير، ويحـسّ أنّ الواجـب يقتضيـه لأن يوفّـر لكـي يعطـي.

كلّمـا أسـرفنا في إنفـاق مالنـا في المظـاهرة وتدليـل الـذات كلّمـا قـلّ مـا نقدمـه لإشـباع الجيـاع وكسـاء العـراة. فكـل قـرش ينفـق دون داعٍ يُحـرَمُ مـن

ينفقه فرصةً ذهبيةً لعمل الخير. إنّ هذا سلب لكرامة الله ومجده اللذين يجب أن يُقدّما له عن طريق استثمار وزناته المُسَلّمَةَ لنا.

بواعث وعواطف الرفق

إنّ عواطف الإشفاق والبواعث الكريمة والإدراك السريع للروحيات هي وزنات ثمينة وتضع على عاتق صاحبها مسؤولياتٍ جسيمةً. فيجب أن تُستخدم هذه كلُّها في خدمة الله. ولكن كثيرين يخطئون هنا. فإذ يقنعون بامتلاك هذه الصفات يُخفقون في استخدامها في خدمة الآخرين. وهم يخدعون أنفسهم بالقول إنّه لو كانت لديهم فرصة، ولو كانت الظروف مواتية لكانوا يعملون عملا عظيما صالحا. ولكنّهم ينتظرون الفرصة، إنّهم يحتقرون بخل البخيل المسكين الذي يتبرم لو أعطى أقل القليل من ماله للفقراء وهم يرون أنّه عائش لنفسه وانه مسؤول عن وزناتِه التي قد أساء استخدامها. وبرضى وسرور عظيمين يقارنون بين أنفسهم وبين مثل أولئك الناس الضيّقي العقول ويحسّون أنّ حالتهم أفضل بكثير من جيرانهم ذوي النفوس الوضيعة. ولكنّهم يخدعون أنفسهم. إنّ مجرد امتلاكهم للصفات التي لم تُستعمل يزيد من مسئؤوليتهم. فالذين عندهم عواطف متسعة هم تحت التزام لله لأن يمنحوها ليس فقط لأصدقائهم بل أيضا لمن هم بحاجة إلى معونتهم. والميزات الاجتماعية هي أيضا وزنات ويجب استخدامها لخير كل من هم في دائرة نفوذهم. فالمحبة التي تقدم الرحمة لجماعة قليلة ليست محبة ولكنها أنانية. ولن تعمل بأي حال لخير النفوس أو تمجيد الله. فالذين يتركون وزنات سيدهم دون أن يستثمروها ذنبهم أعظم ممّن يضمرون لهم الاحتقار. وسيقال لهم: لقد عرفتم إرادة سيدكم ولكنكم لم تعملوها.

الوزنـات تتضـاعف بالاسـتخدام

إنّ الوزنـات إذا اسـتُخدمت لابـدّ أن تتضـاعف. النجـاح لا يـأتي نتيجـة الصدفـة أو بالقضـاء والقـدر، ولكنّـه يـأتي نتيجـة لعمـل عنايـة الله، وهـو مكافـأة الإيمـان والفطنـة والفضيلـة والسـعي بمثـابرة. إنّ الـرب يريدنـا أن نسـتعمل كـلّ هبة عندنا فمتي فعلنا هـذا فستُعطى لنـا هبـات اعظـم لنستعملها. إنّـه لا يمنحنـا مؤهلات ليست عندنـا بطريقـة خارقـة للطبيعـة، بـل في حـين نسـتخدم مـا عندنـا يعمـل الـرب معنـا في زيـادة كـلّ كفـاءة وتقويتـها. ففـي كـلّ مـرّة نقـدم علـى تضحية بكلّ قلوبنا وبغيرة لأجل خدمـة السـيد تزيـد قوانـا. وحـين نقـدّم ذواتنـا آلات لعمـل الـروح القـدس فـإن نعمـة الله تعمـل فينـا لتنكـر اميالنـا القديمـة ولننتصر على نزعاتنـا القويـة ونكـوّن لأنفسـنا عـادات جديـدة. وإذ نراعـي دوافـع الـروح ونطيعـها فـان قلوبنـا تتّسـع لقبـول المزيـد مـن قوتـه وللقيـام بعمـل اكـثر وافضل. والقـوى الهاجعة تستيقظ والقـوى العـاجزة تحصـل علـى حيـاة جديـدة.

الخـادم المتواضـع الـذي بكـل إذعـان يسـتجيب لدعـوة الله لـه يتـأكد مـن الحصـول علـى مسـاعدة إلهيـة. فكـون الإنسـان يقبـل مثـل هـذه المسـؤولية العظيمـة المقدسة هو في ذاتـه يسمو بـالخلق. وهـو يعبيء للعمـل أسمـى قـوى العقـل والـروح ويقـوي العقـل ويطـهرهما. وعـن طريـق الإيمـان بقـوة الله هـو عجيـب حقـا كيـف يصـير الإنسـان الضعيـف قويـا وكيـف تصـير مسـاعيه ثابتـة ومثمرة لنتائج عظيمـة. فـالذي يبـدأ بقليـل مـن المعرفـة بكيفيـة متواضعـة ويخـبر الناس بما يعرفه ففـي حـين يطلـب باجتـهاد مزيـدا مـن المعرفـة سـيجد أنّ كـل كنز السماء ينتظـر طلبـه. وكلمـا حـاول أن يعطـي النـور للغـير كلمـا حصـل علـى مزيـد مـن النـور. وكلما حـاول الإنسـان أن يشـرح كلمـة الله للآخريـن مـع المحبـة للنفـوس كلمـا وضحـت لـه. فكلمـا اسـتخدمنا معرفتنـا ودرّبنـا قوانـا كلمـا حصلنـا علـى مزيـد مـن المعرفـة والقـوة.

كل مسعى نبذله لأجل المسيح سيكون له ردّ فعل من البركة علينا. فإن استخدمنا أموالنا لأجل مجده فسيعطينا أكثر ممّا قدمنا. وإذ نحاول أن نربح الآخرين للمسيح مثقلين بمسؤولية النفوس في صلواتنا فإن قلوبنا تختلج بقوة نعمة الله المحيية، وعواطفنا ستتوهج بمزيد من الغيرة الإلهية، وحياتنا المسيحية بجملتها ستصير حقيقية أكثر وأكثر غيرةً وأكثر صلاة.

قيمة الإنسان تُقدّر في السماء بنسبة اتساع القلب لمعرفة الله. فهذه المعرفة هي النبع الذي تفيض منه كل قوة الفكر الإلهي، وهو يحاول دائما أن يجعل عقل الإنسان في شركة مع فكر الله. إنّه يقدم لنا امتياز التعاون مع المسيح في إعلان نعمته للعالم حتى نحصل على مزيد من معرفة الأمور السماوية. وإذ ننظر إليه نتغيّر. فالصلاح ومحبتنا لبني جنسنا يصيران غريزة طبيعية فينا. وتنمو فينا صفات مماثلة لصفات الله. فإذ ننمو في التشبّه به تتسع مقدرتنا لمعرفة الله. ثم نتدرج أكثر فأكثر لتصير لنا شركة مع العالم السماوي وتصير لنا قوة متزايدة دائمة لقبول غنى معرفة الأبدية وحكمتها.

الوزنة الواحدة

إنّ الرجل الذي أخذ الوزنة الواحدة: مضى وحفر في الأرض وأخفى فضة سيده (متى ٢٥ : ١٨)

فالذي أخذ أصغر عطية ترك وزنته دون أن يستثمرها. في هذا يُقدَّم إنذار لكل من يشعرون بانّ قلّة الهبات المعطاة لهم تعفيهم من خدمة المسيح. فلو أمكنهم أن يعملوا عملا عظيما فبأي سرور كانوا يباشرونه، ولكن لأنهم لا يستطيعون أن يقوموا إلاّ بالخدمات الصغيرة فهم يظنون أنّ لهم الحق في ألاّ يفعلوا شيئا. ولكنهم مخطئون في هذا. فالرب وهو يوزع العطايا إنما يختبر الخلق. فالرجل الذي أهمل في تشغيل وزنته برهن على انّه عبدٌ غير أمين.

فلو أخذ خمس وزنات لكان يخفيها كما فعل بالوزنة الواحدة. فسوء استخدامه للوزنة الواحدة برهن على أنّه يحتقر هبات السماء.

الأمين في القليل أمين أيضا في الكثير (لوقا ١٦: ١٠). إنّ أهمية الأمور الصغيرة تُحتقر غالبا لأنها صغيرة ولكنها تُقدم كثيرا من التدريب الفعلي في الحياة. وفي الحق أنّه لا توجد أشياء غير جوهرية في الحياة المسيحية. إنّ بناء خلُقنا يتعرّض لمخاطر كثيرة حينما نبخس الأشياء الصغيرة أهميتَها.

«الظالم في القليل ظالم أيضا في الكثير» (لوقا ١٦: ١٠)، إنّ الإنسان إذ لا يكون أمينا حتى في أصغر الواجبات يسلب خالقَه الخدمة التي هي من حقه. إنّ عدم الأمانة هذه لها ردّ فعل على الإنسان نفسه. فهو يخفق في نوال النعمة والقدرة وقوة الخلق التي يمكن الحصول عليها بواسطة الخضوع لله في غير تحفّظ فإذ يعيش بعيدا عن المسيح يتعرّض لتجارب الشيطان ويرتكب أخطاء في خدمته للسيد. فلكونه لا يسترشد بالمبادىء السليمة في الأمور الصغيرة فهو لا يستطيع أن يطيع الله في الأمور العظيمة التي يعتبرها عمله الخاص. فالنقائص التي يحتضنها في تصرّفه بالنسبة إلى التفاصيل الصغيرة تتغلغل في أهم الشؤون. فهو يتصرّف بموجب المبادىء التي قد عوّد نفسه عليها، وهكذا إذ تتكرر الأعمال تكوّن العادات، والعادات تكوّن الخلُق وبواسطة الخلُق يتقرّر مصيرنا في الحياة الحاضرة والأبدية.

إنّما فقط بالأمانة في صغائر الأمور يمكن للنفس أن تتدرب على أن تعمل بولاء وأمانة أمام المسؤوليات الجسام. لقد جعل الله دانيال ورفاقه يعاشرون عظماء بابل ويحتكون بهم حتى يتعرّف هؤلاء الوثنيون على مبادىء الدين الحقيقي. ففي وسط أمة أهلها يعبدون الأوثان كان على دانيال أن يمثّل صفات الله. ولكن كيف تسنّى له أن يؤهَّل لمثل ذلك المنصب ذي الثقة والكرامة العظيمين؟ إنّ أمانته في الأشياء الصغيرة هي

التي شكلت حياته كلها. لقد أكرم الله في اصغر الواجبات فتعاون الرب معه. ولقد أعطى الله لدانيال ورفاقه معرفة وعقلا في كل كتابة وحكمة. وكان دانيال فهيما بكل الرؤى والأحلام (دانيال ١: ١٧)

وكما دعا الله دانيال ليشهد له في بابل كذلك هو يدعونا لنكون شهوده في العالم اليوم. ففي أصغر شؤون الحياة كما في أعظمها هو يريدنا أن نعلن للناس مباديء ملكوته.

والمسيح في حياته علي الأرض علّم الناس درس الاهتمام الحريص بالأمور الصغيرة. فعمل الفداء العظيم أثقل نفسَه على الدوام. فإذ كان يعلّم ويشفي أجهد عقلَه وجسمَه إلي أبعد حدود الإجهاد، ومع ذلك فلم تغِبْ عن انتباهه ابسطُ الأمور في الحياة وفي الطبيعة. واعظم دروسه التعليمية كانت هي تلك التي فيها شرح حقائق ملكوت الله العظيمة بواسطة أشياء الطبيعة البسيطة. وهو لم يغفل حاجاتِ أحقرِ عبيده. فلقد سمعت إذنُه كلَّ صرخة محتاج. لقد كان واعيا إذ أحسّ بلمسة المرأة المريضة في زحمة الجموع. فأضعف لمسةٍ من لمسات الإيمان وجدت استجابة. وعندما أقام ابنة يايرس من الأموات ذكّر أبويها أنّها ينبغي أن تُعطى شيئا تأكله. وعندما قام من القبر بقوته العظيمة لم يترفّع عن أن يلف الاكفان التي كان ملفوفا فيها ويضعها بحرص في مكانها المناسب.

إنّ العمل الذي نحن مدعوون للقيام به كمسيحيين هو أن نتعاون مع المسيح لأجل خلاص النفوس. لقد دخلنا في عهد معه علي القيام بهذا العمل. فإهمالنا العمل هو برهان على خيانتنا للمسيح. ولكن لكي نتمم هذا العمل علينا أن نتبع مثاله في الاهتمام الأمين وبضمير حيّ بالأمور الصغيرة. هذا هو سرّ النجاح في كل فرع من فروع المجهود والتأثير المسيحي.

إنّ الربّ يريد أن يصلَ شعبُه إلى أعلى درجات السلم حتى يمجدوه بامتلاكهم للمقدرة التي يرغب في منحها لهم. وبواسطة نعمة الله قد أُعِدّت كل مؤونة لأجلنا لنعلن أننا نسلك بموجب خطط أفضل من خطط العالم. علينا أن نبرهن على تفوقنا في الذكاء والفهم والمهارة والمعرفة لأننا نؤمن بالله وبقدرته على أن يؤثر في قلوب الناس.

ولكن لا حاجة لمن لا يملكون هبات كثيرة وعظيمة أن يفشلوا. بل ليستخدموا ما لديهم بأمانة متحفظين من كل نقط الضعف في أخلاقهم مجتهدين بنعمة الله في تقويتها. إنّ كل عمل من أعمال الحياة يجب أن ندخل فيه عنصر الأمانة والولاء إذ نغرس في نفوسنا السجايا التي تعيننا على إنجاز العمل.

وينبغي الانتصار على عادات الإهمال بعزم ثابت. كثيرون يظنون أنّ حجة النسيان هي عذر كافٍ عن أشنع الأخطاء. ولكن ألا يملكون قوى عقلية كغيرهم من الناس: إذا فعليهم أن يدربوا عقولهم على حفظ ما يلقى عليها وتذكره. إنّ النسيان والإهمال كلاهما خطية. فإذا كونت في نفسك عادة الإهمال فقد تهمل خلاص نفسك وأخيرا تجد انك غير مستعد لملكوت الله.

ويجب إدخال الحقائق العظيمة في الأشياء الصغيرة. ومن اللازم إدخال الدين العملي إلي أحقر واجبات الحياة اليومية. وأعظم مؤهل يمكن أن يحصل عليه أي إنسان هو أن يطيع كلمة الله بثقة تامة.

إن كثيرين من الناس يشعرون أن حياتهم عديمة النفع لكونهم غير مرتبطين بعمل ديني مباشر، وانهم لا يفعلون شيئا لأجل تقدّم ملكوت الله. ولكن هذا خطأ. فإذا كان عملهم مما يجب أن يقوم به أحد فينبغي أن لا يتّهموا أنفسهم بعدم نفعهم في أسرة الله العظيمة. ويجب ألاّ يتجاهل أحد

أحقر الواجبات. إنّ أي عمل شريف هو بركة والأمانة فيه قد تكون تدريبا بموجبه يؤتمن الإنسان على ودائع أسمى.

إنّ أي عمل يُعمل لأجل الله بتسليم كامل للذات فمهما يكن وضيعا هو مقبول لديه كأسمى خدمة. وأية تقدمة ليست صغيرة ما دامت مقدمة بخلوص القلب وفرح النفس

وأينما نكون فالمسيح يأمرنا بأن نأخذ على عاتقنا الواجب الذي يُقدّم لنا. فان كان هذا الواجب في البيت خذه بكل رضى وغيرة لتجعل البيت مكانا سعيدا. فإن كنتِ أمّا ربّي أولادك للمسيح. هذا هو في الواقع عمل الله كعمل الخادم في المنبر. فإن كان عملكِ في المطبخ فاجتهدي أن تكوني طاهيةً ممتازةً. أعدّي الطعام الصحّي المغذي الشهي، وفيما أنت تستعملين أفضل المواد الغذائية في إعداد الطعام تذكري انّك يجب أن تغذي عقلك بأفضل الأفكار. وإذا كان عملكَ حرثُ الأرض أو الاشتغال في أيّة تجارة أو حرفة أخرى فاجعل عملَك الحاضرَ ناجحا. واشغل عقلك فيما أنت صانع. ففي كل عملك مثّل المسيح واعمل ما كان يعمله لو كان في مكانك.

مهما تكن وزنتك صغيرة فإن عند الله مكانا لها. فتلك الوزنة الواحدة لو استُخدمت بحكمة سيُتمَّم عملُها المرتب لها. فبواسطة الأمانة في الواجبات الصغيرة علينا أن نعملَ بموجب خطّة الزيادة والله سيعمل لأجلنا بموجب خطة التكاثر أو المضاعفة. فهذه الأشياء الصغيرة ستصير اثمن المؤثرات في عمله.

ليجرِ الإيمان الحي كخيطٍ من ذهب في إتمام حتى أصغر الواجبات. وحينئذ فكلّ العمل اليومي سيساعد على النمو المسيحي. وسينظر المؤمن علي الدوام إلى يسوع. فالمحبة له ستضفي على كل عمل يُعمل قوة حيوية.

وهكذا فعن طريـق الاسـتخدام الصائب لوزناتنـا يمكننـا أن نربـط أنفسـنا بالعـالم الاسمـي بسلسـلة ذهبيـة. هـذا هـو التقديـس الحقيقـي لان التقديـس ينحصـر في إتمامنا لواجباتنـا اليوميـة بفـرح في طاعـة كاملـة لإرادة الله.

ولكـنّ كثـيرين مـن المسـيحيين مـازالوا ينتظـرون أن يُسـند إليـهم عمــلٌ عظيـم ليعملـوه. فلكونـهم لا يسـتطيعون أن يجـدوا مكانــا واسـعا بالكفايـة ليشـبع طموحـهم فـهم يفشـلون في إنجـاز واجبـات الحيـاة العاديـة بأمانــة. فـهذه يبـدو أنّها غير ملـذة في نظرهـم. ويومـا بعـد يـوم هـم يفلتـون الفـرص لإظـهار أمانتـهم لله. وفي حين أنّـهم ينتظـرون عمـلا عظيمـا تمضـي الحيـاة دون أن تتـم أغراضـها ودون أن يكمـل عملــها.

إرجاع الوزنـات

وبعد زمان طويل أتــى سـيد أولئـك العبيـد وحاسـبهم (متـى ٢٥ : ١٩). عندمـا يحاسـب الـرب عبيـده فـلا بـد مـن فحـص مقـدار مـا ربحتـه كـل وزنـة. فــالعمل الـذي عمل يكشـف عـن صفات العــامل.

فــالذين أخــذوا الخمــس وزنـات والوزنتــين يرجعــون إلى الســيد الهبـات المودعـة عندهـم مضافـا إليـها الربـح. فـإذ عملـوا هـذا لا يدّعــون أي اسـتحقاق في ذواتهم. فوزناتهم هـي الـتي سُــلّمت لهـم، وقـد ربحـوا وزنـات أخـري، ولكـن لـولا الوديعة الـتي أعطيت لهم لما كـان هنالك ربـح. فـهم يـرون انّـهم لم يعملـوا أكثر من واجبـهم. فـرأس المـال هـو للسيد والربـح لـه كذلـك. فلـو لم يمنحـهم المخلص محبته ونعمته لكانوا يصـيرون مفلسـين مـدى الأبديـة.

ولكـن عندمـا يـأخذ السـيد الوزنـات يمتـدح الخـدام ويكافئـهم كمـا لـو كـان الفضـل كلّــه لهـم. إنّ وجهــه ممتلــيء بــالفرح والرضـى. إنــه ممتلــيء القلـب

بالبهجة لأنه يمكنه أن يمنحهم هباتِه. وهو يكافئهم على كل خدمة وكل تضحية لا كأنّه دين هو مدين لهم به بل لأنّ قلبه فائض بالحب والحنان.

وها هو يقول: «نعمّا أيها العبد الصالح والأمين. كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك» (متى ٢٥: ٢١و٢٣).

فالأمانة والولاء لله وخدمة المحبة هي التي تظفر برضى الله واستحسانه. فكل وازع يقود به الروح القدس الإنسان إلى الصلاح وإلى الله يُسجّل في أسفار السماء، وفي يوم الله سيمتدَح الخدام الذين عمل بواسطتهم.

وسيدخلون إلى فرح سيدهم إذ يرون في ملكوته من قد افتدوا بواسطتهم. وسيُعطى لهم امتيازُ مشاركته في عمله هناك حيث قد ظفروا بالأهلية لذلك بمشاركتهم في عمله هنا. ما سنكون في السماء هو انعكاس لما نحن عليه الآن في الحق والخدمة المقدسة. لقد قال المسيح عن نفسه: «ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم بل ليَخدِم» (متى ٢٠: ٢٨). فعمله هذا على الأرض هو عمله في السماء. ومكافأتنا على خدمتنا للمسيح في هذا العالم هي قوة أعظم وامتياز أكبر للخدمة معه في العالم الآتي.

ثم جاء أيضا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال «يا سيد عرفت أنّك إنسان قاسٍ تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر. فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك في الأرض. هوذا الذي لك» (متى ٢٥ : ٢٤و٢٥).

وهكذا يعتذر الناس عن إهمالهم لهبات الله. فهم ينظرون إلى الله على أنّه سيد قاسٍ وطاغيةٌ متجبر، وكأنه يتجسس على أخطائهم ويفتقدهم بأحكامه ويتهمونه بأنّه يفرض عليهم ما لم يعطِه لهم إذ يحصدّ ما لم يزرع.

يوجد كثيرون يتّهمون الله في قلوبهم بأنّه سيدٌ قاسٍ لكونه يطالبهم بأموالهم وخدمتهم، ولكننا لا نستطيع أن نقدّم لله شيئاً لم يكن في الأصل

ملكـه. فلقـد قـال الملـك داود: لأن منـك الجميـع ومـن يـدك أعطينـاك (١اخبـار ٢٩: ١٤). فكـل شـيء هـو ملـك الله ليـس فقـط بحـق الخلـق بـل أيضـا بحـق الفـداء. فكـل بركـات هـذه الحيـاة والحيـاة العتيـدة تسـلّم لنـا مختومـة بصليـب جلجثـة. إذاً فالتهمـة الموجهـة إلى الله بأنّـه سـيدٌ قـاسٍ يحصـد حيـث لم يـزرع هي تهمة مكذوبـة.

والسـيد لا ينكـر تهمـة ذلـك العبـد الشـرير مـع أنّـها تهمـة ظالمـة، ولكـن إذ يواجهـه علـى مسـتواه يريـه أن لا عـذر لـه في تصرفـه. لقـد أعـدت لـه السـبل والوسـائل الـتي كـان يمكـن بواسـطتها أن تُسـتَثمَر الوزنـة فـيربح صاحبـها. فقـال لـه : «فكـان ينبغـي أن تضـع فضـتي عنـد الصيارفـة. فعنـد مجيئـي كنـت أخـذ الـذي لـي مـع ربـا» (متـى ٢٥: ٢٧).

إنّ أبانـا السـماوي لا يطلـب منـا أكـثر أو أقـل ممـا قـد أعطانـا القـدرة علـى عملـه. وهـو لا يحمّـل عبيـده أحمـالا أثقـل مـن أن يقـووا علـي حملـها : «لأنّـه يعـرف جبلتنـا يذكـر أننـا تـراب نحـن » (مزمـور ١٠٣: ١٤). فبواسـطة النعمـة الإلهية يمكننا أن نقدم له كل ما يطلبه منـا.

كـل مـن أُعطِيَ كثيرا يُطلب منـه كثـير (لوقـا ١٢: ٤٨). فكـل فـرد منـا سـيكون مسـؤولا عـن التقصـير في عمـل أقـل القليـل ولـو كـان حرفـاً واحـداً أقـل ممـا نستطيع أن نعملـه. إنّ الـرب يقيـس بكـل ضبـط وتدقيـق كـل إمكانيـات الخدمـة والإمكانيـات الـتي لم تُسـتخدم سيحاسـب النـاس عليـها كـالتي اسـتثمرت. والله سيعتبرنا مسؤولين عـن كـل مـا كـان يمكننـا أن نصـل إليـه عـن طريـق الاسـتخدام الصـائب لوزناتنـا. وسـندان بحسـب مـا كـان ينبغـي لنـا أن نفعلـه ولم نعملـه لأننـا لم نسـتخدم قوانـا لتمجيـد الله. وحتـى إذا لم نخسـر نفوسـنا فسـنتحقق في الأبديـة نتيجـة عـدم اسـتثمار وزناتنـا. وسـتكون هنـالك خسـارة أبديـة لكـل المعرفـة والمقـدرة الـتي كـان يمكننـا أن نكتسـبها ولكننـا لم نفعـل.

ولكـن عندمـا نسـلم ذواتنـا بالتمـام لله وفي عملنـا نتبـع تعليماتـه فـهل سـيعتبر نفسه مسؤولا عــن إتمامـه. وهــو لا يريدنـا أن نخمـن عـن نجـاح مسـاعينا الأمينـة. وينبغي لنــا ألاّ نفكـر في الفشـل مـرة واحـدة. فعلينـا أن نتعـاون مـع ذاك الـذي لا يعرف الفشـل.

وينبغي لنا ألاّ نتحدث عــن ضعفنـا وعجزنـا. فـهذا شـكّ واضـح في الله وإنكـار لكلمتـه. فعندمـا نتذمّـر بسـبب أعبائنــا أو نرفـض الاضطـلاع بالمســؤوليات الـتي يدعونـا لحملـها فنحـن في الواقـع نقـول عنـه انّـه سـيد صـارم وأنـه يطلــب منـا عمل ما لم يعطنا قـوة لنعملـه.

إننــا في غــالب الأحيــان ميّــالون لأن ندعـــو روح العبــد الكســلان وداعــة. ولكـن الوداعـة الحقيقيـة تختلـف عـن ذلـك اختلافـا كبـيراً. إنّ كوننــا نتسـربل بالوداعة لا يعـني أننـا نكـون أقزامـا في أذهاننـا أو نـاقصين في أشـواقنا أو جبنـاء في حياتنـا، فنـهرب مـن الأحمـال لئـلا نفشـل في حملـها بنجـاح. أمّـا الوداعـة الحقة فتتمّم أغـراض الله بالاعتمـاد علـي قوتـه.

إنّ الله يعمـل بواسـطة مــن يريـده. وهــو أحيانـا يختـار أحقـر أداة للقيـــام بـأعظم عمـل لأن قدرتـه تسـتعلن وتظـهر بواسـطة ضعـف النـاس. إنّ لنـا مقياسـنا وبموجبـه نحكـم علي شيء أنّه عظيم وعلى شيءٍ آخـر أنّـه صغير، ولكـن تقديـر الله ليـس بموجـب قوانيننـا. وينبغـي ألاّ نظـنّ أن مـا هـو عظيـم في نظرنـا ينبغـي أن يكـون عظيمـا في نظـر الله، أو أنّ مـا هـو عظيـم في نظرنــا ينبغــي أن يكـون كذلـك في نظـره. وليس لنـا نحـن أن نحكـم علـى وزناتنـا أو نختـار عملنــا. بـل علينا أن نحمـل الأحمـال الـتي يعّينـها الله، فنحملـها لأجلـه ونذهـب إليـه دائمـا في طلـب الراحـة. ومـهما يكــن نــوع عملنـا فــالله يتمجّــد بالخدمــة المخلصـة الفرحــة. وهــو يسـرّ عندمــا نقـوم بواجباتنـا بشـكر فرحـين لكوننـا قـد حُسِـبنا مسـتأهلين لأن نكـون شـركاءه في العمـل.

الوزنة تؤخـذ

وهـذا هـو الحكـم الـذي صـدر علـى العبـد الكسـلان: خـذوا منـه الوزنـة وأعطوهـا للـذي لـه العشـر وزنـات (متـى ٢٥: ٢٨). وهنـا كمـا في مجـازاة العـامل الأمين يتبين ليس فقط الجـزاء للدينونـة الأخـيرة بـل عمليـة الجـزاء التدريجيـة في هـذه الحياة. وكمـا في العـالم الطبيعـي كذلـك في العـالم الروحـي كـل قـوة لا تُستخدم تنتـهي إلـي الضعَـف والانحـلالُ. إنّ النشـاط هـو قـانون الحيـاة بينمـا الكسـل هـو المـوت : «لكـل واحـد يُعطـى إظـهار الـروح للمنفعـة (١كورنثـوس ١٢: ٧). فـإذ يسـتخدم الإنسـان مواهبـه ليبـارك الآخريـن فإنـها تتكـاثر وتزيـد. أمّـا إذا حبسـها لخدمـة الـذات فـهي تنقـص وتُسـحب أخـيراً. فـالذي يرفـض أن يـوزع ممّـا أعُطـيَ لـه سـيجد في النهايـة أنّـه لا يملـك شـيئاً يعطيـه. إنّـه يوافـق علـى مجـرى لابـد وأن يعجـز قـوى النفـس ويدمّرهـا في النهايـة.

لا يظنـن أحـد أنـه يمكنـه أن يحيـا حيـاة الأنانيـة وحينئـذ بعدمـا يخـدم مصالحـه الخاصـة يدخـل إلى فـرح سـيده. إنّـهم لا يمكنـهم أن يشـتركوا في فـرح المحبّـة المنكـرة لذاتـها. إنّـهم لا يكونـون مؤهلـين للمواطـن السـماوية. ولا يمكنـهم أن يقـدروا جـو المحبـة النقـي الـذي يعـم السـماء. وأصـوات الملائكـة وموسـيقى قيثاراتـهم لـن ترضيـهم. وعلـم السـماء يبـدو لعقولهـم لغـزا يسـتعصي عليهم فهمـه.

وفي يـوم الدينونـة العظيم. كـل مـن لم يخدمـوا المسـيح الذيـن انجرفـوا مـع التيـار ولم يحملـوا مسـؤولية وكـانوا يفكـرون في أنفسـهم وفي إرضـاء ذواتـهم سيوقفهم ديّـان كـل الأرض مع فـاعلي الشر وسـتقع عليـهم نفـس دينونتـهم.

كثـيرون ممّـن يدّعـون انّـهم مسـيحيون يـهملون مطـاليب الله ومـع ذلـك لا يحسّـون أنّ في هـذا أيّ خطـأ. إنّـهم يعرفـون أنّ المجـدّف والقـاتل والزانـي

يستحقّون العقاب. أمّا بالنسبة إليهم فهم يستمتعون بالخدمات الدينية. إنّهم يحبون سماع الكرازة بالإنجيل ولذلك يظنّون أنفسهم مسيحيين. ومع إنّهم قضوا حياتهم في الاهتمام بأنفسهم فإنّهم سيستغربون كما استغرب العبد غير الأمين المذكور في المثل عندما سمع الحكم القائل: خذوا منه الوزنة. وكاليهود يخلطون بين التمتع ببركاتهم وواجبهم في استخدامها.

وكثيرون ممن يستعفون من القيام بمسعى مسيحي يعتذرون بعجزهم عن العمل. ولكن هل جعلهم الله عاجزين بهذا المقدار؟ كلاّ أبدا. فهذا العجز قد حدث بسبب كسلهم وقد دام بسبب اختيارهم المتعمّد. ففي خلُقهم قد تحقّقوا نتيجة الحكم القائل: خذوا منه الوزنة. إنّ سوء استخدامهم المستمر لوزناتهم لابدّ أن يُطفيء أمامهم الروح القدس الذي هو النور الوحيد. وإنّ الحكم القائل: العبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية (متى ٢٥: ٣٠) يضع ختم السماء على الاختيار الذي اختاروه لأنفسهم مدى الأبدية.

٢٦ «أصدقاء بمَال الظلم»

كان مجيء المسيح في وقت زادت فيه محبة العالم. كان الناس يحقّرون من قيمة الأشياء الأبدية ويستبدلونها بالأشياء الزمنية، ويفضلون شؤون العصر الحاضر على مطاليب الدهر الآتي. كانوا يحسبون الأخيلة حقائق ثابتة ويعتبرون الحقائق الثابتة أوهاما من نسج الخيال. لم يروا العالم غير المنظور بالإيمان. لقد عرض الشيطان أمامهم أمور هذه الحياة على أنّ لها جاذبية وأهمية شاملة فاستجابوا لتجاربه.

وقد أتى المسيح ليغيّر هذا الوضع للأشياء. فحاول أن يحطّم السحر الذي به افتتن الناس وأُخذوا في الشرك. وفي تعليمه حاول أن يضع كلا من مطاليب السماء والأرض في وضعه اللائق ويحول أفكار الناس عن الزمن الحاضر إلى الأبدية. لقد دعاهم حتى يكفّوا عن الركض في أثر أمور هذا الزمان ويستعدوا للأبدية.

قال: «كان إنسان غنّي له وكيل فُوشِيَ به إليه بأنّه يبذر أمواله» (لوقا ١٦: ١). لقد ترك الرجل الغني كلّ أمواله في يَدَي خادمه. ولكنّ هذا الخادم لم يكن أمينا فاقتنع السيد بأنّ أمواله كانت تُسلب بكيفية منظمة. فعول أن لا يبقيه في خدمته بعد ذلك. فأمر بفحص حساباته. وقال له: «ما هذا الذي اسمع عنك. أعطِ حساب وكالتك لأنّك لا تقدر أن تكون وكيلا بعد» (لوقا ١٦: ٢)

وإذ كان ذلك الوكيل متوقعا الطرد رأي ثلاث طرق مفتوحة أمامه ليختار منها ما يشاء. فإمّا أن يكدّ أو يستعطي أو يموت جوعا. فقال في نفسه: «ماذا أفعل لأنّ سيدي يأخذ مني الوكالة . لست أستطيع أن أنقُب وأستحي أن أستعطي. قد علمت ماذا أفعل حتى إذا عُزلت عن الوكالة يقبلونني في

بيوتهم. فدعا كل واحد من مديوني سيده وقال للأول كم عليك لسيدي فقال مئة بث زيت. فقال له خذ صكك وأجلس عاجلا واكتب خمسين. ثم قال لآخر وأنت كم عليك فقال مئة كرّ قمح. فقال له خذ صكك واكتب ثمانين» (لوقا ١٦: ٣-٧).

إنّ هذا الخادم الخائن أشرك آخرين معه في خيانته. فقد غدر بسيده لمنفعتهم وإذ قبلوا منه هذه المنّة وضعوا أنفسهم تحت التزام أن يقبلوه كصديق في بيوتهم.

«فمدح السيد وكيل الظلم إذ بحكمة فعل» (لوقا ١٦: ٨). إنّ الرجل العالمي مدح من قد غدر به لأجل حذقه. ولكنّ مدح الرجل الغني ليس مدح الله.

إنّ المسيح لم يمتدح وكيل الظلم وإنّما استخدم تلك الحادثة المعروفة ليشرح الدرس الذي قصد أن يعلّمه. فقال: «اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية» (لوقا ١٦: ٩).

كان الفريسيون قد لاموا المخلص لاختلاطه بالعشارين والخطاة. ولكن اهتمامَه بهم لم يقلّ ولا انقطعت جهودُه في سبيلهم. لقد رأى انّهم أتوا أمام التجربة بحكم وظيفتهم. كانوا محاطين بغوايات الشرّ. كانت أول خطوة في طريق الخطأ سهلة وكان الانحدار سريعا إلى خيانة اعظم وجرائم اكثر. وكان المسيح يحاول بكل وسيلة أن يربحهم ويوجههم إلى أغراض اسمى ومباديء أشرف. كان هذا الغرض ماثلا في ذهنه وهو يحكي قصة وكيل الظلم. فقد كان يوجد بين العشارين مثل تلك الحالة المصورة في المثل، وفي الوصف الذي أورده المسيح ميّزوا الأعمال التي يمارسونها. وقد استرعى انتباههم، وكثيرون منهم تعلّموا درس الحق الروحي من الصورة التي رسمها عن أعمالهم الخائنة.

ومع ذلـك فقد كـان المثـل موجـها إلى التلاميـذ مباشـرة. فقـد كـانوا أول مـن أعطيـت لهـم خمـيرة الحـق وبواسـطتهم كـان يجـب أن تصـل للآخريـن. إنّ كثـيراً مـن تعـاليم المسـيح لم يفهمـها التلاميـذ في بـاديء الأمـر، وكثـيراً مـا كـان يبدو وكـان تعاليمه قـد كـادت تنسـى. ولكـن بقـوة الـروح القـدس انتعشـت هـذه الحقـائق فيمـا بعـد ووضحــت، وبواسـطة التلاميـذ اتضحــت بكـل جـلاء أمـام المهتدين الذيـن انضمـوا إلى الكنيسـة.

وكـان المخلـص يخـاطب الفريسـيين أيضـا. إنّـه لم يزايلـه الأمـل في انّـهم قـد يحسّـون بقـوة كلامه. وقـد تـأثر كثيرون منهم تـأثرا عميقـا وإذ سمعـوا الحـق تحـت تلقين الـروح القـدس صار عـدد غير قليـل منهم مؤمنـين بالمسـيح.

وقـد حـاول الفريسـيون أن يجلبـوا العــار علـى المسـيح باتهامــهم إيّـاه بأنّـه يندمـج في وسـط العشـارين والخطـاة. والآن هـا هـو يـردّ اللـوم علـى المشـتكين عليـه. فالمشـهد المعـروف بأنـه قـد حـدث بـين العشـارين يريـه للفريسـيين ليصـور لهم أسـلوب عملهم وأيضا ليريهم الطريـق الوحيد الـذي بـه يفتـدون أخطـاءهم.

لقـد أودع السيد أموالـه بـين يـدي وكيـل الظلـم لأجـل أغـراض خيريـة. ولكنـه اسـتخدمها لنفسـه. وكذلـك الحـال مـع إسـرائيل. فلقـد اختـار الله نسـل إبراهيم. فبيـدٍ رفيعـةٍ خلصـهم مـن عبوديـة مصـر. وقـد جعلـهم مسـتودعات للحـق المقدس ليبـاركوا العـالم. وقـد أودع بـين أيديـهم كلمـة الله الحيـة لينقلـوا النـور للآخريـن. ولكـن وكـلاءه اسـتخدموا هـذه الهبـات لكـي يغتنـوا ويمجـدوا بـها أنفسـهم.

إنّ الفريسـين إذا كـانوا ممتلئـين اعتـدادا بذواتـهم وبالـبرّ الذاتـي أسـاءوا استعمال الأمـوال الـتي اسـتودعهم الله إيّاهـا ليسـتخدموها لمجـده.

إنّ العبـد المذكـور في المثـل لم يعـدّ مؤونـة للمسـتقبل. فـالأموال المودعـة لديـه لأجـل خـير الآخريـن صرفـها علـى نفسـه. ولكنّـه لم يفكـر في غـير حـاضره.

فعندما تؤخذ منه الوكالة فلن يكون تحت يده شيء يمكن أن يحسبه ملكه. ولكن أموال سيده كانت لا تزال تحت يده فعوّل على أن يتصرّف فيها بحيث يؤمّن نفسه ضد العوز في المستقبل. فلكي يتمم هذا كان عليه أن يوزع على الآخرين. وبهذه الكيفية يمكنه أن يكسب أصدقاء يقبلونه عندما يطرد. وهكذا كان الحال مع الفريسيين. فالوكالة كانت موشكة أن تؤخذ منهم، وكان عليهم أن يتزودوا للمستقبل. فما كان يمكنهم أن يفيدوا أنفسهم إلاّ إذا طلبوا خير الآخرين. وما كانوا يستطيعون أن يستعدّوا للأبدية إذا لم يوزعوا هبات الله في هذه الحياة.

بعدما أورد المسيح المثل قال: «أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم» (لوقا ١٦: ٨). أي أنّ حكماء هذا العالم يظهرون حكمة وغيرة في خدمة أنفسهم اكثر مما يظهر المعترفون بأنهم أولاد الله في خدمتهم له. هكذا كان الحال في عهد المسيح. وهكذا هو الأمر في أيامنا هذه. تأمل في حياة الكثيرين ممّن يدّعون انهم مسيحيون فقد منحهم الرب إمكانيات وقوة ونفوذا. وقد أودع لديهم المال لكي يكونوا عاملين معه في عمل الفداء العظيم. وكل هباته يجب استخدامها في مباركة الإنسانية وتخفيف آلام المتألمين والمعوزين. فعلينا أن نطعم الجياع ونكسو العراة ونهتم بالأرملة واليتيم ونخدم المتضايقين المنسحقين. إنّ الله لم يكن يريد قط أن تعم حالة الشقاء هذه المنتشرة في العالم. وهو لم يقصد أن إنسانا واحدا يكون لديه من أسباب الرفاهية والترف ما يزيد كثيرا عن حاجته، بينما أبناء جيرانه يصرخون في طلب الخبز. فالأموال الزائدة عن حاجات الحياة الفعلية مسلمة للإنسان لكي يفعل بها الخير ويبارك البشرية. إنّ الرب يقول: «بيعوا مالكم وأعطوا صدقة» (لوقا ١٢: ٣٣). «كونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع» (١تيموثاوس ٦: ١٨)، «إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمي» (لوقا ١٤: ١٣). «حل قيود الشر» «فك عقد النير»

«إطلاق المسحوقين أحرارا» «قطع كل نير» «أن تكسر للجائع خبزك وان تدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عريانا أن تكسوه «أشبعت النفس الذليلة» (إشعياء ٥٨: ٦و٧و١٠). «اذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مرقس ١٦: ١٥). هذه هي أوامر الرب. فهل الأكثرية العظمي من المعترفين بالمسيحية قائمون بهذا العمل؟

واأسفاه، فما أكثر من يخصصون هبات الله لأنفسهم وما أكثر من يضيفون بيتا إلى بيت ويقرنون حقلا بحقل. وما أكثر من ينفقون أموالهم على الملذّات وإشباع النهم والبيوت والأثاثات والثياب المتطرفة. إن بين جنسهم يتركون عرضة للشقاء والجرائم والأمراض والموت. إنّ كثيرين يهلكون دون أن يلقي أحد عليهم نظرة عطف أو ينطق بكلمة محبة أو يعمل عملا من أعمال العطف.

إنّ الناس مجرمون في سلب حقوق الله. فإنفاقهم للمال بكيفية تدل على الأثرة يسلب الله المجد الذي كان يجب أن يعود إليه في تخفيف آلام البشرية وخلاص النفوس. إنّهم يختلسون أمواله المودعة لديهم. إنّ الرب يعلن قائلاً: «واقترب إليكم للحكم وأكون شاهدا سريعا على ... السالبين أجرة الأجير الأرملة واليتيم ومن يصد الغريب. أيسلب الإنسان الله. فإنكم سلبتموني. فقلتم بم سلبناك. في العشور والتقدمة. قد لُعنتم لعناً وإياي أنتم سالبون هذه الأمة كلها» (ملاخي ٣: ٥و٨و٩). «هلم الآن أيها الأغنياء ... غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم... قد كنزتم في الأيام الأخيرة» «قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم» «هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذني رب الجنود» (يعقوب ٥: ١-٣و٥و٤).

وسيُطلب من كل واحد أن يسلم الهبات المودعة لديه. وفي يوم الدينونة الأخير ستكون الثروة التي اكتنزها الناس بلا قيمة لهم. فهم لا يملكون شيئا يمكن أن يقولوا عنه إنّه ملكهم.

إنّ الذين يقضون حياتهم في جمع الكنوز العالمية يبرهنون على أنهم أقل حكمة وأقل تفكيراً وحرصاً على خيرهم الأبدي من حرص وكيل الظلم على أعالته الأرضية. فهؤلاء الذين يقولون إنّهم أبناء النور هم اقل حكمة من أبناء هذا الدهر في جيلهم. هؤلاء هم الذين يعلن النبي في رؤياه عن يوم الدينونة العظيم قائلا عنهم: «يطرح الإنسان أوثانه الفضية وأوثانه الذهبية التي عملوها له للسجود للجرذان والخفافيش ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعاقل من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض» (إشعياء ٢: ٢٠و٢١).

يقول المسيح: «اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية» (لو ١٦: ٩). إنّ الله والمسيح والملائكة يخدمون المتضايقين والمتألمين والخطاة. فسلّم نفسك لله لأجل هذا العمل واستخدم هباته لأجل هذا الغرض فتدخل في شركة مع الكائنات السماوية. وسيخفق قلبك بالشفقة مشاركة لقلوبهم. وستتشبّه بهم في الصفات. ولن يكون هؤلاء الساكنون في المظال الأبدية غرباء عنك. فعندما تزول الأشياء الأرضية سيرحب بك الحراس الواقفون علي أبواب السماء.

والأموال التي تصرف لجلب البركة للآخرين سيُعطَى عنها تعويض. فالمال الذي يُستخدم بطريقة صحيحة سيعمل خيرا عظيماً. فستُربح نفوس للمسيح. والذي يتبع خطة المسيح في الحياة سيري في مساكن الله من قد خدم وضحّى لأجلهم على الأرض. وبالتدريج سيذكر المفديون من كانوا

واسطة في خلاصهم. وستكون السماء عزيزة وثمينة في نظر من كانوا أمناء في عمل خلاص النفوس.

إنّ درس هذا المثل مقدم للجميع. فكل واحد سيكون مسؤولا عن النعمة المعطاة له في المسيح. إنّ الحياة هي أخطر من أن تبتلعها الأمور الزمنية أو الأرضية. والرب يريدنا أن نوصل إلى الآخرين ما نتلقاه من العالم الأبدي غير المنظور.

وفي كلّ سنة يدخل ملايين فوق ملايين من النفوس البشرية إلى عالم الأبد بدون إنذار وبدون خلاص. ومن ساعة إلى ساعة في حياتنا المختلفة تفتح أمامنا الفرص للوصول إلى النفوس وتخليصها. وهذه الفرص تجيء وتروح بلا انقطاع. والله يريدنا أن نُحسن استخدامها. فالأيام والأسابيع والشهور تمرّ. وهكذا تنقص أعمارُنا يوما وأسبوعا وشهرا لنتمم فيها عملنا. وبعد سنوات قليلة أخرى علي اكثر تقدير سنسمع الصوت الذي لا يمكننا الاستعفاء من الإجابة عليه قائلا لنا: «أعط حساب وكالتك» (لوقا ١٦: ٢).

إن المسيح يدعو كل إنسان ليفكر. فاحسب حسابا أمينا ودقيقا. وضع في الكفة الواحدة يسوع الذي معناه الكنز الأبدي والحياة والحق والسماء وفرح المسيح بالنفوس المفدية، وفي الكفة الأخرى ضع كل الجواذب التي يمكن للعالم أن يقدمها. ضع في الكفة الواحدة هلاك نفسك والنفوس التي كان يمكنك أن تكون وسيلة لخلاصها، وفي الكفّة الأخرى الحياة لك ولتلك النفوس، الحياة التي تقاس بقدر حياة الله. زن للوقت الراهن وللأبدية. وفيما أنت مشغول بهذا يقول المسيح: «ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه» ؟ (مرقس ٨: ٣٦).

إنّ الله يريدنا أن نختار الأمور السماوية بدل الأرضية. وهو يقدم لنا الإمكانيات للمساهمة في الأمور السماوية. وهو يقدم تشجيعا لأسمى أهدافنا

وضمان سلامة أغلي كنوزنا. فهو يعلن قائلا: «اجعل الرجل أعزّ من الذهب الإبريز والإنسان أعزّ من ذهب أوفير» (إشعياء ١٣: ١٢). فعندما تتلاشى وتندثر الثروة التي يأكلها العث ويفسدها الصدأ فإنّ لتلاميذ المسيح أن يفرحوا بكنزهم السماوي والغنى الذي لا يزول ولا يفنى.

إنّ صحبة مفديّي المسيح هي أفضل من صحبة كل العالم. وصك امتلاكنا للمنازل التي قد ذهب سيدنا ليعدها لنا هو أفضل من وثيقة امتلاكنا لأجمل قصور الأرض. وافضل من كل عبارات المديح الأرضي سيكون قول المسيح لخدامه الأمناء: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» (متى ٢٥: ٣٤).

أما للذين قد بذروا أمواله فالمسيح لا يزال يعطيهم الفرص لإحراز الغنى الدائم الأبدي. فهو يقول: «أعطوا تعطوا أعملوا لكم أكياسا لا تفنى وكنزا لا ينفد في السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلى سوس» (لوقا ٦: ٣٨؛ ١٢: ٣٣) «أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر ... أن يصنعوا صلاحا وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع مدخرين لأنفسهم أساسا حسنا للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية» (١ تيموثاوس ٦: ١٧-١٩).

إذا فاجعلوا أموالكم تسبقكم إلى السماء واكنزوا لكم كنوزا بجوار عرش الله. وتأكدوا من وثيقة امتلاككم لغنى المسيح الذي لا يستقصى. «اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية» (لوقا ١٦: ٩).

٢٧ «مَن هُو قريبي» ؟

إنّ هذا السؤال القائل: «من هو قريبي» ؟ كان مثار كثير من الجدل الذي لا ينتهي بين اليهود. لم يكن عندهم شكّ بالنسبة إلى الوثنيين والسامريين. فهؤلاء كانوا غرباء وأعداء. ولكن أين يوضع الحدّ الفاصل بين شعب أمتهم وبين طبقات المجتمع المختلفة؟ ومن هو الذي يجب أن يعتبره الكاهن أو المعلم أو الشيخ قريبه؟ لقد قضوا حياتهم في ممارسة طقوس لا تنتهي لكي يجعلوا أنفسهم أنقياء. وقد علموا أن ملامستهم للجهال والمهملين من عامة الشعب تسبب لهم نجاسة تتطلب بذل جهد ممل ومتعب لإزالتها. وهل كان لهم أن يعتبروا «النجسين» أقرباء لهم؟

وقد أجاب المسيح على هذا السؤال في مثل السامري الصالح. فقد برهن أنّ قريبنا لا يعني مجرد أن يكون الإنسان فردا في الكنيسة التي ننتمي إليها أو العقيدة التي ندين بها. وكلمة قريب لا توجد فيها أي إشارة إلى الجنس أو اللون أو أي تمييز طبقي. ولكن قريبنا هو أيّ إنسان محتاج إلى معونتنا. قريبنا هو كل إنسان جرحه العدو وسحقه. قريبنا هو كل إنسان يخصّ الله.

والذي دعا إلى إيراد مثل السامري الصالح هو سؤال قدمه ناموسي إلى المسيح. ففيما كان المخلص يعلم «إذا ناموسي قام يجرّبه قائلا يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية» ؟ (لوقا ١٠ : ٢٥). لقد اقترح الفريسيون هذا السؤال على الناموسي على أمل أن يوقعوا المسيح في شرك من كلامه فأصغوا إلى جوابه بكلّ شوق. لكنّ المخلص لم يشتبك في جدال مع أحد. فطلب من السائل أن يجيب بنفسه على سؤاله. فسأله قائلا: «ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ» ؟ (لوقا ١٠: ٢٦). كان اليهود لا يزالون يتهمون

يسوع بأنّه يستخفّ بالناموس المُعطى من سيناء ولكنّه حوّل السؤال عن الخلاص إلى حفظ وصايا الله.

فأجابه الناموسي قائلا: «تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك» فقال له المسيح: «بالصواب أجبت افعل هذا فتحيا» (لوقا ١٠: ٢٧و٢٨).

إنّ الناموسي لم يكن راضياً عن موقف الفريسيين وأعمالهم. فقد كان يقرأ الكتب المقدسة وهو مشتاق لمعرفة معناها الحقيقي. كان مهتما اهتماما حيويا بالمسألة فسأل قائلا بإخلاص: ماذا أعمل؟ وفي جوابه عن مطاليب الناموس اغفل كل مجموعة الوصايا الطقسية والفرضية. فلم يدّعِ أنّ لهذه الأشياء أيّة قيمة بل قدّم المبدأين العظيمين اللذين يتعلق بهما الناموس كلّه والأنبياء. وإنّ مدح المسيح وثناءه على هذا الجواب وضع المسيح في مركز امتياز مع المعلمين. فلم يستطيعوا أن يدينوه على مصادقته على ما قدمه رجل هو مفسر للناموس.

قال له المسيح: «أفعل هذا فتحيا» (لوقا ١٠: ٢٨). ففي تعليمه كان دائما يقدم الشريعة على أنّها وحدة إلهية مبينا انّه يستحيل على إنسان أن يحفظ وصية ويكسر أخرى لأنّ نفس المبدأ الواحد يسري فيهن جميعا. ومصير الإنسان يتقرر بموجب طاعته لكل الناموس.

ولقد عرف المسيح أنّه لا يستطيع إنسان أن يطيع الناموس بقوته. فأراد أن يُرشد الناموسي إلى بحث أوضح وأكثر دقة حتى يجد الحق. إنّنا لا نستطيع أن نحفظ الناموس إلاّ إذا قبلنا فضيلةَ وقوى المسيح ونعمته. فالإيمان بالكفارة عن الخطية يمكّن الإنسان الساقط من أن يحب الله من كل قلبه ويحب قريبه كنفسه.

وقد عرف الناموسي أنّه لم يحفظ الوصايا الأربع الأولى ولا الوصايا الأخرى. كان متبكّتا من أقوال المسيح الفاحصة، ولكن بدلا من الاعتراف بخطيّته حاول أن يتسامح معها. وبدلا من الاعتراف بالحق حاول أن يبرهن على مقدار صعوبة حفظ الوصية. وهكذا كان يرجو أن يتفادى الاقتناع ويبرّر نفسه في عيون الشعب. وأن كلام المسيح يبرهن على سؤال الرجل لم يكن ثمة ما يدعو إليه لانه كان قادرا على أن يجيب عليه بنفسه. ومع ذلك فقد قدم إليه سؤالا آخر قائلا: «ومن هو قريبي» ؟ (لوقا ١٠: ٢٩)

ومرّة أخري رفض المسيح الدخول في جدال. بل أجاب على السؤال بقصة حادثة وقعت وكانت ذكراها لا تزال ماثلة في أذهان السامعين. قال: «إنسان كان نازلا من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حيّ وميّت» (لوقا ١٠: ٣٠).

كان على المسافر من أورشليم إلى أريحا أن يعبر في جزء من بريّة يهوذا. وكان الطريق يفضي إلى وادٍ ضيق موحش صخري كان يكمن فيه اللصوص وكثيراً ما كانت تُرى فيه مشاهد العنف. ففي هذا المكان هوجم المسافر وعُرّي من كل ثيابه الغالية وتُرِك على جانب الطريق بين حيّ وميّت. وفيما كان مطروحا في حالته تلك عرض أن كاهنا نزل في تلك الطريق فرأي الرجل مطروحا جريحا ومرضّضا ومتمرّغا في دمه، ولكنه تركه ومضى دون أن يمدّ إليه يد الغوث بل «جاز مقابله» (لوقا ١٠: ٣١). ثم ظهر لاوي. فإذ دفعه فضوله لمعرفة ما قد حدث وقف ونظر إلى الرجل المتألم. وكان مقتنعا بما يجب عليه عمله ولكن ذلك الواجب لم يكن ممّا يروق له. وكان يتمنىّ لو لم يأت في ذلك الطريق حتى لا يرى ذلك الجريح. وقد اقنع نفسه بأن ليس له دخل في المسألة «وجاز مقابله» (لوقا ١٠: ٣٢).

ولكنّ سامرياً مسافرا جاء في نفس الطريق ورأي المتألم وعمل ما تنحّى غيره عن عمله. فبكلّ رقة وحنان خدم الجريح: «لما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاتِه وصب عليه زيتا وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتني به وفي الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق وقال له اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعي أوفيك» (لوقا ١٠: ٣٣-٣٥). كان كلّ من الكاهن واللاوي يدعي التقوى، ولكنّ السامري اظهر أنّه متجدد حقاً. كان ذلك العمل الذي قام به كريها لديه كما كان كريها لدى الكاهن واللاوي. ولكنّه برهن بروحه وعمله على أنه متوافق مع الله.

إنّ المسيح وهو يقدّم هذا الدرس قدّم مباديء الناموس بكيفية مباشرة وفعالة، مبينا لسامعيه أنّهم قد أهملوا في تنفيذ هذه المباديء. وكان كلامه محددا وسديدا بحيث لم يجد سامعوه فرصة للمماحكة. ولم يجد ذلك الناموسي في هذا الدرس شيئا يمكنه أن ينتقده. وقد زال تعصّبه ضد المسيح. ولكنه لم يكن قد انتصر على كراهيته القومية بحيث يذكر اسم السامري ممتدحا إياه. فعندما سأله المسيح قائلا: «أي هؤلاء الثلاثة تُرى صار قريبا للذي وقع بين اللصوص ؟ قال: «الذي صنع معه الرحمة» (لوقا ١٠: ٣٦و ٣٧).

قال له المسيح: «اذهب أنت أيضا وأصنع هكذا» (لوقا ١٠: ٣٧). أي أظهر نفس الحنان والرقة لمن يحتاجونهما. وبهذا تبرهن على أنك تحفظ كل الناموس.

كان الخلاف العظيم بين اليهود والسامريين خلافا يتناول العقيدة الدينية، والسؤال عن ماذا يحدد العبادة الحقة. إنّ الفريسيين لم يريدوا أن يمتدحوا السامريين في شيء بل صبوا عليهم أمرّ لعناتهم. لقد كان النفور بين اليهود والسامريين على أشدّه حتى لقد بدا للمرأة السامرية أمراً غريبا

أن يطلب منها المسيح جرعة ماء فقالت له: «كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية» ثم أضاف البشير القول: «لأن اليهود لا يعاملون السامريين» (يوحنا ٤: ٩). وعندما امتلأت قلوب اليهود بالعداوة القاتلة للمسيح حتى قاموا ليرجموه في الهيكل لم يجدوا كلاما يعبرون به عن عداوتهم أفضل من قولهم: «ألسنا نقول حسنا أنك سامري وبك شيطان» ؟ (يوحنا ٨: ٤٨). ومع ذلك فقد أهمل الكاهن واللاوي نفس العمل الذي قد أوصاهما الرب به وفرضه عليهما في كونهما قد تركا سامريا مكروهاً ومحتقراً ليخدم أحد مواطنيهما.

لقد تمم السامري الوصية: تحب قريبك كنفسك وبهذا برهن على انّه أبرّ ممّن كانوا يشهّرون به. فإذ خاطر بحياته عامل الجريح معاملة الأخ لأخيه. إنّ هذا السامري يرمز إلي المسيح. إنّ مخلصنا قد أظهر نحونا محبة لا يمكن أن تضارعها محبة للإنسان. فعندما كنا مسحوقين وأمواتا لا محالة تحنن علينا. إنّه لم يجُزْ مقابلنا تاركاً إيانا في حال العجز واليأس لنهلك. ولم يظلّ في مسكنه المقدس السعيد حيث كان يحبه جميع أجناد السماء. لقد رأي حاجتنا الشديدة الملحّة وأخذ قضيتنا وقرن مصالحه بمصالح الإنسانية. لقد مات لكي يخلص أعداءه. وصلّى لأجل قاتليه. وإذ يشير إلي مثاله يقول لتلاميذه : «بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضا» (يوحنا ١٥: ١٣:١٧: ٣٤).

كان الكاهن واللاوي قد ذهبا للعبادة في الهيكل الذي كانت خدمته معينة من الله نفسه. وكان الاشتراك في تلك الخدمة امتيازا عظيما ومجيدا، وقد أحس الكاهن واللاوي انّه حيث قد أُكرما ذلك الإكرام فليس مما يليق بكرامتهما أن يقدما خدمة لإنسان غريب مُلقى على قارعة الطريق. وهكذا

أهملا الفرصة الخاصة التي قدمها لهما الله كنائبين عنه في جلب البركة لأحد بني جنسهما.

وكثيرون يرتكبون نفس هذا الخطأ اليوم. فهم يقسمون واجباتهم إلي قسمين متميزين. فأحدهما يتكون من الأمور العظيمة التي تنظمها شريعة الله، أما القسم الآخر فيتكون مما يُسمى بالأمور الصغيرة التي فيها يتجاهلون الوصية القائلة: تحب قريبك كنفسك. ومحيط هذا العمل يترك لهوى الإنسان أو مزاجه ويخضع لميله وبواعثه. وهكذا يتشوّه الخلق ويساء تمثيل ديانة المسيح.

يوجد من يظنّون أنّ في خدمة الإنسانية المتألمة تحقيراً لكرامتهم. وكثيرون ينظرون إلى من قد جعلوا هيكل النفس خرابا باحتقار وغير اكتراث. وآخرون يهملون الفقراء مدفوعين بدافع مختلف. إنّهم يخدمون، حسب اعتقادهم، في عمل المسيح لكي يقيموا مشروعا مستحقا، فهم يحسّون بأنهم عاملون عملا عظيما ولا يستطيعون التوقف للنظر في احتياجات المعوزين والمتضايقين. ففي التقدم بعملهم الذي يظنون انه عظيم يظلمون المساكين ويسحقونهم. وقد يضعونهم في ظروف شاقة قاسية ويجردونهم من حقوقهم أو يهملون حاجاتهم. ومع ذلك فهم يحسّون بأنّ هذا كله مشروع لأنهم يعملون على تقدم عمل الله كما يظنّون.

وكثيرون يتركون أخا أو قريبا ليكافح ضدّ ظروف معاكسة دون أن يجد عونا من أحد. فلكونهم يعترفون بأنهم مسيحيون فهذا قد يجعله يظنّ أنّهم في أنانيتهم الفاترة يمثلون المسيح. فلأن من يعترفون بأنهم خدام الرب غير متعاونين معه فإنّ محبة الله التي يجب أن تفيض منهم تتقطع بدرجة عظيمة ويحرم منها بنو جنسهم. ثم يمنع جانب كبير من الحمد والشكر من أن يرفع من القلوب والألسن البشرية الفائضة بهما إلى الله. فهو يسلب المجد اللائق

لاسمه القدوس. وتُسلب منه النفوس التي قد مات المسيح لأجلها، النفوس التي يتوق للإتيان بها إلى ملكوته ليعيشوا في حضرته مدي دهور الأبد.

إنّ الحقّ الإلهي لا يُحدث إلاّ تأثيرا ضئيلا في العالم في حين كان يجب أن يُحدث تأثيرا عظيما بفضل ممارستنا إيّاه. إنّ مجرد الاعتراف بالديانة كثير، ولكنّ أكثرَه لا قيمة له. فيمكننا أن ندّعي أننا تلاميذ المسيح، وأن ندّعي بأننا نؤمن بكل حق وارد في كلمة الله. ولكن هذا لن يفيد أقرباءنا شيئا ما لم ننفّذ ما نعتقده في حياتنا اليومية. وقد يرتفع الاعتراف إلي عنان السماء، ولكنه لن يخلص نفوسنا أو بني جنسنا ما لم نكن مسيحيين بالحق. إنّ المثال الصالح يحقق منافع للعالم اكثر من كل اعترافنا.

الأعمال الأنانية لا يمكنها أبدا أن تخدم ملكوت الله. إنّ ملكوته هو ملكوت المظلومين والفقراء. ففي قلوب المعترفين بأنهم تلاميذه توجد حاجة إلى عطف المسيح الرقيق - ومحبة أعمق لمن قد قدرهم أعظم تقدير بحيث بذل نفسه لأجل خلاصهم. هذه النفوس غالية جدا، وأغلى بكثير من أية ذبيحة يمكننا أن نقدمها إلى الله. إنّ كوننا نبذل أعظم قوى نشاطنا لنجاح عمل يبدو عظيما في حين أننا نهمل المعوزين أو نصدّ الغريب عن أخذ حقه ليس خدمة يمكن أن تظفر برضى الله واستحسانه.

إنّ تقديس النفس بعمل الروح القدس هو غرس طبيعة المسيح في القلب البشري. إنّ دين الإنجيل هو المسيح في الحياة - وهو مبدأ حيّ عامل. إنّه نعمة المسيح الظاهرة في الخلق والمثمرة في الأعمال الصالحة. إنّ مباديء الإنجيل لا يمكن فصلها عن دائرة الحياة العملية. وكل فرع من فروع الاختبار والعمل المسيحي يجب أن يكون صورة تمثل حياة المسيح.

المحبة هي أساس التقوى. فمهما يكن نوع الاعتراف فلا يمكن أن يكون لإنسان محبة طاهرة لله ما لم يحب أخاه محبة خالية من الأنانية.

ولكن لا يمكننا امتلاك هـذه الـروح بواسـطة جـهدنا في محبـة الآخريـن. فـالذي نحتاجـه هـو محبـة المسـيح في القلـب. فعندمـا تندمـج الـذات في المسـيح فالمحبـة تنبثـق مـن تلقـاء ذاتـها. ويمكـن بلـوغ الكمـال في الخلـق المسـيحي عندمـا ينبثـق مـن الداخـل الـوازع علـى مسـاعدة الآخريـن ومباركتـهم بـلا انقطاع وعندما يملأ القلبَ ضياءُ السماءِ ويظهر علـى الوجـه.

إنّ القلب الذي يسكنه المسـيح يستحيل عليـه أن يكـون خاليـا مـن المحبـة. فإذا أحببنا الله لأنّه هـو أحبنا أولا فسنحب كـل مـن قـد مـات المسيح لأجلـهم. ولا يمكننـا ملامسـة اللاهـوت دون أن نلامـس الناسـوت، لأن ذاك الجـالس علـى عـرش الكـون فيـه يتحـد اللاهـوت بالناسـوت. فـإذ نرتبـط بالمسيح نرتبـط ببـني جنسـنا بحلقـات سلسـلة المحبـة الذهبيـة. حينئـذ تظـهر في حياتنـا شـفقة المسـيح وحنانـه. لـن ننتظـر حتـى يؤتـي إلينـا بالمحتـاجين والتعسـاء ولـن نحتـاج إلى أن يستعطفنا أحـد لنحـسّ ببلايـا الآخريـن. بـل في خدمتنـا للمحتـاجين والمتـألمين سـتكون أمـرا طبيعيـا بالنسـبة إلينـا كمـا كـانت بالنسـبة إلى المسـيح حـين كـان يجـول يصنـع خـيرا.

فأينمـا يوجـد وازع للمحبـة والعطـف. وأينمـا يسـعى القلـب ليبـارك الآخريـن ويرفعـهم هنـاك يعلـن عمـل روح الله القـدوس. وفـي أعمـاق الوثنيـة حـدث أنّ أناسـا لم يكونـوا يعرفـون شـيئا عـن شـريعة الله المكتوبـة، ولا سمعـوا قـط اسـم المسيح كـانوا لطفـاء تجـاه خدامـه وحفظوهـم مخـاطرين في ذلـك بحياتـهم. فأعمالهم تلك ترينا عمل القوة الإلهية. لقد غـرس الـروح القـدس نعمـة المسـيح في قلـب الإنسـان الوحشـي محييـا عواطفـه علـى نقيـض طبيعتـه وتربيتـه. النـور الحقيقـي الـذي ينير كـل إنسـان آتيـا إلى العـالم» (يوحنـا ١: ٩) ينـير خفايـا نفسـه، وهـذا النـور إذا انتبه إليـه سـيقوّم قدميـه إلى ملكـوت الله.

إنّ مجد السماء هو في إقامة الساقطين وتعزية المحزونين المتضايقين. وأينما يسكن المسيح في القلوب فهو سيعلن بنفس هذه الطريقة . وديانة المسيح لابدّ أن تبارك أينما تعمل. وأينما تعمل فهناك الضياء والصفاء.

إنّ الله لا يعترف بأي تمييز من ناحية القومية أو الجنس أو الطبقات. فهو خالق كل الجنس البشرى فالجميع هم أفراد أسرة واحدة بالخلق والجميع واحد بالفداء. ولقد جاء المسيح لينقض كل حائط فاصل، وليفتح كل أقسام الهيكل لكي يمكن لكل نفس أن تقترب إلى الله بحرية. إنّ محبته عريضة جدا وعميقة جدا وكاملة جدا بحيث تنساب في كل مكان. وهي ترفع من دائرة الشيطان النفوس المسكينة التي قد انخدعت بتمويهاته وهي تضعها قرب عرش الله، العرش المحاط بقوس قزح الوعد.

«وفي المسيح لا يهودي ولا يوناني ولا عبد ولا حر فالجميع صاروا قريبين بدم المسيح» (غلاطية ٣: ٢٨: أفسس ٢: ١٣).

فمهما يكن الاختلاف في العقيدة الدينية فإنّ النداء الصادر من الإنسانية المتألمة يجب أن يسمع ويجاب. وحيث يكون الشعور بالبغضة مراً بسبب الخلاف في الدين فيمكن عمل خير كثير بالخدمة الفردية. إنّ خدمة المحبة تحطم التعصّب وتهدمه وتربح نفوسا لله.

ونحن يجب أن نتوقع الأحزان والصعوبات والاضطرابات من الآخرين. فيجب أن ندخل إلى أفراح وهموم العال والدون، الأغنياء والفقراء. وقد قال المسيح: «مجانا أخذتم مجانا أعطوا» (متى ١٠: ٨). فكل من حولنا نفوس مسكينة مجرّبة وتحتاج إلى كلمات العطف وأعمال العون. فتوجد أرامل يحتجن إلى العطف والمساعدة. كما يوجد يتامى أمر المسيح تابعيه أن يقبلوهم كأمانة مسلمة لهم من الله. وفى أغلب الأحيان يمرّ الناس على هؤلاء ويهملونهم. وقد يكونون رثّي الثياب وخشني الطباع، ويبدو انهم

منفردون في كل شيء، ولكنهم مع كل ذلك خاصة الله. لقد اشتروا بثمن، وهم أعزاء في نظره مثلنا تماما. وهم أفراد في أسرة الله العظيمة، المسيحيون كوكلاء لله مسؤولون عنهم. وهو يقول: دمه من يدك أطلبه.

إنّ الخطية هي أعظم كل الشرور، وواجبنا أن نشفق على الخاطيء ونساعده. ولكن لا يمكن الوصول إلى الجميع بنفس الطريقة. فيوجد كثيرون ممن يخفون جوع أرواحهم. هؤلاء يمكن مساعدتهم مساعدة عظيمة بكلمة رقيقة أو ذكري مشفقة. ويوجد آخرون ممن هم في أشد الحاجة ومع هذا فهم لا يعرفون ذلك. فهم يدركون فاقة النفس المخيفة. وكثيرون قد غاصوا إلى أعماق الخطية بحيث قد أضاعوا الإحساس بالحقائق الأبدية، وأضاعوا صورة الله ولا يكادون يعرفون ما إذا كانت لهم نفوس يجب أن تخلص أم لا. فلا إيمان لهم بالله ولا ثقة بإنسان. كثيرون من هؤلاء يمكن الوصول إليهم فقط عن طريق أعمال الشفقة غير المغرضة. ويجب الاهتمام بسد حاجاتهم الجسدية أولا. فينبغي إطعامهم وتنظيفهم وإلباسهم لباس الحشمة فإذ يرون برهان محبتكم التي لا تعرف الأنانية فسيكون من السهل عليهم أن يؤمنوا بمحبة المسيح.

ويوجد كثيرون ممن يخطئون ويحسّون بخزيهم وعارهم. إنهم ينظرون إلى أخطائهم وغلطاتهم حتى ليكادون ينساقون مع تيار اليأس. فعلينا ألاّ نهمل هذه النفوس عندما يلتزم الإنسان أن يسبح عكس التيار، فكل قوة التيار تحاول أن تجرفه إلى الوراء. إذا فلتمتد إليه يد معينة كما قد امتدت يد الأخ الأكبر لإنقاذ بطرس من الغرق. حدّثه بكلام الرجاء، كلام يوطد ثقتَه ويوقظ محبتَه.

إنّ أخاك السقيم الروح يحتاج إليك كما قد احتجت أنت إلى محبة أخيك. إنّه يحتاج لأن يعرف اختبار إنسان في مثل ضعفه. ويمكنه أن يعطف

عليه ويعينه. إنّ معرفتنا لضعفنا يجب أن تساعدنا على مساعدة إنسان آخر في حاجته المرة. فينبغي ألاّ نتجاوز أي إنسان متألم دون أن نحاول أن نقدم له التعزية التي نتعزّى بها من الله.

إنّ معاشرتنا للمسيح واتصالنا الشخصي بالمخلص الحيّ تمكنان العقل والقلب والنفس من الانتصار على الطبيعة الدنيا. أخبر الضال عن اليد المقتدرة التي ستسنده والإنسانية اللامتناهية في المسيح التي تعطف عليه. لا يكفيه أن يؤمن بالناموس والعنف - الأشياء التي لا ترفق ولا تسمع صرخة الاستنجاد. إنّه بحاجة إلى مصافحة يد دافئة، والثقة بقلب مفعم بالحنان. اجعل عقله يتركز في فكرة الحضور الإلهي إلي جانبه دائما، إذ ينظر الرب إليه في رفق وحب. اجعله يفكر في قلب الآب الذي تحزنه الخطية، ويد الآب التي لا تزال ممتدة، وصوت الآب وهو يقول: «يتمسك بحصني يصنع صلحا معي. صلحا يصنع معي» (إشعياء ٢٧: ٥).

فإذ تنشغل بهذا العمل فإنّ لك رفاقا لا تراهم عيون الناس. لقد كان ملائكة السماء إلى جوار السامري الذي اهتم بالغريب الجريح. وإنّ الملائكة القادمين من السماء يقفون إلى جانب كل من يخدم الله بخدمة بني جنسه. بل أن المسيح نفسه يتعاون معك. إنّه الشافي وإذ تخدم تحت إشرافه ستري نتائج عظيمة.

فعلى أمانتك في هذا العمل يتوقف ليس خير الآخرين فحسب بل مصيرك الأبدي أيضا. إنّ المسيح يجتهد في أن يقيم كل من يريد أن يرتفع إلى معاشرته لنكون واحدا معه كما انه واحد مع الآب. إنّه يسمح لنا بالاقتراب من الآلام والبلايا لكي يخرجنا من نطاق الأنانية. وهو يحاول أن ينمي فينا سجايا خلقه - كالحنان والرقة والمحبة. فإذ نقبل عمل هذه

الخدمة فإننا ننتظم في مدرسته لنكون مؤهلين لمساكن الله. أما إذا رفضناها فإنما نرفض وصيته ونختار الانفصال بعيدا عن وجهه إلى الأبد.

إنّ الرب يعلن قائلا : «إن حفظت شعائري أعطيك مسالك بين هؤلاء الواقفين» - أي بين الملائكة المحيطين بالعرش (زكريا ٣ : ٧). فإذ نتعاون مع الخلائق السماوية في عملهم على الأرض فإننا نتأهب لمعاشرتهم في السماء «أروحا خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عبرانيين ١: ١٤)، «والملائكة في السماء سيرحبون بمن حين كانوا على الأرض عاشوا لا ليُخدَموا بل ليَخْدِموا» (متى ٢٠ :٢٨). وفي هذه المصاحبة المباركة ممّا يفرحنا إلى الأبد أننا سنتعلم كل ما كان مشتملا هذا السؤال : «من هو قريبي» ؟

٢٨ مجَازاة النـّعمَة

لقـد غـاب عـن أنظـار اليـهود حـق نعمـة الله المجانيـة. فلقـد علّـم المعلّمـون الشـعب أنّ رضـى الله ونعمتـه يجـب أن يُكتسـبا. وكـانوا يؤمّلـون أن يحصلـوا علـى مجـازاة الأبـرار بأعمـالهم. وهكـذا كـانت عبادتـهم تمـارس بـروح تجاريـة طامعـة. وحتـى تلاميـذ المسـيح أنفسـهم لم يكونـوا متحرريـن تمامـا مـن هـذه الـروح، وقـد انتـهز المخلّـص كـل فرصـة ليريـهم خطـأهم. وقبلمـا نطـق بمَثَـل الفعلة مباشرة حدث حادث أفسح له المجالَ ليقـدم لهـم المبـاديء السـليمة.

ففيما كـان سائرا في الطريـق جـاء رئيـس شـاب راكضـا وجثـا لـه وحيَّـاه بوقـار قـائلا لـه: «أيـها المعلـم الصـالح أي صـلاح أعمـل لتكـون لـي الحيـاة الأبديـة» ؟ (متـى ١٩: ١٦)

إنّ ذلك الرئيـس خـاطب المسيح علـى أنـه معلّـم مكـرم، دون أن يعـرف انّـه ابـن الله. فقـال لـه المخلـص: «لمـاذا تدعونـي صالحـا . ليـس أحـد صالحـا إلاّ واحـد وهـو لله» (متـى ١٩: ١٧). فكأنـه يقـول لـه: «علـى أي أسـاس تدعونـي صالحا» ؟ إنّ الله هـو وحـده الصـالح. فـإذا كنـت تعـترف بـأنني صـالح فيجـب أن تقبلني كابنه ونائبـه.

ثـم أضـاف يقـول: «إن أردت أن تدخـل الحيـاة فـاحفظ الوصايـا» (متـى ١٩: ١٧). إنّ صفـات الله موضحـة في شـريعته، فلكـي تكـون في وفـاق مـع الله يجـب أن تكـون مبادىء شريعته هـي نبع كـل أعمـالك.

إنّ المسـيح لا يقلـل مطـاليب الشـريعة. ولكنّـه بلغـة لا تخطـيء يقـدّم الطاعـة لها كشرط الحيـاة الأبديـة وهـو نفـس الشـرط الـذي طُلِـب مـن آدم قبـل سـقوطه. والرب لا يتوقـع مـن النفـس الآن أقـل ممّـا توقـع مـن الإنسـان في الفـردوس، أي

الطاعة الكاملة والبرّ الذي لا عيب فيه. إنّ ما يطلب من الإنسان في عهد النعمة هو في نفس اتساع ما طلب من الإنسان الأول في عدن - أي التوافق مع شريعة الله التي هي مقدسة وعادلة وصالحة.

فإذ قال له السيد «احفظ الوصايا» أجاب الشاب قائلا: «أيّة الوصايا» ؟ (متى ١٩: ١٨) فقد حسب أنّ المقصود هو فرضٌ طقسي، أمّا المسيح فكان يتحدث عن الشريعة المعطاة في سيناء. ثم ذكر له عدة وصايا مما كان مكتوبا على اللوح الثاني من الوصايا العشر. ثم أجملها كلها في وصية واحدة: «أحب قريبك كنفسك» (متى ١٩: ١٨و١٩).

فأجابه الشاب قائلا بدون تردد : «هذه كلها حفظتها منذ حداثتي فماذا يعوزني بعد» ؟ (متى ١٩: ٢٠). إنّ فهمهم للشريعة كان خارجيا وسطحيا. فمن وجهة نظر الحكم بالقياس البشري كان خلُقه نقيا لا شائبةَ فيه. وكانت حياته الخارجية خالية من الذنوب إلى حد كبير، وفي الواقع انّه ظن أنّ طاعته كانت بلا عيب. ومع ذلك فقد كان في قلبه خوف خفيّ من أنّ كل شيء لم يكن على ما يرام بينه وبين الله. هذا جعله يقدّم سؤاله القائل: «ماذا يعوزني بعد» ؟

فقال له المسيح: «إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا لأنّه كان ذا أموال كثيرة» (متى ١٩: ٢١و٢٢).

إنّ من يحب نفسه هو متعدّ على الشريعة. هذا ما أراد يسوع أن يعلنه للشاب فقدّم له امتحانا يمكن أن يكشف عن أنانيةِ قلبه. فأراه مكان العيب في خلُقه. ولم يطلب الشاب أن يحصل على نورٍ اكثرَ. لقد أقام في قرارة نفسه صنما يخرّ أمامه ساجدا. فقد كان العالم هو إلهه. لقد ادّعى أنّه قد حفظ الوصايا، ولكنه كان يفتقر إلى المبدأ الذي هو روح وحياة كل الوصايا.

فلم تكن في قلبه محبة صادقة لله أو للإنسان. فالافتقار إلى هذا كان افتقارا إلى كل شيء يؤهله لدخول ملكوت السموات. فإذ كان محبا لذاته وللربح العالمي كان في حالة عدم توافق مع مباديء السماء.

عندما أتى هذا الرئيس الشاب إلى يسوع استمال إخلاصه وغيرته قلب المخلص إليه: «نظر إليه يسوع وأحبه» (مرقس ١٠: ٢١). فقد رأي في هذا الشاب إنساناً يمكن أن يقدم خدمة ككارز للبر. كان يمكنه أن يقبل هذا الشاب الموهوب النبيل باستعداد كما قد قبل الصيادين المساكين الذين تبعوه. فلو أنّ الشاب كرّس موهبته لعمل خلاص النفوس لصار خادما للمسيح مجدّاً وناجحاً.

ولكن عليه أوّلا أن يقبل شروط التلمذة. عليه أن يسلّم نفسه لله في غير تحفّظ. إنّ يوحنا وبطرس ومتى ورفقاءهم عندما سمعوا دعوة المخلص تركوا كل شيء وقاموا وتبعوه (لوقا ٥: ٢٨). ونفس هذا التكريس كان مطلوبا من الرئيس الشاب. وفي هذا لم يسأله الإقدام على تضحية اعظم مما فعل هو نفسه الذي «من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا انتم بفقره» (٢كورنثوس ٨: ٩). لم يكن على الشاب إلاّ أن يتبع المسيح في الطريق الذي أرشده.

نظر المسيح إلى الشاب واشتاق إلى نفسه. كان يتوق إلى أن يرسله كرسول بركة للناس. وفي مكان ما طلب منه المسيح أن يتنازل عنه قدّم له امتياز صحبته ومشاركته. قال له: «اتبعني». إنّ بطرس ويعقوب ويوحنا اعتبروا هذا الامتياز فرحا. والشاب نفسه نظر إلى المسيح بإعجاب، فقد انجذب قلبه إلي المخلص. إلاّ أنّه لم يكن مستعدا لقبول مبدأ التضحية الذي طلبه المخلص. لقد فضل غناه على يسوع. نعم انه كان يريد الحياة

الأبدية ولكنه لم يرد أن يقبل في نفسه تلك المحبة الخالية من الأنانية التي هي وحدها الحياة، وبقلب حزين مضى تاركا المسيح.

فلما مضى الشاب قال يسوع: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله» (مرقس ١٠: ٢٣). هذا الكلام ادهش التلاميذ. فلقد تعلّموا أن ينظروا إلى الأغنياء على انهم محاسيب السماء، وكانوا هم أنفسهم يرجون أن يحصلوا على السلطان والغنى العالمي في ملكوت مسيّا، فاذا كان الأغنياء سيخيبون من دخول الملكوت فأي رجاء يبقى لباقي الناس؟

«فأجاب يسوع أيضا وقال لهم يا بنيّ ما أعسر دخول ذوي الأموال (المتكلين على الأموال) إلى ملكوت الله. مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله. فبهتوا إلى الغاية» (مرقس ١٠: ٢٤-٢٦). وها هم الآن يدركون أنّ ذلك الإنذار الخطير يشملهم هم أنفسهم. وفي نور أقوال المخلص انكشف شوقهم الخفي إلى السلطان والغنى. ففي شكهم من جهة أنفسهم تعجبوا قائلين : «فمن يستطيع أن يخلص»؟ (مرقس ١٠: ٢٦).

«فنظر إليهم يسوع وقال عند الناس غير مستطاع. ولكن ليس عند الله. لأن كل شيء مستطاع عند الله» (مرقس ١٠: ٢٧).

إنّ إنسانا غنيا كهذا لا يقدر أن يدخل السماء. فأمواله لا تعطيه حقا يؤهله لشركة ميراث القديسين في النور. إنما فقط بواسطة نعمة المسيح التي لا استحقاق لأحد فيها يتيح لأي إنسان أن يجد دخولا إلى مدينة الله.

إنّ كلام الروح القدس موجّه إلي الغني كما إلى الفقير حين يقول: «إنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن» (١كورنثوس ٦: ١٩و٢٠). فعندما يؤمن الناس بهذا فإن أموالهم تكون بين أيديهم على أنها أمانة لتستخدم فيما يأمر به الله لأجل خلاص الهالكين وتعزية المتألمين والفقراء.

هذا غير مستطاع عند الناس لأن القلب يتعلق بكنوزه الأرضية. فالنفس المقيّدة بخدمة المال آذانها صمّاء عن أن تسمع صرخة الحاجة الإنسانية. ولكن عند الله كلّ شيء مستطاع. فالقلب الأناني إذ ينظر إلى محبة المسيح الفريدة يلين ويخضع. وسيُقاد الإنسان الغني إلى أن يقول مع شاول الفريسي: «ما كان لي ربحا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي» (فيلبي ٣: ٧و٨). حينئذ لن يعتبروا شيئا ملكا لهم.وسيفرحون إذ يعتبرون ذواتهم كوكلاء على نعمة الله المتنوعة ولأجل اسمه يصيرون خداما لكل الناس.

وقد كان بطرس أوّل من استردّ قواه من الاقتناع الذي أحدثه كلام المخلّص. ففكر برضى وارتياح فيما قد تركه هو واخوته لأجل المسيح. ثم قال: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك فإذ تذكّر وعد المسيح المشروط الذي قدمه للرئيس حين قال له: فيكون لك كنز في السماء سأل المسيح حينئذ عن ماذا سيكون له هو ورفاقه من جزاء لتضحياتهم.

فهزّ جواب المخلص أوتار قلوب صيادي الجليل أولئك. فقد صور لهم الأمجاد التي حقّقت أسمى أحلامهم إذ قال لهم: الحق أقول لكم إنكم انتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون انتم أيضا على اثني عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر ثم أضاف قوله: «وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولا من اجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية» (متى ١٩: ٢٧-٢٩).

إلاّ أن سؤال بطرس القائل: «ماذا سيكون لنا» ؟ (متى ١٩: ٢٧) كشف عن روح كانت كفيلة بأن تجعل التلاميذ غير مؤهلين لأن يكونوا رسل

المسيح ما لم تُعالج تلك الروح وتُصلح، لأنها كانت روح الأجير. إنّ التلاميذ في حين انّهم كانوا قد اجتُذبوا بمحبة يسوع لم يكونوا قد تحرروا تماما من الروح الفرّيسية. فقد كانوا يعملون بفكرة استحقاقهم للجزاء بنسبة تعبهم. لقد احتضنوا روح تمجيد النفس والرضى عن النفس وجعلوا يقارنون بين بعضهم البعض. وعندما كان أحدهم يفشل في أي شيء كان الآخرون يغرقون في مشاعر التفوق.

ولكن حتى لا تغيب عن عقول التلاميذ مباديء الإنجيل أورد لهم المسيح مثلا فيه شرح لهم الكيفية التي بها يتعامل الله مع خدامه، والروح التي يريدهم أن يخدموه بها.

فقال لهم: «ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمة» (متى ٢٠: ١). كان من عادة من يطلبون عملا أن ينتظروا في السوق حيث كان يذهب المؤجرة ليجدوا من يخدمون. إنّ الرجل المذكور في المثل مصوّر على انه خرج ساعات مختلفة بحثا عن فعلة. والذين استؤجروا في ساعات الصباح الباكرة اتفقوا علي أن يعملوا مقابل اجر معلوم، أما الذين بدأوا في الشغل بعد ذلك فقد تركوا تقدير أجرهم لفطنة رب البيت

«فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله. ادعُ الفعلة واعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين إلى الأولين. فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارا دينارا. فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون اكثر. فاخذوا هم أيضا دينارا دينارا» (متى ٢٠: ٨-١٠).

إنّ معاملة رب البيت للفعلة الذين اشتغلوا في كرمه تمثل لنا معاملة الله للأسرة البشرية. فهي على نقيض العادات الشائعة بين الناس. ففي الأشغال العالمية تُعطى الأجرة على قدر ما أُنجز من العمل. فالعامل يتوقع أن يأخذ

فقط أجرة عمله الذي يستحقه. ولكن المسيح في هذا المثل كان يشرح مباديء ملكوته - الملكوت الذي ليس من هذا العالم. إنّه لا يخضع لأي مقياس بشري. فالرب يقول: «أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي ... لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إشعياء ٥٥: ٨و٩).

في هذا المثل نجد أنّ الفعلة الأولين اتفقوا على أن يشتغلوا مقابل مبلغ متفق عليه وقد أخذوا ذلك المبلغ المخصص لا أكثر. أمّا الذين أُجّروا بعد ذلك فصدقوا وعد السيد حين قال له: «فتأخذوا ما يحق لكم» (متى ٢٠: ٧). وقد برهنوا على ثقتهم فيه إذ لم يسألوه شيئا عن الأجرة. لقد وثقوا في عدالته وإنصافه. وقد كوفئوا لا على قدر كمية الشغل الذي قاموا به بل بحسب سخائه في قصده.

وهكذا الله يريدنا أن نثق بمن يبرر الفاجر. فهو يعطي الأجرة لا على قدر استحقاقنا بل على حسب قصده: «الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا» (أفسس ٣: ١١)، «لا بأعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا» (تيطس ٣: ٥). وللذين يثقون به هو سيفعل «أكثر جدا مما نطلب أو نفتكر» (أفسس ٣: ٢٠).

فالذي يجعل العمل ذا قيمة في نظر الله ليس هو كمية العمل الذي نقوم به أو نتائجه المنظورة بل هو الروح التي بها نعمل العمل. إنّ الذين أتوا إلى الكرم في الساعة الحادية عشرة كانوا شاكرين على الفرصة المقدمة لهم للعمل. وقد امتلأت قلوبهم امتنانا لمن قد قبلهم. وعندما أعطاهم ربّ البيت أجر عمل يوم كامل اندهشوا جدّا. لقد عرفوا انّهم لا يستحقون مثل ذلك الأجر. كما أنّ امائر الحنان التي ارتسمت على وجه مستخدمهم ملأتهم فرحاً. إنّهم لم ينسوا قط صلاح رب البيت أو الأجر السخي الذي قد

أخـذوه وهكـذا الحـال مـع الخـاطيء الـذي مـع علمـه بعـدم اسـتحقاقه دخـل كـرم السيد في السـاعة الحاديـة عشـرة. إنّ وقـت خدمتـه قصـير جـدا بحيـث لا يـري نفسـه مسـتحقّاً لأيـة أجـرة، ولكـن قلبـه مفعـم بـالفرح لأنّ الله قـد قبلـه. إنّـه يخـدم بـروحٍ متواضعةٍ واثقةٍ، وهـو شـاكر علـى امتيـاز حسـبانه شـريكا للمسـيح في عمله. والله يسر بأن يكرم هذه الـروح.

إنّ الـرب يريدنـا أن نسـتريح فيـه بـدون سـؤال عـن مقـدار أجرتنـا. وعندمـا يسكن المسيح في النفس فإنّ فكـرة الأجـر لـن تكـون أهـم مطلـب. فـهذا ليـس الباعث الـذي يحرّكنا للخدمة. نعـم إننـا بمعنـى ثـانوي علينـا أن نحـترم تعويـض الأجـرة. فـالله يريدنـا أن نقـدر البركـات الـتي وعدنـا بـها. ولكنـه لا يريدنـا أن نكـون مشـتاقين إلى أجورنـا ولا أن نحـس أننـا يجـب أن نـأخذ تعويضـا عـن كـل واجـب نؤديـه. وينبغـي ألاّ تكـون رغبتنـا في الحصـول علـى الأجـر قـدر رغبتنـا في عمل الحق بغض النظر عـن الربـح. فيجـب أن يكـون باعثنـا هـو المحبـة لله ولبعضنا البعـض.

ولكـن هـذا المثـل لا يتسـامح مـع مـن يسـمعون الدعـوة الأولى ولكنـهم يـهملون الدخـول في كـرم الـرب. فعندمـا ذهـب رب البيـت إلـي السـوق في السـاعة الحاديـة عشـرة ووجـد رجـالا بطـالين قـال لهـم: لمـاذا وقفتـم هـهنا كـل النـهار بطـالين فقـالوا لـه : «لأنـه لم يسـتأجرنا أحـد» (متـى ٢٠: ٦و٧). إنّـه ولا واحـد ممّـن دُعـوا في أواخـر النـهار كـان موجـودا في الصبـاح. فلـم يسـبق لهـم أن رفضـوا الدعـوة. فـالذين يرفضـون وبعـد ذلـك يندمـون يفعلـون حسـنا إذ يندمـون، ولكـن لا أمـان لمـن يسـتخفّ بدعـوة الرحمـة الأولى.

وعندمـا أخـذ الفعلـة الذيـن عملـوا في الكـرم «دينـارا دينـارا» (متـى ٢٠: ٩و١٠) فـالذين بـدأوا العمـل بـاكرا في النـهار اسـتاءوا. ألم يشـتغلوا اثنـتي عشـرة ساعة؟ هكـذا تسـاءلوا، أو ليـس مـن العـدل أن يـأخذوا أجـرا أكـثر ممـن اشـتغلوا

ساعة واحدة في الوقت الذي فيه خفت الحرارة ؟ فقالوا : «هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر» (متى ٢٠: ١٢).

فقال رب البيت لواحد منهم : «يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معي على دينار. فخذ الذي لك واذهب فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحلّ لي أن أفعل ما أريد بمالي. أم عينك شريرة لأني أنا صالح».

«هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين. لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون» (متى ٢٠: ١٣-١٦)

إنّ الفعلة الأولين المذكورين في المثل يمثلون من يدّعون الأفضلية على غيرهم بسبب خدماتهم. إنّهم يشرعون في العمل بروح فيها يهنئون أنفسهم ولكنهم لا يدخلون في العمل روح إنكار الذات والتضحية. ربما يَّدعون انهم قد خدموا الله مدى حياتهم. وقد يكونون في مقدمة من احتملوا المشقات والعوز والتجارب ولذلك يظنّون أنفسهم مستحقين لأجر كبير. إنّهم يفكرون في الأجرة أكثر من تفكيرهم في امتياز كونهم خداما للمسيح. وهم يفكرون في أن تعبهم وتضحياتهم تؤهلهم للحصول على كرامة أكثر من غيرهم. ولكون هذا الادّعاء غير مُعترَف به يغضبون. فلو أدخلوا في عملهم روحاً محبةً واثقةً لكانوا يظلون في المقدمة. ولكن ميلهم إلى المشاكسة والتشكّي لا يمتّ إلي المسيحية بصلة ويبرهن على أنّهم غير أهل للثقة. وهذا يكشف عن رغبتهم في أن يكونوا متقدمين، وعلي عدم ثقتهم بالله، وروحهم الحسود الحقود على اخوتهم. إنّ صلاح الرب وكرمه هو بالنسبة إليهم فرصة للتذمر. وبهذا يبرهنون على أنّه لا توجد صلة بين نفوسهم وبين الله. وهم لا يعرفون فرح التعاون مع الخادم الأعظم.

لا يوجد شيء يكرهه الله اكثر من هذه الروح المتزمتة التي لا تكترث لغير نفسها. وهو لا يمكنه أن يعمل أو يتعاون مع أي إنسان تبدو منه هذه الصفات. فهو لا يحسّ بعمل روح الله.

لقد كان اليهود أول من دُعوا إلى كرم الرب ولهذا كانوا متكبرين وأبرار في أعين أنفسهم. وقد اعتبروا أنّ سني خدمتهم الطويلة تؤهلهم للحصول على أجر أكثر من غيرهم ولم يكن ما يثيرهم قدر إبلاغهم بأنّ الأمم سيسمح لهم بالحصول على امتيازات تساوي امتيازاتهم في أمور الله.

وقد حذر المسيح التلاميذ الذين كانوا أول من دعاهم ليتبعوه لئلا يُبقوا على نفس ذلك الشرّ فيما بينهم. وقد رأى أنّ الضعف الذي هو لعنة الكنيسة هو روح البرّ الذاتي فالناس يظنون أنّه يمكنهم أن يفعلوا شيئا به يستحقون مكاناً في ملكوت السموات. وقد يتصورون انهم عندما يحرزون بعض التقدم فالرب سيتقدم لمعونتهم. وهكذا يكون الجانب الأكبر من الثقة في الذات والجانب الأصغر في يسوع. وكثيرون ممن قد أحرزوا قليلا من النجاح قد ينتفخون ويظنون أنفسهم افضل من غيرهم. وقد يتوقون إلي التملق ويأكل الحسد قلوبهم إذا لم يفتكر الناس فيهم انهم أهمّ بكثير من غيرهم. والمسيح يحاول أن يحمي تلاميذه من هذا الخطر.

إنّه لا يوجد مجال لأن نفتخر باستحقاق في ذواتنا: «لا يفتخرن الحكيم بحكمته ولا يفتخر الجبار بجبروته ولا يفتخر الغني بغناه. بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفني أنّي أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلا في الأرض لأنّي بهذه أسر يقول الرب» (أرميا ٩: ٢٣و ٢٤).

والأجرة ليست من الأعمال كي لا يفتخر آخر بل الكلّ من النعمة: «فماذا نقول إن أبانا ابراهيم قد وُجد حسب الجسد. لانه إن كان ابراهيم قد تبرّر بالأعمال فله فخر. ولكن ليس لدي الله. لأنه ماذا يقول الكتاب.

فآمن إبراهيم بالله فحُسب له برّا. أمّا الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة علي سبيل نعمة بل علي سبيل دين. وأمّا الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له برّا» (رومية ٤: ١-٥). لذلك لا مجال لان يفتخر أحد علي آخر أو يحقد على آخر. لا يوجد أحدٌ مفضّل على آخر ولا لأحد أن يدّعي أن الأجرة هي من حقه.

فالأولون والآخرون سيكون لهم نصيب في الأجرة العظيمة الأبدية، ويجب على الأولين أن يرحبوا بالآخرين بسرور. فالذي يحقد على الآخر لحصوله على الأجرة ينسى انه هو نفسه مخلص بالنعمة وحدها. أن مثل الفعلة توبيخ لكلّ حسد وشكّ. إن المحبة تفرح بالحق ولا تقرّ أية مفارقات حسودة. إنّ من عنده محبة يقارن فقط بين جمال المسيح وبين نقص أخلاقه هو.

هذا المثل هو إنذار لكل الخدام مهما طالت خدمتهم ومهما كثر عملهم وتعبهم، حتى انّهم إذا لم يكونوا محبين لإخوتهم وليسوا متواضعين أمام الله فليسوا شيئا. ليس هنالك دين في تربّع الذات على العرش. فالذي يجعل تمجيد الذات هدفه يجد انّه مجرّد من تلك النعمة التي تستطيع وحدها أن تجعله كفوءا في خدمة المسيح. فكلما انغمس الإنسان في الكبرياء والرضى بالذات يُفسد العمل.

إنّ ما يجعل خدمتنا مقبولة لدى الله ليس هو طول مدة الخدمة بل هو استعدادنا للقيام بها عن طيب خاطر وولاؤنا. ففي كل خدمتنا يطلب منا تسليم الذات تسليما كاملاً. إنّ اصغر واجب نؤديه بروح الإخلاص ونسيان الذات هو مرضيّ أكثر لدى الله من اعظم عمل يفسده طلب ما للذات. إنّه ينظر ليرى مقدار ما فينا من روح المسيح ومقدار ما يظهر عملنا من صورة

المسيح. إنّه يعتبر المحبة والأمانة اللتين بهما تعمل أكثر من كمية العمل الذي ننجزه

إنّما فقط عندما نُميت الأنانية، وعندما نقضي على التنازع لأجل السلطة والسيادة، وعندما يمتلىء القلب بروح الشكر وعندما تُعطّر المحبة الحياة - حينئذ فقط يكون المسيح ساكنا في النفس ويُعتَرَفُ بأننا عاملون مع الله

إنّ الخدام الأمناء لا يعتبرون خدمتهم عناء مهما تكن شاقة أو مضنية. فهم مستعدون لأن ينفقوا وينفقوا، ولكنّه عمل مسرّ يُعمَل بقلوب فرحة. فهم يُعبّرون عن فرحهم بالله بيسوع المسيح. فسرورهم هو السرور الموضوع أمام المسيح - «أنْ أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله» (يوحنا ٤:٣٤). فهم متعاونون مع رب المجد. هذا الفكر يجعل كل تعب حلواً ويشدّد الإرادة ويقوّي الروح لمواجهة كل ما يصيبنا. إنهم إذ يخدمون بقلوب خالية من الأنانية، وقد سمت لأنهم شركاء المسيح في آلامه، وشركاءه في عواطفه وإذ يتعاونون معه في عمله فإنّهم يساعدون في بهجة قلبه وتقديم الكرامة والحمد لاسمه الممجد.

هذه هي روح كل خدمة أمينة تقدم لله. وبسبب انعدام هذه الروح كثيرون ممّن يبدو أنّهم أولون يصيرون آخرين، في حين أنّ من عندهم هذه الروح مع انّهم يحسبون آخرين يصيرون أولين.

يوجد كثيرون ممّن قد سلّموا ذواتهم للمسيح، ومع ذلك لا يجدون فرصة فيها يعملون عملا عظيما أو يُقدمون على تضحيات عظيمة في خدمته. أمثال هؤلاء يمكنهم أن يجدوا لأنفسهم العزاء في الفكر بانّ تسليم الشهيد لا يجعله بالضرورة أكثر قبولا لدى الله. فقد لا يكون المرسل الذي يواجه الخطر والموت كل يوم هو الأرفع منزلة في أسفار السماء. فالمسيحي الذي هو هكذا في حياته الخاصة في تسليمه لذاته كل يوم، وفي خلوص قصده

وطهارة فكره، وفي وداعته أمام الإثارة، وفي الإيمان والتقوى، وفي أمانته في القليل، والذي في حياته البيتية يمثل صفات المسيح - مثل هذا قد يكون أعظم في نظر الله من اشهر مرسلي العالم وشهدائه.

ما أبعد الفرق بين مقاييس الله ومقاييس الناس للخلُق. فالله يري تجارب كثيرة وجدت مقاومة ولم يعرف عنها العالم ولا حتى الأصدقاء الأقربون شيئاً - تجارب في البيت وفي القلب. وهو يري وداعة النفس أمام ضعفها، والتوبة الخالصة حتى عن فكر واحد شرّير. كما يرى التكريس القلبي لخدمته. وقد لاحظ ساعات الصراع المرير القاسي مع الذات - الصراع الذي كُلّل بالنصرة. كل هذا يعرفه الله والملائكة. يوجد سفر تذكرة مكتوب أمامه للذين اتّقوا الرب وللمفكرين في اسمه.

إنّ سرّ النجاح لا يوجد في علومنا أو مركزنا، لا في كثرة عددنا أو الوزنات المودعة بين أيدينا، ولا في مشيئة إنسان. فإذ نحسّ بعدم كفايتنا وعجزنا علينا أن نفكر في المسيح، وفيه الذي هو قوة كل قوة، وفكر كل فكر يحرز المستعدون والمطيعون نصرة بعد نصرة.

ومهما تكن خدمتنا قصيرة أو عملنا متواضعاً، فإذا اتبعنا المسيح بإيمان بسيط فلن نخيب من الأجرة. فما لا يستطيع حتى أعظم الناس أو أحكمهم أن يستحقّوه يمكن لأضعف الناس وأحقرهم أن ينالوه. إنّ باب السماء الذهبي لا يُفتح لمن يمجدون ذواتهم، ولا تُرفع ارتاجه للمتكبّري الروح. ولكن الأبواب الدهرية تفتح على رحبها أمام اللمسة المرتعشة من طفل صغير. وسيكون ثواب النعمة مباركا لمن قد خدموا الله في بساطة الإيمان والمحبة.

٢٩ لِلقَـاء العَريس

هاهو المسيح جالس مع تلاميذه فوق جبل الزيتون وقد غابت الشمس خلف الجبال فالتحفت السموات بغلاف من ظلال المساء. وأمامهم تماما بيت أضيئت فيه الأرض متألقة كما لو أن هناك احتفالا مبهجاً. والنور ينبثق من النوافذ، وهناك جماعة منتظرة حول الباب مما يدل على قرب ظهور موكب عرس. ففي كثير من بلدان الشرق تقام حفلات الأعراس في وقت المساء. والعريس يخرج لملاقاة عروسه والإتيان بها إلى بيته. والجماعة المرافقة للعروس تسير على نور المشاعل متقدمة من بيت أبيها إلي بيت العريس حيث تقام وليمة للضيوف المدعوين. وفي المشهد الذي يراه المسيح توجد جماعة منتظرة ظهور موكب العرس على نيّة الانضمام إلى الموكب.

وبالقرب من بيت العروس تقف عشر عذارى متسربلات بالحلل البيضاء. وكل منهنّ تحمل مصباحا منيرا أو آنية صغيرة للزيت. وكلّهن ينتظرون ظهور العريس بشوق. ولكنّ العريس يتأخّر. تمرّ ساعة بعد ساعة. فتنام العذارى المنتظرات وينمن. وفي نصف الليل يُسمع صراخ يقول: «هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه» (متى ٢٥: ٦). فإذ تصحو العذارى النائمات فجأة ينهضن على أقدامهن. إنّهن يرين الموكب سائرا وقد أشرقت فيه الأنوار وصدحت الموسيقى. وها هنّ يسمعن صوت العريس وصوت العروس. فتمسك العذارى العشر مصابيحهن ويصلحنها ليخرجن سريعا. ولكن خمسا منهن أهملن أن يملأن آنيتهن زيتا. إنّهن لم يكنّ يحسبن حساب هذا التأخّر الطويل فلم يتأهّبن لذلك الطارىء. ففي كربهنّ لجأن إلى رفيقاتهن الحكيمات قائلات: «أعطيننا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفيء» (متى ٢٥:

٨). أمّا الخمس العذارى المنتظرات فكـن قـد أفرغـن الزيـت مـن آنيتـهن بعدمـا أصلحـن مصابيحهـن. فلـم يتبـقَ معـهن زيـت ولذلـك يُجـبن صواحبـهن قـائلات: «لعلّه لا يكفـي لنا ولكُنّ بـل اذهـبن إلى الباعـة وابتعـن لكُـنّ» (متـى ٢٥: ٩).

وفيمـا هـنّ ذاهبـات ليبتَعْـن تقـدم الموكـب أمـا هـنّ فتخلّفـن أمـا الخمـس العــذارى ذوات المصـابيح المضـاءة فـانضممن إلى الموكـب ودخلـن البيـت مع موكب الفـرح وأُغلـق البـاب. وعندمـا وصلـت العـذارى الجـاهلات إلى بيـت الوليمـة لم يُسـمح لهـن بـالدخول علـى عكـس مـا كـنّ يتوقعـن. فقـد أعلـن صـاحب الوليمـة قـائلا لهـنّ: مـا أعرفكـنّ . فـتُرِكن واقفـاتٍ خارجـا في الشـارع الخالي من المارة وفي ظلمـة الليـل الداجيـة .

فـإذ جلـس المسـيح لـيرى تلـك الجماعـة المنتظـرة قـدوم العريـس أخـبر تلاميـذه بقصّـة العـذارى العشـر، وباختبـارهنّ شـرحن اختبـار الكنيسـة الـتي ستعيش قبيل مجيئه الثـاني.

إنّ الفريقـين المنتظريـن يمثّـلان الفريقـين اللذيـن سـيعترفان بأنـهما ينتظـران السـيد.إنـهما يُسـمّيان عـذارى لأنـهما يعترفـان باعتنـاق الإيمـان النقـي. والمصـابيح ترمـز إلى كلمـة الله. فـالمرنم يقـول: «سـراج لرجلـي كلامـك ونـور لسبيلي» (مزمـور ١١٩: ١٠٥). والزيـت رمـز إلى الـروح القـدس. وهكـذا نجـد أن الـروح يُرمز إليه في نبوة زكريا بـالقول: «فرجـع المـلاك الـذي كلمـني وأيقظـني كرجل أُوقظ مـن نومـه. وقـال لـي مـاذا تـرى. فقلـت قـد نظـرت وإذا بمنـارة كلّـها ذهـب وكوزها على رأسـها وسـبعة سـرج عليـها وسـبع أنـابيب السـرج الـتي علـى رأسـها. وعندهـا زيتونتـان إحداهمـا عـن يمـين الكـوز والأخـرى عـن يسـاره. فأجبت وقلت للملاك الذي كلمني قائلا ما هـذه يـا سـيدي... فأجـاب وكلمـني قـائلاً هـذه كلمـة الـرب إلى زربـابل قـائلاً لا بـالقدرة ولا بـالقوة بـل بروحـي قـال رب الجنـود... وأجبـت ثانيـة وقلـت لـه مـا فرعـا الزيتـون اللـذان بجـانب

الأنابيب من ذهب المفرّغان من أنفسهما الذهبي ... فقال هاتان هما ابنا الزيت الواقفان عند سيد الأرض كلها» (زكريا ٤: ١ - ١٤).

لقد أفرغ الزيت الذهبي من الزيتونتين في الأنابيب الذهبية ليصب في طاس المنارة ومنها إلى المصابيح الذهبية التي أنارت القدس. وهكذا بواسطة القديسين الواقفين في حضرته يعطى الله روحه للأداة البشرية المكرسة لخدمته. إن رسالة الممسوحين هي أن يوصلا إلى شعب الله تلك النعمة السماوية التي تستطيع وحدها أن تجعل كلمته سراجاً ونوراً لسبلنا: «لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود» (زكريا ٤: ٦).

إننا نجد في المثل أنّ العذارى العشر جميعهن خرجن للقاء العريس. وكانت معهن جميعاً المصابيح وأواني الزيت. وقد ظللن بعض الوقت وكأن لا فرق بينهن. وكذلك ستكون الحال مع الكنيسة التي ستكون موجودة قبيل المجيء الثاني للمسيح مباشرة. فالجميع يعرفون الكتب. وقد سمع الجميع الرسالة المنبئة بقرب مجيء المسيح وهم ينتظرون ظهوره بثقة. ولكن كما في المثل كذلك الحال الآن. فان فترة انتظار ستتوسط في ذلك الوقت ويُجرَّب الإيمان، وعندما يسمع الصراخ القائل: «هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه» سيكون كثيرون غير مستعدين. إذ لا يوجد زيت في آنيتهم مع مصابيحهم. انّهم محرومون من الروح القدس.

إنّ معرفة كلمة الله بدون روحه لا جدوى منها. ونظرية الحق ما لم يصحبها الروح القدس لا يمكنها أن تحيي النفس أو تقدس القلب. قد يكون الإنسان على علم ودراية بأوامر الكتاب المقدس ومواعيده ولكن ما لم يعمّق روح الله الحق في القلب فلن تتغير الأخلاق. وبدون إنارة الروح لن يستطيع الناس أن يميزوا الحق من الضلال فيسقطون في تجارب الشيطان البارعة.

إنّ الفريق الذي ترمز إليـه العـذارى الجـاهلات ليسـوا مرائـين. فـهم يقـدرون الحق وقد دافعـوا عـن الحـق وهـم يميلـون إلى مـن يؤمنـون بـالحق، لكنـهم لم يخضعـوا ذواتِـهم لعمـل الـروح. إنّـهم لم يسـقطوا علـى الصخـرة، المسيح يسـوع ولم يسـمحوا لطبيعتـهم القديمـة أن تنكسـر. وهـذا الفريـق يرمـز إليـهم أيضـاً السـامعون الذيـن تُشـبه قلوبـهم الأرض المحجـرة. إنّـهم يقبلـون الكلمـة حـالا ولكنّهم لا يسـتوعبون مبادئـها. فتأثـير الكلمـة لا يـدوم. إنّ الـروح يعمـل في قلـب الإنسـان بحسـب رغبـة الإنسـان ورضـاه غارسـاً فيـه طبيعـة جديـدة. ولكـنّ أفـراد الفريـق الذيـن ترمـز إليـهم العـذارى الجـاهلات اقتنعـوا بعمـل سـطحي. إنّـهم لا يعرفـون الله، إنّـهم لم يتـأملوا في صفاتـه ولا كـانت لهـم شـركة معـه، ولذلـك فـهم لا يعرفـون كيـف يثقـون، ولا كيـف ينظـرون إليـه ويحيـون. إن خدمتـهم لله تنحـط بحيـث تصـير أمـراً شـكلياً «يـأتون إليـك كمـا يـأتي الشـعب ويجلسـون أمـامك كشـعبي ويسـمعون كلامـك ولا يعملـون بـه لأنّـهم بأفواهـهم يظـهرون أشـواقاً وقلبـهم ذاهـب وراء كسبهم» (حزقيـال ٣٣: ٣١). والرسـول بولـس يشـير إلى أن هـذا سـيكون هـو الصفـة المميزة لمـن يعيشـون قبيـل المجـيء الثـاني للمسـيح. فيقـول: «إنّه في الأيـام الأخـيرة سـتأتي أزمنـة صعبـة لأن النـاس يكونـون محبـين لأنفسـهم ... محبـين للـذات دون محبـة لله لهـم صـورة التقـوى ولكنـهم منكـرون قوتـها» (٢ تيموثـاوس ٣: ١ – ٥).

هـؤلاء هـم الجماعـة الذيـن في وقـت الخطـر يقولـون سـلام وأمـان. انـهم يسكنون قلوبهم لتشـعر بالطمأنينـة ولا يحلمـون بـأي خطـر. وعندمـا يجفلـون مـن سـباتهم يسـتعيبون عوزهـم ويتوسّـلون إلى الآخريـن ليسـدوا تلـك الحاجـة، ولكـن في الشـؤون الروحيـة لا يمكـن لإنسـان إنّ يسـد نقـص إنسـان آخـر. إنّ نعمة الله قد قُدّمت مجاناً لكل نفس. وقد أذيعـت بشرى الإنجيـل تقـول: «مـن يعطش فليأت. ومن يُـرد فليـأخذ مـاء حيـاة مجانـاً» (رؤيـا ٢٢: ١٧) ولكـن الخلُـق لا يمكـن نقلـه أو إعارتـه. فـلا يمكـن أن يؤمـن إنسـانُ لإنسـانٍ آخـر، ولا يمكـن

لواحد أن يقبل الروح نيابة عن آخر. ولا يستطيع إنسان أن يُعطي لآخر الخلُق الذي هو ثمرة عمل الروح في قلبه: «وفى وسطها (وسط الأرض) نوح ودانيال وأيوب فحيّ أنا يقول السيد الرب انّهم لا يخلّصون ابناً ولا ابنةً. إنّما يخلّصون أنفسهم ببرّهم» (حزقيال ١٤: ٢٠).

الخلُق يظهر في الأزمات. فعندما أعلن الصوت الغيور في نصف الليل قائلاً: «هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه» واستيقظت العذارى النائمات من نومهن رُؤيَ من هنّ اللائي أعددن العدة لذلك الحادث. لقد أُخِذَ كلا الفريقين على غرّة، ولكن فريقاً منهما كان متأهباً لمواجهة ذلك الظرف الطارىء، بينما الفريق الآخر كان على غير استعداد. هكذا الآن فإنّ بليّة مفاجئة غير متوقعة، وشيئاً يوقف النفس وجهاً لوجه أمام الموت سيَرى ما إذا كان هنالك إيمان حقيقي بمواعيد الله. وهذه البلية ستبرهن ما إذا كانت النفس مدعمة بالنعمة. إنّ الامتحان الأخير العظيم يأتي في نهاية فرصة الإمهال المقدمة للناس عندما يكون قد مضى الوقت الذي فيه تُسدّ حاجة النفس.

إنّ العذارى العشر ساهراتٍ في مساء تاريخ العالم هذا. والجميع يدّعون انهم مسيحيون. والجميع لهم دعوة واسم ومصباح، والجميع يعترفون بأنّهم يعملون خدمة الله. والجميع يبدو عليهم انهم ينتظرون مجيء المسيح. ولكن خمساً غيرُ مستعداتٍ، خمساً سيجدن أنفسهن مندهشاتٍ بئِسات خارج بيت الوليمة.

وفى اليوم الأخير سيَدّعي كثيرون أنّ لهم الحق في دخول ملكوت المسيح إذ يقولون: «أكلنا قدامك وشربنا وعلّمت في شوارعنا»، «يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة»؟ فيأتي الجواب: «أقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم. تباعدوا

عنـى» (لوقـا ١٣: ٢٦ و ٢٧ ؛ متـى ٧: ٢٢). إنّـهم لم يعاشـروا المسـيح في هــذه الحياة، ولذلك فهم لا يعرفـون لغـة السـماء وهـم غربـاء عـن أفراحـها: «مَـن مِـن النـاس يعرف أمـور الإنسـان إلاّ روحُ الإنسـان الـذي فيـه. هكـذا أيضـاً أمـور الله لا يعرفـها أحـدٌ إلاّ روحُ الله» (١ كورنثـوس ٢: ١١).

إنّ أعظـم الأقـوال حزنـاً سمعتـها أذنُ إنسـانٍ هـي كلمـات الدينونـة هـذه القائلـة: «لا أعرفكـن». إنّ شـركة الـروح الـتي قـد ازدريتـم بـها هـي دون سـواها الـتي كـان يمكنـها أن تجعلكـم متّحديـن مـع ذلـك الجمـع الفـرح في وليمـة العـرس. ولكنكـم لا تسـتطيعون الاشـتراك في ذلـك المشـهد. فنـوره يقـع علـى عيونكم العمياء وآذانكـم الصمّـاء لا تسمع أنغامـه. ومحبـة تلـك الوليمـة وفرحـها لا يمكنـها أن توقـظ أوتـار الفـرح في قلـب خـدّره العـالم. فـأنتم تُمنعـون مـن الدخـول إلى السماء لأنكم غـير مؤهلـين لمعاشـرة سـكانها.

ونحــن لا يمكننــا أن نكــون مسـتعدين لملاقـاة الـرب إذا كنـا لا نسـتيقظ إلا عنـد سمـاع صـوت الصـراخ القـائل: «هـوذا العريـس مقبـل» وحينئـذ نجمـع مصابيحنـا الفارغـة لكـي تُمـلأ ثانيـة. ولا نسـتطيع أن نُبقـي المسـيح بعيـداً عـن حياتنا هنا ومع ذلك نكـون مؤهلـين لمعاشـرته في السـماء.

أنّنـا نجـد في المثـل أنّ العـذارى الحكيمـات أخـذن زيتـاً في آنيتـهنّ مـع مصابيحـهنّ. وقـد تـألق نورهـنّ بلـهيب لامـع في ليـل الانتظـار. وهـذا زاد مـن الإنارة لإكرام العريس. فإذ أشرق النـور في تلـك الظلمـة فقـد أعـان علـى إنـارة الطريـق لبيت العريـس وإلى وليمـة العـرس.

وكذلـك يجـب علـى تلاميـذ المسيح أن يشـرقوا بنورهـم في ظلمـة العـالم. فبواسطة الـروح القـدس تصـير كلمـة الله نـوراً إذ تصـير قـوّةً مجـددةً لحيـاة مـن يقبلها. إنّ الـروح القـدس إذ يغـرسُ في قلـوب النـاس مبـاديءَ كلمتـه فـهو ينمّـي فيهم صفـات الله. فيجـب أنّ نـور مجـده – أي صفاتـه – يضـيء في حيـاة تابعيـه.

وهكـذا عليـهم أن يمجـدوا الله، وأن ينـيروا الطريـق إلى بيـت العريـس، إلى مدينة الله، إلى عشـاء عـرس الحمـل.

وفـي نصـف الليـل جـاء العريـس – أي في أظلـم سـاعات الليـل. وهكـذا سـيجيء المسيح في أظلـم فـترة مـن تـاريخ هـذه الأرض. إنّ أيـام نـوح وأيـام لـوط تصـوّر لنـا حالـة العـالم قبيـل مجـيء ابـن الإنسـان. والكتـب المقدسـة إذ تشير إلى الأمـام إلى هـذا الوقـت تعلـن أن الشـيطان سـيعمل بكـل قـوة و «بكـل خديعـة الإثــم» (٢ تيموثــاوس ٢: ٩ و ١٠). إنّ عملــه يظـهر بوضــوح بواسـطة الظلمــة المنتشـرة بسـرعة والضـلالات الكثـيرة والهرطقـات ومخادعـات هـذه الأيـام الأخـيرة. إنّ الشـيطان ليـس فقـط دائبـاً علـى أن يأسـر العـالم بـل إنّ غواياتـه تخمّـر الكنـائس المعترفـة بربنـا يسـوع المسـيح. وسـيتطور الارتـداد العظيـم حتـى يصير ظلمـة داجيـة كظلمـة منتصـف الليـل لا يمكـن اختراقـها كمسح من الشـعر. وبالنسـبة إلى شـعب الله فسـيكون ليـل التجـارب، ليـل البكـاء، ليل الاضطهاد لأجل الحقّ. ولكن من ليـل الظـلام ذاك سـيضيء نـور الله.

«يشـرق نـور مــن ظلمــة» (٢ كورنثــوس ٤: ٦). فحــين «كـانت الأرض خربـة وخالية وعلى وجـه الغمـر ظلمـة» كـان «روح الله يـرف علـى وجـه الميـاه. وقـال الله ليكـن نـور فكـان نـور» (تكويـن ١: ٢ و ٣). وكذلـك في ليـل الظلمـة الروحيـة تخرج كلمـة الله قائلة: «ليكـن نـور» ثـم يقـول لشـعبه: «قومـي اسـتنيري لأنّـه قـد جاء نـورك ومجد الرب أشـرق عليـك» (إشـعياء ٦٠: ١).

والكتـاب يقـول: «لأنـه هـا هـي الظلمـة تغطـى الأرض والظـلام الدامـس الأمم. أمّا عليك فيشرق الرب ومجـده عليـكِ يُـرى» (إشـعياء ٦٠: ٢).

إنّ الظلمـة الـتي تكتنـف العـالم هـي ظلمـةَ سـوءِ إدراك النـاس لله. فالنـاس يضيّعـون معرفتهم لصفاته. لقـد أُسـيء فهمـها وحُرّفـت. ففـي هـذا الوقـت سـتعلن

رسالة من الله. رسالة منيرة بتأثيرها ومخلصة بقوّتها. فيجب أن تعرف صفاتُه. فسيخترق ظلام العالم نور مجده ونور صلاحه ورحمته وحقه.

هذا هو العمل الذي يلخّصه اشعياء النبي في قوله: «ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. ارفعي لا تخافي. قولي لمدن يهوذا هوذا إلهُك. هوذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعملته قدامه» (إشعياء ٤٠: ٩ و ١٠).

فالذين ينتظرون مجيء العريس عليهم أن يقولوا للشعب: «هوذا إلهكم». إنّ آخر أشعة نور الرحمة. وآخر رسالة الرحمة للعالم هي الإعلان عن صفته صفة المحبّة. وعلى أولاد الله أن يعلنوا مجده. ففي حياتهم وصفاتهم عليهم أن يعلنوا ما قد صنعته نعمة الله لأجلهم.

ويجب أن يشرق نور شمس البرّ في الأعمال الصالحة - في أقوال الحق وأعمال القداسة.

إنّ المسيح الذي هو بهاء مجد الآب قد أتى نوراً للعالم. وهو جاء ليمثل الله للناس. وقد قال عنه الكتاب انه قد مُسح «بالروح القدس والقوة» و«جال يصنع خيراً» (أعمال ١٠: ٣٨). وإذ كان في مجمع الناصرة قال : «روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسري القلوب لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر وأرسل المنسحقين في الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة» (لوقا ٤: ١٨ و ١٩). كان هذا هو العمل الذي فوض لتلاميذه أمر القيام به. وقد قال: «أنتم نور العالم» «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥: ١٤ و ١٦).

هذا هو العمل الذي يصفه النبي اشعياء حين يقول: «أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عرياناً أن

تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك. حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعاً ويسير برك أمامك ومجد الرب يجمع ساقتك» (إشعياء ٥٨: ٧ و ٨).

وهكذا ففي ليل الظلام الروحي يشرق مجد الله بواسطة كنيسته في إقامة المنحنين وتعزية النائحين.

ففي كل مكان حولنا تسمع ولولةَ أحزان العالم. وفي كل ناحية يوجد المحتاجون والمتضايقون. وواجبنا أن نساعد على إراحة الناس والتخفيف من مشقات الحياة وشقائها.

إنّ العمل الفعلي سيكون له تأثير أبعد في مداه من مجرّد إلقاء العظات. فعلينا أن نقدّم طعاماً للجياع وكساء للعراة وملجأ للمشرّدين. ثم إنّنا مدعوون لأن نفعل أكثر من هذا. فحاجات النفس لا يمكن أن تسدّها غير محبّة المسيح. فإذا كان المسيح ساكناً فينا فستمتلىء قلوبنا بالعطف الإلهي. وستنفتح الينابيع المختومة ينابيع المحبة المسيحية الغيورة.

والله لا يطلب فقط أن نقدّم عطايانا للمحتاجين بل يطلب أيضا أن تكون وجوهنا طلقة باسمة فرحة، وأن يكون كلامَنا باعثا على الرجاء وأن تكون مصافحتنا مشفقة. فالمسيح عندما شفى المرضى كان يضع يده عليهم. فكذلك علينا أن نختلط بمن نحاول أن نساعدهم.

يوجد كثيرون ممن قد فارقهم الرجاء. فعليكم بأن تعيدوا إليهم نور الشمس. وكثيرون قد ضاعت شجاعتهم فعليكم أن تحدثوهم بكلام يدخل الفرح إلى قلوبهم. صلّوا لأجلهم. ويوجد من هم بحاجة إلى خبز الحياة. فاقرأوا لهم من كلمة الله. وكثيرون نفوسهم سقيمة ولا يمكن لأي علاج أرضي أن يصل إليها ولا يستطيع أي طبيب أن يشفيها. فصلّوا لأجل هذه

النفوس وأحضروهم إلى يسوع. وقولوا لهم انه يوجد بلسان في جلعاد ويوجد هناك طبيب.

إنّ النور هو بركة. بركة عامة يسكب كنزه على عالم غير شاكر ونجس وفاسد الأخلاق. كذلك الحال مع نور شمس البرّ. فالأرض كلها وهي ملتحفة بظلمة الخطية والحزن والألم يجب أن تستنير بمعرفة محبة الله. وهذا النور المنبثق من عرش السماء يجب أن لا تُحرم منه أية طائفة أو طبقة أو فريق من الناس.

ورسالة الرجاء والرحمة يجب أن تصل إلى أقصى الأرض. فأي من يريد يمكنه أن يمدّ يده ويمسك بقوة الله ويتصالح معه فيصطلح. ولا حاجة بالوثنيين إلى أن يلتحفوا بالظلمة، ظلمة منتصف الليل فيما بعد. فالظلمة تنقشع أمام أشعة شمس البرّ المتألقة. فلقد غلبت قوة الجحيم.

ولكن لا يمكن لإنسان أن يوزّع على الآخرين ما لم يحصل عليه. ففي عمل الله لا يمكن للبشرية أن تخلق شيئاً منه. فلا يمكن لإنسان بمجهوده أن يجعل ذاته حامل النور لأجل الله. فالزيت الذهبي المفرغ بأيدي رسل السماء في الأنابيب الذهبية ليصل من الطاس الذهبية إلى مصابيح القدس هو الذي أوجد نوراً دائماً ولامعاً ومضيئاً. ومحبة الله التي تُنقل إلى الإنسان بلا انقطاع تجعله قادراً على أن يوزع النور. إنّ زيت المحبة الذهبي يفيض بغزارة في قلوب كل من هم مرتبطون بالله بالإيمان لينير من جديد في الأعمال الصالحة، وفي الخدمة الحقيقية القلبية لله.

إنّ كل موارد السماء مشتملةٌ في عطية الروح القدس العظيمة غير المحدودة. فالسبب الذي لأجله لا يفيض غنى نعمة الله تجاه الأرض للناس ليس هو أي تحديد من جانب الله. فلو أنّ الجميع يرغبون أن يأخذوا فالجميع سيصيرون ممتلئين بروحه.

إنّـه امتيـاز لكـل إنسـان أن يكـون قنـاة حيّـة يمكـن لله بواسـطتها أن يمنـح للعـالم كنـوز نعمتـه، وغنـى المسيح الـذي لا يُستقصى. لا يوجـد مـا يرغـب فيـه المسيح قدر أن يجد اتباعـا لـه يمثلـون للعـالم روحـه وصفاتـه. ولا شـيء يحتاجـه العـالم قـدر إعـلان محبـة المخلـص بواسـطة بـني الإنسـان. وكـل السـماء تنتظـر قنـواتٍ فيـها يمكـن أن يُصـبّ الزيـتُ المقـدسُ ليكـون فرحـاً وبركـة لقلـوب النـاس.

لقد أعـد المسـيح كـل مـا يلـزم حتـى تكـون كنيسـته هيئـة متجـددة مسـتنيرة بـالذي هـو نـور العـالم وحـائزة علـى مجـد عمـانوئيل. إنّـه يقصـدُ أن يكـون كـل مسيحي محاطا بجوّ روحـي مـن النـور والسـلام. وهـو يريدنـا أن نُظـهر فرحَـه في حياتنـا.

إنّ سـكنى الـروح القـدس فينـا يتـبرهن بواسـطة المحبـة السـماوية الفائضـة. فملء الله يفيض عـن طريـق الوسـائل البشـرية المكرسـة ليُعطـى للآخريـن.

إنّ شمـس الـبرّ تشـرق و «الشـفاء في أجنحتـها» (ملاخـي ٤: ٢). وهكـذا سيشع مـن كـل تلميـذ أمين قـوةٌ للحياة وشجاعةٌ ومعونـةٌ وشـفاءٌ حقيقـي.

إنّ ديانـة المسـيح تعنـى شـيئاً أكـثر مـن غفـران الخطيـة، فـهي تعـني إبعـاد خطايانـا وملءَ الفراغ بهبات الـروح القـدس. وهـي تعـني الإنـارةَ الإلهيـةَ والفـرحَ في الله. وتعـني خلـوّ القلـب مـن الـذات وحصولـه علـى البركـة بحلـول المسـيح الدائـم فيـه. ومتـى ملـك المسـيح في النفـس فـهناك الطـهارة والتحـرر مـن الخطية. ويتمّ في النفس مجـدُ تدبـير الإنجيـل وملـؤه وكمالـه. وقبولنـا للمخلـص يُكسـب النفـسَ تـألّقَ السـلام الكـامل والمحبـة الكاملـة واليقـين الكـامل. وإنّ جمـال صفـات المسـيح ورائحتَـه الزكيـةَ الظـاهرةَ في النفـس تشـهد بـأنّ الله قـد أرسـل ابنـه حقـاً إلى العـالم ليكـون مخلّصاً لـه.

والمسيح لا يأمر تلاميذه أن يحاولوا أن ينيروا. ولكنّه يقول: ليضيء نوركم. فإذا كنت قد قبلت نعمة الله فالنور فيك. فإن أزلت الموانع سيعلن مجدُ الله. فالنور سيضيء مخترقاً أحشاء الظلمة ومبدداً غياهبها. ولن يمكنك إلاّ أن تنير ضمن نطاق تأثيرك.

إنّ إعلان المخلص لمجده في صورة البشرية سيقرّب السماء إلى الناس بحيث أنّ الجمال الذي يزيّن قدسَ الأقداسِ يُرى في كل نفس يسكن هو فيها. والناس سيُسْبون بمجد المسيح الساكن في النفس. وفي غمرة الحمد والشكر الذي تنطق به النفوس الكثيرة التي رُبحت لله سيعود المجد إلى المُعطي الأعظم.

«قومي استنيري لأنّه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك» (اشعياء ٦٠: ١). إنّ هذه الرسالة موجهة إلى من يخرجون للقاء العريس. فالمسيح آتٍ بقوة ومجد عظيم. إنّه آتٍ بمجده ومجد الآب. وهو آتٍ وجميع الملائكة القديسين معه. فحين يكون العالم كلّه غارقاً في الظلام فسيكون نور في كل مساكن القديسين وسينتبهون لأول نور لظهوره الثاني. فالنور النقيّ سيضيء من بهاء المسيح. والمسيح الفادي سيُتعجب منه من جميع الذين خدموه. فحين يهرب الأشرار من حضرته سيفرح تلاميذ المسيح. إنّ أيّوب القديس الشيخ إذ نظر عبر الأجيال إلى المجيء الثاني للمسيح قال: «الذي أراه أنا لنفسي وعيناي تنظران وليس آخر» (أيوب ١٩: ٢٧). لقد كان المسيح رفيقاً في كل يوم وصديقاً وعشيراً لكل تلاميذه الأمناء. لقد عاشوا على اتصال وثيق وفي شركة دائمة مع الله. فلقد أشرق عليهم مجد الرب. وقد انعكس فيهم نور معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح. والآن هم يفرحون بالأنوار الساطعة أنوار بهاء مجد الملك في جلاله. وهم متأهبون لشركة السماء لأنّ السماء في قلوبهم.

وبأيـادٍ مرتفعـة، وبـأنوار شمـس الـبرّ المتلألئـة والسـاطعة عليـهم، وبفرحــهم لأنّ فداءهـم يقـترب يخرجـون للقـاء العريـس قـائلين: «هــوذا هــذا إلهنــا انتظرنــاه فخلصنــا» (إشــعياء ٢٥: ٩).

«وسمـعتُ كصـوت جمـع كثـير وكصـوت مـياه كثـيرة وكصـوت رعـود شـديدة قائلة هللويا فإنّه قـد ملـك الـرب الإلـه القـادر علـى كـل شـيء. لنفـرح ولنتـهلل ونعطِـه المجـدَ لأنّ عـرس الخـروف قـد جـاء وامرأتـه هيـأت نفسـها ... وقـال لـي اكتـب طوبـى للمدعويـن إلى عشـاء عـرس الخـروف». «لأنّـه رب الأربـاب وملـك الملـوك والذيـن معـه مدعـوون ومختـارون ومؤمنـون» (رؤيـا ١٩: ٦ـ ٩؛ ١٧: ١٤).

٣٠ عند سفح الجبل

قبل ولادة يسوع في بيت لحم بأكثر من أربعة عشر قرناً اجتمع بنو إسرائيل في وادي شكيم الجميل ومن فوق جبلين على كلا الجانبين كانت تسمع أصوات الكهنة معلنة البركات واللعنات: «البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم... واللعنة إذا لم تسمعوا» (تثنية ١١: ٢٧ و ٢٨). وهكذا صار الجبل الذي سُمعت من فوقه كلماتُ البركة معروفا باسم جبل البركة. ولكن الكلام الذي جاء كبركة للعالم الخاطيء الحزين لم يُنطق به من فوق جبل جرزيم. إنّ أمة إسرائيل قصُرت دون بلوغ المثال السامي الذي وضع أمامها. فإنّ شخصا آخر غير يشوع ينبغي أن يقود شعبَه إلى راحة الإيمان الحقيقي. وما عاد جبل جرزيم يُعرف على أنّه جبل التطويبات، ولكنّه ذلك الجبل المجهول الاسم الواقع إلى جوار بحيرة جنيسارت حيث نطق يسوع بكلام البركة لتلاميذه وللجموع.

لنعد بأفكارنا إلى ذلك المشهد، وإذ نجلس على سفح الجبل مع التلاميذ لنتغلغل إلى الأفكار والمشاعر التي ملأت قلوبهم. فإذ نفهم معنى ما قاله يسوع لسامعيه يمكننا أن نرى فيه وضوحاً وجمالاً جديدين، ويمكننا أيضاً أن نستوعب لأنفسنا دروسَه العميقة.

عندما بدأ المخلص خدمته كان الفكر السائد بين الناس عن مسيا وعمله غير مؤهل لهم مطلقاً لقبوله. لقد ضاع روح التعبد الصحيح في التقليد والتعلق بالطقوس ففُسّرت النبوات بموجب تلقين القلوب المتكبرة المتعلقة بالعالم. لقد انتظر اليهود السيد الآتي لا كمخلص من الخطية بل كملك عظيم يجب أن يخضع جميع الأمم لسلطان الأسد الخارج من سبط يهوذا. فعبثا دعاهم يوحنا المعمدان إلى التوبة بقوّة الأنبياء الأقدمين الفاحصة

للقلوب. وعبثا حوّل الأنظار إلى يسوع كحمل الله الذي يرفع خطية العالم وهو بجانب الأردن. كان الله يحاول توجيه عقولهم إلى نبوة إشعياء عن آلام المخلص ولكنهم رفضوا الاستماع.

فلو أنّ معلمي ورؤساء إسرائيل خضعوا لنعمة يسوع المغيّرة لكان قد جعلهم سفراءه بين الناس. ففي اليهودية أولا أُعلن عن مجيء الملكوت وقُدمت للناس الدعوة للتوبة. إنّ يسوع إذ طرد من هيكل أورشليم الناس الذين نجّسوه أعلن نفسُه أنّه مسيّا ـ الشخص الذي يجب أن يطهر النفس من دنس الخطية ويجعل شعبه هيكلاً مقدساً للرب. ولكنّ رؤساء اليهود لم يتنازلوا إلى حد أن يقبلوا المعلم المتواضع القادم من الناصرة. وعندما زار أورشليم للمرة الثانية حوكم أمام السنهدريم، ولكن الخوف من الشعب هو وحده الذي منع هؤلاء الرؤساء من قتله. وهكذا حدث أنّه إذ ترك اليهودية شرع في خدمته في الجليل.

وظل يواصل خدمته في الجليل عدة شهور قبلما نطق بموعظته على الجبل. والرسالة التي أذاعها في كل البلاد والقائلة: «قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤: ١٧). استرعت انتباه الناس من كل الطبقات. وأكثر من هذا فقد أضرمت نارَ آمالِهم وطموحِهم. وانتشرت شهرة المعلم الجديد بحيث تجاوزت حدود فلسطين، وبالرغم من موقف حكومة الكهنة فان الشعور العام الذي انتشر حينئذ كان أن هذا قد يكون هو المخلص الذي ظلوا يرجون ظهوره أمدا طويلاً. وقد سارت جموع كثيرة وراء يسوع واشتدّ حماس الجماهير.

وقد حان الوقت الذي كان فيه على التلاميذ الذين صاحبوا المسيح عن أقرب قرب أن يشاركوه في عمله بكيفية أكثر مباشرة حتى لا تُترك هذه الجموع الغفيرة دون رعاية كغنم لا راعي لها. إنّ بعضاً من هؤلاء التلاميذ

كانوا قد انضموا إليه عند بدء خدمته. وقد عاش الاثنا عشر جميعهم تقريباً كأفراد عائلة يسوع. ومع ذلك فحتى هؤلاء أيضاً إذ أضلّتهم تعاليم المعلمين اشتركوا مع عامة الشعب في انتظار ملكوت أرضي. إنّهم لم يستطيعوا أن يدركوا تحركاتِ يسوع. فقد سبق لهم أن ارتبكوا واضطربوا لكونه لم يبذل أيّ مجهود ليقوّي دعواه بكونه يظفر بمعاضدة الكهنة والمعلمين، ولم يفعل شيئاً لتوطيد دعائم سلطانه كملك أرضي. فكان لابد من إجراء عمل عظيم لهؤلاء التلاميذ قبلما يمكنهم الاضطلاع بالعهدة المقدسة التي كانت مزمعة أن تُسند إليهم عند صعود يسوع إلى السماء. إلاّ أنّهم استجابوا لمحبة المسيح. ومع أنّهم كانوا بطيئي القلوب في الإيمان فقد رأى يسوع فيهم جماعة كان يمكنه أن يربيهم ويدربهم على عمله العظيم. والآن وقد مضى عليهم وقت طويل وكافٍ في صحبته لتوطيد إيمانهم إلى حدّ ما بالصفة الإلهية لرسالته، كما قد حصل الشعب على برهان قدرته التي لم يكن لهم أن يشكّوا فيها، فقد كان الطريق ممهّدا للاعتراف والمجاهرة بمباديء ملكوته مما قد يعينهم على إدراك طبيعتها الحقيقية.

فإذ كان يسوع منفردا فوق أحد الجبال القريبة من بحر الجليل قضى الليل كله في الصلاة لأجل هؤلاء الذين اصطفاهم. وعند الفجر دعاهم إليه، وبكلام الصلاة والتعليم وضع يديه على رؤوسهم مباركاً إياهم إذ أفرزهم لخدمة الإنجيل. ثم انتقل معهم إلى شاطيء البحر حيث كان قد تجمع جمع غفير في الصباح الباكر.

وفضلا عن الجمع العادي القادم من مدن الجليل كانت هنالك جموع غفيرة من اليهودية ومن أورشليم نفسها ومن بيريّة ومن سكان المدن العشر الذين كانوا نصف وثنيين. ومن أدومية الواقعة في أقصى جنوبي اليهودية، ومن صور وصيداء المدينتين الفينيقيتين الواقعتين على شاطيء البحر

الأبيض المتوسط «إذ سمعوا كم صنع أتوا إليه» «ليسمعوا ويُشفوا من أمراضهم ... لأنّ قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع» (مرقس ٢: ٤٨ ؛ لوقا ٦: ١٧ ـ ١٩).

وحينئذ فحيث لم يكن الشاطيء الضيق ليتسع حتى لوقوف كل من كانوا يرغبون في سماعه بحيث يستطيعون سماع أقواله اقتاد يسوع الجمع عائدين إلى سفح الجبل. فإذ وصل إلى بقعة مسطحة يمكن لجمع كبير من الناس أن يجتمع فيها جلس على العشب فجلس تلاميذه والجمع كذلك.

فإذ أحسّ التلاميذ أنّه يمكن انتظار شيء فوق العادة تزاحموا حول معلمهم. فمن أحداث الصباح أيقنوا أنّ إعلانا ما مزمع أن يُسمع بخصوص الملكوت الذي كان مزمعاً أن يقيمه سريعاً كما كانوا يرجون بكل إعزاز. وشمل ذلكَ الجمعَ شعوُر بالانتظار أيضاً. وقد ارتسمت على الوجوه المشتاقة دلائل الاهتمام العميق.

فإذ جلسوا على ذلك الجبل المكسوّ بالخضرة منتظرين أن يسمعوا كلام المعلم الإلهي كانت قلوبهم ممتلئةً بالأفكار عن المجد العتيد. كان يوجد كتبةُ وفريسيون ممن كانوا يتطلعون قُدُماً إلى اليوم الذي فيه لابدّ أن يتسلطوا على الرومان المكروهين ويستحوذوا على غنى إمبراطورية العالم العظيمة وجلالها. لقد كان الفلاحون والصيادون الفقراء ينتظرون أن يسمعوا تأكيداً أنّ أكواخَهم الحقيرةَ وطعامَهم الزهيدَ وحياةَ الكفاح والتعب والخوف من الحاجة ستُستبدلُ بقصورٍ مملوءة بالخير وأيام راحة وسعادة. فبدلاً من الثوب الخشن الذي كان لهم سترا في النهار وغطاء في الليل كانوا يرجون أنّ المسيح سيعطيهم الحلل البهية الغالية الثمن كالتي يلبسها الرومان الغاصبون.

ولقـد اهـتزت كـل القلـوب بالرجـاء المسـتكبر في أنّ إسـرائيل كـان مزمعـاً أن يُكـرّم ويتمجـد أمـام الأمـم كمختـار الـرب، وأورشـليم سـتتمجد كقصبـة المملكـة التي ستشمل المسـكونة كلـها.

٣١ التَّطويبَات

«ففتح فاه وعلمهم قائلاً طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات». (متى ٥: ٢ و ٣).

لقد وقعت هذه الكلمات على آذان ذلك الجمع المندهش كشيء غريب وجديد. فمثل هذا التعليم كان مناقضاً لكل ما سمعوه من أي كاهن أو معلم. إنّهم لا يرون فيه ما يتملّق كبرياءَهم أو يشبع آمالهم أو طموحهم. ولكن توجد حول هذا المعلم الجديد قوة تجعلهم يقفون ذاهلين. إنّ جمال المحبة الإلهية وعذوبتها تفيض من نفس وجوده كالرائحة العطرة التي تعبق بها الزهرة. وكلامه يسقط «مثل المطر على الجزاز ومثل الغيوث الذارفة على الأرض» (مزمور ٧٢: ٦). فالجميع يشعرون بالفطرة أنّه يوجد هنا شخص مطلع على خفايا النفس وأسرارها، ومع ذلك يقترب منهم برقة وحنان. إنّ قلوبهم تنفتح له وإذ يصغون إلى أقواله يكشف لهم الروح القدس بعضاً من معنى ذلك الدرس الذي تحتاج البشرية في كل العصور إلى تعلمه.

في أيام المسيح كان رؤساء الشعب الدينيون يحسّون بأنهم أغنياء بالكنز الروحي. إن صلاة الفريسي الذي قال: اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس (لوقا ١٨: ١١) كانت تعبيرا عن شعور رجال حزبه، وعن شعور الأمة كلها إلى حدّ كبير. ولكن كان يوجد بين الجمع الذي كان يحيط بيسوع بعض ممن كانوا يحسّون بفقرهم الروحي. فعندما أُعلنت قدرة المسيح الإلهية في معجزة صيد السمك الكثير سقط بطرس عند رجليه وصرخ قائلا: أخرج من سفينتي يا رب لأني رجل خاطيء » (لوقا ٥: ٨). وهكذا كان

يوجد بين ذلك الجمع المحتشد على الجبل أناس أحسّ كل منهم بأنه « الشقي والبئس وفقير وأعمى وعريان» (رؤيا ٣: ١٧)، فاشتاقوا إلى «نعمة الله المخلصة» (تيطس ٢: ١١). وقد أيقظت كلمات المسيح، كلمات التحية، في هذه النفوس بالرجاء، إذ رأوا أنّ حياتهم تحت بركة الله.

لقد سبق أن قدّم يسوع كأس البركة لمن أحسّوا بأنهم أغنياء وقد استغنوا (رؤيا ٣: ١٧)، ولكنهم حولوا وجوههم في ازدراء عن تلك الهبة السماوية. إنّ من يحسّ بأنّه صحيح ويظن أنه صالح بما فيه الكفاية وهو قانع بحالته، لا يطلب أن يكون شريكا في نعمة المسيح وبرّه. إنّ الكبرياء لا تحسّ بالحاجة وهكذا تغلق القلب في وجه المسيح والبركات غير المحدودة التي جاء ليمنحها للناس. مثل هذا الإنسان لا يوجد في قلبه موضع ليسوع. فالأغنياء والشرفاء في أعين أنفسهم لا يسألون بركة الله بإيمان ولا يحصلون عليها. إنّهم يحسّون بأنهم شبعانون ولذلك ينصرفون جياعا. أما الذين يعرفون أنّهم لا يستطيعون من أنفسهم أن يخلّصوا ذواتِهم أو أن يعملوا عملا واحدا صالحا من تلقاء أنفسهم فهم الأشخاص الذين يقدّرون المعونة التي يستطيع المسيح أن يمنحها. انهم هم المساكين بالروح الذين يعلن هو أنّهم مطوبون.

إنّ مَن يغفر له المسيح يجعله أولاً نادماً تائباً، وعمل الروح القدس هو التبكيت على الخطية. فالذين تأثرت قلوبهم بتبكيت روح الله لا يرون في ذواتهم شيئا صالحا. ويرون أنّ كل ما قد فعلوه ممتزج بالذات والخطية. وكالعشار المسكين يقفون من بعيد لا يجرؤون حتى على رفع عيونهم نحو السماء ويصرخون قائلين: «اللهم ارحمني أنا الخاطيء» (لوقا ١٨: ١٣). وهم مطوّبون. يوجد غفران للتائبين، ،لأن المسيح هو «حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يوحنا ١: ٢٩). ووعد الله هو هذا: «إنْ كانت خطاياكم

كـالقرمز تبيـضّ كـالثلج إن كـانت حمـراء كـالدودي تصير كـالصوف» (إشـعياء ١: ١٨) «وأعطيكـم قلبـا جديـدا... واجعـل روحـي في داخلكـم» (حزقيـال ٣٦: ٢٦ و٢٧). ويقـول يسـوع عـن المسـاكين بـالروح إنّ لهـم ملكـوت السـموات. إنّ هـذا الملكـوت ليـس كمـا كـان ينتظـر سـامعو المسـيح، ملكوتـا زمنيـا ارضيـا. لقـد كـان المسيح يفتح للنـاس الملكـوت الروحـي، ملكـوت محبتـه ونعمتـه وبـرّه. إنّ شـعار ملك مسيا يتميّز بصـورة ابـن الإنسـان. فرعايـاه هـم المسـاكين بـالروح والودعـاء وجماعـة المضُطـهدين المطروديـن مـن أجـل الـبرّ. وملكـوت السـموات لهـم. ومـع أنّ العمـل لم يكمُـل بعـد فقـد بـدأ فيـهم وهـو الـذي سـيؤهلهم «لشـركة مـيراث القديسـين في النـور» (كولوسـي ١: ١٢).

إنّ مـن عندهـم الشـعور بفقـر نفوسـهم العميـق ويحسّـون بأنّـه لا يوجـد فيـهم شيء صـالح يمكنهم أن يجـدوا الـبرّ والقـوة بالالتفـات إلـي يسـوع. فهـو يقـول: «تعالوا إلـيّ يـا جميـع المتعبـين والثقيلـي الأحمـال» (متـى ١١: ٢٨). وهـو يأمرنـا أن نستبدل فقرنـا بغنـى نعمتـه. إنّنـا لسـنا أهـلا لمحبـة الله ولكـن المسـيح ضامننـا مستحق، وهـو قادر أن يخلص إلى التمـام جميـع الذيـن يـأتون إليـه. مـهما يكـن نـوع اختبـارك المـاضي، ومـهما تكـن ظروفـك الحـاضرة مفشّـلة فلئـن أتيـت إلى يسوع كمـا أنـت، ضعيفـاً وعـاجزاً وبائسـاً، فإنّ مخلصنـا الرحيـم سـيلاقيك مـن بعيـد ويطوّقـك بذراعـي محبتـه ويكسـوك بـرداء بـرّه. وهـو يقدمنـا إلى الآب متسـربلين بالثوب الأبيض ثـوب صفاتـه. وهـو يسأل الله من أجلنـا قـائلا: لقـد أخـذت مكـان الخـاطيء فـلا تنظـر إلى هـذا الابـن العـاصي بـل انظـر إلـيّ. فـإذا احتـج الشيطان ضـد نفوسـنا بصـوت عـال متـهما إيانـا بالخطيـة ومطالبـا بـان نكـون فريسته فإنّ دم المسيح يحتـج بقـوة أعظـم.

«قال لـي إنما بالرب البرّ والقـوة... بـالرب يتـبرّر ويفتخـر كـل نسـل إسـرائيل» (إشـعياء ٤٥: ٢٤و٢٥).

«طوبى للحزانى لأنّهم يتعزّون» (متى ٥: ٤)

إنّ الحزن الذي يعرض أمامنا هنا هو حزن القلب الصادق على الخطية. يقول يسوع: «وأنا إنّ ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يوحنا ١٢: ٣٢). فإذ يجتذب الإنسان ليرى يسوع مرفوعا على الصليب يرى إثم البشرية. فهو يرى أنّ الخطية هي التي جلدت رب المجد وصلبته. وهو يرى انه في حين قد أُحِبّ برقّةٍ لا يُعبَّر عنها فقد كانت حياته مشهدا مستمرا للجحود والعصيان. لقد هجر أخلص صديق له ونبذ ورفض أثمن هبة سماوية. لقد صلب لنفسه ابنَ الله ثانية وطعن ذلك القلب الدامي والمضروب من جديد. إنّ هوّة الخطية الواسعة السوداء العميقة قد فصلته بعيدا عن الله، ولذلك هو ينوح بانسحاق القلب.

مثل هؤلاء الحزانى «يتعزون». فالله يكشف لنا عن جرمنا حتى نهرب إلى المسيح وبواسطته نتحرر من عبودية الخطية ونفرح بحرية أولاد الله. فيمكننا أن نأتي في انسحاق حقيقي إلى اسفل الصليب وهناك نترك أثقالنا.

إنّ كلام المسيح فيه رسالة عزاء أيضا لمن يتألمون من الحزن أو الحرمان. إنّ آلامنا وأحزاننا وبلايانا لا تنبت من الأرض. فالله « لا يُذلّ من قلبه ولا يحزن بني الإنسان» (مراثي أرميا ٣: ٣٣). وعندما يسمح بوقوع التجارب والضيقات علينا فإنّ ذلك «لأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته» (عبرانيين ١٣: ١٠). فلو قبلنا التجربة بإيمان مع أنّها تبدو مُرّة جدا ومن الصعب احتمالها فستبرهن على أنّها بركة. فالضربة القاسية التي تلفح أفراح الأرض وتيبسها ستكون الوسيلة التي تحول عيوننا إلى السماء. ما أكثر الذين ما كان ليمكنهم أن يعرفوا يسوع إطلاقا لو لم ترشدهم الأحزان والآلام إلى أن يطلبوا الراحة والعزاء فيه!

إنّ بلايا الحياة هي وسائل الله لإزالة الأقذار والنجاسات والخشونة من أخلاقنا. إنّ عملية النحت والتسوية والحفر والصقل والتهذيب التي تجريها البلايا عملية مؤلمة. ومن الصعب أن يضغط الإنسان على دولاب المسنّ. ولكن الحجر يخرج بعد كل ذلك مُعدّا ليملأ مكانه في الهيكل السماوي. إنّ السيد لا يقوم بمثل هذا العمل الحريص الكامل علي مادة لا نفع منها. الحجارة الكريمة هي وحدها التي تُصقل على مثال هيكل.

والرب سيعمل لخير كل من يتكلون عليه. فالأمناء سيحرزون انتصارات ثمينة. وسيتعلمون دروسا غالية. وسيحققون اختبارات ثمينة.

إنّ أبانا السماوي ليس بغافل البتة عمن قد مسّهم الحزن. فداود عندما صعد في مصعد جبل الزيتون «كان يصعد باكيا ورأسه مُغطّى ويمشي حافيا» (٢صموئيل ١٥: ٣٠)، وكان الرب ينظر إليه بإشفاق. كان داود لابسا مسوحا وكان ضميره يعذّبه. وقد شهدت علامات الإذلال الخارجية عن انسحاقه. وفي عبارات باكية صادرة من قلبه المنسحق عرض قضيته على الله والرب لم يترك عبده. ولم يكن داود أعزّ على قلب المحبة الأزلية مما كان عندما هرب وهو معذّب الضمير لحياته من أعدائه الذين قد أثارهم ابنه ليتمردوا عليه. إنّ الرب يقول: «إنّي كل من احبه أوبخه وأؤدبه فكن غيورا وتب» (رؤيا ٣: ١٩). إنّ المسيح يرفع المنسحقي القلب وينقي النفس الحزينة حتى تصير مسكنا له.

ولكن عندما يهجم الضيق علينا كم منا يشبهون يعقوب! فنحن نظنها يدّ عدو، وفي الظلام نصارع بجهل حتى تخور قوتنا ولا نجد عزاء أو خلاصا. وقد أعلنت اللمسة الإلهية ليعقوب عند طلوع الفجر ذاك الذي كان يتصارع معه – ملاك العهد، وإذ كان باكيا وعاجزا ارتمى على صدر المحبة الأزلية ليحصل على البركة التي تاقت إليها نفسه. ونحن أيضا نحتاج إلى أن نتعلم

بأنّ القصد من التجارب هو النفع والفائدة وألاّ نحتقر تأديب الرب ولا نخور إذا وبخنا.

«هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله... لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان. في ست شدائد ينجّيك وفي سبع لا يمسّك سوء» (أيوب ٥: ١٧-١٩). إن يسوع يأتي إلى كل نفس مصابة بخدمة الشفاء. فحياة الحرمان والألم والعذاب يمكن إنارتها بواسطة الإعلان الثمين لحضوره.

إن الله لا يريدنا أن نظلّ منسحقين تحت ضغط الحزن والكآبة الخرساء، وقلوبنا تقطر حزنا وانسحاقا. فهو يريدنا أن نشخص إلى فوق ونرى وجه محبته العزيز. إنّ المخلّص المبارك يقف إلى جوار كثيرين ممن قد غشيت أبصارهم الدموعُ إلى حدّ لا يدركونه. إنّه يتوق إلى مصافحتنا وإلى أن نشخص إليه بإيمانٍ بسيطٍ ونسمح له بأن يقودنا. إنّ قلبَه مفتوح لكل أحزاننا وأوجاعنا وتجاربنا. لقد أحبنا محبة أبدية وهو يحوطنا بذراعي رأفته وحنانه. فيمكننا أن نثبّت قلوبنا فيه ونتأمل في لطفه طوال اليوم. وهو سيرفع النفس فوق الأحزان والارتباكات اليومية إلى مملكة السلام.

فكروا في هذا يا بني الألم والحزن وافرحوا بالرجاء «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا» (١يوحنا ٥: ٤).

وطوبى أيضا لمن يبكون مع يسوع عطفا على العالم في حزنه وحزنا على خطيته. فإنّ هذا الحزن لا يمتزج به أي فكر عن الذات. لقد كان يسوع رجل أوجاع متحمّلا حزنا قلبيا لا يمكن لأيّةِ لغة أن تصفه. لقد مزّقت تعدّيات الناس وشرورهم روحَه وسحقتها. ولقد تعب بغيرة آكلة لنفسها ليخفّف من وطأة أعواز البشرية ومصائبها وبلاياها، وكان قلبه مثقلا بالحزن وهو يرى الجموع يرفضون الإتيان إليه لينالوا الحياة. وكل أتباع المسيح لا بدّ أن يشاركوه في هذا الأختبار. فإذ يشتركون في محبته فلابدّ أن يدخلوا إلى

تعبـه لأجـل خـلاص الهـالكين. فـهم يشـتركون في آلام المســيح وسيشــتركون أيضـا في المجــد المزمـع أن يُسـتعلن. فـإذ يتّحــدون معـه في عملـه ويشـربون معه مـن كأس الحزن فسيشاركونه أيضـا في فرحـه.

إنّ يسـوع قـد حصـل علـى خدمـة التعزيـة عـن طريـق الألم. ففـي كـل ضيـق البشـرية تضـايق. إنــّه «فيمـا هــو قــد تـألم مجربـا يقـدر أن يعـين المجربـين» (إشعياء ٦٣: ٩؛ عـبرانيين ٢: ١٨). فكـل نفـس دخلـت في شـركة آلامـه لهـا امتيـاز الاشتراك في هـذه الخدمـة: « كمـا تكـثر آلام المسـيح فينـا كذلـك بالمسـيح تكـثر تعزيتنا أيضا». إنّ عند الـرب نعمـة خاصـة للحزيـن وقوّتـها تذيـب القلـوب وتريـح النفـوس. إنّ محبتـه تفتـح قنــاة في داخــل النفـس الجريحــة المنســحقة فتصـير بلساناً شافيا للحزانـى. «أبـو الرأفة وإلـه كـل تعزيـة ... يعزّينـا في كـل ضيقتنـا حتـى نستطيع أن نعزّي الذين هـم في كـل ضيقـة بالتعزيـة الـتي نتعـزّى نحـن بـها مـن الله» (٢كورنثـــوس ١: ٣و٤و٥)..

«طــوبى للــودعاء» (متــى ٥: ٥)

يوجـد في كـل التطويبـات تــدرّج تقدّمــي في الاختبــار المسـيحي. فــالذين أحسّوا بالحاجة إلي المسيح والذين حزنـوا بسـبب الخطيـة والذيـن جلسـوا مـع المسيح في مدرسـة الضيـق سـيتعلمون الوداعـة مـن المعلـم الإلهـي.

لم يكـن الصـبر ولا الرأفـة أمـام الظلـم مـن الصفـات الـتي يستحسـنها الوثنيـون أو اليـهود. إنّ الحقيقـة الـتي نطـق بـها موسـى بوحـي مــن الــروح القــدس إنّــه كان حليما جداً أكثر من جميع الناس الذيـن علــى الأرض لم يكـن النـاس مـن معاصريه يعتبرونها سبب مدح له أو ثنـاء عليـه بـل كـانت بـالحري تثـير الإشـفاق أو الاحتقـار. ولكـن يسـوع يضـع الوداعــة بـين أولى المؤهـلات لملكوتـه. وقـد كشفت حياتـه وأخلاقه عـن الجمـال الإلهي لهـذه النعمـة الثمينـة.

إن يسوع بهاء مجد الآب «لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، ولكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد» (فيلبي ٢: ٦و٧). لقد رضي بأن يجوز في كل اختبارات الحياة الوضيعة متمشيا بين بني الإنسان لا كملك يفرض على رعاياه الولاء، بل كمن كانت رسالته خدمة الآخرين. فلم يكن في خلقه أي اثر للتعصّب أو العبوسة الباردة. لقد كانت لفادي العالم طبيعة أعظم من طبيعة الملائكة ومع ذلك فقد اقترن بجلاله الإلهي الوداعة والتواضع اللذان جذبا إليه الجميع.

لقد أخلى يسوع نفسه وفي كل ما عمل لم تظهر الذات ولقد أخضع كل الأشياء لإرادة أبيه. وقرب انتهاء خدمته على الأرض أمكنه أن يقول: «أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته» (يوحنا ١٧: ٤). وهو يأمرنا قائلا: «تعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب»، «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه» (متى ١١: ٢٩؛ ١٦: ٢٤). فلتنزل الذات عن العرش ولا تعد تسيطر على النفس.

إنّ من يشاهد المسيح في إنكاره لذاته وتواضع قلبه سيلتزم أن يقول كما قال دانيال عندما شاهد واحداً كبني الإنسان: «نضارتي تحولت فيّ إلي فساد » (دانيال ١٠: ٨). «إنّ الاستقلال وسيادة النفس اللذين نفخر بهما يريان في دناءتهما الحقيقية كعلائم للعبودية للشيطان. إنّ الطبيعة البشرية تكافح أبدا للتعبير ومستعدة للنضال والنزاع، ولكن الذي يتعلم من المسيح يخلي نفسه من الذات والكبرياء وحبّ السيطرة، والنفس يسودها السكون والهدوء. والذات تخضع لسيادة الروح القدس. حينئذ لا نكون مشتاقين لاعتلاء اسمى مكان. ونحن لا نطمع في أن نشق لأنفسنا طريقا ليرانا الآخرون، ولكننا نحسّ بأنّ أسمى مكان لنا هو أن نكون عند قدمي مخلصنا. إنّنا ننظر إلي يسوع في انتظارنا أن يرشدنا بيده ونستمع لصوته ليقودنا. إنّ

بولس الرسول كان له هذا الاختبار فقد قال: «مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنّما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غلاطية ٢: ٢٠).

إنّنا عندما نقبل المسيح كضيف حال في النفس فإن سلام الله الذي يفوق كل عقل سيحفظ قلوبنا وأفكارنا في المسيح يسوع. إنّ حياة المخلص على الأرض مع انّه عاشها في غمرة المحاربات كانت حياة السلام. ففي حين كان الأعداء الغاضبون يتأثرون خطواتِه باستمرار قال: «الذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي لأني في كل حين أفعل ما يرضيه» (يوحنا ٨: ٢٩). فلم يمكن لأية عاصفة غضب، بشرية كانت أو شيطانية، أن تزعج هدوء تلك الشركة الكاملة مع الله. وهو يقول لنا: «سلاما أترك لكم سلامي أعطيكم» (يوحنا ١٤: ٢٧). «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة» (متى ١١: ٢٩). احملوا معي نير الخدمة لأجل مجد الله ورفع شأن الإنسانية فتجدوا النير هيّنا والحمل خفيفا.

إنّ حبّ الذات هو الذي يقوّض سلامنا. فحين تكون الذات حية وناشطة فإننا نقف مستعدين دائما لحفظها من الانحلال والإهانة. أمّا إذا كنا قد متنا وحياتنا مستترة مع المسيح في الله فلن تتأثر قلوبنا بالإهمال أو الاستهانة. فآذاننا تكون صمّاء بحيث لا تسمع التعيير وعيوننا عمياء عن الاحتقار والازدراء «المحبة تتأنى وترفق، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق، وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء وتصبر على كل شيء. المحبة لا تسقط أبدا» (١كورنثوس ١٣: ٤-٨).

أمّا السعادة المستقاة من الموارد الأرضية فتتغيّر بتغيّر الظروف، وأمّا سلام المسيح فدائم وثابت، فهو لا يعتمد على أيّ من الظروف في الحياة أو على

كثرة ما نملك من حطام العالم أو عدد الأصدقاء الأرضيين. إنّ المسيح هو نبع الماء الحي والسعادة المستقاة منه لا يمكن أن تنضب أبدا.

إنّ وداعة المسيح متى ظهرت في البيت فهي تُسعد السكان، إنّها لا تثير شجارا ولا تجاوب جوابا غاضبا ولكنّها تسكّن الطبع المهتاج وتنشر اللطف الذي يحسّ به جميع من هم ضمن نطاقه الساحر. وأينما تُراعَى تجعل العائلات على الأرض جزءا من العائلة الواحدة العظيمة في الأعالي.

إنّ كوننا نتألم تحت الاتّهام الكاذب هو أفضل بكثير من أن نُعذّب أنفسَنا بالانتقام من أعدائنا ، فروح الكراهية والانتقام أصلها من الشيطان ولا يمكنها أن تجلب غيرَ الشرّ لمن يحتضنها. إنّ أتضاع القلب، وتلك الوداعة التي هي من ثمار الثبات في المسيح هي سر البركة الحقيقي. «يجمل الودعاء بالخلاص» (مزمور ١٤٩: ٤).

والودعاء «يرثون الأرض». لقد دخلت الخطية إلى العالم عن طريق الرغبة في تمجيد الذات، وخسر أبوانا الأولان السيادة على هذه الأرض الجميلة التي كانت مملكتهما. وعن طريق إنكار الذات يفتدي المسيح ما قد ضاع. وهو يقول إنّنا سنغلب كما قد غلب هو (رؤيا ٣: ٢١). فعن طريق الوداعة وتسليم الذات يمكننا أن نصير ورثة معه عندما «الودعاء ... يرثون الأرض» (مزمور ٣٧: ١١).

إنّ الأرض الموعود بها الودعاء لن تكون كأرضنا هذه يُظلمها ظلّ الموت واللعنة. « ولكننا حسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضا جديدة يسكن فيها البر» (٢بطرس ٣: ١٣). «ولا تكون لعنة ما في ما بعد. وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه» (رؤيا ٢٢: ٣).

ولا يكون فشل أو إخفاق ولا حزن ولا خطية، ولا من يقول أنا مريض، ولا توجد مواكب جنائز ولا حزن ولا موت ولا فراق ولا قلوب كسيرة. بل يسوع

هنـاك وهنـاك السـلام. «لا يجوعـون ولا يعطشـون ولا يضربـهم حـر ولا شمـس لأنّ الـذي يرحمـهم يهديـهم وإلى ينـابيع الميـاه يوردهـم» (إشـعياء ٤٩: ١٠).

«طوبى للجياع والعطاش إلـي الـبر لأنـهم يشـبعون» (متـى ٥: ٦)

البـرّ هـو القداسـة والتشـبّه بـالله، و«الله محبـة» (١يوحنـا ٤: ١٦). إنّـه الامتثـال لشـريعة الله لأن «كـل وصايـاك عـدل» (مزمـور ١١٩: ١٧٢) و«المحبـة هـي تكميـل النـاموس» (روميـة ١٣: ١٠). فالـبرّ هـو المحبـة، والمحبـة هـي نـور الله وحياتـه. وبرّ الله مجسّم في المسيح. ونحـن نقبل الـبرّ بقبولـه هـو.

إنّ الـبرّ لا يُنـال بمحاربـات مؤلمـة أو بـالتعب الممـلّ ولا بواسـطة تقدمـة أو ذبيحـة، ولكنّـه يُعطـى مجّانـا لكـل نفس تجـوع وتعطـش للحصـول عليـه. «أيـها العطاش جميعا هلمـوا إلـي الميـاه والـذي ليـس لـه فضـة تعـالوا اشـتروا وكلـوا... بـلا فضـة ولا ثمـن» (إشـعياء ٥٥: ١). «برّهـم مـن عنـدي يقـول الـرب» (إشـعياء ٥٤: ١٧). «وهـذا هـو اسمـه الـذي يدعونـه بـه الـرب برّنـا» (أرميـا ٢٣: ٦).

لا يمكـن لأي عـامل بشـري أن يعـدّ مـا يشـبع جـوع النفـس ويـروي ظمأهـا. ولكـن يسـوع يقـول: «هـأنذا واقـف علـى البـاب وأقـرع إن سمـع أحـد صوتـي وفتح البـاب أدخـل إليـه وأتعشـى معـه وهـو معـي» (رؤيـا ٣: ٢٠): «أنـا هـو خـبز الحياة من يقبـل إلـيّ فـلا يجـوع ومـن يؤمـن بـي فـلا يعطـش أبـداً» (يوحنـا ٦: ٣٥).

فكمـا نحتـاج إلى الطعـام لإسـناد قوتنـا الجسـدية كذلـك نحـن بحاجـة إلى المسيح الخبز النـازل من السـماء لإعالـة وإسـناد حياتنـا الروحيـة وليمنحنـا القـوة لنعمـل أعمـال الله. وكمـا أنّ الجسـم يسـتمدّ باسـتمرار الغـذاء الـذي يسـند الحيـاة والقـوة كذلـك يجـب أن تكـون النفـس في شـركة مسـتمرة مـع المسـيح خاضعـة لـه ومعتمـدة بالتمـام عليـه. فكمـا أنّ المسـافر المتعـب يبحـث عـن نبـع

مـاء في الصحـراء وإذ يجـده يطفـيء بمياهـه العذبـة البـاردة ظمـأه المُحـرق، فكذلـك المسـيحي يعطـش إلـي المـاء العـذب النقـيّ مـاء الحيـاة الـذي منبعـه المسيح وحـده.

إنّنا إذ نرى كمال صفات مخلصنـا نتـوق إلـي أن نتغيّر تغيـيرا كـاملا ونتجـدّد إلـي صـورة طهارتـه. كلمـا زادت معرفتنـا لله ازداد سمـوّ مقيـاس أخلاقنـا واشـتداد شـوقنا لأن نعكـس صورتـه. إنّ عنصـراً إلهيّـا يتحـد مـع العنصـر البشـري عندمـا تتـوق النفـس وتتلـهّف إلـي الله ، ويمكـن للقـلب المشـتاق أن يقـول : ((إنما لله وانتظري يا نفسـي لأن مـن قِبَلـه رجـائي)) (مزمـور ٦٢: ٥).

إن كنـت تحـسّ في نفسـك بالحاجـة وكنـت تجـوع وتعطـش إلى الـبرّ فـهذا برهـان علـى أنّ المسـيح قـد عمـل في قلبـك حتـى يمكنـك أن تطلبـه ليفعـل لـك، بواسـطة هبـة الـروح القـدس، الأشـياء الـتي يسـتحيل عليـك أن تفعلـها لنفسـك. لا حاجـة بنـا أن نحـاول إطفـاء ظمئنـا مـن اليـنـابيع الضحلـة، لأنّ النبـع العظيـم فوقنـا ويمكننـا أن نشـرب بكـل حرّيـة مـن مياهـه الغزيـرة إذا كنـا نرتفـع قليلا صاعدين في طريـق الإيمـان.

إنّ أقـوال الله هـي ينـابيع الحيـاة. فـإذ تبحـث عـن تلـك اليـنـابيع الحيّـة فبواسـطة الـروح القـدس سـتصير في شـركة مـع المسـيح. والحقـائق المعروفـة سـتُقدّم نفسَـها لذهنـك في هيئـة جديـدة. والآيـات الكتابيـة سـتظهر أمـامك بمعنـى جديـد كوميـض الـبرق، وسـترى العلاقـة بـين الحقـائق الأخـرى وعمـل الفداء وستعرف أنّ المسـيح يرشـدك، وأنّ المعلـم الإلهـي هـو إلى جـوارك.

قـال يسـوع: ((الماء الـذي أعطيـه يصـير فيـه ينبـوع مـاء ينبـع إلـي حيـاة أبديـة)) (يوحنـا ٤: ١٤). فـإذ يكشـف لـك الـروح القـدس عـن الحـق فسـتختزن أثمـن الإختبـارات وسـتتوق لأن تحـدّث الآخريـن عـن الأشـياء المعزيـة الـتي أعلنـت لـك. وإذ تجتمـع بـهم فسـتخبرهم بفكـرة جديـدة عـن صفـات المسـيح أو

عملـه، وسـيكون عنـدك إعـلان جديـد عـن محبتـه المشـفقة لتقدمـه لمـن يحبونـه ولمـن لا يحبونـه.

«أعطـوا تعطـوا» (لوقـا ٦: ٣٨) لانّ كلمـة الله هـي «ينبـوع جنـات بـئر ميـاه حيّـة وسـيول مـن لبنـان» (نشـيد الانشـاد ٤: ١٥). إنّ القلـب الـذي ذاق محبـة المسـيح مـرّة يصـرخ علـى الـدوام في طلـب جرعـة أعمـق فـإذ تقدمـها لـه فستحصـل علـى كيـل اغنـى وأوفـر. فكـل إعـلان مـن الله للنفـس سـيزيد مـن قابليتـها للمعرفـة والمحبـة. إنّ صرخـة القلـب المسـتمرة هـي: «شـيء أكبر مـن لدنـك» فيجيـب الـروح دومـا قـائلا: «اكـثر جـدا» (روميـة ٥: ٩و١٠). لأنّ إلهنـا يسرّ بأن يفعـل «فـوق كل شيء أكثر جـداً ممـا نطلـب أو نفتكـر» (أفسـس ٣: ٢٠). لقـد أُعطِـيَ الـروح القـدس بـدون كيـل ليسـوع الـذي أخلـى نفسـه لأجل خلاص البشـرية الهالكـة. وكذلـك يُعطـى لكـل تـابع للمسيح عندمـا يسـلّم القلـب بجملتـه لسـكناه. إنّ سـيدَنا نفسَـه أصـدر هـذا الأمـر: «امتلئـوا بـالروح» (أفسـس ٥: ١٨)، وأمـرُه هـو أيضا وعـدُ بإتمامـه. لقـد كـانت مسـرّة الآب أن «يحـلّ كـل المـلء» في المسـيح «وأنتـم مملـؤون فيـه» (كـولوسي ١: ١٩؛ ٢: ١٠).

لقـد سـكب الله محبتـه بغـزارة كالسـيول الـتي تنعـش الأرض وتحييـها. إنّ الله يقـول: «ليُـنزل الجـو بـرّا لتنفتـح الأرضُ فيثمـرُ الخـلاصُ ولتنبـت بـرّا معـا.» «البائسون والمساكين طالبون ماء ولا يوجـد. لسـانهم مـن العطـش قـد يبـس. أنـا الـرب أستجيب لهم أنـا إلـهُ إسـرائيل لا أتركـهم. أفتـح علـى الهضـاب انـهارا وفي وسـط البقـاع ينـابيع. أجعـل القفـرَ أجمـةَ مـاءٍ والأرضَ اليابسـة مفـاجرَ ميـاه» (إشـعياء ٤٥: ٨؛ ١٧و١٨).

«من ملئه نحن جميعا أخذنا. ونعمة فـوق نعمـة» (يوحنـا ١: ١٦).

«طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون» (متى ٥: ٧)

إنّ قلب الإنسان هو بالطبيعة باردٌ ومظلمٌ وخالٍ من المحبة، فكلما أظهر الإنسان روحَ الرحمة والغفران فهو لا يفعل ذلك من ذاته بل بواسطة تأثير الروح الإلهي الذي يرفّ على قلبه. «نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولا» (١يوحنا ٤: ١٩).

والله نفسه هو نبع كل رحمة. واسمه «رحيم ورؤوف» (خروج ٣٤: ٦). فهو لا يعاملنا بحسب استحقاقنا. وهو لا يسأل ما إذا كنا مستحقين لمحبته ولكنه يسكب علينا غنى محبته ليجعلنا مستحقين.. إنّه ليس حقودا. وهو لا يحاول أن يعاقب بل يحاول بالحري أن يفتدي. وحتى القساوة التي يظهرها في أعمال عنايته إنّما تظهر لأجل خلاص العصاة المتمردين. إنّه يشتاق شوقاً عظيما لأن يخفّف من هموم الناس وويلاتهم ويضع البلسان على جروحهم. نعم إنّ الله «لن يبرئ إبراء» ولكنه يزيل الإثم (خروج ٣٤: ٧).

إنّ الرحماء هم « شركاء الطبيعة الإلهية» وفيهم تجد محبة الله الرحيمة تعبيرا. فكل الذين قلوبهم متوافقة مع قلب المحبة السرمدية يحاولون أن يصلحوا لا أن يدينوا. وإذ يسكن المسيح في النفس يصير نبعا لا تنضب مياهه. وإذ يمكث هناك يوجد نبع فائض بالإحسان.

وأمام استغاثة المخطئين والمجربين والبؤساء من ضحايا العوز والخطية لا يسال المسيحي قائلا: هل هم مستحقون؟ بل بالحري: كيف يمكنني أن أفيدهم ؟ فهو يرى في أشد الناس تعاسة وانحطاطا نفوساً مات المسيح ليخلصها ولأجلهم أعطى الله لأولاده خدمة المصالحة.

إنّ الرحماء هم الذين يظهرون الرحمة للفقراء والمتألمين والمظلومين. وها هو أيوب يعلن قائلا: «لأنّي أنقذت المسكين المستغيث واليتيم ولا معين

له. بركة الهالك حلت علي وجعلت قلب الأرملة يسر. لبست البر فكساني. كجبة وعمامة كان عدلي. كنت عيونا للعمي وأرجلا للعرج. أب أنا للفقراء ودعوى لم أعرفها فحصت عنها» (أيوب ٢٩: ١٢-١٦).

يوجد كثيرون ممن تعتبر الحياة بالنسبة إليهم كفاحا مؤلما مريرا. إنهم يحسون بنقائصهم وهم بؤساء وغير مؤمنين، ويظنون أنه لا يوجد لديهم ما يشكرون لأجله. فكلام الرفق والشفقة ونظرات العطف وألفاظ التقدير يمكن أن تكون لكثيرين من المكافحين والمستوحشين كمياه باردة لنفس عطشانة. وكلمة العطف وعمل الشفقة والرحمة قد تزج الأثقال التي تضغط بثقلها على المناكب المتعبة. وكل كلمة أو عمل صادر عن الرحمة غير المحبة لنفسها هو تعبير عن محبة المسيح للبشرية الهالكة.

والرحماء «يرحمون» «النفس السخية تسمن والمروي هو أيضا يروى» (أمثال ١١: ٢٥). يوجد سلام عذب تتمتع به الروح الرحيمة، وشبع مبارك في الحياة التي تنسى نفسها في خدمة الآخرين لخيرهم. والروح القدس الذي يمكث في النفس ويظهر في الحياة يلين القلوب القاسية ويوقظ العطف والحنو. إنك لابد حاصد ما تزرعه: «طوبى للذي ينظر إلى المسكين... الرب يحفظه ويحييه. يغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه. الرب يعضده وهو على فراش الضعف. مهدت مضجعه كله في مرضه» (مزمور ٤١: ١-٣).

إن من يسلم حياته لله في خدمة أولاده هو مرتبط بذاك الذي كل موارد الكون تحت يده وطوع أمره. وحياته محزومة مع حياة الله بسلسلة ذهبية من المواعيد الثابتة. والرب لن يخذله في ساعة الألم والحاجة: «فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع»

(فيلبي ٤: ١٩). وفي الساعة الأخيرة ساعة الحاجة سيجد الرحماء في رحمة المخلص الرحيم وسيقبلون في المظال الأبدية.

«طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله» (متى ٥: ٨)

كان اليهود مدققين وحريصين جداً في أمر الطهارة الطقسية بحيث غدت قوانينهم ثقيلةً جدا. كانت عقولهم مشغولة بالقوانين والقيود والخوف من النجاسة الخارجية ولم يفطنوا إلى اللطخات التي بها تنجّس الأنانية والحقد النفس.

ولم يذكر يسوع هذه الطهارة الطقسية كشرط من شروط الدخول إلى ملكوته ولكنّه يوجّه الالتفات إلى الحاجة إلى طهارة القلب. إنّ الحكمة التي من فوق هي: «أولا طاهرة» (يعقوب ٣: ١٧) وملكوت الله لن يدخله شيء دنس. فكل الذين سيسكنون هناك يجب أن يصيروا أنقياء القلب هنا. فالذي يتعلّم من يسوع لابد أن يظهر فيه نفورٌ متزايد من عادات الإهمال والكلام الشائن والتفكير الفظّ السمج. وعندما يسكن المسيح في القلب فستكون هناك طهارة ونقاوة الفكر والعادات.

ولكن قول المسيح: «طوبى للأنقياء القلب» له معنى أعمق - ليس فقط النقاوة بالمعنى الذي يفهمه العالم كأن يكون خاليا من أي شيء جسداني، وطاهرا من الشهوة، بل أن يكون أمينا ومخلصا في نوايا النفس وبواعثها الخفية ومتحرّرا من الكبرياء وطلب ما للذات ومتواضعا وغير أناني وفي مثل بساطة الأولاد.

إنّ الشبيه هو الذي يقدّر شبيهه. فما لم تقبل في نفسك وحياتك مبدأ المحبّة المضحية بنفسها التي هي مبدأ صفات السيد فلن يمكنك معرفة الله. إنّ القلب الذي قد خدعه الشيطان ينظر إلى الله على أنّه كائن مستبدّ قاسٍ

لا يعرف الرحمة، والصفات الأنانية في البشرية بل وفي الشيطان نفسه تنسب إلى الخالق المحب. فهو يقول «ظننت أنّي مثلك» (مزمور ٥٠: ٢١). وأعمال عنايته تُفسَّر على أنّها تعبير عن طبيعة متعسفة حاقدة. وكذلك الحال مع الكتاب المقدس الذي هو خزانة غنى نعمته. فمجد حقائقه التي هي عالية علو السموات وتحيط بعالم الأبد الذي لا يدركه الناس. بالنسبة إلى الجنس البشري الكثير يعتبر المسيح نفسه «كعرق من أرض يابسة» (إشعياء ٥٣: ٢). وهم لا يرون فيه أي منظر فيشتهوه. وعندما كان يسوع بين الناس، إعلان الله في البشرية. أعلن الكتبة والفريسيون قائلين له: «إنّك سامري وبك شيطان» (يوحنا ٨: ٤٨). بل حتى تلاميذه أعمت الأنانية قلوبهم إلى حد أن كانوا متباطئين في فهم ذاك الذي قد أتى ليعلن لهم محبة أبيه. هذا هو السبب الذي جعل يسوع يسير في عزلة وهو في وسط الناس. ولم يُفْهم فهما كاملاً إلاّ في السماء وحدها.

وعندما يأتي المسيح في مجده فلن يحتمل الأشرار النظر إليه. فنور وجهه الذي هو حياة لمحبيه هو موت للأشرار. وانتظار مجيئه هو بالنسبة إليهم «قبول دينونة مخيف وغيرة نار» (عبرانيين ١٠: ٢٧). وعندما يظهر سيصرخون طالبين أن يختفوا عن وجه من قد مات ليفتديهم.

أما بالنسبة إلى القلوب التي قد تطهرت بواسطة سكنى الروح القدس فيها فكلّ شيء قد تغير. فهؤلاء يستطيعون أن يعرفوا الله. لقد وضع موسى في شق الصخرة عندما أعلن له مجد الرب، وكذلك نحن عندما نتوارى في المسيح نرى محبة الله.

«من أحب طهارة القلب فلنعمة شفتيه يكون الملك صديقه» (أمثال ٢٢: ١١). إنّنا بالإيمان نراه هنا الآن. وفي اختبارنا اليومي نرى صلاحه ورحمته في إظهار عنايته. ونعترف به في صفات ابنه. والروح القدس يأخذ الحق

الخاص بالله وبمن قد أرسله ويكشفه للإدراك والقلب. إنّ الأنقياء القلب يعاينون الله في نور جديد وعلاقة محببة كفاديهم وإذ يرون طهارة صفاته وجمالها يتوقون إلى أن يعكسوا صورته. فهم يرونه كأب يتوق لمعانقة الإبن التائب فتمتلىء قلوبهم فرحاً لا ينطق به ومجيداً.

إنّ الأنقياء القلب يرون الخالق في أعمال يده القوية وفي الأشياء الجميلة التي يشتمل عليها الكون. وفي كلمته المكتوبة يطالعون في سطور أوضح إعلانَ رحمتِه وصلاحَه ونعمتَه. والحقائق التي أُخفيت عن الحكماء والفهماء أُعلنت للأطفال. إنّ جمالَ الحق ونفاستِه اللذين لا يراهما حكماء هذا الدهر ينكشّفان باستمرار لمن عندهم رغبةٌ واثقةٌ كأولادٍ لمعرفة مشيئة الله وإتمامها. إنّنا نرى الحق إذ نصير نحن أنفسنا شركاء الطبيعة الإلهية.

إنّ الأنقياء القلب يعيشون كمن هم في محضر الله في خلال الوقت المحدد لهم في هذا العالم. ثم إنهم سيرونه وجها لوجه في حالة الخلود المستقبلة كما فعل آدم عندما كان يسير مع الله ويحادثه في عدن. «فإنّنا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذ وجها لوجه» (١كورنثوس ١٣: ١٢).

«طوبى لصانعي السلام لأنهم أولاد الله يدعون» (متى ٥: ٩)

المسيح هو «رئيس السلام» (إشعياء ٩: ٦) ورسالته هي أن يعيد إلى الأرض والسماء السلام الذي نزعته الخطية. «فإذ قد تبرّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رومية ٥: ١). فكل من يرضى بأن يهجر الخطية يفتح قلبه لمحبة المسيح يصير شريكا في هذا السلام السماوي.

ولا يوجد أساس آخر للسلام غير هذا. فنعمة المسيح إذ تُقبل في القلب تقهر العداوة وتسكّن الخصام وتملأ النفس بالحبّ. فالذي يوجد سلام بينه وبين الله وبين بني جنسه لا يمكن أن يكون شقيّاً. والحسد لن يوجد في

قلبه والظنون الردية لن تجد مجالا هناك والبغضة لا يمكن أن توجد. فالقلب الذي هو على وفاق مع الله هو شريك في سلام السماء فيفوح شذا تأثيره الصالح على كلّ من حوله. إنّ روح السلام سيحلّ كالندى على القلوب التي أتعبتها وأزعجتها المخاصمات العالمية.

إنّ أتباع المسيح يُرسَلون إلى العالم برسالة السلام. فكل من يظهر محبة المسيح بتأثيره الهادىء غير الملاحظ، كل من يقود آخر لترك الخطية وتسليم قلبه للمسيح بالكلام أو بالعمل هو صانع سلام.

و«طوبى لصانعي السلام لأنّهم أبناء الله يدعون» . إن روح السلام هو البرهان على ارتباطهم بالسماء. ورائحة المسيح الزكية تحيط بهم. إنّ عطر الحياة وجمال الخلق يعلنان للعالم حقيقة كونهم أبناء الله. والناس يعرفون أنهم كانوا مع يسوع. «كل من يحب فقد ولد من الله» (١ يوحنا ٤: ٧) «إنّ كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له» ولكن «كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رومية ٨: ٩و١٤).

«وتكون بقية يعقوب في وسط شعوب كثيرين كالندى من عند الرب كالوابل على العشب الذي لا ينتظر إنسانا ولا يصير لبني البشر» (ميخا ٥: ٧).

«طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات» (متى ٥: ١٠)

إنّ يسوع لا يقدّم لتابعيه الرجاء في الحصول على مجد الأرض وغناها، وخلو الحياة من التجارب. بل يقدّم لهم امتياز السير مع سيدهم في مسالك إنكار الذات واحتمال العار لأن العالم لا يعرفهم.

إنّ من قد جاء ليفتدي العالم الضال قاومته القوات المتضافرة من خصوم الله والإنسان. ففي تحالف لا يشفق ولا يرحم اصطفّ الناس والملائكة الأشرار ضدّ رئيس السلام. فمع أنّ كل أقواله وأفعاله نطقت بالرحمة الإلهية فإن عدم مشاكلته للعالم أثارت ضده أقسى عداوة. فلكونه لم يقرّ ممارسة شهوات طبيعتنا الشريرة أثار أعنف مقاومة وأشدّ عداء. وكذلك الحال مع كل من يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع. فبين البرّ والخطية وبين المحبّة والعداوة وبين الحق والضلال تثور حرب لا يخمد أوارها. عندما يقدّم الإنسان محبة المسيح وجمال القداسة فهو يجتذب رعايا الشيطان بعيدا عن مملكته فيثور سلطان الظلمة لمقاومة ذلك. فالاضطهاد والتعيير ينتظران كل من يسكن فيهم روح المسيح. وصفة الاضطهاد تتغير بتعاقب العصور ولكن المبدأ - أي الروح الذي يكمن تحته هو بذاته الذي قتل مختاري الرب منذ أيام هابيل.

إنّ الناس إذ يحاولون أن يكونوا على وفاق مع الله سيجدون أنّ عثرة الصليب لم تبطل. فالرياسات والسلاطين وأجناد الشرّ في السماويات تصطف ضد كل من يقدمون الطاعة لشريعة السماء. ولذلك بدلا من أن يجلب الاضطهاد حزنا لتلاميذ المسيح يجب أن يأتيهم بالفرح لأنّه البرهان على كونهم يسيرون في أثر خطوات سيدهم.

وفي حين أنّ الرب لم يعِدْ شعبه بإعفائهم من التجارب فقد وعدهم بما هو أفضل جداً. قال: «كأيامك راحتك» (قوتك) - (تثنية ٣٣:٢٥) «تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل» (٢كورنثوس ١٢: ٩). فإذ دعيت لأن تجوز في أتون النار لأجل يسوع فهو سيكون إلى جوارك كما كان مع الفتية الثلاثة الأمناء في بابل. إنّ الذين يحبون فاديهم سيفرحون كلما قدمت لهم

فرصة لمشاركته في الاتضاع وحمل العار. والمحبة التي يكنّونها لسيدهم تجعل الآلام التي يقاسونها لأجل اسمه عذبة وجميلة.

لقد اضطهد الشيطان شعب الله في كل العصور. فلقد عذبهم وقتلهم، إلاّ أنّهم انتصروا في موتهم. فلقد أعلنوا بإيمانهم الثابت عن وجود من هو أقوى من الشيطان. لقد استطاع الشيطان أن يعذّب الجسد ويقتله، ولكنّه لم يستطع أن يمسّ الحياة المستترة مع المسيح في الله. أمكنه أن يحبس ضمن أسوار السجن ولكنّه لم يستطع أن يقيّد الروح. فلقد أمكنهم أن ينظروا عبر الظلام إلى المجد قائلين: «فإني أحسب أنّ آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا» (رومية ٨: ١٨). «خفّة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجدٍ أبديا» (٢كورنثوس ٤: ١٧).

وعن طريق التجارب والاضطهاد يعلن مجد الله – صفته – في مختاريه. إنّ أعضاء كنيسة الله الذين يبغضهم العالم ويضطهدهم يتهذّبون ويتدربون في مدرسة المسيح. إنّهم يسيرون في مسالك الأرض الضيقة، ويتطهرون في أتون الألم وكور المشقّة. إنّهم يتبعون المسيح مجتازين في محاربات مؤلمة، ويتحمّلون إنكار الذات ويختبرون المفشلات المريرة، لكن اختبارهم المؤلم يعلّمهم جرم الخطية وشقاءها فينظرون إليها باشمئزاز. ولكنهم شركاء آلام المسيح فقد قضى انّهم يكونون شركاءه في مجده. لقد رأي النبي في رؤيا مقدسة نصرة شعب الله. فيقول: «رأيت كبحر من زجاج مختلط بنار والغالبين ... واقفين على البحر الزجاجي معهم قيثارات الله وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد الله وترنيمة الخروف قائلين عظيمة وعجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين» (رؤيا ١٥: ٢و٣) «هؤلاء هم الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد

غسلوا ثيابهم في دم الخروف. من اجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهارا وليلا في هيكله والجالس على العرش يحل فوقهم» (رؤيا ٧: ١٤و١٥).

«طوبى لكم إذا عيَّروكم» (متى ٥: ١١)

إنّ الشيطان منذ سقوطه ظلّ يعمل بواسطة الخداع. وكما قد أساء في تصوير الله فكذلك أساء تصوير أولاد الله عن طريق أعوانه. إنّ المخلص يقول: «تعييرات معيّريك وقعت عليَّ» (مزمور ٦٩: ٩). فبمثل تلك الكيفية تقع التعييرات على تلاميذه.

انّه لم يوجد قط إنسان سار بين الناس وافتُرِيَ عليه بأقسى ممّا أُفترِيَ علي ابن الإنسان. فلقد وقعت عليه السخرية والاستهزاء بسبب طاعته لمباديء شريعة الله المقدسة في غير انحراف. وقد أبغضوه بلا سبب. ومع ذلك وقف هادئا أمام أعدائه معلنا أنّ التعيير هو جزء من تراث المسيحي، وناصحا تابعيه في كيف يواجهون سهام الضغينة آمرا إياهم ألاّ يخوروا تحت الاضطهاد.

إنّ الافتراء في حين انّه قد يسِّود السمعة فإنّه لا يستطيع أن يلطخ الخلق. فذاك هو تحت حراسة الله. وطالما نحن لا نرضى بأن نخطيء فلا توجد قوة بشرية كانت أم شيطانية، تستطيع أن تلطخ النفس. إنّ الإنسان الذي قلبه ثابت ومتكل على الله هو باقٍ كما هو في أقسى ساعات التجارب المحزنة والبيئة المثبطة كما كان في أيّام نجاحه وكما بدا أنّ نور رضى الله يشرق عليه. قد تُحرّفُ أقوالُه وبواعثُه وأعمالُه وتُزيّف ولكنه لا يكترث لذلك لأن مصالحه الأعظم معرضة للخطر. فهو يحتمل كموسى الذي تشدد «كأنه يَرَى مَنْ لا يُرَى» (عبرانيين ١١: ٢٧)، «غير ناظرين إلي الأشياء التي ترى بل إلى التي لا ترى» (٢كورنثوس ٤: ١٨).

إنّ المسيح عالم بكل ما يسيء الناس فهمه وما يسيئون تصويره. ويمكن لأولاده أن ينتظروا في سكون وصبر وثقة مهما يكن مقدار عيب الناس في حقهم وحقدهم عليهم واحتقارهم إياهم، لأنّه ليس مكتوم لن يستعلن، والذين يكرمون الله هو سيكرمهم في محضر الناس والملائكة.

يقول يسوع: «إذا عيروكم وطردوكم... افرحوا وتهللوا». وهو يوجّه أفكار سامعيه إلى الأنبياء الذين تكلموا باسم الرب «مثالا لاحتمال المشقات والأناة» (يعقوب ٥: ١٠). إنّ هابيل أول مسيحي من أولاد آدم مات شهيداً. وأخنوخ سار مع الله ولم يعرفه العالم. وكان نوح موضوعا للسخرية كرجل متعصّب مثير فتنة «وآخرون تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود أيضا وحبس»، «وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل» (عبرانيين ١١: ٣٦ و ٣٥).

إنّ أولاد الله عُيّروا اضطُهِدوا في كل عصر ومع ذلك فمن طريق تجاربهم وآلامهم انتشرت معرفة الله إلى أماكن بعيدة. فعلى كل تلميذ للمسيح أن يتقدم وينضم إلي الصفوف ويسير قُدما بنفس العمل عالما أن أعداءه لا يفعلون شيئاً ضد الحق بل إلى جانب الحق. إنّ الله يقصد أن يُؤتى بالحق إلى الأمام ويصير موضوعا للفحص والمناقشة حتى عن طريق الاحتقار الذي يُلصق به. فيجب أن تهتاج عقول الناس، فكلّ جدال وكلّ تعيير وكلّ محاولة للحدّ من حرية الضمير هي وسيلة الله لإيقاظ العقول التي لولا ذلك كانت تغطّ في النوم.

كم مرّة رُؤيت هذه النتيجة في تاريخ رسل الله؟ عندما رُجِم استفانوس النبيل الفصيحَ للموت بتحريض مجمع السنهدريم لم تكن هنالك خسارة على عمل الإنجيل. فنورُ السماء الذي أنار وجهَه ورحمةُ الله التي نطق بها وهو يصلّي عند موته كانا كسهم تبكيت حاد اخترق قلب عضو السنهدريم

المتعصب الذي كان واقفا قريبا، فصار شاول الفريسي المضطهد إناء مختارا ليحمل اسم المسيح أمام أمم وملوك وبني إسرائيل وبعد ذلك بوقت طويل كتب بولس الشيخ من سجنه في روما يقول: «أما قوم فعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح ... لا عن إخلاص ظانين أنهم يضيفون إلى وثقي ضيقا .. غير أنه على كل وجه سواء كان بعلة أم بحق ينادى بالمسيح» (فيلبي ١: ١٥و١٦و١٨). فعن طريق سجن بولس انتشر الإنجيل بعيدا وربحت نفوس للمسيح في نفس بيت قيصر. وعن طريق جهود الشيطان الهادفة إلي الهلاك يزرع بذار كلمة الله البذار الذي «لا يفنى»، «الحية الباقية إلى الأبد» (١بطرس ١: ٢٣) في قلوب الناس عن طريق تعيير واضطهاد أولاد الله، ولكن بذلك يتعظم اسم المسيح وتخلص النفوس.

عظيم في السموات هو أمر من هم شهود للمسيح بواسطة الاضطهاد والتعيير. فإذ ينتظر الناس خيرا ارضيا يوجه المسيح أنظارهم إلى الأجر السماوي. ولكنه لا يبقيه كله للحياة المستقبلة فهو يبدأ من هنا. لقد ظهر الرب لإبراهيم قديما وقال له: «أنا ترس لك. أجرك كثير جدا» (تكوين ١٥: ١). هذا هو أجر كل من يتبعون المسيح. يهوه عمانوئيل «المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» والذي فيه يحل «كل ملء اللاهوت جسديا» (كولوسي ٢: ٣ و ٩). كوننا نصير في حالة توافق معه ونعرفه ونمتلكه، إذ ينفتح القلب أكثر فأكثر لقبول صفاته، ويعرف محبته وقدرته ويمتلك غنى المسيح الذي لا يستقصى ويدرك أكثر فأكثر «ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أفسس ٣: ١٨ و ١٩)، «هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب» (إشعياء ٥٤: ١٧).

هـذا هـو الفـرح الـذي مـلأ قلـب كـل مـن بولـس وسـيلا حـين كانـا يصليـان ويسـبحان الله في نصـف الليـل في سـجن فيلبـي. فقـد كـان المسـيح إلى جانبهما وقد أنار نـورُ وجهه الظلمة بمجد المنازل العليا. وقـد كتـب بولـس مـن رومـا وهـو غـير مكـترث لقيـوده إذ رأى انتشـار الإنجيـل: «بـهذا أنـا افـرح بـل سـأفرح أيضـاً» (فيلـبي ١: ١٨). ونفـس أقـوال المسـيح الـتي نطـق بـها علـى الجبل تـردّد صداهـا في رسـالة بولـس إلى كنيسـة فيلـبي في وسـط اضطهاداتـهم إذ يقـول لهـم: «افرحـوا في الـرب كـل حـين وأقـول أيضـاً افرحـوا» (فيلـبي ٤:٤).

«أنتـم ملـح الأرض» (متـى ٥: ١٣)

إنّ الملـح لـه قيمتـه لمـا لـه مـن خصـائص الحفـظ والوقايـة، وعندمـا يسـمّي الله أولادهُ ملحـاً يريـد أن يعلمـهم أنّ غرضَـه مـن جعلِـهم رعايـا نعمتـه هـو أن يصـيروا وسـائلَ لخـلاص الآخريـن. وغـرض الله في اختيـاره لشـعبٍ أمـام العـالم كلّـه لم يكـن فقـط لكـي يتخـذهم بنـين وبنـات لـه بـل حتـى عـن طـريقهـم يقبـل العـالم النعمـة الـتي تـأتي بـالخلاص (تيطـس ٢: ١١). فعندمـا اختـار الـرب ابراهيـم لم يكـن ذلـك فقـط ليكـون خليـل الله، بـل ليكـون موصّـلاً للامتيـازات الخاصـة الـتي قصـد الـرب أن يمنحـها للأمـم. ويسـوع، في تلـك الصـلاة الأخـيرة الـتي قدمها مع تلاميـذه قبيـل صلبـه قـال: «ولاجلـهم أقـدس أنـا ذاتـي ليكونـوا هـم أيضـاً مقدسـين في الحـق» (يوحنـا ١٧: ١٩). وبمثـل هـذه الكيفيـة سـتكون في المسـيحيين المُطـهّرين والمُقَدّسـين في الحـق خـواص مخلصـة تحفـظ العالم مـن الفسـاد الأدبـي الشـامل.

ويجـب أن يختلـط الملـح بـالمواد الـتي يضـاف إليـها، فيجـب أن يتغلغـل ويتخلـل تلـك المـواد لكـي تحفـظ. وهكـذا فعـن طريـق الاتصـال الشـخصي والمعاشـرة يمكـن الوصـول إلى النـاس بقـوة الإنجيـل المخلصـة. وهـم لا

يخلُصون جماعات بل كأفراد. إنّ التأثير الفردي الشخصي هو قوة. فيجب أن نقتربَ ممن نرغب في أن نفيدهم.

إنّ طعم الملح يرمز إلى القوة الحيوية في المسيحي - محبة يسوع في القلب وبرّ المسيح الذي يشمل الحياة. ومحبة المسيح قابلة للانتشار وناشطة للعمل. فإن كانت ساكنة في قلوبنا فستفيض على الآخرين. نقترب إليهم حتى تدفأ قلوبُهم باهتمامنا ومحبتنا غير الأنانية. إنّ المؤمنين المخلصين ينشرون النشاط الحيوي الذي يتغلغل ويمنح قوة أدبية جديدة للنفوس التي يتعبون لأجلها. إنّ القوة التي تحدث التغيير ليست هي قوة الإنسان نفسه بل قوة الروح القدس.

وقد أضاف يسوع هذا الإنذار الخطير قائلا: «ولكن إن فسد الملح فبماذا يُملّح. لا يصلح بعد لشيء إلاّ لأن يطرح خارجاً ويداس من الناس».

فإذ أصغى الناس لكلام المسيح أمكنهم أن يروا الملح الأبيض وهو يلمع في الطرقات حيث طُرح خارجاً لأنّه قد فقد ملوحته ولذلك صار عديم النفع. وكان يرمز بحق إلى حالة الفريسيين وأثر دينهم في المجتمع. وهو يرمز إلى حياة كل إنسان رحلت عنه نعمة الله وصار فاتراً وبلا مسيح. مثل هذا الإنسان مهما يكن نوع اعترافه ينظرُ الناس والملائكة إليه على انّه بلا طعم وكريه. فلمثل هؤلاء يقول المسيح: «ليتك كنت بارداً أو حاراً. هكذا لأنّك فاتر ولست بارداً ولا حاراً أنا مزمع أن أتقيأك من فمي» (رؤيا ٣: ١٥ و ١٦).

إنّه يستحيل علينا أن نجعل العالم المتشكك المرتاب يحسّ بتأثيرنا دون أن يكون عندنا إيمان حيّ بالمسيح كمخلصنا الشخصي. ونحن لا نستطيع أن نُعطي الآخرين شيئا لا نمتلكه. فبنسبة تعبدنا وتكريسنا للمسيح يمكننا أن نحدث تأثيرا يجلب للإنسانية البركة والرفعة. فإذا لم تكن هناك خدمة فعلية

ولا محبة صادقة ولا اختبار واقعي فلا توجد قوة للمعونة ولا اتصال بالسماء ولا رائحة المسيح في الحياة. وما لم يستخدمنا الروح القدس كعاملين ليمكنه بواسطتنا أن يوصل للعالم الحق كما هو في يسوع فإننا نمسي كملح فقد ملوحته ولا قيمة له إطلاقا. فلكوننا مفتقرين إلى نعمة المسيح فنحن نشهد للعالم بانّ الحق الذي ندّعي الإيمان به لا توجد فيه قوة مقدسة، وهكذا فبقدر ما يمتد تأثيرنا فنحن نجعل كلمة الله بلا تأثير. «إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاسا يطنّ أو صنجا يرّن. وان كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم وان كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئا. وإن أطعمت كل أموالي وإن سلمت جسدي حتى أحترق ولكن ليس لي محبة فلا انتفع شيئا» (١ كورنثوس ١٣: ١ ـ ٣).

عندما تملأ المحبة القلب فهي تفيض على الآخرين، لا بسبب الاحسانات التي نتالها منهم بل لأنّ المحبة هي مبدأ العمل. إنّ المحبة تُصلح الخلق وتسيطر على الدوافع وتقهر العداوة وتشرّف العواطف. المحبة متّسعة بقدر اتساع الكون وهى على وفاق مع ما للملائكة الخادمين. فإذ تُقبَل في القلب تجعل الحياة بجملتها حلوة وعذبة وتسكب من بركتها على كل من حولها. فهذا وهذا وحده هو الذي يمكن أن يجعلنا ملح الأرض.

«أنتم نور العالم» (متى ٥: ١٤)

إنّ يسوع إذ كان يعلم الشعب جعل تعاليمه ملذّةً واسترعى انتباه سامعيه بكثير من الأمثلة والشروح من مشاهد الطبيعة التي حوله. لقد اجتمع الشعب معا حين كان الوقت صباحاً. فإذ ارتفعت الشمس المجيدة إلى أعلى وأعلى في السماء الزرقاء كانت تطارد الظلمات التي اختبأت في الأودية وبين

الشعاب الضيقة في الجبال. ولم يكن مجدُ ونوُر السموات في بلاد الشرق قد خبا بعد. فقد غمر نور الشمس الأرض ببهائه، وقد عكس سطح البحيرة الهاديء ذلك النور الذهبي فسطع على سحب الصباح وصبغها باللون الوردي. وكل برعمة وزهرة وغصن مورق التمعت عليه قطرات الندى. ولقد ابتسمت الطبيعة منحنية تحت بَرَكة يوم جديد وأنشدت الأطيار أغاريدها العذبة بين الأشجار. نظر المخلص إلى الجمع الذي أمامه ثم إلى الشمس المشرقة وقال لتلاميذه: «أنتم نور العالم» فكما تذهب الشمس لتقوم بخدمتها، خدمة المحبة، طاردةً ظلماتِ الليل وموقظةً العالم للحياة كذلك يجب على تابعي المسيح أن يخرجوا في خدمتهم ناشرين نور السماء على من يعيشون في ظلمة الضلال والخطية.

وفي نور الصباح الباهر وقفت المدن والقرى على التلال المجاورة بوضوح فأكسبت المشهد هيئة جذابة. وإذ أشار يسوع إليها قال: «لا يمكن أن تُخفى مدينة موضوعة على جبل». ثم أردف يقول «ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت» (متى ٥: ١٤ و ١٥). إنّ معظم الذين كانوا يستمعون لأقوال يسوع كانوا فلاحين أو صيادي سمك ممّن كانت مساكنهم الوضيعة تتكوّن من غرفة واحدة بها سراج واحد على المنارة يضيء لكل الذين في البيت. قال يسوع: «فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات» (متى ٥: ١٦).

لا يوجد نور آخر أشرق أو سيشرق على الإنسان الخاطيء إلاّ ذلك النور المنبثق من المسيح. فيسوع المخلص هو النور الوحيد الذي يمكن أن ينير ظلمة العالم الذي وضع في الخطية. لقد جاء عن المسيح: «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس» (يوحنا ١: ٤). فإذ أخذ التلاميذ من حياته

أمكنهم أن يصيروا حاملي النور. إنّ حياة المسيح في النفس ومحبته الظاهرة في الخلُق جعلتهم نوراً للعالم.

إنّ البشرية لا يوجد في ذاتها نور. فبدون المسيح نحن نشبه شمعة مطفأة، وكالقمر عندما يحول وجهه بعيداً عن الشمس، لا توجد فينا شعاعة واحدة من النور نلقيها على ظلمة العالم. ولكن إذ نتجه إلى شمس البرّ. ونتصل بالمسيح فالنفس كلها تستنير ببهاء نور الحضور الإلهي.

يجب على اتباع المسيح أن يكونوا أكثر من نور في وسط الناس. فهو نور العالم. يقول يسوع لكل من يُسمّون اسمه: لقد سلّمتم أنفسكم لي وأنا أعطيتكم للعالم نوابا عنّي. وكما أرسله الآب إلى العالم يقول هو: «أرسلتهم أنا إلى العالم» (يوحنا ١٧: ١٨). وكما أنّ المسيح هو القناة لإعلان الآب كذلك يجب أن نكون نحن قناة أو واسطة إعلان المسيح. وفي حين أن مخلصنا هو مصدر النور العظيم فلا تنس أيها المسيحي أنه يعلن عن طريق البشر. فبركات الله تُوزّع بوسائل بشرية. لقد أتى المسيح نفسه إلى العالم كابن الإنسان. فينبغي أنّ الطبيعة البشرية، متحدة بطبيعة اللاهوت، تلامس البشرية. إنّ كنيسة المسيح، كل فرد من تلاميذ المسيح، هو المجرى الذي عينته السماء لإعلان الله للناس. وملائكة المجد ينتظرون ليوصلوا عن طريقكم نور السماء وقوّتها للنفوس الموشكة على الهلاك. فهل يخفق العامل البشرى في إتمام العمل الموكل إليه؟ آه، إلى هذه الدرجة يُسلَب العالم من قوة الروح القدس الموعود بها!

ولكن يسوع لم يأمر تلاميذه قائلا: «جاهدوا لتجعلوا نوركم يضيء» بل قال: «ليضيء». فان كان المسيح يسكن في القلب فمن المستحيل إخفاء نور حضوره. وان لم يكن المعترفون بأنّهم اتباع المسيح نوراً للعالم فالسبب

هـو أنّ القـوة الحيويـة قـد تركتـهم، وإنْ لم يكـن عندهـم نـور ليعطـوه فسـببُ ذلك عدمُ وجود صلة بينهم وبين نبع النـور.

في كـل العصـور نجـد أنّ «روح المسـيح الـذي فيـهم» (١ بطـرس ١: ١١). جعـل أولاد الله الحقيقيـين نـورا للشـعب الـذي عـاش في جيلـهم. لقـد كـان يوسـف حـاملا للنـور في مصـر. ففـي طهارتـه وإحسـانه ومحبتـه البنويـة مثّـل المسيح وكـان رمـزا لـه في وسـط أمّـة وثنيـة. وحـين كـان بنـو إسـرائيل راحلـين مـن مصـر إلى ارض الموعـد كـان المسـتقيمو القلـوب بينـهم نـورا للأمـم المجـاورة. وقـد أعلـن الله للعـالم عـن طريقـهم. وأضـاء نـورٌ بـاهرٌ مـن دانيـال ورفاقـه في بـابل ومـن مردخـاي في بـلاد فـارس في وسـط ظلمـة البـلاط الملكـي. وكذلـك تلاميـذ المسـيح قـد أقيمـوا كحـاملي نـور في الطريـق إلى السماء، فعن طريقـهم تُعلـن رحمـة الآب وصلاحـه لعـالم مكفـن بظـلام سـوء فـهم النـاس لله. والنـاس الآخـرون إذ يـرون أعمـالهم الحسـنة يمجـدون الآب الـذي في السموات، إذ يتضـح وجـود الـه علـى عـرش الكـون صفاتـه تسـتحق التمجيـد والتمثـل بـها. فمحبـة الله الـتي تنـير القلـب وتلهبـه والانسـجام المسـيحي في الحياة يشبهان قبسا من السماء معطى لأهل العالم ليقـدروا مجدهـا وبـهاءها.

وهكـذا يحـدث أنّ النـاس يؤمنـون «بالمحبـة الـتي لله فينـا» (١ يوحنـا ٤: ١٦). وهكـذا تتطـهر وتتغـير القلـوب الـتي كـانت قبـلا خاطئـة وفاسـدة. لتوقـف «أمام مجده بلا عيـب في الابتـهاج» (يـهوذا ٢٤).

إنّ قـول المخلـص: «أنتـم نـور العـالم» يشـير إلى حقيقـة كونـه قـد سـلم لأتباعـه خدمـة تشـمل العـالم. في عـهد المسـيح كـانت الأنانيـة والكبريـاء والتعصّب قد أقامت حائط السياج قويا وعاليا بـين مـن قـد أقيمـوا حراسـا علـى الأقـوال الإلهيـة المقدسـة وبـين كـل أمـة أخـرى علـى سـطح الأرض. ولكـن المخلّص قد جاء ليغيّر وينقض كل هـذا. فـالأقوال الـتي كـان النـاس يسـمعونها

من فمه كانت تخالف كل المخالفة كل ما سمعوه من كاهن أو معلم. فالمسيح ينقض حائط السياج، سياج محبة الذات والتعصّب القومي الفاصل، ويعلّم الناسَ المحبةَ لكل الأسرة البشرية. وهو يرفع الناس من الدائرة الضيقة التي تفرضها إثرتهم، ويُلغي كل الحدود الإقليمية وامتيازات المجتمع الزائفة. وهو لا يجعل فرقا بين الأقوياء والغرباء أو بين الأصدقاء والأعداء. وهو يعلمنا أن ننظر إلى كل إنسان محتاج على أنّه قريبنا والى العالم على أنّه حقلنا وميدان عملنا.

فكما تتغلغل أشعة الشمس إلى أبعد أركان الأرض كذلك يقصد الله أن يمتد نور الإنجيل إلى كل نفس على الأرض. فإذا تمّمت كنيسة المسيح غرض ربنا فإنّ النور يضيء على كل الجالسين في الظلمة ووادي ظلال الموت. وبدلا من أن يجتمع أعضاء الكنيسة معا وينفّضوا أيديهم من كل مسؤولية وحمل الصليب يمكنهم أن ينتشروا في كل بقاع الأرض وكل البلدان جاعلين نور المسيح يضيء منهم، ويعملون كما عمل هو لاجل خلاص النفوس، فكانت «بشارة الملكوت» هذه تنتشر بسرعة إلى كل أنحاء العالم.

وهكذا يحدث أنّ غرض الله في دعوته لشعبه من ابراهيم وهو في سهول ما بين النهرين إلينا في هذا العصر يتمّ ويتحقق. فهو يقول: «أباركك ... وتكون البركة» (تكوين ١٢: ٢). إنّ أقوال المسيح على فم النبي الإنجيلي التي تجد لها صدى في الموعظة على الجبل هي لأجلنا في هذا العصر الأخير. فيقول إشعياء: «قومي استنيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك» (إشعياء ٦٠: ١). فإن كان مجد الرب قد أشرق على روحك، وإذا شاهدت جمال ذاك الذي هو «معلم بين ربوة» والذي «كله مشتهيات» (نشيد الأنشاد ٥: ١٠ و١٦). وصارت نفسه متألقة في محضر

مجده فإليك قد أُرسِلَت كلمة السيد هذه. هل وقفت مع المسيح على جبل التجلّي ؟ إن في أسفل الجبل في السهل توجد نفوس استعبدها الشيطان، وهم ينتظرون أن تطلقهم كلمة الإيمان والصلاة أحراراً.

يجب أن لا نكتفي بالتأمل في مجد المسيح، بل علينا أيضاً أن نخبر بفضائله. فإشعياء لم يقف عند حدّ مشاهدة مجد المسيح ولكنّه أيضاً تكلم عنه. إنّ داود وهو مستغرق في التأمل اشتعلت النار وحينئذ تكلّم بلسانه. فإذ كان متأمّلا بمحبة الله العجيبة لم يمكنه إلاّ أن يتكلم عمّا رآه وأحسّ به، من ذا الذي يستطيع أن يرى بالإيمان تدبير الفداء العجيب ومجد ابن الله الوحيد ولا يتحدث عنه؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يتأمل في المحبة التي لا يُسبرُ غورَها والتي ظهرت وأُعلِنت على صليب جلجثة بموت المسيح لكي لا نهلك بل تكون لنا الحياة الأبدية ـ من يستطع أن يرى هذا ولا يجد كلاما به يسبّح مجد المخلص ويتغنّى به؟

«في هيكله الكل قائل مجد». إن مرنم إسرائيل الحلو قد سبحه على قيثارته قائلا: «بجلال مجد حمدك وأمور عجائبك ألهج. بقوة مخاوفك ينطقون وبعظمتك أحدث» (مزمور ٢٩: ٩؛ ١٤٥: ٥ و ٦).

يجب أن يُرفع صليب جلجثة عاليا فوق الشعب شاغلا عقولهم ومركّزا أفكارَهم. وحينئذ تكتسب كلّ الملكات الروحية قوة إلهية من الله مباشرة. وحينئذ يكون هناك تركيز للقوى في عمل حقيقي للسيد. وسيرسل الخدام إلى العالم أشعة النور كعوامل حيّة لإنارة الأرض.

بكل رقة ولطف يقبل المسيح كل عامل بشري يخضع ويسلم له. إنّه يوحد بين ما هو بشري وما هو إلهي حتى يمكنه أن يوصل إلى العالم أسرار المحبة المتجسّدة. فتحدثوا بها وصلوا بها وتغنوا بها، وأعلنوا على الملأ رسالة مجده وسيروا قدما إلى الأمام إلى مواطن الخلد.

إنّ التجارب متى احتملناها بصبر، والبركات إذا تناولناها بشكر، وتجارب الشيطان متى قاومناها بشجاعة، والوداعة والرفق والرحمة والمحبة إذا اعتدنا إعلانها هي الأنوار التي تتألق في الخلُق على نقيض ظلمة القلب الأناني الذي لم تشرق فيه قطُّ شعاعة من نور الحياة.

٣٢ رُوحَانيـَّة الشريعَة

«ما جئت لأنقض بل لأكمّـل» (متـى ٥: ١٧)

إنّ المسيح هـو الـذي أعلـن الشـريعة وأذاعـها مــن فـوق جبـل سـيناء مــن وسط الرعد والنار. وقـد اسـتقرّ مجـد الله علـى قمـة الجبـل كنـار آكلـة وارتجـف الجبل مــن حضـرة الـرب. وإذ انطرحـت جمـوع إسـرائيل علـى الأرض اسـتمعوا بخـوف إلى وصايـا الشـريعة المقدسـة. ولكـن كـم كـان الفـرق شاسـعا بــين ذلـك المنظـر والمنظـر الآخـر الـذي شـوهد فـوق جبــل التطويبـات! إذ تحــت سمــاء الصيـف حــين لم يكـن مـا يشـوش السـكون غـير غنـاء الطيـور أفضـى يسـوع بمباديء ملكوتـه. ومع ذلك فان من كـان يكلّـم الشـعب في ذلـك اليـوم بكـلام المحبة كان يكشف لهم عن مباديء الشريعة التي أُذيعت علـى جبـل سـيناء.

عندمـا أُعطيـت الشـريعة فـإنّ العـبرانيين إذ كـانوا قـد انحطّـوا مــن طـول عبوديتـهم في مصـر كـان يجـب أن يقتنعـوا بقـدرة الله وجلالـه. ومـع ذلـك فقـد أعلـن نفسـه لهم كإله المحبة كذلـك:

«جـاء الرب من سيناء وأشرق
لهم من سعير وتلألأ من جبـل
فاران وأتى من ربوات القدس
وعن يمينـه نـار شـريعة لـهم
فأحب الشعب جميـع قديسـيه
في يدك وهـم جالسـون عند
قدمـك يتقبلـون من أقـوالك»
(تثنية ٣٣: ٢ و ٣)

لقد أعلن الله مجده لموسى في تلك الأقوال العجيبة التي كانت هي الكنز الذي توارثته الأجيال: «الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف غافر الإثم والمعصية والخطية» (خروج ٣٤: ٦ و٧).

كانت الشريعة المعطاة على جبل سيناء إعلانا لمبدأ المحبة، وإعلانا للأرض عن شريعة السماء. لقد رسمت على يد وسيط – نطق بها ذاك الذي كان يمكن لقوته أن تجعل قلوب الناس في حالة توافق مع مبادئها. وقد أعلن الله غاية الشريعة عندما أعلن قائلا للعبرانيين: «تكونون لي أناسا مقدسين» (خروج ٢٢: ٣١).

ولكن بني إسرائيل لم يدركوا طبيعة الشريعة الروحية، وفي أغلب الأحيان كان اعترافهم بالطاعة مجرّد حفظ فرائض وطقوس وليس تسليم القلب لسلطان المحبة. وعندما صوّر يسوع، في صفاته وعمله للناس، صفات الله القدوسة المحسنة الأبوية وأبان لهم تفاهة الطاعة الطقسية المجرّدة لم يقبل رؤساء اليهود أقواله ولا فهموها. وظنّوا أنّه لم يتكلّم إلاّ قليلا جدا عن مطاليب الشريعة. وعندما بسط أمامهم نفس الحقائق التي كانت روح خدمتهم المعّينة من الله، فإذ كانوا ينظرون إلى ما هو سطحي فقط اتهموه بمحاولة هدمها.

إنّ أقوال المسيح وإن يكن قد نطق بها بهدوء فقد تكلّم بها بغيرة وقوة أثارت قلوب الشعب وأيقظتها. لقد أصغوا إلى تقاليد المعلّمين وفرائضهم العديمة الحياة ولكن عبثا. فقد بهتوا «من تعليمه لأنّه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة» (متى ٧: ٢٩). ولاحظ الفريسيون الفرق الشاسع بين طريقتهم في التعليم وطريقة المسيح. وقد رأوا أنّ جلال الحق وطهارته وجماله بتأثيره العميق اللطيف قد سيطر على عقول كثيرة. إنّ محبة

المخلص ورقته الإلهية اجتذبتا إليه قلوب الناس. ورأى المعلمون أنه بسبب تعليمه صار مضمون كل التعليم الذي قدموه للشعب عديم القيمة وكالعدم. لقد كان ينقض حائط السياج الذي ظل طويلا يتملق كبرياءهم وانطواءهم، وباتوا يخشون انّه لو تُرك وشأنُه فسيجتذبُ الشعبَ كله فينفضُون من حولهم. ولذلك فقد تعقّبوه بعداوة صارمة لا تلين لعلّهم يجدون مجالا ليوقعوا الجفاء بينه وبين الجماهير وهذا يساعد رجال السنهدريم على تحقيق إدانته وموته.

وفيما كان يسوع على الجبل كان الجواسيس يراقبونه مراقبة دقيقة، وإذ كان ينطق بمباديء البرّ رتّب الفريسيون أن يتهامس الناس فيما بينهم بأنّ تعليمه مناقض للوصايا التي قد أعطاها الله من سيناء. إنّ المخلص لم يقل شيئا ليزعزع الإيمان بالديانة والتشريعات التي أُعطيت على لسان موسى، لأنّ كل قبس من النور الإلهي الذي أبلغه قائد إسرائيل العظيم لشعبه كان قد تسلّمه من المسيح. وإذ كان كثيرون يفكرون في قلوبهم قائلين إنّه قد جاء ليبطل الناموس، أعلن يسوع بكلامٍ لا يخطيء عن موقفه حيال الشرائع الإلهية قائلا: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء» (متى ٥: ١٧).

إنّ خالق البشر ومعطي الشريعة هو الذي يعلن أنّه لا يقصد أن يلقي وصاياها جانبا. فكلّ ما في الطبيعة من الذرّة الصغيرة التي ترَى في نور الشمس إلى العوالم العليا خاضع لناموس. وعلى الطاعة لهذه النواميس يتوقف النظام والانسجام في العالم الطبيعي. وكذلك توجد مباديء عظيمة للبرّ لتتسلط على حياة كلّ الخلائق العاقلة، وعلى الامتثال لهذه المباديء تتوقّف سعادة الكون. فقبلما صارت هذه الأرض في عالم الوجود كانت شريعة الله موجودة. إنّ الملائكة خاضعون لمبادئها، فلكي تكون الأرض في حالة انسجامٍ مع السماء يجب على الإنسان أيضا أن يطيع وصايا الله. إنّ المسيح قد عرّف الإنسان وهو في عدن وصايا الشريعة «عندما ترنمت

كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله» (أيوب ٣٨: ٧). وخدمة المسيح على الأرض لم يكن القصد منها نقض الناموس، بل قصد بنعمته أن يعيد الإنسان إلى حالة الطاعة لوصاياه.

إنّ التلميذ الحبيب الذي أصغى إلى أقوال يسوع على الجبل إذ كتب بعد ذلك بوقت طويل، بوحي الروح القدس، تحدّث عن الشريعة على أنّ لها حقّا دائما. قال: «الخطية هي التعدي» على الناموس. وإنّ «كل من يفعل الخطية يفعل التعدي أيضا» (١ يوحنا ٣: ٤). وهو يوضح أنّ الشريعة التي يشير إليها هي «وصية قديمة كانت عندكم من البدء» (١ يوحنا ٢: ٧). فهو يتحدث عن الشريعة التي كانت عند بدء الخليقة وردّدت على جبل سيناء.

إنّ يسوع وهو يتكلم عن الشريعة قال: «ما جئت لأنقض بل لأكمل». وقد استعمل هنا كلمة «يكمّل» بنفس المعنى الذي قصده عندما أعلن ليوحنا المعمدان قصدَه في أن «نكمّل كل برّ» (متى ٣: ١٥) أي يملأ مكيال مطاليب الشريعة ليقدّم قدوة للطاعة والامتثال الكامل لإرادة الله.

كانت خدمته أن «يعظم الشريعة ويكرمها» (إشعياء ٤٢: ٢١). كان لابد له من أن يبين طبيعة الشريعة الروحية ويقدم مبادئها البعيدة المدى ويوضح حقوقها الأبدية.

إنّ الجمال الإلهي لصفات المسيح الذي لم يكن أنبل الناس وأرقهم حاشية إلاّ انعكاسا باهتا له. والذي كتب عنه سليمان بروح الإلهام يقول إنّه «معلم بين ربوة... كله مشتهيات» (نشيد الأنشاد ٥: ١٠ – ١٦). والذي إذ رآه داود في رؤيا نبوية قال: «أنت أبرع جمالا من بنى البشر» (مزمور ٤٥: ٢)، يسوع الذي هو الصورة الواضحة لذات الآب، وبهاء مجده، الفادي المنكر لذاته، طوال مدة اغتراب محبته على الأرض كان صورة حيّة لصفة شريعة

الله. ففي حياته بدا واضحا أنّ المحبة التي هي ابنة السماء والمباديء المسيحية تكمن تحت شرائع الاستقامة الأبدية.

قال يسوع: «إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (متى ٥: ١٨). إنّ المسيح بإطاعته للشريعة شهد لطبيعتها الثابتة التي لا يعتريها تغيير، كما برهن على أنّه في مقدور كل ابنٍ وابنةٍ من بني آدم إطاعتها طاعة كاملة بنعمته. وقد أعلن وهو على الجبل أنه ينبغي ألاّ تسقط نقطة واحدة أو حرف واحد حتى يتمّ الكل. كل ما يهم الجنس البشري وكل ما له علاقة بتدبير الفداء. إنّه لم يعلمنا أنّ الناموس سيُلغى نهائياً ولكنه يثبت بصره على أقصى دائرة أفق الإنسان ويؤكد لنا أنه حتى يمكن الوصول إلى هذا الحد سيظل الناموس محتفظاً بسلطانه، حتى لا يظن أحد أن رسالته هي أن يلغي وصايا الناموس. فطالما بقيت السماء والأرض فستبقى مباديء شريعة الله. إنّ عدله سيظل ثابتا وباقيا «مثل جبال الله» (مزمور ٣٦: ٦) تبعا للبركة تفيض ينابيعه لتحيي الأرض.

فلكون ناموس الرب كاملا ولذلك هو غير متغيّر يستحيل على البشر الخطاة أن يتمموا مقياس مطاليبه. فهذا هو السبب الذي لأجله جاء يسوع فاديا لنا. إنّ خدمته كانت انه إذ يجعل بني الإنسان شركاء الطبيعة الإلهية يجعلهم في حالة توافق مع مباديء شريعة السماء. فعندما نترك خطايانا ونقبل المسيح مخلصا لنا فالشريعة تتعظم وتتمجد. وها هو بولس الرسول يسأل قائلا: «أفنبطل الناموس بالإيمان حاشا بل نثبت الناموس» (رومية ٣: ٣١).

إنّ وعد العهد الجديد هو هذا: «اجعل نواميسي في قلوبهم واكتبها في أذهانهم» (عبرانيين ١٠: ١٦). ففي حين كان لابد أن يزول ويُلغى نظام

الرموز التي كانت تشير إلى المسيح كحمل الله الذي يرفع خطية العالم، عند موته، فمبادىء البرّ المجسمة في الوصايا العشر ثابتة كثبات العرش الأزلي. فلم ينسخ أمر واحد ولا تغير حرف واحد أو نقطة واحدة. فتلك المباديء التي صارت معروفة لدى الإنسان في الفردوس على أنها قانون الحياة العظيم ستظل باقية بلا تبديل في الفردوس المستردّ. وعندما تزدهر جنة عدن على الأرض من جديد فكل من تحت الشمس سيطيعون شريعة الله التي هي شريعة المحبة.

«إلى الأبد يا ربّ كلمتك مثبتة في السموات». «كل وصاياه أمينة. ثابتة مدى الدهر والأبد مصنوعة بالحق والاستقامة». «منذ زمان عرفت من شهاداتك أنّك إلى الدهر أسستها» (مزمور ١١٩: ٨٩؛ ١١١: ٧ و٨؛ ١١٩: ١٥٢).

«فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلَّم الناس هكذا يُدعى أصغر في ملكوت السموات» (متى ٥: ١٩)

أي أنه لن يكون له مكان فيه. لأن من ينقض وصية واحدة في إصرار لا يحفظ أياً منهن بالروح والحق «لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرماً في الكل» (يعقوب ٢: ١٠).

إنّ ما يحدد الخطية ليس هو جسامة عمل العصيان بل هو مخالفة ومناقضة إرادة الله الصريحة في أقل تفاصيلها، لان هذا يبرهن على أنه لا تزال توجد شركة بين النفس والخطية. فالقلب منقسم وموزع في خدمته. فيوجد إنكار فعلي لله وعصيان على شرائع حكمه.

لو كانت للناس الحرية لأن يبتعدوا عن مطاليب الرب ويقيموا لأنفسهم مقياسا للواجب، لكان يوجد تباين في المقاييس لتوافق العقول المتباينة

وكانت عصا الملك تُغتصب من يدي الرب. وكانت إرادة الإنسان هي الإرادة العليا، وكانت إرادة الله السامية المقدسة ـ قصد محبته نحو خلائقه ـ تحتقر ويستهان بها.

إن الناس كلما اختاروا طريقهم الذاتية فانهم يقفون من الله موقف الخصومة والنزاع، ولن يكون لهم مكان في ملكوت السموات لأنهم في حالة حرب مع مبادىء السماء نفسها. فإذ يستهينون بإرادة الله فهم ينضوون تحت راية الشيطان عدو الله والإنسان. إنّ الإنسان يحيا لا بكلمة واحدة ولا بكلام كثير بل بكل كلمة يتكلم بها الله. فلا يمكننا أن نغفل كلمة واحدة مهما يبدو لنا أنها تافهة ونكون في أمان. فلا توجد وصية واحدة في الناموس ليست لخير الإنسان وسعادته في هذه الحياة وفي الحياة العتيدة أيضاً. إنّ الإنسان إذ يطيع شريعة الله يحاط كما بسياج ويحفظ من الشرّ. فالذي ينقض هذا السياج الذي قد أقامه الله في أمرٍ واحدٍ فقد عطل قوّته عن حمايته، لأنه قد فتح طريقا يمكن للعدو أن يدخل منه فيفسد ويهلك.

إنّ أبوينا الأولين إذ تجاسرا على الاستهانة بإرادة الله في أمرٍ واحدٍ فتحا أبواب طوفان الشقاء على العالم. وكلُّ إنسان يتمثل بهما سيحصد نفس الحصاد المرير. إنّ محبة الله تكمن تحت كل وصية من وصايا شريعته فالذي يبتعد عن الوصية إنما يجلب على نفسه الشقاء والهلاك.

«أن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات» (متى ٥: ٢٠)

إنّ الكتبة والفريسيين لم يكتفوا باتهام المسيح وحده بإهمال طقوس التلمود وفرائضه بل اتهموا تلاميذه أيضا كخطاة بسبب ذلك الإهمال. وكثيرا ما تحيرّ التلاميذ واضطربوا بسبب اللوم والاتهام اللذين صدرا من

الذين كانوا قد اعتادوا أن يوقروهم كمعلميهم الدينيين. وقد فضح يسوع هذا الخداع، فأعلن أنّ البرّ الذي يعتزّ به الفريسيون إلى أبعد الحدود كان تافها لا قيمة له. كانت الأمة اليهودية قد ادّعت أنّها الشعب الخاص والمنعم عليه من الله، ولكن المسيح صور دينهم على أنه خالٍ من الإيمان المخلِّص. فكل ادعاءاتهم للتقوى والمبتكرات والطقوس البشرية، وحتى إتمامهم لمطاليب الناموس الخارجية الذي كانوا يفاخرون به، لم تكن جوهرية ولا عملية في جعلهم قديسين. إنّهم لم يكونوا أنقياء القلب ولا شرفاء ولا شبيهين بالمسيح في خلقهم.

الدين الشرعي القانوني غير كاف لجعل النفس في حالة توافق مع الله، إنّ صحة المعتقد الذي كان يتمسك به الفريسيون في عنف وصرامة الخالي من الانسحاق والرقة والمحبة لم يكن أكثر من حجر صدمة للخطاة. فكانوا يشبهون ملحا بلا ملوحة لأنّ تأثيرهم لم يكن ذا قوة لحفظ العالم من الفساد. إنّ الإيمان الوحيد الصحيح هو «العامل بالمحبة» (غلاطية ٥: ٦) لتطهير النفس. فهو يشبه الخميرة التي تغير الخلق.

كان يجب أن يتعلّم اليهود كل هذا من تعاليم الأنبياء. فقبل ذلك بقرون جهرت صرخة النفس بصوتها في طلب التبرير عند الله ووجدت لها جوابا في أقوال ميخا النبي حين قال: «بمّ أتقدّم إلى الرب وأنحني للإله العليّ. هل أتقدّم بمحرقات بعجول أبناء سنة. هل يُسرُّ الرب بألوف الكباش بربوات أنهار زيت... قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب إلاّ أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك (ميخا ٦: ٦ ـ ٨).

ولقد أشار هوشع النبي إلى نفس جوهر الفرّيسية حين قال: «إسرائيل جفنة ممتدة يخرج ثمرا لنفسه» (هوشع ١٠: ١). إنّ اليهود وهم يعترفون بأنهم يخدمون الله كانوا في الواقع يخدمون أنفسهم. وكان برّهم ثمرة

جهودهم الخاصة لحفظ الناموس بحسب آرائهم ولأجل منفعتهم الذاتية. ولهذا لم يصيروا أفضل مما كانوا. وفي محاولتهم أن يجعلوا أنفسهم قديسين كانوا يجتهدون في أن يخرجوا الطاهر من النجس. إنّ شريعة الله مقدسة كما أنّه هو قدوس وناموسه كامل كما أنه هو كامل. وهو يقدم للناس برّ الله. وأنّه لمن المستحيل على الإنسان أن يحفظ الناموس من تلقاء نفسه لأنّ طبيعة الإنسان فاسدة ومشوّهة، وتخالف صفات الله كل المخالفة. إنّ أعمال القلب الأناني «كنجس» و «كثوب عدّة كل أعمال برّنا» (إشعياء ٦٤: ٦).

وحيث أنّ الشريعة مقدسة فإنّ اليهود قد قصروا دون بلوغ البرّ بجهودهم لحفظ الشريعة. أمّا تلاميذ المسيح فيجب أن يحصلوا على برّ من نوع يختلف عن برّ الفريسيين إذا أرادوا دخول ملكوت السموات. لقد قدّم لهم الله في ابنه برّ الناموس الكامل. فإن فتحوا قلوبهم على سعتها لقبول المسيح فإن نفس حياة الله ومحبته تسكنان فيهم وتغيّرانهم ليصيروا على شبه صورته، وهكذا فعن طريق هبة الله المجانية يمكنهم امتلاك البرّ الذي يطلبه الناموس. أمّا الفريسيون فقد رفضوا المسيح «إذ كانوا يجهلون برّ الله ويطلبون أن يثبتوا برّ أنفسهم» (رومية ١٠: ٣) فلم يخضعوا لبرّ الله.

ثم تقدم يسوع ليري سامعيه معنى حفظ وصايا الله. وانه طبع صفات المسيح فيهم. لان الله كان يعلن نفسه فيه أمامهم كل يوم.

«كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم» (متى ٥: ٢٢)

لقد تكلم الرب على لسان موسى قائلا: «لا تبغض أخاك في قلبك ... لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك» (لاويين ١٩: ١٧

و ١٨). والحقائق التي قدمها المسيح كانت هي نفس ما علم به الأنبياء، ولكنها أمست غامضة بسبب قساوة القلب ومحبة الخطية.

وقد كشفت أقوال المخلص لأذهان سامعيه هذه الحقيقة وهي أنّهم وهم يدينون الآخرين كمتعدّين كانوا هم أنفسهم مذنبين مثلهم سواء بسواء لأنهم كانوا يضمرون في أنفسهم الضغينة والكراهية.

كانت بلاد باشان عبر البحر من المكان الذي كانوا مجتمعين فيه، وكانت إقليما منعزلا كانت ممرّاته الضيقة الموحشة بين الجبال ملاذا مناسبا يلجأ إليه المجرمون من كل الأوصاف. وكانت أخبار السلب والقتل التي ارتُكبت هناك لا تزال مائلة في أذهان الشعب وكثيرون كانوا متحمسين في فضح أولئك الأشرار. ولكن في نفس الوقت كانوا هم أنفسهم شديدي الغضب ومتخاصمين، وكانوا يضمرون أشدّ الكراهية لمضطهديهم الرومان، وأحسّوا أن لهم الحرية في أن يبغضوا كلّ الشعوب الأخرى ويحتقروهم، بل حتى مواطنيهم الذين لم يوافقوهم في كل شيء من آرائهم. وفي كل هذا كانوا ينقضون الشريعة القائلة: «لا تقتل».

إنّ روح الكراهية والانتقام منشأها الشيطان، وقد قاده ذلك إلى أن يقتل ابن الله. فكل من يضمر الضغينة أو القسوة إنّما يضمر نفس تلك الروح، وثماره للموت. إنّ العمل الشرير يكمن في فكرة الانتقام، كما يكمن النبات في البذرة. «كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه» (١ يوحنا ٣: ١٥).

«من قال لأخيه رقا (أيها الفتى المغرور) يكون مستوجب المجمع» (متى ٥: ٢٢) إنّ الله إذ بذل ابنه لأجل فدائنا برهن لنا على مقدار القيمة العظيمة التي بها يقدّر كل نفس بشرية، وهو لا يبيح لأيّ إنسان أن يتكلم باحتقار عن أيّ إنسان آخر. لابدّ أنّنا نرى في من حولنا أخطاءَ وضعفاتٍ ولكن الله يعتبر

كل نفس مُلكَه الخاص. مُلكَه بحقّ الخلق وملكَه بحقّ مضاعف حيث قد اشتُرِيَتْ بدم المسيح الثمين. لقد خلق الجميع على صورته، وحتى أحطّ الناس يجب معاملتهم بالاحترام والرقّة. إنّ الله سيعتبرنا مسؤولين حتى عن الكلمة التي نطقنا بها باحتقار لنفس واحدة وضع المسيح حياته لأجلها.

«من يميزك وأي شيء لك لم تأخذه وان كنت قد أخذت فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ» (١ كورنثوس ٤: ٧). «من أنت الذي تدين عبد غيرك هو لمولاه يثبت أو يسقط» (رومية ١٤: ٤).

«ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم» (متى ٥: ٢٢). إن كلمة «أحمق» استعملت في العهد القديم لتشير إلى إنسان مرتدّ أو من قد انغمس في الشرّ. ويسوع يقول إنّ من يدين أخاه كمرتد أو محتقر لله يبرهن على أنّه هو نفسه مستحق لنفس الدينونة.

والمسيح نفسه إذ كان يخاصم الشيطان محاجّاً عن جسد موسى «لم يجسر أن يورد حكم افتراء» (يهوذا ٩). فلو فعل هذا لجعل نفسه في مستوى الشيطان، لأنّ التشكّي أو الاتهام هو من بين أسلحة الشرير. فالكتاب يدعوه بأنه «المشتكي على أخوتنا» (رؤيا ١٢: ١٠). ويسوع لم يُرِدُ أن يستخدم أيّ سلاح من أسلحة الشيطان بل واجهه بالقول: «لينتهرك الرب» (يهوذا ٩).

وهو مثَلُنا في ذلك. فعندما نشتبك في حرب أو خصام مع أعداء المسيح فينبغي ألاّ نقول شيئا بروح الانتقام أو ما يبدو أنّه اتهام أو تعيير. فالذي يقف كليما لله ينبغي ألاّ ينطق بكلام لم يُرِد حتى ملكُ السماءِ أن يقوله وهو يتخاصم مع الشيطان. بل علينا أن نترك أمر الحكم والإدانة لله.

«اصطلح مع أخيك» (متى ٥: ٢٤)

إنّ محبة الله هي شيء أعظم من أن تكون أمرا سلبيا، فهي مبدأٌ إيجابيٌّ نشيطٌ فعّال، وينبوعٌ حيٌّ يفيض دائما ليبارك الآخرين. فإن كانت محبة المسيح تسكن فينا فلن نُضمِر أيّ عداء لإخوتنا بل نجتهد بكل وسيلة في إظهار المحبة لهم.

قال يسوع: «إنّ قدمت قربانا إلى المذبح وهناك تذكّرت أنّ لأخيك شيئا عليك فاترك هناك قربانك قدّام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك وحينئذ تعال وقدم قربانك» (متى ٥: ٢٣ و ٢٤). إنّ الذبائح الكفارية كانت تُعبّر عن الإيمان في أنه بواسطة المسيح قد صار مقدمها شريكا في رحمة الله ومحبته. أمّا كون الإنسان يعبّر عن إيمانه بمحبة الله الغافرة في حين أنه يُضمِرُ روح الجفاء فهذا يكون مجرد خداع.

فعندما يقوم إنسان معترف بأنه يخدم الله فيظلم أخاه أو يوقع به ضررا فهو يشوّه صفات الله في نظر ذلك الأخ. فيجب الاعتراف بالظلم أو الخطأ ويجب أن يعترف بأن ذلك خطية حتى يكون في حالة توافق مع الله. ربما يكون أخونا قد أخطأ في حقنا بأكثر مما أخطأنا نحن في حقه ولكن هذا لا يقلل من مسؤوليتنا. فإذا تذكرنا عندما نمثلّ أمام الله أنّ إنسانا آخر له شيء علينا فيجب أن نترك تقدمة صلاتنا وشكرنا، تقدمتنا الطوعية ونذهب إلى الأخ الذي يوجد بيننا وبينه خلاف ونعترف بخطيتنا في تواضع ونطلب الغفران والصفح.

وإنْ كنّا بأية كيفيّة قد ارتكبنا الغشّ في حقّ أخينا أو آذيناه في أي شيء فعلينا أن نقدم تعويضاً عن ذلك. وإذا كنا بغير قصد قد شهدنا شهادة

زور أو حرفنا أقواله، أو آذينا نفوذه وأضررنا به بأية كيفية فيجب أن نذهب إلى من تحدثنا معهم في شأنه ونسحب كل التقارير الفاسدة المضرّة.

إذا كانت المشاكل التي بين الإخوة لا يُفشى سرّها أمام الآخرين بل تحدّث الأخوة فيها فيما بينهم بكل صراحة بروح المحبة المسيحية فما أكثر المساويء التي يمكن تلافيها وما أكثر أصول المرارة التي يتنجّس بها كثيرون يمكن إزالتها، وبأيّ قرب ورقّة يمكن لأتباع المسيح أن يتّحدوا بمحبته !

((كل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه)) (متى ٥: ٢٨)

كان اليهود يفاخرون بأخلاقهم وعفتهم، وينظرون برعب إلى أعمال الوثنيين الشهوانية. وإنّ وجود الضباط الرومان الذين قد جلبهم الحاكم الإمبراطوري إلى فلسطين كان أمرا مثيرا لضغينة الشعب على الدوام، لأنه مع هؤلاء الغرباء اندفق سيل من العادات الوثنية والشهوات والإسراف والخلاعة إلى داخل البلاد. ففي كفرناحوم كان الموظفون الرومان مع عشيقاتهم المرحات يغشون الحفلات والمتنزهات وكثيرا ما كان صوت العربدة يشوّش على سكون البحيرة عندما كانت قوارب النزهة التي لهم تتهادى على المياه الهادئة. وكان الشعب ينتظرون أن يشهّر يسوع بصرامة بهذا الفريق من الناس، ولكن كم كانت دهشتهم بالغة عندما أصغوا إلى كلامه الذي كشف عن شرّ قلوبهم!

قال يسوع: عندما يحتضن الإنسان الفكر الشرير ويحبه مهما يكن ذلك سرّا دفيناً فهذا يدل على أنّ الخطية لا تزال مسيطرة على القلب. والنفس لا تزال في مرارة المرّ ورباط الظلم. والذي يجد لذته في الكلام عن مشاهد

النجاسة والذي ينغمس في الفكر الشرّير والنظرة الشهوانية، يمكنه أن يرى في الخطية العلنية بثقل عارها وخزيها الذي يكسر القلب، طبيعةَ الشرّ الذي قد أخفاه في مخادع نفسه على حقيقته. إنّ وقت التجربة التي تحتها يمكن أن يسقط الإنسان في خطية شنيعة لا يخلق الشرّ الذي يظهر ولكنه فقط يزيد أو يظهر ما كان مخفيّا ومضمرا في القلب. «كما شعر (الإنسان) في نفسه هكذا هو» (أمثال ٢٣: ٧)، لأن من القلب «مخارج الحياة» (أمثال ٤: ٢٣).

«وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك» (متى ٥: ٣٠)

إنّ الإنسان لكي يمنع انتشار المرض في الجسم وإهلاك الحياة يرضى حتى بقطع يده اليمنى. فبالأحرى يجب عليه أن يكون راضيا عن التسليم فيما يعرض حياة نفسه للخطر.

إنّ النفوس التي قد جعلها الشيطان منحطّة ومستعبدة يجب أن تفتدى بواسطة الإنجيل لتشارك أولاد الله في الحرية المجيدة. إنّ قصد الله ليس مجرّد التحرير من الآلام التي هي النتيجة الحتمية للخطية بل أن يخلص من الخطية ذاتها. فالنفس التي هي فاسدة ومشوهة يجب أن تتطهر وتتغير لكي تكسوها «نعمة الرب إلهنا» «مشابهين صورة ابنه» «ما لم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (مزمور ٩٠: ١٧ ؛ رومية ٨: ٢٩ ؛ ١ كورنثوس ٢: ٩). إنّ الأبدية هي وحدها التي تستطيع أن تعلن عن المصير المجيد الذي يمكن أن يبلغَه الإنسانُ بعدما يُعاد إلى صورة الله.

فلكي نصل إلى هذا المقياس السامي يجب علينا أن نضحي بما يعثر النفس. إنّ الخطية تظل محتفظة بسيطرتها علينا عن طريق الإرادة. فتسليم

الإرادة يصور هنا كما لو كان قلع العين أو قطع اليد. وكثيرا ما يبدو لنا وكأن تسليم إرادتنا لله معناه أننا نرضى أن نسير في الحياة مشوهين وعاجزين. ولكن المسيح يقول أنه خير لنا أن تشوّه الذات وتجرح وتمسى عاجزة إذا أمكنك بذلك أن تدخل الحياة. فما تنظر أنت إليه على أنّه كارثة هو الباب للوصول إلى أسمى فائدة.

إنّ الله هو نبع الحياة ونحن يمكننا الحصول على الحياة فقط حين تكون لنَا شركة معه. فإذ ننفصل عن الله قد نبقى في الوجود أمدا قصيرا ولكننا لا نملك الحياة: «المتنعمة قد ماتت وهي حية» (١ تيموثاوس ٥: ٦). إنّما فقط عن طريق تسليم الإرادة لله يمكنه أن يمنحنا الحياة. وعن طريق قبول حياته بواسطة تسليم النفس يمكن الانتصار على الخطايا الخفية التي قد أشرت إليها. هكذا قال يسوع. قد يمكن لكم أن تكتموها في قلوبكم وتخفوها عن عيون الناس ولكن كيف تقفون في حضرة الله؟

إنّك إذا تعلّقت بذاتك ورفضت تسليم إرادتك لله فأنت إنمّا تختار الموت. إنّ الله نار آكلة للخطية أينما توجد. فإن أنت اخترت الخطية ورفضت الانفصال عنها فإن حضور الله الذي يحرق الخطية سيحرقك بكل تأكيد.

إنّ تسليمك ذاتك لله يتطلب تضحية، ولكنّها تضحية الأدنى لأجل الأسمى، الأرضيّ لأجل الروحي، الفاني لأجل الأبدي الباقي. والله لا يقصد ملاشاة إرادتنا، لأنه عن طريق استعمال الإرادة فقط يمكننا أن نتمم ما يريدنا أن نعمله. فيجب تسليم إرادتنا له لكي نسترجعها مطهرة ونقية وهكذا تكون مرتبطة في توافق مع ما هو إلهي حتى يمكنه عن طريقنا أن يسكب سيول محبته وقدرته. ومهما يبدو هذا التسليم مؤلما للقلب العنيد المتمرّد فهو مع ذلك «خير لك».

إنّ يعقوب لم يعرف نصرة الإيمان الغالب أو يحصل على لقب أمير مع الله إلاّ بعدما سقط ضعيفاً وعاجزا على صدر ملاك العهد. فعندما كان «يخمع على فخذه» أمكن أن يدي عيسو المسلحتين أخمدتا أمامه، وانحنى فرعون المتكبر سليل الأسرة المالكة طالبا بركته. وهكذا كمل «رئيس خلاصهم بالآلام» (عبرانيين ٢: ١٠)، كما أنّ بني الإيمان «تقوّوا من ضعف» و«هزموا جيوش غرباء» (عبرانيين ١١: ٣٤). وهكذا «العرج نهبوا نهبا» (إشعياء ٣٣: ٢٣). «فيكون العاثر منهم... مثل داود... وبيت داود... مثل ملاك الرب» (زكريا ١٢: ٨).

«هل يحل للرجل أن يطلق امرأته» (متى ١٩: ٣)

عند اليهود كان يُسمح للرجل أن يطلق امرأته لأجل أتفه الذنوب وحينئذ كانت للمرأة الحرية في أن تتزوج ثانية. هذا التصرف أدى إلى تعاسة وخطية عظيمتين. ولقد أعلن يسوع في الموعظة التي ألقاها على الجبل بكل وضوح وصراحة أنّه لا يمكن أن تفصم عري الروابط الزوجية إلاّ بسبب خيانة عهد الزواج. فلقد قال: «إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني. ومن يتزوج مطلقة فانه يزني» (متى ٥: ٢٣).

وعندما سأله الفريسيون بعد ذلك عن شرعية الطلاق وجه يسوع أفكار سامعيه إلى سنّة الزواج كما قد رسمت عند بدء الخليقة. فقال لهم: «إنّ موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا» (متى ١٩: ٨). وقد وجّه انتباههم إلى أيام السعادة في عدن عندما قال الله عن كل شيء أنّه «حسن جدا». آنذاك كان للزواج والسبت أصلهما وسُنّت الشريعتان الصنوان لأجل مجد الله وخير الإنسانية. وحينئذ وضع الخالق يد كل من الزوجين القديسين في يد الآخر برباط الزواج

قائلا: «لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا» (تكوين ٢: ٢٤). فلقد سن قانون الزواج لكل بني آدم إلى انقضاء الدهر. فما قال عنه الآب الأبدي ذاته أنّه حسن كان هو سنّة أسمى بركة ونمو وتقدم للإنسان.

والزواج، ككل عطية من عطايا الله الصالحة المسلمة لأجل حفظ البشرية، أفسدته الخطية، ولكن غاية الإنجيل هي أن يعيد إليه طهارته وجماله. ففي كلّ من العهد القديم والعهد الجديد استخدمت صلة الزواج لترمز إلى الاتحاد الحبّي المقدس الكائن بين المسيح وشعبه المفديين الذين قد اشتراهم بذبيحة جلجثة. فهو يقول: «لا تخافي» «بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل» (إشعياء ٥٤: ٤ و ٥): «ارجعوا أيها البنون العصاة يقول الرب فأني بعل لكم» (ارميا ٢: ١٤) (ترجمة سنة ١٨٧٨). وفي سفر «نشيد الأنشاد» نسمع صوت العروس قائلة: «حبيبي لي وأنا له». وذاك الذي هو بالنسبة إليها «معلم بين ربوة» يخاطب تلك التي قد اصطفاها بقوله: «كلّكِ جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة» (نشيد الأنشاد ٢: ١٦ ؛ ٥: ١٠ ؛ ٤: ٧).

وفي العصور المتأخرة إذ يكتب بولس الرسول رسالته إلى المسيحيين في أفسس يعلن أنّ الرب قد أقام الزوج رأسا لامرأته ليكون حاميا إياها ورباط البيت إذ يربط أفراد العائلة معا كما أنّ المسيح هو رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد ولذلك يقول: «كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء. أيّها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل

ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم» (أفسس ٥: ٢٤ ـ ٢٨).

إنّ نعمة المسيح وحدها تستطيع أن تجعل هذه السنة كما قصد لها الله أن تكون ـ وسيلة لجلب البركة والسمو للبشرية. وهكذا يمكن للأسر على الأرض بالاتحاد والسلام والمحبة نحو بعضها البعض أن تمثل الأسرة السماوية.

إن حالة مجتمعنا في هذه الأيام كما كانت في عهد المسيح تقدم مثلا محزنا للمثال الذي تقدمه السماء لهذه الصلة المقدسة. ومع ذلك فحتى الذين قد ذاقوا المرارة والخيبة حيث كانوا يرجون الصحبة والفرح، يقدم الإنجيل لهم العزاء. فالصبر واللطف اللذان يمكن أن يمنحهما روحه سيجعلان كأس قرعتهم المرّة عذبة وجميلة. فالقلب الذي يسكنه المسيح سيكون ممتلئاً وشبعان بمحبته بحيث لا تحرقه نار الشوق لاجتذاب العطف والالتفات إلى نفسه. وعن طريق تسليم النفس لله فإن حكمته تستطيع أن تتمم ما تعجز عنه الحكمة البشرية. وعن طريق إعلان نعمته يمكن للقلوب التي كانت قبلا عديمة الاكتراث أو نافرة أن تتحد بربط أوثق وأثبت مما على الأرض ـ الربط الذهبية للمحبة التي تصمد أمام امتحان التجربة.

«لا تحلفوا البتة» (متى ٥: ٣٤)

إنّ السبب في إصدار هذا الأمر مقدم هنا، فنحن يجب ألاّ نحلف «لا بالسماء لأنّها كرسي الله ولا بالأرض لأنها موطيء قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء» (متى ٥: ٣٤ – ٣٦).

إنّ كل شئ يأتي من الله. فلا شيء لدينا إلا وأُعطيَ لنا، وأكثر من هذا فإنّنا لا نملك شيئا لم يُشترَ لنا بدم المسيح. فكل ما نملكه يأتينا مختوما بختم الصليب ومُشترى بالدم الذي هو أثمن من كل تقدير لأنّه حياة الله. ولهذا فلا يوجد شيء يمكن أن يكون لنا حق فيه كما لو كان ملكا لنا لأجل الوفاء بكلامنا.

لقد فهم اليهود أنّ الوصية الثالثة تنهى عن تدنيس استعمال اسم الله، ولكنهم ظنوا أنّ لهم الحرية في النطق بأقسام أخرى. كان الحلف شائعاً بينهم. ولكنهم نُهوا على لسان موسى عن أن يحلفوا كذبا، غير أنهم لجأوا إلى حيل كثيرة للتحلل من الالتزام الذي كان يفرضه القَسَم. إنّهم لم يكونوا يخشون من الانغماس فيما كان تدنيسا حقيقيا ولم يتراجعوا عن حَلَفِ يمين الزور طالما كان ذلك يستتر تحت المراوغة في الشريعة بطريقة فنية.

ولقد دان يسوع أعمالهم معلناً أنّ اعتيادهم حلف اليمين كان نقضاً لوصية الله. ومع ذلك فإنّ مخلصنا لم ينهَ عن النطق باسم الله في القسَم أمام القضاء حيث يستشهد الله بكلّ وقار ليشهد بأنّ ما يقال هو الحق ولا شيء غير الحق. إنّ يسوع نفسَه وهو يحاكم أمام السنهدريم لم يرفض أن يشهدَ بقسم. فلقد قال له رئيس الكهنة: «أستحلفك بالله الحيّ أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت» (متى ٢٦: ٦٣ و ٦٤). فلو أنّ المسيح في موعظته على الجبل دان الحلف أمام القضاء لكان في وقت محاكمته وبّخ رئيس الكهنة، وهكذا كان قد نفّذ تعليمه لفائدة تابعيه.

يوجد كثيرون جدا من الناس الذين لا يخشون خداع بني جنسهم، ولكن الروح القدس علمهم وأقنعهم بأنه أمر مرعب جدا كونهم يكذبون على جابلهم. وعندما يلتزمون بان يحلفوا فإنّهم يحسّون بأنهم لا يشهدون

أمام الناس فحسب بل أمام الله، وانهم إن شهدوا زورا فانهم يفعلون ذلك أمام ذاك المطلع على خفايا القلوب ويعرف الحق الصحيح كله. إن معرفة الأحكام المخيفة التي تجيء في إثر هذه الخطية تجعلهم يرتدعون.

ولكن أن كان هنالك من يستطيع أن يشهد شهادة ثابتة بقسم فإنما هو المسيحي. إنه يعيش دائما كمن هو في حضرة الله، عالما أن كل فكر مكشوف لعيني ذاك الذي معه أمرنا، فمتى طلب منه أن يفعل ذلك بطريقة شرعية فمن الصواب له أن يجعل الله شهيدا على أن ما يقوله هو الحق ولا شئ غير الحق.

وقد تقدم يسوع ليضع أساس مبدأ يجعل الحلف أمرا لا لزوم له. فهو يعلمنا أن الصدق المضبوط ينبغي أن يكون قانون كلامنا. فيقول: «ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير» (متى ٥: ٣٧).

هذه الأقوال تدين كل العبارات العديمة المعنى والكلام الحشو الذي يساعد على الفساد. وهي تدين المجاملات الخادعة والمراوغة من الصدق وعبارات التملق والمبالغات والتمويه في التجارة التي هي سائدة في المجتمع وفي دنيا الأعمال. وهي تعلمنا أن كل من يحاول أن يبدو على غير حقيقته، ومن لا تنقل أقواله ميل القلب الحقيقي ولا يعبر تعبيرا صادقا عما في داخله لا يمكن أن يدعى صادقا.

فلو وعى الناس كلام المسيح هذا لكان كفيلا بأن يصد ويوقف النطق بالظنون الرديئة والانتقاد الجارح، لأنه إذ يعلق أي إنسان على أعمال إنسان آخر وبواعثه فمن يضمن أنه ينطق بالصدق بحذافيره؟ وما أكثر ما تصبغ الكبرياء والغضب والحنق الشخصي الأثر أو الانطباع الذي يحدث! إن نظرة أو كلمة أو حتى نفس تنغيم الصوت يمكن أن تكون ممتزجة

بالكذب. وحتى الحقائق يمكن إيرادها بحيث تحمل انطباعا كاذبا، «وما زاد على ذلك فهو من الشرير».

يجب أنّ كل ما يعمله المسيحيون يكون شفّافا كنور الشمس. فالحق هو من الله أمّا الخداع في كل شكل من أشكاله التي تحصى بالربوات فهو من الشيطان، فكل من ينحرف عن الطريق المستقيم، طريق الحق، إنّما يسلم نفسه لسلطان الشرير. ومع هذا فإنّ النطق بالصدق التام ليس أمراً هيناً. ونحن لا يمكننا أن ننطق بالصدق ما لم نعرفه، وكم من مرّة تمنع الآراء التي سبق تكوينها والتحيّز العقلي والمعرفة الناقصة والأخطاء في الحكم. كثيرا ما يحول ذلك كلّه دون الإدراك الصحيح للمسائل التي لنا دخل فيها! إنّنا لا نستطيع أن نتكلّم بالصدق ما لم تسترشد عقولنا على الدوام بذاك الذي هو الحق.

إنّ المسيح يأمرنا على لسان بولس الرسول قائلا: «ليكن كلامكم كل حين بنعمة» (كولوسي ٤: ٦). «لا تخرج كلمة رديّة من أفواهكم بل كل ما كان صالحا للبنيان حسب الحاجة كي يعطي نعمة للسامعين» (أفسس ٤: ٢٩). ففي نور هاتين الآيتين نجد أنّ كلام المسيح على الجبل يدين المزاح والعبث والكلام غير الطاهر. وهذا الكلام يتطلب أنّ كلامنا فضلا عن كونه صادقا يجب أن يكون طاهراً.

إنّ من قد تعلموا من المسيح لن تكون لهم شركة «في أعمال الظلمة غير المثمرة» (أفسس ٥: ١١). ففي الكلام كما في الحياة يجب عليهم أن يكونوا بسطاء ومسالمين وأمناء صادقين، لأنّهم إنّما يتأهبون لمعاشرة أولئك القديسين الذين «في أفواههم لم يوجد غش» (رؤيا ١٤: ٥).

«لا تقاوموا الشرّ بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً» (متى ٥: ٣٩)

إنّ فرص الإثارة لليهود كانت كثيرا ما تحدث بسبب احتكاكهم بالعساكر الرومان. فقد كانت فصائل من الجيوش تقيم في أماكن مختلفة في كل اليهودية والجليل. وكان وجود تلك القوات مذكّرا للشعب بانحطاطهم كأمّة. فبنفوس مرّة كانوا يستمعون إلى صوت البوق المرتفع ويرون فرق الجيش متجمعة حول الراية الرومانية وينحنون في ولاء أمام رمز قوتها وسلطانها هذا. وكثيرا ما كانت تقع المصادمات بين الشعب والجنود وهذا ألهب نار العداء في قلوب الشعب. وفي أحيان كثيرة عندما كان أحد الموظفين الرومان يسرع من مكان إلى آخر ومعه حراسة من الجنود كان يقبض على الفلاحين اليهود الذين يشتغلون في الحقل ويرغمهم على أن يحملوا أثقالا ويصعدوا بها فوق الجبل أو يقدموا أية خدمة أخرى يحتاج إليها. كان هذا يتمشّى مع القانون والعادات الرومانية ولم تكن المقاومة تجديهم فتيلا بل كانت تجلب عليهم التعييرات والقسوة. وكل يوم كان يُعمّق في نفوس الشعب الشوق إلى طرح نير الرومان بعيدا. وقد كانت روح التمرّد والثورة متفشّية على الخصوص بين سكان الجليل المشهورين بالجرأة والخشونة. وإذ كانت كفرناحوم مدينة على الحدود فقد كانت مركزاً لحامية رومانية، وحتى فيما كان يسوع يتكلم فإنّ منظر شرذمة من الجنود أعاد إلى أذهان سامعيه الفكرة المرّة المحزنة، فكرة عبودية إسرائيل. وقد تطلع الشعب بشوق إلى المسيح على أمل أن يكون هو الشخص الذي سيذلّ كبرياء روما.

وها هو يسوع ينظر بحزن إلى تلك الوجوه الشاخصة إليه. وهو يلاحظ روح الانتقام التي طبعت نفوسَهم بطابعها الشرّير، ويعرف كيف يتوق الشعب

بمرارة إلى قوة بها يسحقون مضطهديهم ومستعبديهم. فيأمرهم قائلا بحزن: «لا تقاوموا الشرّ بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً» (متى ٥: ٣٩). هذا الكلام لم يكن إلاّ تكراراً لأقوال العهد القديم. نعم إنّ القانون القائل: «عين بعين وسن بسن» (لاويين ٢٤: ٢٠) كان قانونا بين القوانين المعطاة لموسى ولكنه كان قانونا مدنيا. فلم يكن يحلّ لإنسان أن يثأر لنفسه: لأن الناس كانت عندهم أقوال الرب القائلة: «لا تقل أنّي أجازي شرا». «لا تقل كما فعل بي هكذا أفعل به» «لا تفرح بسقوط عدوك» «إن جاع عدوك فأطعمه خبزا وان عطش فاسقه ماء» (أمثال ٢٠: ٢٢؛ ٢٤: ٢٩ و ١٧؛ ٢٥: ٢١ و ٢٢).

وقد كانت كل حياة يسوع على الأرض إعلاناً لهذا المبدأ. إنّ مخلصنا ترك وطنه في السماء ليأتي بخبز الحياة لأعدائه. فمع أنّ الوشايات والاضطهادات انهالت عليه من المهد إلى اللحد فإنها لم تستمطر منه غير ألفاظ الغفران. وهو يقول على لسان النبي إشعياء: «بذلت ظهري للضاربين وخدي للناتفين وجهي لم أستر عن العار والبصق» (إشعياء ٥٣ :٧). ومن صليب جلجثة تنحدر، عبر الأجيال، صلاته لأجل قاتليه، ورسالة الرجاء للص المحتضر.

لقد كان حضور الآب محيطاً بالمسيح ولم يُصِبْه إلاّ ما سمحت به المحبة السرمدية ليتبارك به العالم. هنا كان نبع العزاء لنا نحن أيضا. فالذي يسكن فيه روح المسيح يثبت في المسيح. والضربة التي تصوب إليه تقع على المخلص الذي يحيطه بحضوره. فكل ما يأتي عليه يأتي من المسيح. فلا حاجة به إلى مقاومة الشرّ لأنّ المسيح حصنه. ولا يمكن أنّ شيئا يمسّه إلاّ بسماحٍ من الرب «كل الأشياء» التي يسمح بها «تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رومية ٨: ٢٨).

«من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحدا فاذهب معه اثنين» (متى ٥: ٤٠و٤١).

وقد أمر يسوع تلاميذه بدلا من أن يقاوموا أوامر ذوي السلطان، أن يفعلوا أكثر ممّا يُطلب منهم. وبقدر المستطاع يجب عليهم أن يتمّموا كل التزام حتى ولو كان ذلك فوق ما يطلبه قانون البلاد. إنّ القانون المعطى بواسطة موسى أوصى بالاهتمام بالفقراء بكل رقة. فعندما كان إنسان فقير يعطي ثوبَه رهناً أو ضمانا لدين لم يكن يسمح للدائن بالدخول إلى البيت ليأخذه، بل كان يجب عليه أن يقف خارجاً في الشارع ليؤتى إليه بالرهن. ومهما تكن الظروف فإنّه كان يجب أن يعاد الرهن إلى صاحبه عند إقبال الليل (تثنية ٢٤: ١٠-١٣). ولكن في عهد المسيح لم يلقِ الناسَ بالاً إلى هذه الاحتياطات الرحيمة؛ أمّا يسوع فقد علّم تلاميذه أن يخضعوا لحكم المحكمة حتى ولو تطلّب هذا أكثر مّما سمح به ناموس موسى. فلو طلب منهم قطعة من ملابسهم كان عليهم أن يخضعوا. وأكثر من هذا فقد كان عليهم أن يقدموا للدائن حقّه، وإذا لزم أن يتنازلوا له عن أكثر مما رخصت له المحكمة أن يأخذ. فقد قال: «ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا» (متى ٥: ٤) وإذا طلب منك السعاة أن تذهب معهم ميلا واحدا فأذهب معهم اثنين.

واستطرد يسوع قائلا: «من سألك فاعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده» (متى ٥: ٤٢). وهذا الدرس هو نفس ما علم به موسى، إذ يقول: «لا تقسِّ قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك الفقير. بل أفتح يدك له وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه» (تثنية ١٥: ٧و٨). هذا القول الإلهي يوضح معني كلام المخلص. فالمسيح لا يعلمنا أن نعطي بدون تمييز لكل من يسألنا إحساناً بل

يقول: «أقرضه مقدار ما يحتاج إليه». وهذا ينبغي أن يكون هبة لا قرضاً فالرب يأمرنا قائلا: «أقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا» (لوقا ٦: ٣٥).

«أحبوا أعداءكم» (متى ٥: ٤٤)

إنّ تعليم المخلص القائل: «لا تقاوموا الشرير» (متى ٥: ٣٩ ترجمة سنة ١٨٧٨م) كان قولا قاسياً وجّهه إلى اليهود محبي الانتقام فتذمروا عليه في نفوسهم. ولكن ها هو يسوع الآن يقدم تصريحا أقوي إذ يقول:

«سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. أمّا أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات» (متى ٥: ٤٣-٤٥)

هكذا كان روح الناموس الذي قد حرّفه المعلمون كأنّما قد صار قانونا باردا وفروضا صارمة. وقد كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل من باقي الناس ومستحقّين لرضى الله الخاص بفضل كونهم من نسل إسرائيل، ولكن يسوع أشار إلى روح المحبة الغافرة على أنّها البرهان الذي يدل على أنّهم مدفوعون بدوافع أسمى حتى من دوافع العشارين والخطاة الذين كانوا يحتقرونهم.

وقد وجّه انتباه سامعيه إلى ملك الكون الذي دعاه باسم جديد «أبانا». لقد أرادهم أن يفهموا بأية رقة وبأي حب يشتاق إليهم قلب الله. وهو يعلم أنّ الله يهتم بكل نفس ضالة حتى «كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه» (مزمور ١٠٣: ١٣). مثل هذا التفكير عن الله لم تقدمه قط أية ديانة للعالم إلاّ ديانة الكتاب المقدس. إنّ الوثنية تعلم الناس أن ينظروا إلى الكائن الأعلى كمن هو مصدر الرعب لا كمصدر الحب - كإله حقود خبيث

يجب استرضاؤه بالذبائح، لا كآب يسكب على أولاده هبة محبته. وحتى شعب إسرائيل كانت بصائرهم قد عميت عن تعليم الأنبياء الثمين عن الله حتى أمسى هذا الإعلان عن محبته الأبوية وكأنه موضوع جديد وهبة جديدة للعالم.

كان اليهود يعتقدون أنّ الله يحبّ من يخدمونه - وهؤلاء بحسب فكرهم، كانوا الذين تمّموا مطاليب المعلّمين - وأنّ كل باقي العالم واقع تحت طائلة غضبه ولعنته. ولكن يسوع قال كلاما غير هذا، فالعالم بكل من فيه من أشرار وأبرار يتمتّع بشمس محبته. كان يجب أن تتعلموا هذا من الطبيعة نفسها لأن الله «يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين» (متى ٥: ٤٥).

إنّ الأرض تنتج ثمارها وخيراتها وتظل دائرة حول الشمس سنة بعد سنة، ليس بسبب قوة فطريّة فيها. فإنّ يد الله تهدي الكواكب وتبقيها في مداراتها في سيرها المنظم في السموات. فبقوته يتعاقب الصيف والشتاء والزرع والحصاد والليل والنهار كلٌّ بعد الآخر في تتابع منظم. وبكلمته ينمو الزرع ويزدهر وتظهر الأوراق وتتفتح الأزهار. فكل خير نناله وكل شعاعة من نور الشمس وسيول المطر وكل كسرة خبز وكل لحظة من لحظات الحياة هي هبة من هبات المحبة.

فعندما كانت أخلاقنا منفّرة ومشوهة «ممقوتين مبغضين بعضنا بعضا» رحمنا أبونا السماوي. «حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا» (تيطس ٣:٣-٥). فإذ نقبل محبته فهي ستجعلنا كذلك لطفاء ومحبين ليس فقط لمن يرضوننا بل أيضا لمن هم أكثر الناس ذنباً وخطأً وإثماً.

إنّ أولاد الله هم شركاؤه في طبيعته. فليس المقام الأرضي ولا المولد ولا القومية ولا الامتياز الديني هو الذي يبرهن على أنّنا أعضاء في أسرة الله. ولكنّها المحبة – المحبة التي تحتضن كل البشرية. وحتى الخطاة الذين لم يغلقوا قلوبهم تماما دون روح الله سيستجيبون للرفق واللطف. ففي حين أنّهم يقابلون الكراهية بكراهية نظيرها فإنّهم سيقدمون محبة مقابل محبة. ولكن روح الله وحده هو الذي يقابل الكراهية بالمحبة. إنّ كوننا نشفق على غير الشاكرين والأشرار، وكوننا نعمل خيرا دون أن ننتظر شيئاً مقابله هو وسام الأسرة المالكة في السماء والعلامة الأكيدة التي بها يعلن بنو العلي منزلتهم العالية.

«فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (متى ٥: ٤٨)

إنّ «الفاء» المذكورة هنا تدل على النتيجة أو الاستنتاج من كل ما سبق فقيل. لقد كان يسوع يصف لسامعيه رحمة الله ومحبته اللتين لا ينضب معينهما، ولذلك فهو يأمرهم بأن يكونوا كاملين. فلأن أباكم السماوي «منعم على غير الشاكرين والأشرار» (لوقا ٦: ٣٥)، ولأنه تنازل ليرفعكم ، فلذلك هكذا قال يسوع يمكنكم أنتم أيضا أن تصيروا مثله في الصفات وتقفوا بلا لوم أمام الناس والملائكة.

إنّ شروط الحياة الأبدية في عهد النعمة هي نفس الشروط التي كانت في جنة عدن – أي البرّ الكامل، والتوافق مع الله والامتثال لمبادىء شريعته. ومقياس الخلق المقدم في العهد القديم هو نفس المقياس المقدم في العهد الجديد. وهذا المقياس ليس ممّا نعجز عن بلوغه. وفي كل أمر أو وصية يقدمها الله يوجد وعد إيجابي وأكيد جدّاً يكمن في ذلك الأمر. ولقد

أعدّ الله العدة لكي نصير مثله وهو سيتم هذا لكل من لا يدخلون إرادة فاسدة منحرفة وهكذا يبطلون نعمته.

لقد أحبنا الله حبا لا يعبّر عنه، وإنّ محبتنا تستيقظ نحوه عندما ندرك شيئاً عن الطول والعرض والعمق والعلو لهذه المحبة الفائقة المعرفة. وبواسطة إعلان جمال المسيح الجذاب وبواسطة معرفة محبته التي أظهرت لنا ونحن بعد خطاة يذوب القلب العنيد العاصي ويخضع ويتجدد الخاطيء ويصبح ابنا للسماء. إنّ الله لا يلجأ إلى إجراءات الإلزام أو الإرغام، فالمحبة هي الوسيلة التي يستخدمها لطرد الخطية من القلب، إذ بواسطتها تتبدل الكبرياء إلى وداعة والعداء وعدم الإيمان إلى حب وإيمان.

كان اليهود يكدّون ويتعبون ليبلغوا حد الكمال بجهودهم ولكنهم أخفقوا. وقد سبق المسيح فقال لهم إنّ إبراهيم لا يمكن أن يدخلهم إلى ملكوت السموات. وها هو الآن يرشدهم إلى نوع البرّ الذي يملكه كل من يدخلون السماء. ففي كل الموعظة على الجبل يصف ثمار ذلك البرّ، والآن هو يرشدهم في حملة واحدة إلى نبعه وطبيعته: كونوا كاملين كما أنّ الله كامل. إنّ الشريعة هي صورة طبق الأصل من صفات الله. فانظروا في أبيكم السماوي إظهارا كاملا للمباديء التي هي أساس حكمه.

الله محبة. والمحبة والنور والفرح تفيض منه إلى كل خلائقه كما تنبعث أشعّة النور من الشمس. فطبيعته أنّه يعطي. ونفس حياته هي فيض المحبة غير المُحبّة لذاتها وهو يأمرنا أن نكون كاملين كما هو كامل - بنفس الكيفية. علينا أن نكون مبعث النور والبركة في محيطنا الضيق كما هو لكل المسكونة. إنّنا لا نملك شيئاً من أنفسنا ولكن نور محبته يشرق علينا. وعلينا أن نعكس بهاء تلك المحبة. «في جوده المقترض يوجد خير»، فيمكننا أن نكون كاملين في محيطنا كما أن الله كامل في محيطه.

قال يسوع: كونوا كاملين كما أنّ أباكم كامل. فإذا كنتم أولاد لله فستكونون شركاءه في طبيعته ولا يسعكم إلاّ أن تكونوا مثله. فكل ابن يحيا بحياة أبيه. فإذا كنتم أولادا لله - مولودين بروحه - فأنتم تحيون بحياة الله. ففي المسيح يحل «كل ملء اللاهوت جسديا» (كولوسي ٢: ٩) وتظهر حياة يسوع «في جسدنا المائت» (٢كورنثوس ٤: ١١). فتلك الحياة التي فيكم ستنتج نفس الصفات وتظهر نفس الأعمال كما قد تظهر نفس الأعمال كما قد ظهر فيه. وهكذا تكونون في وفاق مع كل وصية من وصايا شريعته، لأنّ «ناموس الرب كامل يرد النفس» (مزمور ١٩: ٧). وعن طريق المحبة «يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» (رومية ٨: ٤).

٣٣ الدَّافِع الحَقيقي إلى الخِدمَة

«احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم» (متى ٦: ١)

إن كلام المسيح الذي نطق به فوق الجبل كان تعبيرا عن تعليم حياته غير المنطوق به والذي أخفق الشعب في إدراكه. فإنّهم لم يستطيعوا أن يفهموا كيف أنّه وهو الذي له مثل تلك القوة العظيمة أهمل استخدامها في إحراز ما اعتبروه كالخير الأعظم. فروحهم وبواعثهم ووسائلهم كانت على عكس روحه وبواعثه ووسائله. ففي حين كانوا يّدعون أنّهم غيورون جداً على كرامة الشريعة، ،فإنّ تمجيد الذات كان هو الغرض الحقيقي الذي كانوا يسعون إليه، وقد أراد المسيح أن يوضّح لهم أنّ من يحب نفسه هو متعدٍ على الشريعة.

ولكنّ المباديء التي يعتنقها الفريسيون هي نفس صفات البشرية في كل عصر. فالروح الفرّيسية هي روح الطبيعة البشرية، وإذ أبان المخلص الفرق بين روحه ووسائله وبين روح المعلمين ووسائلهم فان تعليمه ينطبق على الناس في كل عصر بالتساوي.

كان الفريسيون في عهد المسيح يحاولون باستمرار أن يظفروا برضى السماء حتى يحصلوا على الكرامة والنجاح العالميين اللذين اعتبروهما أجرا للفضيلة. وفي نفس الوقت كانوا يتباهون بحسناتهم وصدقاتهم أمام الناس ليجتذبوا انتباههم ويحصلوا على سمعة طيبة للقداسة.

ولكن المسيح وبخهم على تلك المباهاة معلنا أن الله لا يعترف بمثل تلك الخدمة وأن إطراء الناس وإعجابهم اللذين كانوا يطلبونهما بكل شوق ولهفة كانا هما الأجر الوحيد الذي سيحصلون عليه.

فقد قال: «متى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ولكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية» (متى ٦: ٣و٤).

ولكن يسوع لم يعلّم بهذا الكلام. إنّ أعمال الإحسان والرحمة يجب أن تظل أبدا في الخفاء. فإن بولس الرسول وهو يكتب بالهام الروح القدس لم يُخفِ سخاء المسيحيين في مكدونية وإنكارهم لنفوسهم بل أخبر عن النعمة التي أوجدها المسيح فيهم، وهكذا أُشرب آخرون بنفس الروح. وقد كتب أيضا إلى كنيسة كورنثوس يقول: «غيرتكم قد حرضت الأكثرين» (٢كورنثوس ٩: ٢).

وكلام المسيح يجعل معناه واضحا وصريحا - إنّه في أعمال الخير ينبغي ألاّ يكون الهدف هو الظفر بمديح الناس أو تمجيدهم. إنّ التقوى الحقيقية لا تدفع صاحبها لأن يسعى وراء التظاهر أو المفاخرة. فالذين يشتاقون إلى سماع كلام المديح أو المداهنة ويقتاتون به كخبز لذيذ هم مسيحيون بالاسم فقط.

إنّ أتباع المسيح يجب عليهم بأعمالهم الصالحة أن يمجّدوا، لا أنفسهم، بل ذاك الذي قد عملوا تلك الأعمال بنعمته وقوته. إنّ كل عمل صالح يعمل بقوة الروح القدس، والروح يُعطى لا ليمجد الآخذ بل المعطي. فعندما يشرق نور المسيح في النفس فالشفاه تمتلىء حمدا وشكرا لله. إنّ صلواتكم وإتمامكم لواجبكم وإحساناتكم وإنكاركم لذواتكم لن تكون

موضوع تفكيركم أو أحاديثكم. فيسوع سيتعظم والذات تختفي والمسيح سيظهر على أنه الكل في الكل.

وعلينا أن نعطي بإخلاص لا لكي نعرض أعمالنا الصالحة، بل لكن مدفوعين بدافع العطف والحب علي المتألمين. إن خلوص القصد وإشفاق القلب الحقيقي هو الباعث الذي تقدره السماء. والنفس المخلصة في محبتها والموحدة في تكريسها وتعبدها يعتبرها الله اثمن من ذهب أوفير.

وينبغي ألاّ نفكر في الأجر، بل في الخدمة، ومع ذلك فأعمال الشفقة التي تُري في هذه الروح لن تعدم جزاءها. «أبوك الذي يري في الخفاء هو يجازيك علانية» (متى ٦: ٤). وفي حين أنّه حق أنّ الله نفسه هو الأجر العظيم الذي يشمل كل أجر آخر فإنّ النفس تقبله وتتمتع به بقدر ما تتشبّه به في الصفات. إنّ القرين هو وحده الذي يستطيع أن يقدّر قرينه، فإذ نسلم نفوسنا لله لخدمة الإنسانية فهو يعطينا نفسه.

كلّ من يعطي مجالا في قلبه وحياته لنهر بركة الله لتجري وتفيض على الآخرين لابدّ أن يحصل في نفسه على أجر عظيم. إنّ سفوح التلال والسهول التي تعدّ قناة تجري فيها الجداول المنحدرة من الجبال لتصل إلى البحر لا تصيبها في ذلك خسارة. فما تقدمه يعوّض لها عنه بمئة ضعف. لأن النهر الذي يجري مترنما في طريقه يترك خلفه هبة من الخضرة والنباتات والخصب. العشب النامي على ضفتيه هو أعظم نضرة واخضرارا، والأشجار تكسوها الأوراق الخضراء، والأزهار تزداد عددا وجمالا. فعندما تكون الأرض مقفرة وسوداء تحت حرارة الصيف المحرقة فإنّ خطّاً من الخضرة يحدّد مسار النهر، والسهل الذي فتح حضنه لحمل كنز الجبل (مياه النهر، والسهل الذي فتح حضنه لحمل كنز (مياه النهر) إلى البحر يكتسي

بالنضرة والجمال - وهذه شهادة عن التعويض الذي تقدمه نعمة الله لكل من يسلمون ذواتهم كقناة تجرى فيها إلى العالم.

هذه هي البركة التي ينالها من يظهرون الرحمة للفقراء. يقول إشعياء النبي: « أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين والتائهين إلى بيتك. إذا رأيت عريانا أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك. حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعا ... ويقودك الرب على الدوام ويشبع في الجدوب نفسك ... فتصير كجنة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه » (إشعياء ٥٨: ٧- ١١).

إنّ عمل الإحسان له بركة مضاعفة. ففي حين أن من يعطي الفقراء يبارك الآخرين فإنه هو نفسه يحصل على بركة أعظم. إنّ نعمة المسيح تربّي في النفس صفات خلقية على عكس الأثرة - صفات تنقي الحياة وتشرفها وتغنيها. وإن أعمال الإحسان التي تُقدَّمُ في الخفاء تربط القلوب معا وتقربها جدّا من قلب ذاك الذي منه تنبعث كل خالجة كريمة. إنّ أعمال الخير الصغيرة وأعمال المحبة والتضحية التي تفيض من الحياة بهدوء كالرائحة العطرة التي تفوح من الزهرة - هذه تكون نصيباً كبيرا من بركات الحياة وسعادتها. وسيُرى أخيرا أنّ إنكار الذات لأجل خير الآخرين وإسعادهم مهما يكن وضيعا ولا يمتدحه أحد في هذا العالم يعترف به في السماء كعلامة اتحادنا بملك المجد الذي من أجلنا افتقر وهو الغني.

إنّ أعمال الرحمة قد تعمل في الخفاء ولكنّ نتائجها على أخلاق من يقوم بها لا يمكن إخفاؤها. فإذا كنا نخدم بكل القلب وباهتمام عظيم كتابعين للمسيح فان القلب يكون في حالة تجاوب وثيق مع الله، وأذ يرفّ روح الله على نفوسنا فهو يستجلب انسجام النفس المقدسة استجابة للّمسة الإلهية.

إنّ من يقدم وزنات كثيرة لمن قد احسنوا استخدام الوزنات المسلّمة لهم يسرّه أن يعترف بخدمة شعبه المؤمن بالحبيب الذي قد عملوا بنعمته وقوته. إنّ من قد اجتهدوا في تحسين الخلُق المسيحي وإكماله باستخدام قواهم في الأعمال الصالحة سيحصدون ما قد زرعوه في العالم الآتي. فالعمل الذي بُديء به على الأرض سيبلغ حد الكمال في تلك الحياة الأسمي والأقدس ليبقى مدي دهور الأبد.

«ومتي صليت فلا تكن كالمرائين» (متى ٦: ٥)

كانت للفريسيين ساعات محددة للصلاة، وعندما كان ينفق أن يكونوا في الخارج في وقت الصلاة المحددة كما كان يحدث كثيرا، كانوا يتوقفون عن السير والحركة كما كان يحدث كثيراً، كانوا يتوقفون عن السير والحركة أينما يوجدون - ربما في شارع أو في سوق في وسط جموع الرجال المسرعين في سيرهم - وهناك كانوا يتلون صلواتِهم الطقسية بأصوات عالية. فمثل هذه العبادة التي كانت تُقدّم لمجرد تمجيد الذات استوجبت توبيخ يسوع الصارم. ولكنّه مع ذلك لم يعترض على الصلاة الجهارية، فقد صلّى هو نفسه مع تلاميذه وفي حضور التلاميذ. ولكنه يعلمنا أنّ الصلاة الانفرادية ينبغي ألاّ تصير جهارية. ففي عبادتنا السرّية ينبغي ألاّ يسمع صلاتنا أحد غير الله سامع الصلاة. فينبغي ألاّ تسمع أذن متطفلة إلى مثل تلك الابتهالات.

«متى صليت فادخل إلى مخدعك» (متى ٦:٦). ليكن لك مكان للصلاة السرية. لقد كانت ليسوع أماكن مختارة للشركة مع الله، وهذا ما يجب أن نفعله نحن. إنّنا نحتاج إلى الاعتكاف كثيرا في بقعة ما، مهما تكن حقيرة. حيث يمكننا أن ننفرد مع الله.

«صل إلى أبيك الذي في الخفاء». يمكننا أن نمثل في حضرة الله باسم يسوع بثقة الأطفال. ولا حاجة بنا إلى إنسان ليقوم بدور الوسيط. فعن طريق يسوع يمكننا أن نفتح قلوبنا لله كمن يعرفنا ويحبّنا.

ففي مخدع الصلاة حيث لا يمكن أن ترانا عينٌ غيرَ عين الله، أو تسمعنا أذنٌ غير أذنه يمكننا أن نسكب اعمق رغائبنا وأشواقنا أمام أبي الرأفة السرمدية، وفي هدوء النفس وسكونها فذلك الصوت الذي لا يخفق أبدا في الاستجابة لصرخة البشرية سيكلّم قلوبنا.

«الرب كثير الرحمة ورؤوف» (يعقوب ٥: ١١). إنّه ينظر بمحبة لا تكلّ ليسمع اعتراف العصاة الضالين ويقبل توبتهم. إنّه يراقب منتظرا أن يسمع منا اعترافا بالشكر كما تراقب الأمُّ في انتظار ابتسامة الرضى والاعتراف بالجميل من ابنها الحبيب.وهو يريدنا أن نفهم بأية غيرة ورقّة ولطف يشتاق قلبه إلينا. وهو يدعونا لأن نأخذ تجاربنا إلى عطفه وآلامنا وأحزاننا إلى حبّه وجروحنا إلى شفائه وضعفنا إلى قوته وفراغنا إلى ملئه. ولم يخِبْ قطُّ رجاءُ أيّ إنسان أتى إليه: «نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل» (مزمور ٣٤: ٥).

إنّ من يطلبون الله في الخفاء ويخبرونه بحاجاتهم ويتوسّلون إليه في طلب العون لن يتوسلوا عبثاً: «أبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية». فإذ نجعل المسيح رفيقنا كل يوم فسنحسّ أنّ قوى العالم غير المنظور تحدق بنا. وإذ نشخص إلى يسوع نصير مشابهين لصورته. حين ننظر إليه نتغيّر. فالخلق يتهذب ويتنقّى ويتسامى ليصير أهلا لملكوت السموات. والنتيجة الأكيدة لمعاشرتنا وشركتنا مع سيّدنا ستكون زيادة التقوى فينا والطهارة والغيرة. وسيزيد ذكاؤنا في الصلاة. فإنّنا نتلقّى تهذيبا إلهيا وهذا نجد له تفسيرا في حياة الاجتهاد والغيرة.

إنّ النفس التي تتجه إلى الله في طلب العون والإسناد والقوة بواسطة الصلاة الحارة كل يوم ستحصل على أشواق نبيلة وإدراك واضح للحق والواجب ومقاصد سامية للعمل وجوع وعطش دائم إلى البرّ. وإذ نحتفظ بصلتنا بالله نصبح قادرين على أن نفيضَ على الآخرين من النور والسلام والطمأنينة التي تمتلك قلوبنا، وذلك عن طريق معاشرتنا لهم. إنّ القوّة التي نحصل عليها بالصلاة لله متّحدة ببذل الجهد في مثابرةٍ لتهذيب العقل على التفكير والحرص تعدّ الإنسان للواجبات اليومية وتحفظ الروح في سلام وهدوء في كل الظروف.

فإذا اقتربنا إلى الله فهو سيضع في أفواهنا كلاما نقوله لأجله وتسبيحا لاسمه. وسيعلّمنا نغمة من ترانيم الملائكة، وشكرا لأبينا السماوي. وفي كل عمل من أعمال الحياة سيظهر نور المخلص الساكن فينا ومحبته. والاضطرابات الخارجية لا يمكنها أن تعكّر حياة الإيمان بابن الله.

«وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم» (متى ٦: ٧)

كان الوثنيّون ينظرون إلى صلواتهم على أنّ فيها استحقاقا في ذاتها للتكفير عن الخطية. ولهذا فكلّما طالت الصلاة كلّما عظم الاستحقاق. فإذا أمكنهم أن يصيروا قديسين بجهودهم الذاتية فسيكون في داخلهم ما يفرحهم، وسيكون لديهم أساس للافتخار. إنّ هذا الرأي عن الصلاة هو نتيجة مبدأ التكفير الذاتي الذي هو أساس كلّ نظم الديانة الكاذبة. وقد كان الفريسيون يعتنقون هذا الرأي الوثني عن الصلاة، وهو مبدأ لم يستأصل بعد في أيامنا هذه، حتى بين من يعترفون بالمسيحية. فتكرار عبارات معينة اعتادها الناس في حين لا يحسّ القلب بحاجته إلى الله هو من نفس نوع التكرار «الباطل» الذي تمارسه الأمم.

ليست الصلاة تكفيرا عن الخطية، إذ لا توجد فيها أيّة قوّة أو استحقاق في حدّ ذاتها ، فكل الأقوال المنمّقة التي تحت تصرّفنا لا تساوي رغبة مقدسة واحدة. إنّ أفصح الصلوات إن هي إلاّ أقوال عاطلة إذا كانت لا تعبّر عن عواطف القلب الصادقة. ولكنّ الصلاة الخارجة من قلب غيور عندما يعبر الإنسان عن الحاجات البسيطة لنفسه كما عندما نطلب من صديق أرضي إسداء معروف لنا في انتظار إجابته - هذه هي صلاة الإيمان. إنّ الله لا يرغب في تحياتنا الطقسية، بل يرغب في سماع صرخة القلب المنسحق والمتذلّل لشعوره بخطيته وضعفه التام، هذه تجد طريقها إلى أبي المراحم.

«ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين» (متى ٦: ١٦)

أن الصوم الذي تتطلبه كلمة الله هو شيء اعظم من أن يكون طقسيا. فهو لا ينحصر في مجرّد الإقلاع عن تناول الطعام، ولبس المسوح وذر الرماد على الرأس. فالذي يصوم وهو حزين حزنا حقيقيا على الخطية لن يميل إلى التظاهر.

إنّ قصد الصوم الذي يطلب منّا الله أن نحفظه ليس هو تعذيب الجسد لأجل خطيّة النفس بل هو مساعدتنا على رؤية شناعة الخطية، واتضاع القلب وتذلله أمام الله وقبول نعمته الغافرة . وقد كان أمرُه لإسرائيل هو هذا: «مزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم» (يوئيل ٢: ١٣).

ولن يجدينا نفعا كوننا نعاقب أنفسنا أو نتملّقها بفكرة كوننا بأعمالنا سنستحق أو نشترى ميراثا بين القديسين. إنّ المسيح عندما وُجّه إليه هذا السؤال: «ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله» أجاب قائلاً: هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسله» (يوحنا ٦: ٢٨و٢٩). إنّ التوبة هي الانصراف

عن الذات إلى المسيح، وعندما نقبل المسيح بحيث انّه بالإيمان يمكنه أن يحيا حياته بنا فستظهر أعمالنا الحسنة.

وقد قال يسوع: «متى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائما بل لأبيك الذي في الخفاء» (متى ٦: ١٧و١٨). فكل ما يعمل لأجل مجد الله يجب أن يعملَ بفرحٍ لا بحزنٍ أو كآبة. لا يوجد شيء كئيب في ديانة يسوع، فإذا كان المسيحيون يقنعون الآخرين بواسطة هيئة الحزن التي تبدو عليهم أنّ آمالهم في سّيدهم قد خابت فهم يشوّهون صفاتِه ويضعون حججا في أفواه أعدائه. فمع أنّهم يّدعون بكلامهم أنّ الله أبوهم فإنّهم بالكآبة والحزن يبدون في نظر العالم كاليتامى.

إن المسيح يريدنا أن نجعل خدمتَه تبدو جذّابة كما هي في الحقيقة. علينا أن نكشف عن أفكارنا لذواتنا وتجارب قلوبنا الخفية للمخلص الرحيم. اتركوا أثقالكم تحت الصليب وسيروا في طريقكم فرحين متهللين بمحبة من قد سبق فأحبكم. قد لا يعرف الناس أبدا العمل الذي يحدث سراً بين النفس والله، ولكن نتيجة عمل الروح في القلب ستظهر للجميع، لأن « الذي يري في الخفاء يجازيك علانية» (متى ٦: ١٨).

«لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض» (متى ٦: ١٩)

الكنز الذي يكنز على الأرض لا يدوم. فالسارقون ينقبون ويسرقون، والسوس والصدأ يفسدان، والنار والعواصف تكتسح مقتنياتكم. و«حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا» (متى ٦: ٢١). إنّ الكنز الذي يكنز على الأرض يحتكر العقل فيحرم الإنسان من الأمور السماوية. كانت محبة المال هي الشهوة المتحكمة في القلوب في العصر اليهودي. لقد اغتصبت محبة العالم مكان الله والدين في النفس. وكذلك الحال في

هذه الأيام، فالطمع الشحيح في طلب الثروة يوقع على الحياة تأثيراً خلابا ساحرا فينتج عن ذلك إفساد الشرف وكرم أخلاق الناس حتى يغرقوا في هوة الهلاك والردى. إنّ خدمة الشيطان مليئة بالهمّ والحيرة والشغل المضني، والكنز الذي يكدّ الناس ويتعبون في سبيل جمعه وتكويمه إنّما هو إلى حين.

قال يسوع: «اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأن حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا» (متى ٦: ٢٠و٢١).

إنّ الوصية المقدمة لكم هي هذه: «اكنزوا لكم كنوزا في السماء». إنّه لأجل مصلحتكم أن تحرزوا غنى السماء. فهذا الغني وحده دون كل شيء آخر تملكونه هو ملككم حقّا. والكنز الذي يكنز في السماء هو الذي لا يفنى. فلا النار ولا الطوفان يستطيع ملاشاته، ولا يمكن للسارق أن يسرقه ولا للسوس أو الصدأ أن يفسدَه لأنّه تحت حفظ الله وحراسته.

هذا الكنز الذي هو في اعتبار المسيح أثمن من كل تقدير هو «غنى مجد ميراثه في القديسين» (أفسس ١: ١٨). إنّ تلاميذ المسيح يُدعون جواهره وكنزه الثمين الخاص. إنّه يقول عنهم: يكونون «كحجارة التاج» (زكريا ٩: ١٦). «وأجعل الرجل أعزّ من الذهب الابريز والإنسان أعزّ من ذهب أوفير» (إشعياء ١٣: ١٢). والمسيح ينظر شعبه في طهارتهم وكمالهم كأنّهم أجرته عن كل آلامه واتضاعه وحبه وتكملة مجده - المسيح المركز العظيم الذي منه يتألّق كل المجد.

ثم إنّنا يسمح لنا بالاتحاد والاشتراك معه في عمل الفداء العظيم وبان نكون شركاءَه في الغنى الذي قد كسبه موتُه وآلامُه. وقد كتب بولس الرسول إلي المسيحيين في تسالونيكي يقول: «لأنّ من هو رجاؤنا وفرحنا

وإكليل افتخارنا. أم لستم أنتم أيضا أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه. لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا» (١تسالونيكي ٢: ١٩و٢٠). هذا هو الكنز الذي يأمرنا المسيح أن نعمل له. إن الخلق هو حصاد الحياة العظيم. وكل كلمة أو عمل يضرم في نفس واحدة نزعة تصبو نحو السماء بنعمة المسيح وكل مجهود يؤول إلى تكوين خلق مسيحي هو اكتناز كنوزنا في السماء.

حيث يكون الكنز فهناك يوجد القلب. ففي كل مسعى نبذله لإفادة الآخرين فإننا ننتفع به. فالذي يبذل مالا أو وقتا لنشر الإنجيل يجند مصلحته وصلواته للعمل ولأجل النفوس حتى يمكن الوصول إليها عن طريق ذلك العمل. إن عواطفه تصل إلى الآخرين وهو يتنشط لمزيد من التكريس لله حتى يكون قادرا على أن يصنع معهم خيرا أعظم

وفي اليوم الأخير تتلاشى ثروة الأرض فالذي كنز كنوزه في السماء سيرى ما قد كسبته حياته. فإن كنا قد التفتنا إلى كلام المسيح فعندما نجتمع حول العرش العظيم الأبيض سنرى النفوس التي قد خلصت بواسطتنا وسنعرف أن واحدا قد خلص آخرين، وهؤلاء خلصوا غيرهم - فقد وصل كثيرون إلى ميناء الراحة نتيجة لخدماتنا، وهناك يطرحون أكاليلهم عند قدمي يسوع ويسبحونه مدي أجيال الأبد. فبأي فرح سيشاهد خادم المسيح هؤلاء المفديين الذين سيشاركون الفادي في مجده! وكم ستكون السماء عزيزة لدى من كانوا أمناء في عمل تخليص النفوس!

«فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله» (كولوسي ٣: ١).

«إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً» (متى ٦: ٢٢)

إنّ تفرّد القصد أو بساطته، والتعبّد لله من كل القلب هو الشرط الذي يشير إليه كلام المخلص. فليكن العزم مُخلصاً غير متردّد لمعرفة الحق وإطاعته مهما تكن الكلفة وحينئذ ستحصل على الإنارة الإلهية. إنّ التقوى الحقيقية تبدأ عندما ينتهي كل تواطؤ مع الخطية. وحينئذ تصير لغة القلب هي قول بولس الرسول: «افعل شيئا واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» «إنّي أحسب كل شيء أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياءِ وأنا أحسبها نفايةً لكي اربح المسيح» (فيلبي ٣: ١٣و١٤و٨).

ولكن عندما تُعمي محبة الذات العينَ لا يوجد غير الظلام. «إن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلما» (متى ٦: ٢٣). هذه هي الظلمة المخيفة التي اكتنفت اليهود ولفّتهم في أكفان عدم الإيمان العنيد مما جعل من المستحيل عليهم أن يقدروا صفات ورسالة ذاك الذي قد جاء لكي يخلصهم من خطاياهم.

إنّ الاستسلام للتجربة يبدأ بأن تسمح للعقل بأن يتردّد وتكون غير ثابت في ثقتك بالله. فإذا كنّا لا نختار تسليم ذواتنا لله بالتمام فإنّنا نكون حينئذ في الظلمة. فإن عملنا أيّ تحفظ فنحن إنّما نترك بابا مفتوحا يمكن للشيطان أن يدخل منه ليضلّنا بتجاربه. فهو يعرف أنّه إذا كان يظلم أبصارنا بحيث لا تستطيع عين الإيمان أن ترى الله فلن يكون هنالك أيّ حاجز يمنع الخطية.

إنّ تفشي الشهوة الخاطئة يبرهن على ضلال النفس . فكل إفراط في تلك الشهوة يقوّي ويزيد كراهية النفس لله ونفورها منه. إنّنا إذ نسير في الطريق الذي قد اختاره الشيطان تكتنفنا أشباح الشرّ وظلامه وفي كل خطوة ننحدر إلى ظلمة أشدّ وأحلك وهذا يزيد من عمى القلب.

ونفس القانون يسري في العالم الروحي كما في العالم الطبيعي. فالذي يمكث في الظلمة يفقد أخيرا قوة الإبصار. إنّه يُحبس في ظلمة أشدّ ادلهماماً من ظلمة نصف الليل. ونور الظهيرة الباهر لا يأتيه بأيّ نور، فهو: «في الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضي لأن الظلمة أعمت عينيه» (١ يوحنا ٢: ١١). إنّ الخاطيء بسبب إصراره على احتضان الشرّ واستخفافه بتوسّلات المحبة الإلهية في عناد يخسر حب الخير والاشتياق إلى الله ونفس المقدرة على قبول نور السماء. إنّ دعوة الرحمة لا تزال مفعمة بالمحبة. والنور لا يزال يضيء بلمعانه كما عندما بزغ على نفسه أول مّرة. ولكن الصوت يطرق آذانا صمّاء والنور يقع على عيون عمياء.

إنّ الله لا يهجر أيّ نفس هجرانا نهائياً ولا يسلم ذلك الإنسان إلى طرقه طالما هنالك أمل في خلاصه. «فالإنسان يرتد عن الله، أمّا الله فلا يرتد عنه أو يتركه». إنّ أبانا السماوي يتبعنا بتوسّلاته وإنذاراتِه وتأكيدات رحمته إلى أن تصير الفرص والامتيازات التي تُقدّم بعد ذلك عديمة الجدوى. فالمسؤولية تقع على الخاطيء. فهو إذ يقاوم روح الله اليوم إنّما يعدّ الطريق لمقاومة النور مرّة ثانية عندما يأتي بقوة اعظم. وهكذا يتقدّم من طور لآخر من أطوار المقاومة إلى أن يُمسي النور عديم التأثير في النهاية ويكفّ هو عن الاستجابة لروح الله بأيّ قدر. وحينئذ فحتى «النور الذي فيك» يصير ظلاماً. فنفس الحق الذي نعرفه يصير مفسدا ومحرقا بحيث يزيد من عمى النفس.

«لا يقدر أحد أن يخدم سيدين» (متى ٦: ٢٤)

إنّ المسيح لا يقول إنّ الإنسان لن يخدم أو لا يخدم سيدين، بل إنّه لا يقدر على ذلك. فلا يوجد اتحاد أو تجاوب بين مصالح الله ومصالح المال. ففي الموضع الذي فيه ينذر ضمير المسيحي صاحبَه بأن يحتمل وينكر نفسه ويتوقف. في ذلك الموضع نفسه يسير الرجل الدنيوي لينغمس في اميال الأنانية. فعلى الجانب الواحد من الطريق يوجد تابع المسيح المنكر لذاته، وعلى الجانب الآخر يوجد الإنسان المحب للعالم المنغمس في شهواته المنقاد إلى العرف ومقتضيات الموضة والمنغمس في الطياشة والذي يريد أن يشبع نفسه بالملذات المحرمة. ولكنّ المسيحي لا يستطيع أن يسير في ذلك الطريق.

ولا يمكن لإنسان أن يقف موقف الحياد، إذ لا يوجد فريق متوسط لا يحب الله ولا يخدم عدّو البرّ. يجب أن يعيش المسيح في قلوب تابعيه من الناس ويشتغل بواسطة قواهم ومواهبهم ويعمل بواسطة إمكانياتهم. فيجب أن تخضع إرادتهم لإرادته، وعليهم أن يعملوا بروحه. ففيما بعد لا يحيون هم بل المسيح يحيا فيهم. فالذي لا يسلم نفسه بالتمام لله هو تحت سيادة أخرى، ويصغي لصوت آخر مقترحاتُه من نوع آخر يختلف اختلافاً بيّنا. إنّ الخدمة النصف مُنجِزَة تجعل صاحبها يناصر العدو كحليف ناجح لجيوش الظلمة. فعندما يرتبط من يدّعون انّهم جنود المسيح بحلف الشيطان ويتعاونون معه فهم يبرهنون انّهم أعداء المسيح. إنهم يخونون الودائع المقدسة. ويكونون حلقة اتصال بين الشيطان والجنود الحقيقيين بحيث أنّه عن طريق هؤلاء الأعوان يعمل العدو باستمرار على سرقة قلوب جنود المسيح.

إنّ أقـوى معـاقل الرذيلـة في عالمنـا ليسـت هــي حيـاة الإثـم الـتي يحياهـا الخـاطيء الخليـع أو الطريـد المنحـط، ولكنـها تلـك الحيـاة الـتي تبـدو فاضلـة وشـريفة ونبيلـة ولكــنّ فيـها تـتربّي خطيـة واحـدة وينغمـس فيـها الإنسـان في خطيـة واحـدة. فـالنفس الـتي تكـافح في الخفـاء ضـدّ تجربـة هائلـة وتقــف مرتعدة مترنحة على حافة الهـوة يكـون هـذا المثـال مـن أقـوي الإغـراءات لهـا لـترتكب الخطيـة. فـذاك الـذي مـع انّـه مـزوّد بـآراء سـامية عـن الحيـاة والحــق والكرامـة ومـع ذلـك يتعـدّى وصيـة واحـدة مـن وصايـا شـريعة الله المقدســة في إصـرار وعنـاد فقـد أفسـد وشـوّه مواهبـه النبيلـة فجعـل منـها طعمـا للخطيـة. فالعبقريـة والمواهـب والعطـف وحتـى أعمـال السـخاء والرفـق قـد تُمسـي خدعـا وغوايـات شـيطانية لاجتـذاب نفـوس أخـرى إلى هاويـة الهـلاك في هـذه الحيــاة والحياة الآتيـة.

«لا تحبّوا العـالم ولا الأشـياء الـتي في العـالم. إنّ أحـبّ أحــد العــالم فليســت فيـه محبـة الآب. لأنّ كـل مـا في العــالم شـهوة الجسـد وشـهوة العيــون وتعظـم المعيشة ليس من الآب بـل مـن العـالم» (١يوحنـا ٢: ١٥و١٦).

«لا تـهتموا (لا تقلقـوا)» (متـــى ٦: ٢٥)

إنّ مــن قــد منحــك الحيــاة يعـرف حـاجتك إلى الطعـام لإعالتـها. والــذي خلـق الجسـد ليس غافـلاً عـن حـاجتك إلى اللبس. فـهل ذاك الـذي قـد منــح العطيـة الأعظـم لا يمنـح أيضا ما يحتـاج إليه لجعلـها كاملـة.

إنّ يسـوع وجـه أنظـار سـامعيه إلى الطيـور وهـي تغـرد أغـاريد الحمــد وهــي غير مرتبكـة بأفكـار الهمـوم، لأنها «لا تـزرع ولا تحصـد» ومـع ذلـك فـالآب العظيـم يدبر لها كـل احتياجاتـها. وهـو يسـأل قـائلا: «ألسـتم أنتـم بـالحري أفضـل منـها» (متــى ٦: ٣٦).

«انه لا يسقط عصفور بدون رعايته ولا
تنحني نفس منسحقة إلا ويعرف يسوع
ذلك لأنه معنا في كل مكان ويراقب
كل دمعة حزن تنسكب وهو لن ولن
ولن يترك النفس التي تثق به أبداً»

كانت سفوح التلال والحقول مزدانة بالأزهار، فإذ أشار يسوع إليها في نضرة الصباح الندية قال: «تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو» (متى ٦: ٢٨). يمكن تقليد أشكال النباتات والزهور الجميلة وألوانها البديعة بواسطة المهارة البشرية، ولكن أية لمسة يمكنها أن تمنح الحياة لزهرة واحدة أو ورقة واحدة من أوراق النبات؟ إنّ كل زهرة نابتة بجانب الطريق مدينة بكيانها لنفس القوة التي نظمت عوالم الأفلاك في علياء السماء. ففي كل الخلائق تهتز وتختلج نبضة الحياة الواحدة من قلب الله العظيم. فهو بيده قد ألبس زنابق الحقل حللا أغلى وأبهى من كل ما ازدانت به أجسام ملوك الأرض، «فإن كان عشب الحقل الذي يوجد في التنور يلبسه الله هكذا أفليس بالحري جدا يلبسكم انتم يا قليلي الإيمان» ؟ (متى ٦: ٣٠)

فالذي خلق الأزهار وعلمّ العصفور أغنيته يقول: «تأملوا زنابق الحقل» «انظروا إلى طيور السماء». يمكنك أن تتعلم من جمال أشياء الطبيعة شيئاً أكثر عن حكمة الله مما يستطيع أن يعرفه أساتذة المدارس. ولقد كتب الله على أوراق الزنبقة رسالة لك - وهي مكتوبة بلغة يمكن لقلبك أن يقرأها على قدر ما ينسى ويجهل دروس الشكّ والأنانية والهم المُضني. لماذا أعطاك الطيور المغردة والأزهار اللطيفة إلاّ من فيض محبة قلب الآب لكي ينير ويبهج طريقك في الحياة. إنّ كل ما كان لازماً للوجود كان يمكن أن

يكون لك بدون الأزهار والأطيار، ولكن الله لم يقنع بإمدادك بما يلزم لمجرد الوجود. لقد ملأ الأرض والهواء والجو بلمحات من الجمال ليخبرك عن تفكيره الحبّي فيك. إنّ جمال كل الخلائق إن هو إلاّ شعاعة من مجده المتألق. فإن كان قد أغدق مثل هذا الحذق على أشياء الطبيعة لأجل إسعادك وفرحك فهل تشكّ في انّه سيمنحك كل بركة تحتاجها؟

«تأملوا زنابق الحقل». إنّ كل زهرة تفتح براعمها لإشراقة الشمس إنمّا تطيع نفس النواميس العظيمة التي تهدي الكواكب، وما أبسط وأجمل وأحلى حياتها! فبواسطة الأزهار يريد الله أن يوجّه انتباهنا إلى جمال الخلق المسيحي. إنّ من قد أعطى للأزهار مثل هذا الجمال يريد بالأحرى أن تكتسي النفس بجماله صفات المسيح.

يقول المسيح: تأمّلوا الزنابق كيف تنمو، كيف أن النباتات وهي تخرج من الأرض الباردة المظلمة أو من الطين الذي يوجد في قاع النهر تتفتح عن جمال وأريج. من يحلم بإمكانيات الجمال في بصلات الزنبقة الخشنة الداكنة الاحمرار؟ ولكن عندما تتفتح الحياة التي خبأها الله فيها عند ندائه في المطر ونور الشمس يتعجب الناس من منظر بهائها وجمالها. وهكذا ستتفتّح حياة الله في كل نفس بشرية تسلم ذاتها لخدمة نعمته التي وهي مجانية كالمطر ونور الشمس تجيء ببركتها للجميع. إنّ كلمة الله هي التي تخلق الزهور، ونفس هذه الكلمة ستخلق فيك فضائل روحه.

إنّ ناموس الله هو ناموس المحبة. لقد أحاطك بالجمال لكي يعلمك إنّك لم توضع على الأرض لتتعب لأجل الذات فقط وتحفر وتبني وتكدّ وتغزل بل لتجعل الحياة المشرقة ومفرحة وجميلة بمحبة المسيح - كالزهور، لتفرح حياة أناسٍ آخرين بخدمة المحبة.

أيّها الآباء والأمهات اجعلوا أولادكم يتعلمون من الزنابق والزهور. خذوهم معكم إلى الحدائق والحقول وتحت الأشجار المورقة وعلموهم أن يقرأوا في الطبيعة رسالة محبة الله. وليرتبط ويقترن الفكر عنه بالأطيار والأزهار والأشجار. ارشدوا أولادكم لأن يروا في كل شيء مفرح وجميل تعبيرا عن محبة الله لهم. امتدحوا دينكم لهم بلطفه وحسنه. وليكن ناموس اللطف على شفاهكم.

علّموا الأولاد انّه بسبب محبة الله العظيمة يمكن أن تتغيّر طبائعهم وتصير على وفاق مع طبيعته. علموهم انّه يريد أن تكون حياتهم جميلة بجمال الأزهار. علموهم وهم يقطفون الأزهار الجميلة إنّ ذاك الذي خلق الأزهار هو أجمل منها. وهكذا تلتف خراعيب قلوبهم حوله. إنّ ذاك الذي «كله مشتهيات» سيصير رفيقهم اليومي وصديقهم الحميم، فتتغير حياتهم إلى صورة طهارته.

«اطلبوا أولا ملكوت الله» (متى ٦: ٣٣)

كان الناس الذين أصغوا إلى أقوال المسيح ينتظرون بشوق أن يسمعوا إعلانا عن الملكوت الأرضي. فإذ كان يسوع يفتح لهم كنوز السماء كان أهم وأسمى سؤال يتردّد في أذهان غالبية الناس هو هذا: كيف يمكن أن ارتباطنا به يحقق آمالنا وانتظارنا في العالم؟ ويسوع يبيّن أنّه إذ يجعلون أمور العالم مطلبهم الأسمى وغاية اهتمامهم فهم يشبهون الأمم الوثنية حولهم الذين يعيشون كما لو لم يكن هناك إله يرعى خلائقه باهتمام رقيق.

قال يسوع: «هذه كلها تطلبها أمم العالم». «لأن أباكم السماوي يعلم أنّكم تحتاجون إلى هذه كلها. ولكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزاد لكم» (لوقا ١٢: ٣٠؛ متي ٦: ٣٢و٣٣). لقد جئت لأفتح لكم ملكوت

المحبة والبرّ والسلام. فافتحوا قلوبكم لقبول هذا الملكوت واجعلوا خدمته موضوع اهتمامكم الأسمى. فمع انّه ملكوت روحي فلا تخافوا من أن احتياجاتِكم في هذه الحياة لن تَلقى اهتماماً. فإن كرّستم نفوسكم لخدمة الله فذاك الذي له كل سلطانٍ في السماء وعلى الأرض سيدّبر كل أعوازكم.

إنّ يسوع لا يعفينا من وجوب بذل الجهد، إلاّ أنّه يعلمنا أن نجعله الأول والآخر والأفضل في كل شيء، فينبغي ألاّ ننشغل في أي عمل أو نسعى وراء أي مطلب أو نطلب أيّ لذة أو متعة يمكن أن تعيق عمل برّه في خلقنا وحياتنا. فكل ما نعمله لنعمله من القلب كما للرب.

إنّ يسوع حين كان عائشا على الأرض عظّم الحياة بكل تفاصيلها بكونه جعل مجد الله نصب عيون الناس دائما. وبكونه اخضع كلّ شيء لإرادة أبيه. فإذا اتبعنا مثاله فهو يؤكّد لنا انّه فيما يختص بكل شؤون هذه الحياة الضرورية «هذه كلّها تزاد لنا». فالفقر أو الغنى، المرض أو الصحة، البساطة أو الحكمة - هذه كلها قد حسب حسابها في وعد نعمته.

إنّ ذراع الله السرمدية تحيط بالنفس التي تتجه إليه في طلب العون مهما تكون تلك النفس واهنة وضعيفة . إنّ نفائس الجبال ستغني أما النفس التي تحيا لله فستسكن معه. «العالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد» (١ يوحنا ٢: ١٧). إنّ مدينة الله ستفتح أبوابها الذهبية لقبول من قد تعلم وهو على الأرض أن يستند على الله لأجل الإرشاد والحكمة، لأجل العزاء والرجاء في وسط الخسائر والبلايا. وسترحّب به أغاني الملائكة للدخول إلى هناك وستقدم له شجرة الحياة ثمرها. «فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنك وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب» (إشعياء ٥٤: ١٠).

«فلا تهتموا للغد ... يكفي اليوم شره» (متى ٦: ٣٤)

إنّك إن كنت قد سلمت نفسك لله لتعمل عمله فلا حاجة بك لأن تهتم بالغد. فذاك الذي أنت خادمه يعرف النهاية من البداية. فأحداث الغد التي هي مخفية عن عينيك مكشوفة لعيني ذاك القادر على كلّ شيء.

فعندما نضع في أيدينا أمر تدبير الأشياء المتصلة بنا ونعتمد علي حكمتنا لضمان النجاح فنحن نتحمل عبئاً لم يضعه الله علينا ونحاول أن نحمله بدون معونته. إنّنا نضطلع بمسؤولية هي من خصائص الله، وهكذا نحن في الحقيقة نضع أنفسنا في مكانه. وفي هذه الحالة يحسن بنا أن نهتم ونتوقع الخطر والخسارة لأن هذا لابدّ من أن يصيبنا. ولكن عندما نؤمن حقا أن الله يحبنا ويقصد أن يحسن إلينا فسنكفّ عن القلق بالنسبة إلى المستقبل. وسنثق بالله كما يثق طفل بأبيه المحب. وحينئذ تختفي اضطراباتنا وعذاباتنا لأن إرادتنا تُبتلع في إرادة الله.

إن المسيح لم يقدم لنا وعدا بالعون ونحن نحمل اليوم أعباء الغد. لقد قال: «تكفيك نعمتي» (٢كورنثوس ١٢: ٩)، ولكن نعمته تُعطى كل يوم لأجل حاجة اليوم كما كان يعطي المنّ في البرية. فكما كانت جموع العبرانيين في حياة اغترابهم يمكننا أن نحصل على خبز السماء لسد حاجة كل يوم، صباحا بعد صباح.

إنّ لنا يوما واحدا فقط، وفي هذا اليوم يجب أن نعيش لله. ولأجل هذا اليوم الواحد علينا أن نضع في يد المسيح، في الخدمة المقدسة، كل مقاصدنا وتدبيراتنا، ملقين كل همنا عليه لأنه هو يعتني بنا. «لأني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب أفكار سلام لا شرّ لأعطيكم آخرة

ورجاء» (إرميا ٢٩: ١١). «بالرجوع والسكون تخلصون بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم» (إشعياء ٣٠: ١٥).

فإن طلبت الرب ورجعت إليه كل يوم، وإن كنت بمحض اختيارك الروحي تتحرر وتفرح بالله، وإذا كنت برضى القلب الفرح، واستجابة لدعوته الرحيمة تأتي حاملا نير المسيح - نير الطاعة والخدمة - فإن كل تذمراتك ستهدأ وتسكن وكل مشاكلك ستزول، وكل معضلاتك المربكة التي تواجهك الآن ستحل.

٣٤ الصَّلاة الرّبَانيـّة

«فصلوا أنتم هكـذا» (متى ٦: ٩)

لقد أعطى مخلصنا الصلاة الربانية مرّتين، في المرّة الأولى نطق بها في مسامع الجموع ضمن موعظته على الجبل، وبعد ذلك بشهور نطق بها ثانية في مسامع التلاميذ وحدهم. كان التلاميذ غائبين عن سيدهم وقتا قصيرا، وعند عودتهم وجدوه مستغرقا في شركة مع الله. وإذ بدا وكأنه لا يحسّ بوجودهم استمر يصلّي بصوت عالٍ. وقد تألق وجه المخلص بنور سماوي. وظهر وكأنه في نفس حضرة الله غير المنظورة، فكانت توجد قوة حيّة في كلامه كمن كان يتحدث مع الله.

تأثرت قلوب التلاميذ المصغين إليه تأثرا عميقاً. وقد لاحظوا انه كثيرا ما كان يقضي ساعات طويلة في عزلة، في شركة مع أبيه. كان يقضي أيامه في خدمة الجموع التي كانت تتزاحم عليه وفي فضح مغالطات المعلمين الغادرة، فهذا الإجهاد المتواصل كثيرا ما كان يتركه متعبا ومجهدا جدا بحيث أنّ أمه واخوته وحتى تلاميذه باتوا يخشون لئلا يضحّي بحياته. ولكن عندما كان يعود من ساعات الصلاة التي كان يختتم بها عمل اليوم الشاق كانوا يلاحظون نظرة السلام على محيّاه، والإحساس بالانتعاش الذي بدا وكأنه يشمل كيانه. فمن الساعات التي كان يقضيها مع الله كان يخرج صباحا بعد صباح ليجيء بنور السماء إلى الناس. وقد صار التلاميذ يربطون بين ساعاته التي كان يقضيها في الصلاة وبين قوة كلامه وأعماله. فالآن إذ كانوا يصغون إلى صلاته أحسّت قلوبهم بالرهبة والاتضاع. وعندما فرغ من الصلاة

صــاحوا وهــم مقتنعــون بحاجتــهم العميقــة قــائلين: «يــا رب علمَّنــا أن نصلــي» (لوقــا ١١: ١).

ولكـن يسوع لا يقدّم لهـم نموذجـاً جديـدا للصـلاة. فـها هـو الآن يـردّد نفـس مـا سـبق وعلمـهم إيّاه. وكأنمـا كـان يريـد أن يقـول لهـم: لا حاجـة بكـم لأن تفـهموا مـا سـبقت وأعطيتكـم إيّـاه. إنّ فيـه عمقـا في المعنـى لم تسـبروا غــوره بعـد.

ومــع ذلــك فــالمخلص لا يريدنــا أن نتقيّــد بــهذه الكلمــات بحذافيرهــا. فكواحـد مـع البشـر يقـدم لهـم نموذجــه في الصـلاة – وهــي كلمـات غايــة في البســاطة بحيــث يســتطيع طفـل صغـير أن يسـتعملها، ومـع ذلـك فـهي واسـعة المعنى جدا بحيـث لا يمكـن لجبـابرة العقـول أن يدركـوا معناهـا إدراكـا كـاملا. لقــد تعلمنــا أن نــأتي إلى الله بتقدمــة شــكرنا، وان نخــبر الــرب باحتياجاتنــا ونعترف بخطايانا وان نلتمـس رحمتـه حسـب وعـده.

«متـى صليتم فقولـوا أبانـا» (لوقـا ١١: ٢)

إنّ يسوع يعلمنا أن ندعــو أبـاه أبـاً لنـا. إنّـه لا يسـتحي مـن أن يدعونـا إخـوة (عــبرانيين ٢: ١١). إنّ قلــب المخلــص مســتعدّ ومشــتاق جــدّا لأن يرحــب بنــا كأعضـاء في أسـرة الله حتــى انّــه في أول كــلام نسـتعمله في التقـرّب مــن الله يقدم لنا يقين علاقتنا بالله ، فنقول : «أبانـا».

هنـا إعـلان عـن ذلـك الحـق المدهـش المفعـم بالتشـجيع والعـزاء وهــو أنّ الله يحبنـا كمـا يحـب ابنـه. هـذا مـا قالـه يسـوع في صلاتـه الأخـيرة لأجـل تلاميـذه. «أحببتـهم كمـا أحببتـني» (يوحنـا ١٧: ٢٣).

إنّ العـالم الـذي ادّعـاه الشيطان لنفسـه وتسـلّط عليـه بطغيـانٍ قـاسٍ، أحاطـه ابــن الله بمحبتــه بعمــل واحــد عظيــم وجليــل وربطــه بعــرش الله ثانيــة. إنّ

الكـاروبيم والسـرافيم وخلائـق أخـرى لا تحصـى مـن كـل العـوالم غـير السـاقطة تغنت بأغاريد الحمد لله وللحمـل عندمـا تحققـت هـذه النصـرة. لقـد فرحـوا لأن طريـق الخـلاص قـد فتـح للجنـس السـاقط ولأن الأرض سـتُفتدى مـن لعنـة الخطيـة. فكـم بـالحري يجـب أن يفـرح الذيـن هـم موضـوع تلـك المحبـة المذهلـة!

وكيـف يمكننـا أن نكـون في شـك وحـيرة ونحـسّ بأننـا يتـامى؟ لقـد اتخـذ يسوع الطبيعة البشرية لأجـل مـن قـد تعـدوا الشريعة، لقـد صـار مثلنـا ليكـون لنـا سـلام ويقـين أبديـان. إنّ لنـا في السـموات شـفيعا، وكـل مـن يقبلـه كمخلصـه الشخصي لا يترك يتيما ليحمـل عـبء خطايـاه.

«أيـها الأحبـاء الآن نحـن أولاد الله» «فـان كنـا أولادا فإننـا ورثـة أيضـا ورثـة الله ووارثـون مع المسيح. إنّ كنا نتـألم معـه لكـي نتمجـد أيضـاً معـه» «ولم يظـهر بعـد مـاذا سنكـون. ولكـن نعلـم أنـه إذا أظـهر نكـون مثلـه لأننـا سنـراه كمـا هـو» (١ يوحنـا ٣: ٢ ؛ روميـة ٨: ١٧).

إنّ أول خطـوة في الاقـتراب إلى الله هـي أن نعـرف ونؤمـن بالمحبـة الـتي يكنّـها لنـا (١ يوحنـا ٤: ١٦). لأنـه عـن طـريق جـاذبية محبتـه نرشـد لنأتي إليـه.

إنّ إدراكنـا لمحبـة الله يعمـل علـى نبـذ الأنانيـة. فـإذ ندعـو الله أبـاً لنـا فإننـا نعترف بأنّ كل أولاده أخـوة لنا. فنحـن جميعنا جـزء مـن نسـيج البشـرية العظيـم وكلنـا أعضـاء في أسـرة واحـدة. وفي صلواتنـا وتوسـلاتنا يجـب أن نـدرج أقرباءنا كأنفسنا. إنّ من يطلب بركة لنفسه فقـط لا يصلـي حسـناً.

قـال يسـوع إنّ الإلـه السـرمدي يعطيكـم امتيـاز الاقـتراب منـه باسـم الآب. فافـهموا فحـوى كـل ذلـك. لم يحـدث قـط أنّ أبـاً بشـرياً توسّـل بغـيرة وحـرارة إلى ابنـه المخطـيء كمـا يتوسّـل مـن قـد خلقكـم إلى العـاصي. ولم يحـدث أنّ

اهتماماً بشرياً محباً اتبع الخـاطيء غـير التـائب بمثـل هـذه الدعـوات الرقيقـة. إنّ الله يسـكن في كـل بيـت، ويسـمع كـل كلمـة تقـال ويصغـي إلى كـل صـلاة تقـدّم ويـذوق أحـزان كـل نفـس ومفشـلاتها ويلاحـظ المعاملـة الـتي يعـامل بـها الآب والأم والأخـت والصديـق والقريـب. إنّـه يـهتم بحاجاتنـا. ومحبتـه ورحمتـه ونعمته تفيض بلا انقطاع لتمـلأ حاجاتنـا.

ولكـن إذا كنتـم تدعـون الله أبـاً لكـم فـأنتم تعـترفون بـأنّكم أولاده وأنكـم تنقـادون بحكمتـه وأنكـم سـتكونون مطيعـين في كـلّ شـيء عـالمين أنّ محبتـه لا تتغـير. وسـتقبلون تدبـيره الـذي أعـده لحيـاتكم. وكـأولاد الله سـتعتبرون كرامتـه وصفاتـه وأسرته وعمله موضوع أعظـم اهتمـامكم. وسـيكون مـن دواعـي فرحكـم أن تعـترفوا بعلاقتكـم بـأبيكم وتحترموهـا وكذلـك علاقتكـم بكـل فـرد مـن أفـراد عائلتـه. وسـتفرحون حـين تقومـون بـأي عمـل مـهما يكـن وضيعـا إذا كـان يـؤول لمجـده ولخـير أقربـائكم.

«الـذي في السـموات». إنّ ذاك الـذي يأمرنـا المسـيح أن ننظـر إليـه علـى أنـه «أبونا» هـو في السـماء كلمـا شـاء صنـع». وتحـت رعايتـه يمكننـا أن نسـتريح باطمئنـان قـائلين: «في يـوم خـوفي أنـا عليـك أتكـل» (مزمـور ١١٥: ٣ و ٦ ؛ ٣:٥٦).

«ليتقـدس اسمـك» (متـى ٦: ٩)

إنّ تقديـس اسـم الـرب يقتضـي أنّ الكـلام الـذي نتكلـم بـه عـن الكـائن الأعظـم يجـب أن ننطـق بـه بوقـار. «قـدوس ومـهوب اسمـه» (مزمـور ١١١: ٩) يجـب ألاّ نعـامل باسـتخفاف ألقـاب اللاهـوت وتسـمياته بأيـة كيفيـة. إنّنـا في الصـلاة ندخـل إلى غرفـة الاسـتقبال الملكيـة لله العلـي فيجـب أن نمثـل أمامـه بخشـية مقدسـة. إنّ الملائكـة يغطـون وجوهـهم في حضرتـه. والكروبيـم

والسرافيم اللامعون القديسون يقتربون من عرشه بوقار مقدس. فكم بالحري يجب علينا نحن الخلائق المحدودة الخاطئة أن نمثل أمام الرب خالقنا بكل وقار!

ولكنّ تقديس اسم الرب يعني شيئا أكثر جدّا من هذا. فقد نكون كاليهود المعاصرين للمسيح فنظهر أعظم توقير خارجي لله ومع ذلك ندنّس اسمه باستمرار. «اسم الرب» «رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء... غافر الإثم والمعصية والخطية» (خروج ٣٤: ٥ـ٧). وقد كتب عن كنيسة المسيح هذا القول: «وهذا ما تتسمى به الرب برنا» (ارميا ٣٣: ١٦). هذا الإسم يكتب على كل تابع للمسيح. إنّه ميراث كل ابن لله. إنّ العائلة تلقب باسم الآب. وان النبي ارميا صلى في الوقت الذي كان بنو إسرائيل فيه في أشد حالات الضيق والبليّة فقال: «وقد دعينا باسمك. لا تتركنا» (ارميا ١٤: ٩).

هذا الإسم يقدسه ملائكة السماء وسكان العوالم غير الساقطة. فعندما تصلي قائلاً: «ليتقدس اسمك» أنت تطلب أن يتقدس في هذا العالم ويتقدس فيك. إنّ الله قد اعترف بك أمام الناس والملائكة على أنّك ابنه. فصلِّ حتى لا تجلب أي إهانةٍ أو عارٍ على «الاسم الحسن الذي دعي به عليك» (يعقوب ٢: ٧). إنّ الله يرسلك إلى العالم كنائب عنه. فيجب عليك أن تعلن اسم الله في كل عمل من أعمال الحياة. هذه الطلبة تجعلك ملتزما بأن تتحلّى بصفات الله. فأنت لا تستطيع أن تقدّس اسمه ولا أن تظهره للعالم ما لم تظهر في حياتك وأخلاقك نفس حياة الله وصفاته. وهذا تستطيعه فقط إذا قبلت نعمة المسيح وبرّه.

«ليـأت ملكوتـك» (متـى ٦: ١٠)

إن الله هـو أبونـا الـذي يحبنـا ويرعانـا كـأولاده، وهـو أيضـاً ملـك المسـكونة العظيـم. ومَصـالحُ ملكوتـه هـي مصالحنـا، وعلينـا أن نعمـل لأجـل بنـاء ملكوتـه وتدعيمـه.

كـان تلاميـذ المسـيح ينتظـرون مجـيء ملكـوت مجـده في الحـال، ولكـن يسـوع إذ أعطـاهم هـذه الصـلاة علمـهم أنّ الملكـوت لم يكـن ليقـام حينئـذ. فكـان عليـهم أن يصلـوا طـالبين إتيانـه كحـادث يقـع في المسـتقبل. ولكـن هـذه الطلبة كانت أيضـاً تـأكيداً وضمانـاً لهـم. ففـي حـين أنّـه لم يكـن مـن نصيبـهم أن يشـاهدوا مجـيء الملكـوت في أيامـهم، فـإنّ حقيقـة كـون يسـوع أمرهـم بـأن يصلـوا طـالبين ذلـك هـي البرهـان علـى أنّـه لابـد أن يـأتي في الوقـت المقـرّر مـن الله.

إنّ ملكـوت نعمـة الله يتثبـت الآن إذ تخضـع القلـوب الـتي كـانت مفعمـة بالخطية والعصيان، لسلطان محبتـه. ولكـن التثبيـت الكـامل لملكـوت مجـده لـن يتـمّ حتـى يـأتي المسيح ثانيـة إلى هـذا العـالم. «المملكـة والسـلطان وعظمـة المملكة تحت كل السماء تُعطـى لشـعب قديسـي العلـي» وهـم سـيرثون الملـك المعـد لهـم «منـذ تأسـيس العـالم» (دانيـال ٧: ٢٧؛ متـى ٢٥: ٣٤). وسـيأخذ المسيح لنفسه سلطانه العظيـم وملكـه.

وسـترفع أبـواب السـماء مـن جـديد وسـيخرج مخلصنـا كملـك الملـوك ورب الأربـاب مع ربـوات وألـوف القـديسين. فالـرب عمـانوئيل «يكـون... ملكـاً علـى كـل الأرض. في ذلـك اليـوم يكـون الـرب وحـده واسمـه وحـده» (زكريـا ١٤: ٩). «ومسـكن الله» سيكون مـع النـاس «وهـو سيسـكن معهـم وهم يكونـون لـه شعبا والله نفسه يكون معهم إلهـاً لهـم» (رؤيـا ٢١: ٣).

ولكن قبل ذلك المجيء، قال يسوع: «يُكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم» (متى ٢٤: ١٤). إنّ ملكوته لن يأتي حتى تصل بشارة نعمته إلى كل الأرض. فلهذا إذ نسلم ذواتنا لله ونربح له نفوسا فنحن نعجّل مجيء ملكوته. فالذين يكرسون ذواتهم لخدمته قائلين: «هأنذا أرسلني» ليفتحوا عيون العميان «كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبا مع المقدسين» (إشعياء ٦: ٨؛ أعمال ٢٦: ١٨). هم وحدهم الذين يصلون قائلين بإخلاص: «ليأت ملكوتك».

«لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» (متى ٦: ١٠)

إنّ مشيئة الله موضحة في وصايا شريعته المقدسة، فمبادىء هذه الشريعة هي مباديء السماء. إنّ ملائكة السماء لا يبلغون إلى معرفة أسمى من معرفة مشيئة الله، وإتمام هذه المشيئة هو أسمى خدمة يشغلون فيها قواهم.

ولكن في السماء لا تُقدّم الخدمة بروح شرعية قانونية. عندما عصى الشيطان شريعة الرب جاءت فكرة وجود قانون إلى الملائكة تقريبا كإيقاظٍ لهم إلى شيء لم يفكر فيه أحد. إنّ الملائكة يخدمون لا كعبيد بل كبنين. هناك اتحاد كامل بينهم وبين خالقهم. فالطاعة لا تعتبر عبودية في نظرهم. إنّ محبتهم لله تجعل خدمتهم مفرحة لهم. وكذلك في كل نفس يسكن فيها المسيح رجاء المجد يتردّد صدى كلامه قائلا: «أن افعل مشيئتك يا إلهي سررت وشريعتك في وسط أحشائي» (مزمور ٤٠: ٨).

إنّ هذه الطلبة القائلة: «لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» هي صلاة بأن ينتهي وينقرض ملك الشرّ على هذه الأرض،

وتتلاشـى الخطيـة إلى الأبـد ويثبـت ملكـوت الـبرّ. وحينئـذ تتـمّ في الأرض كمـا في السـماء «كـل مسـرة صلاحـه» (٢ تسـالونيكي ١: ١١).

«خبزنا كفافنا أعطنـا اليـوم» (متـى ٦: ١١)

إنّ النصف الأول مــن الصـلاة الـتي علمنـا إياهـا يسـوع خاصـة باسـم الله وملكوتـه ومشيئته ـ حتـى يتمجـد اسمـه وتتوطـد دعــائم ملكوتــه وتتـم مشـيئته. فمتى جعلـت خدمـة الله بـهذه الكيفيـة أول مطلـب لـك فيمكنـك بكـل ثقـة أن تطلب سد أعـوازك. فإن كنت قد نبـذت الـذات وسـلمت نفسـك للمسـيح فـأنت عضـو في أسـرة الله وكـل مـا في بيـت الآب هـو لـك. وكـل كنـوز الله مفتوحـة لــك في هــذا العــالم وفي العــالم الآتــي. فخدمــة الملائكــة وهبــة روح الله وخدمات خدامه ـ كل ذلك لك. العالم بكل ما فيه هو لك على قدر ما يصنع لك خيراً. وحتى عداوة الأشـرار سـتصير بركـة تـهيئك للسـماء. فـإن كنتـم أنتـم «للمسـيح» «فإنّ كـل شـيء لكـم» (١ كورنثـوس ٣: ٢٣ و ٢١).

ولكنـك تشبه طفلا لم يتسلط علـى ميراثـه بعـد. فـالله لا يكـلُ إليـك مقتنــاك الثمــين لئــلا يخدعــك الشـيطان بمكــايده المــاكرة كمــا قــد خــدع الزوجــين الأولــين في عــدن. فالمسـيح يحفظـه لــك آمنــا بعيــدا عــن متنــاول أيــدي الناهبين. وكـالطفل أنـت سـتحصل في كـل يـوم علـى مـا تتطلبـه حاجـة اليـوم. فعليـك أن تصلّــي كــل يــوم قــائلاً: «خبزنــا كفافنــا أعطنــا اليــوم». لا تفـزع ولا ترتعب إن كنت لا تجد ما يكفيـك للغـد. فـإنّ لـك يقـين وعـده: «اسـكن الأرض وارع الأمانـة». وداود يقـول: «كنـت فتـى وقـد شـخت ولم أرَ صديقـا تُخلّـي عنـه ولا ذريــة لــه تلتمــس خــبزاً» (مزمــور ٣٧: ٣ و ٢٥). فذلــك الإلــه الــذي أرســل الغربان لإعالة إيليا عند نهر كريت لـن يغـض الطـرف عـن أي واحـد مـن أولاده الأمنـاء المضحـين. وقـد كتـب عـن السـالك بـالحق هـذا القـول: «يعـطي خــبزه

ومياهه مأمونة»، ثم القول: «لا يخزون في زمن السوء وفي أيام الجوع يشبعون» «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء»؟ (إشعياء ٣٣: ١٦؛ مزمور ٣٧: ١٩ ؛ رومية ٨: ٣٢). فذاك الذي خفف من هم وجزَع أمّه الأرملة، وأعانها على تقديم الزاد لأهل البيت في الناصرة يعطف على كل أمّ في كفاحها لتقدّم الطعام لأولادها. وذاك الذي تحنّن على الجمع لأنهم كانوا «منزعجين ومنطرحين» (متى ٩: ٣٦) لا يزال يتحنن على الفقراء المتألمين. إنّ يده مبسوطة عليهم لتباركهم، وفي نفس الصلاة التي سلّمها لتلاميذه يعلمنا أن نذكر الفقراء.

عندما نصلي قائلين: «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم» فنحن نسأل لأجل الآخرين كما لأجل أنفسنا. ونحن نعترف أن ما يعطينا الله إياه ليس لأجل أنفسنا فقط. إنّ الله يمنحنا عطاياه كوديعة أو أمانة حتى نطعم الجياع. لقد هيّأ بجوده للمساكين (مزمور ٦٨: ١٠). وهو يقول: «إذا صنعت غداء أو عشاء فلا تدعُ أصدقاءَك ولا أخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء... بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمي فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك لأنك تكافى في قيامة الأبرار» (لوقا ١٤: ١٢ ـ ١٤).

«والله قادر أن يزيدكم كل نعمة لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء تزدادون في كل عمل صالح». «من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضاً يحصد» (٢ كورنثوس ٩: ٨ و ٦).

إنّ الصلاة في طلب القوت اليومي لا تتناول الطعام الذي يسند الجسم وحده بل أيضاً ذلك الخبز الروحي الذي يغذّي النفس للحياة الأبدية. فيسوع يأمرنا قائلاً: «اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية». ويقول: «أنا هو الخبز الحيّ الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يوحنا ٦: ٢٧ و ٥١). إنّ مخلصنا هو خبز

الحياة، فإذ نشاهد محبته ونقبلها في نفوسنا نأكل من الخبز الذي نزل من السماء.

ونحن نقبل المسيح في كلمته، وقد أعطى الروح القدس ليفتح أذهاننا لفهم الكلمة وليعمّق حقائقها في قلوبنا. وعلينا أن نصلّي يوما فيوما حتى عندما نقرأ كلمة الله يرسل روحه ليعلن لنا الحق الذي يقوّى أرواحنا لمواجهة حاجات اليوم.

إنّ الله إذ يعلّمنا أن نسأل كل يوم ما نحتاجه ـ من البركات الزمنية والروحية ـ فإنّ له غرضاً ليتمّمه لخيرنا. فهو يريدنا أن نتحقق من اعتمادنا على رعايته الدائمة. لأنّه يحاول أن يجتذبنا إلى الشركة معه. ففي هذه الشركة مع المسيح عن طريق الصلاة ودرس حقائق كلمته العظيمة الثمينة سنطعم نفوسنا الجائعة ونروي ظمأنا وتنتعش أرواحنا عند ينبوع الحياة.

«اغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضاً نغفر لكل من يذنب إلينا» (لوقا ١١: ٤)

إنّ يسوع يعلمنا أنّه يمكننا أن نحصل على الغفران من الله فقط إذا نحن غفرنا للآخرين. إنّ محبة الله هي التي تجتذبنا إليه، وتلك المحبة لا يمكنها أن تلمس قلوبنا ما لم تخلق فينا محبة لإخوتنا.

إنّ يسوع بعدما أكمل الصلاة الربانية أضاف هذا القول: «فإنّه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي. وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم» (متى ٦: ١٤ و ١٥). إنّ من هو حقود لا يغفر يقطع قناة الاتصال التي يمكن عن طريقها وحدها أن يحصل على الرحمة من الله. وينبغي ألاّ نفكر قائلين إنّه ما لم يعترف من قد أوقعوا بنا الأذى بخطئهم فنحن لنا الحق في أن نحرمهم صفحنا. لاشكّ في أن عملهم هو أن

يذللوا قلوبهم بالتوبة والاعتراف ولكن يجب أن يكون عندنا روح الرأفة والرفق نحو من قد أذنبوا في حقنا سواء اعترفوا بأخطائهم أم لم يعترفوا. فمهما يكن عمق الجرح الذي قد جرحونا به ينبغي أن لا نحتضن المظالم التي وقعت علينا. ونرثي لنفوسنا لأجل الآلام التي وقعت علينا، ولكن على قدر ما نأمل في أن تغفر لنا خطايانا التي أخطأنا بها في حق الله علينا أن نغفر لكل من يفعلون بنا سوءا.

ولكن الغفران له حدود أوسع مما يظن كثيرون. فالله عندما يعد بأنه «يكثر الغفران» فهو يضيف، كأن معنى ذلك الوعد قد فاق كل ما يمكننا إدراكه، قائلا: «لأن أفكاري ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقي يقول الرب. لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم» (إشعياء ٥٥: ٧ – ٩). إن غفران الله ليس عملا قانونيا فحسب يعفينا بموجبه من الدينونة. إنه ليس فقط غفرانا للخطية بل هو استردادنا من الخطية ورد سبينا. وهو فيضان المحبة الفادية التي تغير القلب وتجدده. إن داود كان عنده فهم صحيح للغفران عندما صلى قائلا: «قلبا نقيا اخلق في يا الله وروحا مستقيما جدد في داخلي». وقد قال أيضا: «كبعد المشرق من المغرب أبعد عنا معاصينا» (مزمور ٥١: ١٠؛ ١٠٣: ١٢).

إن الله، في المسيح، بذل نفسه لأجل خطايانا. لقد احتمل موت الصليب القاسي وحمل عنا ثقل الذنب. «البار من أجل الآثمة» لكي يعلن لنا محبته ويجتذبنا إلى نفسه. وهو يقول: «كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضا في المسيح» (أفسس ٤: ٣٢). ليسكن فيكم المسيح الذي هو الحياة الإلهية ويعلن عن طريقكم المحبة التي هي وليدة السماء التي تلهم اليائسين بالرجاء وتأتى بسلام السماء إلى القلب الذي ضربته الخطية. فإذ نأتي إلى الله فهذا هو الشرط الذي

يواجـهنا عنـد البـاب وهـو أننـا إذ ننـال الرحمـة منـه فنحـن نسـلم ذواتنـا لنعلــن نعمته للآخريــن.

إنّ الشـيء الوحيـد الـذي هـو جوهـري بالنسـبة إلينـا لكـي نقبـل محبـة الله الغـافرة ونوزعـها علـى الآخريـن هـو أن نعـرف ونصـدق المحبـة الـتي لله فينـا (١ يوحنـا ٤: ١٦). إنّ الشـيطان يعمـل بكـل مـا وسـعه دهـاؤه ومخاتلاتـه حتـى لا نفـهم أو نمـيّز تلـك المحبـة. وهـو سـيجعلنا نظـنّ أنّ أخطاءنـا وتعدياتنـا شـنيعة جـدا بحيـث أن الله لـن يعـير صلواتنـا أيّ اعتبـار ولـن يباركنـا أو يخلصنـا. إنّنـا لا نـرى في ذواتنـا إلاّ الضعـف، لا شـيء ينيلنـا الحظـوة لـدى الله. والشـيطان يقـول لنـا إنّـه لا فـائدة. ونحـن لا نسـتطيع أن نجـبر النقـص الـذي في أخلاقنـا. وعندمـا نحـاول الإتيـان إلى الله فـالعدو يوسـوس فينـا مشـكّكاً: لا نفـع في صلواتكـم. ألم تفعلـوا ذلـك الشـرّ؟ ألم تخطئـوا إلى الله وتنتـهكوا ضمـائركم؟ ولكنّنـا نسـتطيع مواجهته بالقول: «دم يسـوع المسـيح ابنـه يطـهرنا مـن كـل خطيـة» (١ يوحنـا ١: ٧). وعندمـا نحـس بأننـا قـد أخطأنـا ولا نسـتطيع أن نصلّـي، فذلـك يكـون أنسـب وقـت للصـلاة. قـد نكـون خجلـين ومتذللـين جـدا ولكـن يجـب علينـا أن نصلـي ونؤمـن بقـول الكتـاب: «صادقـة هـي الكلمـة ومسـتحقة كـل قبـول أنّ المسـيح يسـوع جـاء إلى العـالم ليخلـص الخطـاة الذيـن أولهـم أنـا» (١ تيموثـاوس ١: ١٥). إن الغفران أو المصالحـة مـع الله يأتينـا لا علـى أنّـه أجـر لأعمالنـا، ولا يمنـح بسـبب اسـتحقاق في النـاس الخطـاة ولكنـه هبـة لنـا، وأسـاس منحـها هـو بـرّ المسيح الـذي بلا عيـب.

ينبغـي ألاّ نحاول التخفيـف مـن جرمنـا بانتحـال الأعـذار للخطيـة، بـل يجـب أن نقبل نظرة الله إلى الخطيـة وأنـها ثقيلـة حقـاً. إنّ جلجثـة وحدهـا هـي الـتي تستطيع أن تعلـن لنـا شـناعة الخطيـة الرهيبـة. فلـو كـان لابـد لنـا أن نحمـل إثمنـا فسيسحقنا. ولكـن السـيد المعصـوم أخـذ مكاننـا، فمـع عـدم اسـتحقاقه لذلـك فقـد

حمل اثمنا. «إن اعترفنا بخطايانا» فالله «أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١ يوحنا ١: ٩). فيا له من حقّ مجيد! إنّه بارُّ لشريعته، ومع ذلك يبرّر كل من هو من الإيمان بيسوع. «من هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه. لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنّه يسر بالرأفة» (ميخا ٧: ١٨).

«لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير» (متى ٦: ١٣)

التجربة هي الإغواء ليرتكب الإنسان الخطية، وهي لا تأتي من الله بل من الشيطان ومن شرّ قلوبنا. «الله غير مجرّب بالشرور وهو لا يجرّب أحدا» (يعقوب ١: ١٣).

يحاول الشيطان أن يدخلنا في التجربة بقصد أن ينكشف شرّ أخلاقنا أمام الناس والملائكة حتى يدّعي أنّ له حق السيطرة علينا. في نبوة زكريا الرمزية يُرى الشيطان واقفا عن يمين ملاك الرب يتهم يهوشع الكاهن العظيم الذي يرتدي ثيابا قذرة ويقاوم العمل الذي يتوق الملاك لأن يعمله لأجله. هذا يصوّر لنا موقف الشيطان حيال كل نفس يحاول المسيح أن يجتذبها إليه. إنّ العدو يوقعنا في الخطية ومن ثـَمّ يشكونا أمام مسكونة السماء على أنّنا غير أهل لمحبة الله. ولكن «قال الرب للشيطان لينتهرك الرب يا شيطان. لينتهرك الرب الذي أختار أورشليم. افليس هذا شعلة منتشلة من النار»؟ (زكريا ٣: ٢). ثم قال ليهوشع: «أنظر قد أذهبت عنك أثمك وألبسك ثياباً مزخرفة» (زكريا ٣: ٤).

إنّ الله في محبته العظيمة يحاول أن يربّي فينا فضائل روحه الثمينة. وهو يسمح بأنّنا نواجه العقبات والاضطهاد والمشقات لا على أنّها لعنة بل على أنها أعظم بركة في حياتنا. إنّ كل تجربة نقاومها وكل محنة نتحملها

بشجاعة تعطينا اختبارا جديداً وتجعلنا نتقدم في عمل بناء الخلق. فالنفس التي تقاوم التجربة بقوة الله تعلن للعالم ولمسكونة السماء فعالية نعمة المسيح.

ولكن في حين أنّه ينبغي ألاّ نفزع من المحنة مهما تكن مريرة يجب أن نصلّي إلى الله حتى لا يسمح بأن نوجد حيث نُجتذَب بعيدا بأهواء قلوبنا الشريرة. إنّنا إذ نقدّم الصلاة التي علمنا المسيح إياها فنحن نسلّم ذواتنا لقيادة الله طالبين منه أن يرشدنا في طرق أمينة. ونحن لا نستطيع أن نقدّم هذه الصلاة بإخلاص في حين أننا نصمم على السير في أي طريق نختاره لأنفسنا. فسننتظر أن ترشدنا يدُه، ونصغي إلى صوته قائلا لنا: «هذه هي الطريق اسلكوا فيها» (إشعياء ٣٠: ٢١).

إنّنا لن نكون بمأمن إذا كنا نتوانى لنتأمّل في المنافع التي يمكن أن نجتنيها فيما لو خضعنا لمقترحات الشيطان. إنّ الخطية معناها العار والكوارث لكل نفس تنغمس فيها. ولكنّها تعمي وتخدع في طبيعتها وهي تغوينا بعروضها الخادعة. فإذا جازفنا بالدخول إلى أرض الشيطان. فلا يوجد لنا ضمان للحفظ من قوته. وعلى قدر ما نستطيع ينبغي أن نسدّ كل منفذ يمكن للمجرّب أن يصل منه إلينا.

إنّ الطلبة القائلة: «لا تدخلنا في تجربة» هي في ذاتها وعد. فإذا سلمنا ذواتنا لله فلنا هذا التأكيد: «لا يدعكم تجرّبون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا» (١ كورنثوس ١٠: ١٣).

إنّ الواقي الوحيد من الشرّ هو سكنى المسيح في القلب بالإيمان ببرّه. فلكون الأنانية رابضة في قلوبنا تتغلب التجربة علينا. ولكن عندما نرى محبة الله العظيمة تبدو الأنانية أمامنا في صفتها الفظيعة المنفرة ونتوق إلى طردها

من النفس. فإذ يمجّد الروح القدس المسيح تلين قلوبنا وتخضع وتتجرد التجربة من قوتها وتغير نعمة الله الخلق.

لن يترك المسيح النفس التي قد مات لأجلها. إنّ النفس قد تتركه فتطغى عليها التجربة، ولكن المسيح لا يمكنه أبداً أن يبتعد عن واحد ممّن قد قدم نفسه فدية عنهم. فلو صارت بصيرتنا الروحية حادة وقوية لكنا نرى النفوس منحنية تنوء تحت الظلم ومثقلة بالحزن ومضغوطا عليها كعجلة تحت الحزم وموشكة على الموت في خيبة الأمل والخوف، ولرأينا الملائكة وهم يطيرون بسرعة لنجدة هؤلاء المجربين الذين يقفون كأنما على حافة هوّة. إنّ الملائكة من السماء يصدّون أجناد الشر الذين يحاصرون هذه النفوس وترشدها إلى ترسيخ أقدامها على الأساس الوطيد. إنّ المعارك المحتدمة بين الجيشين هي حقيقية كالمعارك التي تخوضها جيوش العالم، وعلى نتيجة الصراع الروحي تتوقف المصائر الأبدية.

لنا يقال كما قد قيل لبطرس: «هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لوقا ٢٢: ٣١ و ٣٢). شكراً لله، فنحن غير متروكين وحدنا. فذاك الذي «هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦). لن يتركنا في المعركة مع عدو الله والإنسان. وهو يقول: «ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضرّكم شيء» (لوقا ١٠: ١٩).

عيشوا على اتصال بالمسيح الحي فيمسككم بقوة في يده التي لن تفلت أحدا. اعرفوا المحبة التي يكنّها الله لنا وآمنوا بها فتكونوا في أمان، لأنّ تلك المحبة حصن منيع ضدَ كل مخادعات الشيطان وهجماته. «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع» (أمثال ١٨: ١٠).

«لـك الملـك والقـوة والمجـد» (متـى ٦: ١٣)

إنّ آخر جملة كأول جملة في الصلاة الربانيـة تشـير إلى أبينـا علـى أنّـه فـوق كـل قـوة وسـلطان وكـل اسـم يُسـمّى. والمخلـص رأى السـنين الممتـدّة أمـام تلاميـذه، لا كمـا كـانوا يحلمـون، رابضـة في نـور شمـس النجـاح والكرامـة العالميـة، بـل مظلمـة بسـبب أعاصـير كراهيـة النـاس وغضـب الشـيطان. ففـي وسـط الحـروب والمنازعـات القوميـة والدمـار كـانت خطـوات التلاميـذ مكتنفـة بالمخـاطر، وكثـيرا مـا تضـايقت قلوبـهم بسـبب الخـوف. كـانوا سـيرون أورشـليم خرابـا يبابـا والهيكـل قـد مُحـيَ مـن الوجـود وانتـهت العبـادة فيـه إلى الأبـد وتشتّت شـعب إسـرائيل في كـل البلـدان كحطـام سـفينة علـى شـاطيء مـهجور. وقد قـال يسـوع: «سـوف تسمعون بحـروب وأخبـار حـروب» «تقـوم أمـة علـى أمـة ومملكـة علـى مملكـة وتكـون مجاعـات وأوبئـة وزلازل في أمـاكن. ولكـن هـذه كلـها مبتـدأ الأوجـاع» (متـى ٢٤: ٦ ـ ٨). ولكـن أتبـاع المسـيح لم يكـن لهـم أن يخـافوا لئـلا يخيـب رجـاؤهم أو أنّ الله قـد تـرك الأرض. إنّ القـوة والمجـد همـا لـذاك الـذي ستسـتمر مقـاصده سـائرة إلى الأمـام نحـو غايتـها وإتمامـها دون أن يعطلّـها شـيء. إنّ تلاميـذ المسـيح وهـم يقدمـون صلاتـهم طـالبين سـد أعوازهـم اليومـي وجهّوا إلى أن يشـخصوا، فـوق كـلّ قـوّة الشـرّ وملكـه، إلى الـرب إلهـهم الـذي مملكتـه علـى الكـل تسـود والـذي هـو أبوهـم وصديقـهم السـرمدي.

لقـد كـان خـراب أورشـليم رمـزا للخـراب النـهائي الـذي سـيغمر العـالم كلـه. إنّ النبـوات الـتي تمـت جزئيـا في تدمـير أورشـليم لهـا تطبيـق مباشـر علـى الأيـام الأخـيرة. إنّنـا الآن واقفـون علـى أعتـاب الأحـداث العظيمـة الخطـيرة. أمامنـا أزمـة لم يسـبق للعـالم أن رأى لهـا مثيـلا. وإنّ التـأكيد بـأنّ مملكـة الله ستسـود علـى الكـل يـأتي إلى أسماعنـا بعذوبـة وجمـال كمـا جـاء إلى التلاميـذ الأولـين. إنّ برنـامج الوقـائع القادمـة هـو بـين يـدي صانعنـا. ومصـير الأمـم وكذلـك هـي

مصالح الكنيسة في عهدة جلال السماء. إنّ المعلم الإلهي يقول لكل من يعمل على إنجاز تدابيره ما قاله لكورش: «نطقتك وأنت لم تعرفني» (إشعياء ٤٥: ٥).

في الرؤيا التي رآها حزقيال النبي كان منظر يدٍ تحت جناحي الكروبيم. كان هذا ليعلم خدام الرب أنّ قوة الله هي التي تمنحهم النجاح. فالذين يستخدمهم الله كرسله ينبغي ألاّ يحسوا بأن عمله موقوف عليهم. إنّ الخلائق الضعيفة المحدودة لا تترك لتحمل عبء المسؤولية هذا وحدها. فذاك الذي لا ينعس والذي هو مشغول دائما في إتمام مقاصده سيقدّم عمله وينجحه. وهو سيحبط مقاصد الأشرار ويربك مؤامرات من يتآمرون بالشرّ ضدّ شعبه. ذاك الذي هو الملك رب الجنود يجلس بين الكروبيم وفى وسط حروب الأمم وضجيجها ويحرس أولاده مع ذلك. إنّ الذي يملك في السموات هو مخلصنا. وهو يقيس كل محنة ويراقب نار الأتون التي لابدّ أن تمتحن كل نفس. وعندما تنهدم حصون الملوك ومعاقلهم، وعندما تصيب سهام الغضب قلوب أعدائه وتطعنها فشعبه سيكونون آمنين في يديه.

«لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد لأنّ لك كل ما في السماء والأرض ... وبيدك القوة والجبروت وبيدك تعظيم وتشديد الجميع» (١ أخبار الأيام ٢٩: ١١ و ١٢).

❸❺ العَمَل لا الإدانة

«لا تدينـوا لكـي لا تدانـوا» (متـى ٧: ١)

إنّ محاولـة النـاس أن يحصلـوا علـى الخـلاص بالأعمـال يقودهـم بـالضرورة إلى أن يكوّنـوا أوامـر وفرائـض بشـرية كسـياج يمنـع الخطيـة. لأنّـهم إذ يـرون أنّـهم عـاجزون عـن حفـظ النـاموس يبتكـرون قوانـين وتنظيمـات مـن عندهـم ليرغموا أنفسهم على الطاعـة. ولكـن هـذا كلـه يحـوّل الفكـر بعيـداً عـن الله إلى الـذات. فمحبتـه تمـوت وتتلاشـى مـن القلـب وتتلاشـى معـها المحبـة لبـني جنسـهم. هـذا وإنّ نظامـا مـن اخـتراع النـاس بتقييداتـه الـتي لا تُحصـى يقـود مـن يدافعـون عنـه ويناصرونـه لأن يدينـوا كـل مـن يقصـرون دون بلـوغ ذلـك المقيـاس البشـرى المقـرّر. إنّ جـو الانتقـاد الأنـاني الضيـق المـتزمت يخنـق الانفعـالات النبيلـة الكريمـة ويصير النـاس قضـاة معتديـن بذواتـهم وجواسـيس منحطـين.

وكـان الفريسـيون مـن هـذا الفـريق. لقـد خرجـوا مـن خـدماتهم الدينيـة، لا متضعـين يحسّـون بضعفـهم، ولا شـاكرين علـى الامتيـازات العظيمـة الـتي قـد منحـهم الله إياهـا. ولكنّـهم خرجـوا وهـم ممتلئـون بالكبريـاء الروحيـة، وكـان موضـوع حديثـهم وتفكـيرهم هـو هـذا: «نفسـي، مشـاعري، معرفـتي، طرقـي». وقـد صـارت معلومـاتهم هـي المقيـاس الـذي بموجبـه دانـوا الآخـرين. وأذ تسـربلوا بثيـاب العظمـة الذاتيـة، قفـزوا إلى كرسـي الحكـم لينتقـدوا ويدينـوا.

وقـد اشـترك الشـعب في نفـس هـذه الـروح إلى حـدّ كبـير، مقتحمـين منطقـة الضمـير، وكـانوا يدينـون أحدهـم الآخـر في مسـائل واقعـة في منطقـة علاقـة

النفس بالله. وبالإشارة إلى هذه الروح وهذا العمل قال يسوع: «لا تدينوا لكي لا تدانوا». أي، لا تقم نفسك مثالا أو نموذجا يُحتذى. لا تجعل آراءك وأفكارك عن الواجب وتفسيراتك للكتاب مقياسا للآخرين، وتدينهم في قلبك إذا لم يبلغوا إلى مثالك. لا تنتقد الآخرين فتخمن عن بواعثهم وتصدر عليهم حكمك.

«لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب» (١ كورنثوس ٤: ٥). لا يمكننا معرفة خفايا القلب. وحيث أنّنا مخطئون فلسنا مؤهلين لأن نجلس حكاما على الآخرين. إنّ الناس المحدودين يمكنهم أن يحكموا فقط من المظهر الخارجي. أمّا ذاك الذي هو وحده دون سواه يعرف منابع العمل الخفيّة والذي يعامل الناس بالرفق والرأفة، فله يُعطى أن يقرّر حالة كل نفس.

«لذلك أنت بلا عذر أيها الإنسان كل من يدين. لأنّك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك لأنّك أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها» (رومية ٢: ١). وهكذا الذين يدينون الآخرين أو ينتقدونهم يعلنون أنهم هم أنفسهم مذنبون لأنّهم يفعلون تلك الأمور بعينها. فإذ يدينون الآخرين فهم إنّما يصدرون الحكم على أنفسهم والله يعلن أنّ هذا الحكم عادل. وهو يقبل ما يحكمون به على أنفسهم.

«هذه الأقدام السمجة التي لا تزال في

الحمأة تسير وتسحق في طريقها أزهارا

بلا نهاية وهذه الأيدي القاسية تدخلها

بحسن نية بين أوتار قلب صديق»

«لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك»؟ (متى ٧: ٣)

حتى الحكم القائل: «أنت الذي تدين تفعل تلك الأمور بعينها» لا يصل إلى جسامة خطية من يجتريء على انتقاد أخيه أو إدانته. قال يسوع: «لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك وأمّا الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها» (متى ٧: ٣).

إن كلامه يصف الإنسان الذي هو سريع في اكتشاف النقائص التي في الآخرين. وعندما يظنّ أنّه قد اكتشف عينا في الخلق أو الحياة يكون غيّوراً جدا في محاولة توجيه الأنظار إليه، أمّا يسوع فيعلن أنّ نفس الخلق الذي يتربى وينمو في عمل هذا الأمر الذي لا يمتّ إلى المسيحية بسبب هو بالمقارنة مع الخطأ المنتقد كالخشبة بالنسبة إلى القذى. إنّ انعدام روح الاحتمال والمحبة من قلب الإنسان هو الذي يقوده إلى أن يجعل «من الحبّة قبّة» كما يقولون. فالذين لم يختبروا قطّ انسحاق التسليم الكامل للمسيح لا يظهرون في حياتهم تأثير محبة المسيح المهدئة الملطفة. إنّهم يشوّهون روح الإنجيل روح اللطف والرقة والمجاملة، ويجرحون النفوس الغالية التي قد مات المسيح لأجلها. وطبقاً للتشبيه الذي أورده مخلصنا نجد أنّ من يحتضن روح الانتقاد يرتكب خطية أعظم من ذاك الذي يتهمه، لأنّه فضلا عن كونه يرتكب نفس الخطية فهو يضيف إليها خطية الغرور والانتقاد.

إنّ المسيح هو النموذج الحقيقي الوحيد للخلُق، فالذي يقيم نفسه نموذجا للآخرين يضع نفسه في موضع المسيح. وحيث أنّ الآب «قد أعطى كل الدينونة للابن» (يوحنا ٥: ٢٢) فكل من يجرؤ على إدانة بواعث الآخرين فإنّما يغتصب من جديد حق ابن الله. هؤلاء القضاة والمنتقدون المزعومون يقفون في صف المدعو ضد المسيح «المقاوم والمرتفع على كل

ما يدعى إلها أو معبوداً حتى إنّه يجلس في هيكل الله كإله مظهرا نفسه أنّه إله» (٢ تسالونيكي ٢: ٤).

إنّ الخطية التي تقود إلى أتعس النتائج هي الروح الانتقادية الفاترة الحقود التي تتصف بها الفرَيسية. فعندما يخلو الاختبار الديني من المحبة فإنّ يسوع لا يكون فيه، وشمس حضوره لا تكون هناك. ولا يمكن لأي نشاط دؤوب أو غيرة مسيحية أن تسد هذا النقص. قد يكون هنالك إدراك وفهم حاد عجيب لاكتشاف نقائص الآخرين، ولكن كل من يحتضن هذه الروح يقول له يسوع: «يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك» (متى ٧: ٥). إنّ مرتكب الخطأ هو أول من يشتبه في الخطأ. فهو إذ يدين إنسانا آخر يحاول أن يخفي شر قلبه أو يجد له عذرا. انه عن طريق الخطية حصل الناس على معرفة الشر، وما أن أخطأ الزوجان الأولان حتى بدأ كل منهما يتهم الآخر، وهذا ما لابد أن تفعله الطبيعة البشرية عندما لا تسيطر عليها نعمة المسيح.

إنّ الناس عندما يمعنون في هذه الروح روح الاتهام لا يكتفون بتوجيه الأنظار إلى ما يظنّون أنّه نقص في أخيهم. فإذا لم تفلح الوسائل اللطيفة في جعله يفعل ما يظنّون أنّه يجب أن يعمل يلجأون إلى الإرغام. فبقدر ما يستطيعون يرغمون الناس على الامتثال لآرائهم عما هو حقّ. هذا ما فعله اليهود في عهد المسيح وما قد فعلته الكنيسة منذ ذلك الحين كلما أضاعت نعمة المسيح. فإذ وجدت نفسها مجرّدة من سلطان المحبة مدّت يدها لتمسك بذراع الدولة لتفرض عقائدها وتنفذ قراراتها. هذا هو السرّ في كل الشرائع الدينية التي سُنت وسرّ كل اضطهاد وقع منذ أيام هابيل إلى يومنا الحاضر.

إنّ المسـيح لا يسـوق النـاس بـل يجتذبـهم إلى نفسـه. والإرغـام الوحيـد الـذي يسـتخدمه هـو وازع المحبـة. فعندمـا تحـاول الكنيسـة وتبـدأ في طلـب معـاضدة القـوات الزمنيـة ومساندتها حينئـذ يتضـح أنّـها قـد تجـردت مـن قـوة المسيح ـ تحريض المحبـة الإلهيـة.

ولكـنّ الصعوبـة تكمـن في أعضـاء الكنيسـة كـل بمفـرده. فمـن هنـا يجـب البدء بـالعلاج. إنّ يسـوع يـأمر المشـتكي أن يخـرج الخشـبة مـن عينـه أولا وينبـذ الـروح الانتقاديـة ويعـترف بخطيتـه ويتركـها قبلمـا يحـاول إصـلاح الآخريـن «لأنـه ما مـن شـجرة جيـدة تثمر ثمـرا رديـا ولا شـجرة رديـة تثمـر ثمـرا جيـدا» (لوقـا ٦: ٤٣). إنّ هـذه الـروح المشـتكية الـتي تحتضنـها هـي ثمـر شـرّير رديء وهـو يـدل علـى أنّ الشجرة رديـة. إنّـه أمـر غـير نـافع لكـم كونكـم تبنـون أنفسـكم علـى الـبرّ الذاتـي. فـالذي تحتاجونـه هـو تغيـير القلـب. فينبغـي أن يكـون لكـم هـذا الاختبـار قبلمـا تكونـون مؤهلـين لإصـلاح الآخريـن لأنّـه «مـن فضلـة القلـب يتكلـم اللسـان» (متـى ١٢: ٣٤).

عندما تحدث أزمة في حياة أيّة نفس وحـاولت أنـت أن تقـدم لهـا مشـورة أو إنـذارا فـإنّ أقوالـك يكـون لهـا وزن التأثـير للخـير فقـط علـى قـدر مـا اكتسـبته قدوتـك وروحـك لـك. فعليـك أن تكـون صالحـا قبلمـا تسـتطيع أن تصنـع صلاحـاً. وأنـت لا تسـتطيع أن تبـذل تأثـيرا بغـير الآخريـن مـا لم يتضـع قلبـك ويتنقّـى ويصـير رقيقـاً بنعمـة المسيح. فبعدمـا يحـدث فيـك هـذا التغيـير سـيكون أمـرا طبيعيـاً بالنسـبة إليـك أنّـك تعيـش لتبـارك الآخريـن كمـا هـو أمـر طبيعـي أن تخرج شـجرة الـورد أزهارهـا العطـرة، أو الكرمـة عناقيدهـا الأرجوانيـة.

فـإن كـان المسـيح فيـك «رجـاء المجـد» فلـن يوجـد فيـك ميـل لمراقبـة الآخريـن والتشـهير بأخطائـهم. وبـدلا مـن محاولـة الاتـهام والإدانـة فسـيكون هدفـك تقديـم المعونـة والبركـة والخـلاص. وعندمـا تتعـامل مـع مـن هـم

مخطئـون فـأنت تنتبـه إلى الوصيـة القائلـة: «نـاظراً إلى نفسـك لئـلا تُجـرّب أنـت أيضـاً» (غلاطيـة ٦: ١). وسـتذكر المـرّات الكثيـرة الـتي فيـها أخطـأت، وكـم كـان مـن الصعـب عليـك أن تجـد الطريـق المسـتقيم بعدمـا تنكّبـت عنـه. وأنـت لـن تدفع أخاً لك إلى ظلمة أشد حلوكة بل بقلب مفعم بـالعطف تخـبره بخطـره.

إنّ مـن يكـثر مـن النظـر إلى صليـب جلجثـة ذاكـرا خطايـاه الـتي وضعـت علـى المخلـص هنـاك لـن يحـاول أن يقـدر درجـة إثمـه بالمقارنـة مـع أثـم الآخريـن. وهـو لـن يثِـبَ إلى كرسـي الدينونـة ليتـهم إنسـانا آخـر. لا يمكـن أن تكـون هنـاك روح الانتقـاد أو تمجيـد الـذات مـن جـانب مـن يسـيرون في ظـل صليب جلجثـة.

إنّـك، إلى أن تحـس أنّـك تسـتطيع التضحيـة بعظمتـك الذاتيـة بـل أن تضـع حيـاتك لكـي تخلّـص أخـا مخطئـا، تستطيع أن تخـرج الخشـبة مـن عينـك فتكـون متأهبـاً لمسـاعدة أخيـك. فـإن اسـتطعت ذلـك فيمكنـك أن تقـتربَ منـه وتلمـس قلبـه. إنّـه لم يحـدث قـطُّ أنّ إنسـانا قـد اسـتُردّ مـن مركـز خـاطيء بواسـطة التقريـع والتعيـير، ولكـن كثيرين طـردوا بعيـداً عـن المسيح وذلـك جعلهم يوصـدون قلوبـهم دون التبكيـت. إنّ الـروح الرقيقـة والتصـرف اللطيـف الجـذاب يمكـن أن يخلـص النفـس الضالـة ويسـتر كـثرة مـن الخطايـا. إن اسـتعلان المسيح في أخلاقـك سـتكون له قـوّة مغيرة لكلّ من تحتك بـهم. ليسـتعلن المسيح فيـك كـل يـوم وحينئـذ سـيعلن عـن طريقـك القـوة الخالقـة في كلمتـه – التأثـير اللطيـف المقنـع والقـادر في نفـس الوقت على تجديد نفوس الآخريـن في جمـال الـرب إلهنـا.

«لا تعطـوا القـدس للكـلاب» (متـى ٧: ٦)

إنّ يسوع يشير هنا إلى فريق مـن النـاس الذيـن لا يرغبـون في التخلـص مـن عبوديـة الخطيـة. فبسـبب انغماسـهم في مـا هـو فاسـد وخسـيس صـارت طبائعـهم

منحطّـة إلى حـدّ أنـهم يتعلّقـون بالشرّ ولا يريـدون الانفصـال عنـه. فعلـى خـدام المسيح ألاّ يسـمحوا لأنفسـهم بـأن يعطلـهم أولئـك الذيـن يريـدون أن يجعلـوا الإنجيل مثارا للمنازعـات والسـخرية فقـط.

ولكـنّ المخلـص لم يتجـاوز بعيـدا عـن نفس واحـدة كـانت راغبـة في قبـول حقائق السماء الثمينـة مهما كـانت غائصـة في أعمـاق الخطيـة. فلقـد كـان كلامـه الذي كلـم بـه العشـارين والزوانـي بـدء حيـاة جديـدة لهـم. إنّ مريـم المجدليـة التي اخرج منها سبعة شـياطين كـانت آخـر مـن انصرفـوا تـاركين قـبر المخلـص وأوّل مـن حيّاهم في صبـاح قيامتـه. وشـاول الطرسوسـي الـذي كـان ألـدّ أعـداء الإنجيل العنيديـن والـذي صار اسمه بولـس صـار خادمـا مكرّسـا للمسـيح. فتحـتَ مظهر العداء والاحتقـار بـل حتـى تحـت الجريمـة والانحطـاط قـد تختفـي نفس تخلّصها نعمـة المسيح لتتـألّق كلؤلـؤة في إكليـل الفـادي.

«اسألـوا تعطـوا اطلبـوا تجـدوا اقرعـوا يفتـح لكـم» (متـى ٧: ٧)

إنّ السـيد هنـا يكـرر الوعـد المعطـى ثـلاث مـرات حتـى لا يكـون هنـاك مجـال لعدم الإيمـان أو سـوء فـهم كلامـه أو تحريفـه. إنّـه يتـوق لأن يـرى الذيـن يطلبـون الله يؤمنـون بمـن هـو قـادر أن يفعـل كـل شـيء، لذلـك يضيـف هـذا القـول «لأن كـل مـن يسـأل يـأخذ ومـن يطلـب يجـد ومـن يقـرع يفتـح لـه» (متـى ٧: ٨).

إنّ الـرب لا يحـدد شـروطا غـير هـذا وهـو انّـك تجـوع إلى رحمتـه وترغـب في مشـورته وتشـتاق إلى محبتـه. «اسـألوا». إنّ السـؤال يجعلـه واضحـا انـك متحقـق مـن حـاجتك، فـإن سـألت بإيمـان فسـتأخذ. إنّ الـرب قـدم كلمتـه ضمانـا وهـي لا يمكـن أن تفشل أو تخـذل. فإن أتيـت بانسـحاق حقيقـي فـلا حاجـة بـك إلى أن تحسّ بأنّك متجاسر أو متغطرس إذ تسـأل مـا قـد وعـد بـه الـرب. فعندمـا

تسأل البركات التي تحتاجها حتى يمكنك أن تكمل خلقك ليكون على صورة المسيح فالرب يؤكد لك انّك إنما تسأل رحمته ورأفته. فالشرط الذي بموجبه يمكنك أن تأتي إلى الله ليس هو انّك ستكون قديسا، ولكن كونك تتوق إلى أن يغسلك من كل خطية ويطهرك من كل إثم. إنّ الحجة التي يمكننا أن يغسلك من كل خطية ويطهرك من كل إثم. إنّ الحجة التي يمكننا أن نقدمها الآن وفي كل وقت هي حاجتنا العظيمة وحالتنا الميئوس منها حالة العجز التام، هذا هو الذي يجعله ويجعل قدرته الفادية ضرورة وأمرا لازما كل اللزوم.

«اطلبوا». لا تشتهوا مجرد بركته، بل اطلبوا ذاته «تعرف به وأسلم» (أيوب ٢٢: ٢١). اطلبوا تجدوا أنّ الله يطلبكم، فنفس الشوق الذي تحس به في القدوم إليه إن هو إلاّ جاذبية روحه. فاخضع لتلك الجاذبية. إنّ المسيح يترافع في قضيّة المجربين والمخطئين والعديمي الإيمان. وهو يريد أن يرفعهم إلى العِشرة معه «إذا طلبته يوجد منك» (١أخبار الايام ٢٨: ٩).

«اقرعوا». إنّنا نأتي إلى الله بدعوة خاصة، وهو ينتظر ليرحب بنا إلى مقصورة استقباله الملكية. إنّ التلميذين الأولين اللذين تبعا يسوع لم يقنعا بحديث معجل معه في الطريق، ولكنهما سألاه قائلَين: «يا معلم أين تمكث... فأتيا ونظرا أين كان يمكث ومكثا عنده ذلك اليوم» (يوحنا ١: ٣٨و٣٩). وهكذا يمكننا نحن أيضا أن يسمح لنا بالدخول إلى أوثق وأقرب صداقة وشركة مع الله. «الساكن في ستر العلي في ظل القدير يبيت» (مزمور ٩١: ١). فالذين يشتاقون إلى بركة الله ليقرعوا وينتظروا أمام باب الرحمة بيقين ثابت قائلين: لأنّك أنت يا رب قلت إنّ كل من يسأل يأخذ ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له.

نظر يسوع إلى من كـانوا مجتمعين ليسمعوا أقوالـه وكـان يتـوق بكـل غـيرة إلى أن يـرى ذلـك الجمـع الحاشـد يقـدّر رحمـة الله ورأفتـه. وكصـورة لحاجتـهم واسـتعداد الله لأن يعطيـهم، يعـرض أمامـهم ولـدا جائعـا يسـأل أبـاه الأرضـي خبزا. فقال: «أي إنسان منكـم إذا سـأله أبنـه خـبزا يعطيـه حجـرا»؟ (مـتى ٧: ٩). إنّـه يلجـأ إلى المحبـة الرقيقـة الطبيعيـة الـتي لأب نحـو ابنـه ثـم يقـول: «فـان كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكـم عطايـا جيـدة فكـم بـالحري أبوكـم الـذي في السـموات يـهب خـيرات للذيـن يسـألونه»؟ (متـى ٧: ١١). لا يوجـد إنسان له قلب الأب يحـول وجهه عـن أبنـه الـذي هـو جـائع ويسأله خـبزا. هـل يظنّونـه قـادرا علـى أن يسـتخف بابنـه ويعذبـه إذ يمنّيـه خـيراً (أي يشـوِّقه) وإنمـا فقـط ليخيـب آمالـه؟ هـل يعـد بإعطائـه الطعـام الجيـد والمغـذّي ثـم يقـدم لـه حجـرا؟ وهـل يـهين أي إنسـان الله بكونـه يتصـور انـه لا يسـتجيب لتوسـلات أولاده؟

فان كنتم وأنتم بَشَرٌ وأشرار «تعرفـون أن تعطـوا أولادكـم عطايـا جيـدة فكـم بـالحري الآب الـذي مـن السـماء يعطـي الـروح القـدس للذيـن يسـألونه»؟ (لوقـا ١١: ١٣). إنّ الروح القدس، نـائب الـرب نفسـه، هـو أعظـم كـل العطـايا. فكـل «الخـيرات» مشـتملة فيـه. الخـالق نفسـه لا يمكنـه أن يمنحنـا شـيئا أعظـم أو أفضـل. فعندمـا نسـأل الـرب أن يتحنـن علينـا في ضيقنـا ويرشـدنا بروحـه فلـن يصد صلاتنـا. يمكـن حتـى لـلأب أن ينصرف بعيـدا عـن ابنـه الجـائع ولكـن لـن يمكـن أن يـرذل صرخـة القلـب المسـكين المشـتاق. فبـأي رقـة عجيبـة يصـف محبته! هذه هي الرسـالة النابعـة مـن قلـب الآب لمـن يحسّـون في أيـام الظـلام أنّ الله غـافل عنـهم: «وقـالت صـهيون قـد تركـني الـرب وسـيدي نسـيني. هـل تنسى المرأة رضيعـها فـلا ترحـم ابـن بطنـها. حتـى هـؤلاء ينسين وأنـا لا أنسـاك. هـوذا علـى كفّـي نقشـتك» (إشـعياء ٤٩: ١٤-١٦).

إنّ كل وعد في كلمة الله يزودنا بمادة للصلاة إذ يقدم لنا كلمة الرب التي يرتبط فيها بوعد كضمان لنا. فأية بركة روحية نحتاجها فإنّه امتياز لنا أن نطالب بها بواسطة يسوع. يمكننا أن نخبر الرب بنفس ما نحتاج إليه ببساطة الأطفال. ويمكننا أن نخبره بشؤوننا المادية الزمنية فنسأله أن يعطينا الخبز والكساء كما نسأله أيضا أن يقدم لنا خبز الحياة وثوب برّ المسيح. إنّ أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، وأنتم مدعوون لأن تسألوه بشأنها. إنّ كل الافضال والنعم تُعطى لنا باسم يسوع. إنّ الله سيكرم ذلك الاسم وسيملأ احتياجكم بحسب غنى سخائه.

ولكن لا تنسَ انّك وأنت تأتي إلى الله كأب فأنت تعترف بعلاقتك به كابن. فأنت في حين أنّك تثق بصلاحه، فأنت في كل شيء تخضع لإرادته عالما أنّ محبته لا يعتريها تغيير. إنّك تقدم نفسك لتعمل عمله. والذين أمرهم بان يطلبوا أولا ملكوت الله وبره هم الذين قدم لهم يسوع الوعد القائل: «اطلبوا تأخذوا» (يوحنا ١٦: ٢٤).

إنّ هبات ذاك الذي رفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض هي مخزونة لأجل أولاد الله. فالهبات التي هي ثمينة جدا حتى أنّها تأتينا عن طريق التضحية الغالية التي هي دم الفادي، الهبات التي تشبع أعمق أشواق القلب الهبات الدائمة دوام الأبد سيحصل عليها ويتمتع بها كل من يأتون إلى الله كأولاد صغار. خذوا مواعيد الله لكم، وتوسلوا في طلبها أمامه على أنّها كلامه حتى تحصلوا على ملء البركة.

«فكـل مـا تريـدون أن يفعـل النـاس بكـم افعلـوا هكـذا أنتـم أيضا بـهم» (متـى ٧: ١٢)

إنّ يسـوع يوصينـا بالمحبـة بعضنـا لبعـض في مبـدأ واحـد شـامل يتنـاول كـل علاقات العِشرة البشرية، على يقين محبـة الله لنـا.

كـان اليـهود مـهتمين بمـا يجـب أن يحصلـوا عليـه، وكـان عـبء جزعـهم منصرفـا إلى إحـراز مـا ظنّـوه أنّـه حقـهم مـن القـوة والاحـترام والخدمـة. ولكـن المسـيح يعلمنـا أنّ اهتمامنـا ينبغـي ألاّ يكـون منصرفـا إلى: كـم نُعطـي؟ إنّ مقياس التزامنا للآخرين يوجد فيما نعتبر نحن انّـه التزامـهم نحونـا.

في معاشـرتك للآخريـن ضـع نفسـك في مكانـهم. تغلغـل في مشـاعرهم، وصعوباتـهم ومفشلاتهم وأفراحـهم وأحزانـهم. اندمـج معـهم وحينئـذ افعـل لهـم مثلما تريدهـم أن يعاملوك بـه لـو اسـتبدلت مركزهـم بمركـزك. هـذا هـو القـانون الحقيقي للأمانـة. إنّـه تعبير آخـر للشـريعة القائلـة: «تحـب قريبـك كنفسـك». وهـو خلاصـة تعليـم الأنبيـاء. وهـو مبـدأ السـماء، وهـو سـيتربى في نفـوس كـل مـن يؤهّلـون لعشـرتهم المقدسـة.

إنّ القانون الذهبي هـو مبـدأ المجاملـة واللطـف الحقيقـي، اصـدق تفسـير لـه يُـرى في حيـاة يسـوع وصفاتـه. مـا أبـهى وأمجـد أشـعة الرقـة واللطـف والجمـال الـتي تـألقت في حيـاة مخلصنـا اليوميـة! ومـا أعظـم العذوبـة الـتي فـاضت مـن نفس حضـوره! إنّ نفس هـذه الـروح ستُرى في أولاده. فـالذين يسـكن المسـيح معـهم سيحاطون بجـو الهـي. وثيابـهم البيضـاء ثيـاب الطـهارة يفـوح منـها شـذا عطر جنة الـرب. ووجوهـهم سـتعكس نـور وجهـه فتنـير الطريـق للأقـدار المتعـثرة الكليلـة.

لا يوجـد إنسـان عنـده النمـوذج الحقيقـي لمـا يكـون الخلـق الكـامل إلا ويظـهر عطـف المسـيح ورقتـه. إنّ تأثـير النعمـة يليّـن قلـب ويـهذب المشـاعر ويطهرها معطيا رقة هي وليدة السماء وشعورا باللياقة والحشمة.

ولكن هنالك معنى أعمق للقـانون الذهـبي.فكـل مـن صـار وكيـلا لنعمـة الله المتنوعة يُدعى ليوزع منها علـى النفـوس الجالسـة في الجـهل والظـلام بقـدر مـا نريدهـم أن يوزعـوا عليـه لـو كـان في مكانـهم. قـال بولـس الرسـول: «إنـي مديـون لليونـانيين والـبرابرة للحكمـاء والجـهلاء» (روميـة ١: ١٤). إنّـك مديـون بكل ما قد عرفتـه مـن محبـة الله، وبكـل مـا قـد حصلـت عليـه مـن غنـى هبـات نعمتـه فـوق أجـهل نفـس منحطـة علـى الأرض ، أنـت مديـون لتلـك النفـس لتوزع عليها هذه الهبـات.

وهـذا ينطبـق أيضـا علـى هبـات هـذه الحيـاة وبركاتـها. إنّ أي شـيء تقتنيـه أكثر من بني جنسك يجعلك مديونا، بتلـك الدرجـة، لكـل مـن هـم أقـل حظـاً منـك. فإن كـانت عندنـا ثروة أو حتى تعزيات الحيـاة فنحـن تحـت أعظـم الـتزام لأن نرعـى المرضـى المتـألمين والأرملـة واليتيـم تمامـا مثلمـا نريدهـم أن يرعونـا لـو كانت حالتنا كحالتـهم.

إنّ القانون الذهـبي يعلمنـا، ضمنـا، نفـس الحـق الـذي نتعلمـه في كـل جـزء آخر من الموعظة على الجبـل إنّـه: «بـالكيل الـذي تكيلـون يكـال لكـم» (متـى ٧: ٢). فما نعمله للآخريـن خـيرا كـان أم شـرّا لابـدّ أن يرتـد إلينـا، بركـة أو لعنـة. وما نعطيه سنأخذه ثانية. والبركـات الأرضيـة الـتي نوزعـها علـى الآخريـن يمكـن أن نُجـازى عليـها. وغالبـا مـا نُجـازى عليـها ببركـات مـن نوعـها. والـذي نعطيـه سيعود إلينا في الغالب وفي وقـت الحاجـة بكيـل أربعـة أضعـاف مـن نفـس عملـة الإقليـم. وفضـلا عـن هـذا فـإنّ كـل العطايـا تُجـازى حتـى في هـذه الحيـاة في انهمار محبة الله العظيمة التي هي خلاصـة كـل مجـد السـماء وكنزهـا. وكذلـك

الشرّ الذي يُصنع لابد أن يرتدّ على صانعه. فكـل مـن أعطـى لنفسه الحريـة لأن يديـن الآخريـن ويفشّـلهم فسـيختبر السـير في نفـس الطريـق الـذي جعـل الآخريـن يسيرون فيه، وسيشعر بما قد قاسوه بسبب تجرّده مـن العطـف والرقـة.

إنّ محبـة الله لنـا هـي الـتي قـرّرت هـذا. إنّـه يريـد أن يجعلنـا نمقـت قسـاوة قلوبنا ونفتح قلوبنا ليسوع ليسكن فيـها. وهكـذا يخـرج مـن الشـرّ خـير، ومـا بـدا كأنـه لعنـة يصير بركـة.

إنّ مقياس القـانون الذهـبي هـو المقيـاس الحقيقـي للمسـيحية، فكـل مـا هـو دون ذلـك هـو خـداع. إنّ الديـن الـذي يجعـل النـاس يبخسـون الخلائـق البشـرية، الذيـن قدرهـم المسـيح تقديـرا عظيمـا بحيـث بـذل نفسـه لأجلـهم، الديـن الـذي يجعلنـا عديمـي الاكـتراث لحاجـات النـاس أو آلامـهم أو حقوقـهم هـو ديـن زائـف. إنّنـا إذ نسـتهين بحاجـات الفقـراء والمتـألمين والخطـاة فنحـن نـبرهن علـى أنّنـا خونـة للمسـيح. فلكـون النـاس يتخـذون اسـم المسـيح لأنفسـهم في حين أنّ حياتهم تجحـد صفاتـه لذلـك فـإنّ للمسـيحية قـوة ضئيلـة في العـالم. واسم الله يجدف عليه بسبب هـذه الأمـور.

لقـد كتـب في السـفر المقـدس عـن الكنيسـة الرسـولية في تلـك الأيـام المشـرقة الجميلـة عندمـا مجـد المسـيح المقـام تـألق علـى قطيـع الـرب انـه لم يوجـد إنسـان يقـول: «إن شـيئا مـن أموالـه لـه» «لم يكـن فيـهم أحـد محتاجـا» «وبقـوة عظيمـة كـان الرسـل يـؤدون الشـهادة بقيامـة الـرب يسـوع. ونعمـة عظيمـة كـانت علـى جميعـهم». «وكـانوا كـل يـوم يواظبـون في الهيكـل بنفـس واحـدة. وإذ هـم يكسـرون الخـبز في البيـوت كـانوا يتنـاولون الطعـام بابتـهاج وبسـاطة قلـب مسبحين الله ولهـم نعمـة لـدى جميـع الشـعب وكـان الـرب كـل يـوم يضـم إلى الكنيسـة الذيـن يخلصـون» (أعمـال الرسـل ٤: ٣٢و٣٤ و ٣٣؛ ٢: ٤٦و٤٧).

لئن فتشنا السماء والأرض فلن نجد حقاً معلناً أقوي من ذاك الذي يظهر في أعمال الرحمة لمن يحتاجون إلى عطفنا ومعونتنا. هذا هو الحق كما هو في يسوع. فعندما ينفّذ من يعترفون باسم المسيح مباديء القانون الذهبي فنفس القوة التي كانت في العصر الرسولي ستصاحب الإنجيل اليوم.

«ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة» (متى ٧: ١٤).

كان الناس في أيام المسيح يسكنون في مدن محاطة بأسوار، وغالبا ما كانت تُبنى فوق الجبال أو التلال. والأبواب التي كانت تُغلق عند الغروب كان يمكن الوصول إليها بواسطة طرق صخرية منحدرة. والمسافر الذي يسافر إلي بيته في آخر النهار كثيرا ما كان يسرع في سيره صاعدا في طريقه المُكرَب الشاق لعلّه يصل إلى الباب قبل هجوم الليل .. أمّا من يسير مبطئاً فكان يُترك خارجاً.

فطريق الصعود الضيق المُكرب المؤدّي إلى البيت والراحة أعطى ليسوع صورة مؤثرة للطريق المسيحي، فقال: إنّ الطريق الذي أضعه أمامكم ضيق والباب يصعب دخوله لأن القانون الذهبي يطرد كل كبرياء وطلب ما للذات. نعم إنّه يوجد طريق أكثر اتساعا ولكن نهايته الهلاك. فإن أردتم تسلق طريق الحياة الروحية فعليكم بالمداومة على الصعود لأنّه طريق يصعد إلى فوق. ويجب عليكم أن تسيروا مع الأقلية لأنّ الغالبية العظمى ستختار طريق النزول، الطريق المنحدر.

يمكن أن يسير الشعب كله في الطريق المؤدي إلى الموت، بكل ما في قلوبهم من حب للعالم وأنانية، وكل كبريائهم وخيانتهم وانحطاطهم الأدبي.

فيوجـد مجـال لآراء كـل إنسـان وعقـائده، يوجـد أمامـه المجـال ليتبـع أميالـه وليفعـل كـل مـا يوحـي بـه إليـه حـب الـذات. فلكـي يسير الإنسـان في الطريـق المفضـي إلى الهـلاك لا حاجـة بـه إلى أن يبحـث عـن الطريـق لأن البـاب واسـع والطريق رحـب، والرِجلان تسيران بـالطبع في الطريـق الـذي نهايتـه المـوت.

ولكـن طريـق الحيـاة ضيـق وبابـه مُكـرَب. فـإن تمسـكت بأيـة خطيـة محيطـة بـك فسـتجد أنّ البـاب أضيـق مـن أن يتسـع لـك لتدخـل. فينبغـي لـك التخلّـي عـن طرقـك وإرادتـك وعـاداتك وأعمـالك الشـريرة إن أردت أن تحفـظ طريـق الـرب. فـالذي يخـدم المسيح لا يسـتطيع أن يتبـع آراء العـالم أو يسـير بموجـب مقيـاس العـالم. وطريـق السـماء أضيـق مـن أن يتسـع لركـوب الجـاه والمقـام والغنـى في أبهة وعظمة، أضيـق مـن أن يتسـع للـهو الطمـوح المركـز في الـذات، وأشدّ انحـدارا وأعظـم خشـونة مـن أن يتسـلقه طـلاب الراحـة. لقـد كـان نصيـب المسيح هـو التعـب والصـبر وتضحيـة الـذات والعـار والفقـر ومقاومـة الخطـاة لـه، ولابـد أن تكـون هـذه نصيبنـا إذا رغبنـا في الدخـول إلى الفـردوس الله.

ومع ذلـك فلا تستنتـجوا أنّ الطريـق الصـاعد طريـق مكـرب والطريـق النـازل طريـق سـهل. فعلـى طـول الطريـق المـؤدي إلى المـوت توجـد آلام وعقوبـات، وتوجـد أحـزان ومفشـلات، وتوجـد إنـذارات بعـدم التقـدم. إنّ محبـة الله قـد جعلـت مـن الصعـب علـى المـهملين والعنيديـن أن يـهلكوا أنفسـهم. نعـم، صحيـح أن طريـق الشـيطان يبـدو جذابـا، ولكـن ذلـك كلـه خـداع، ففـي طريـق الشـرّ توجـد ندامـة مـرّة وهـمٌّ مضـنٍ. قـد نظـن انّـه أمـرُ مسـرّ كوننـا نتبـع الكبريـاء والطمـوح العـالمي ولكـن العاقبـة هـي ألم وحـزن. فـالخطط الأنانيـة قـد تقـدّم وعـوداً خلاّبـة وتعطـي الإنسـان آمـالا بالاسـتمتاع، ولكننـا سـنجد أنّ سـعادتنا مسـمومة، وحياتنـا قـد تمـررت بسـبب الآمـال المركـزة في الـذات. إنّ مدخـل الطريـق النـازل المنحـدر قـد يكـون مزدانـا بـالزهور، ولكـن الطريـق تكـثر فيـه

الأشـواك. ونـور الأمـل الـذي يشـعّ مـن مدخلـه ينطفـيء في ظلمـة اليـأس، والنفس التي تسير في ذلك الطريق تنحدر إلى ظلمات ليل لا نهايـة لـه.

«أمّا طريـق الغـادرين فـأوعر». وأمـا الحكمـة فـإنّ «طرقـها طـرق نعـم وكـل مسـالكها سـلام» (أمثـال ١٣: ١٥؛ ٣: ١٧). فكـل عمـل مـن أعمـال الطاعـة للمسيح، وكـل عمـل مـن أعمـال إنكـار الـذات لأجلـه، وكـل تجربـة نحتملـها حسنا، وكل نصرة نحرزها على التجربـة هـي خطـوة في طريـق السـير إلى مجـد النصـرة النهائيـة. فـإذا اتخذنـا المسـيح مرشـداً لنـا فسيرشـدنا إلى الأمـان. ولا حاجـة لأن يضلّ أشـرّ الخطـاة طريقـه. ولا حاجـة بإنسـان مرتعـد يطلـب الخـلاص لأن يفشـل في السـير في النـور الطـاهر المقـدس. فمـع أنّ الطريـق ضيـق جـدا ومقـدس جـدا بحيـث أنّ الخطيـة لا يُسـمح بدخولهـا إلى هنـاك ومـع ذلـك فقـد ضمـن الدخـول للجميـع، ولا حاجـة لأن تقـول نفـس واحـدة متشـككة: «إنّ الله لا يهتم بـي أبـداً».

قد يكـون الطريـق وعـراً والصعـود قويـاً، وقـد تكـون هنـاك حفـر عـن اليمـين وعـن اليسـار، وقـد نلـتزم بـأن نقاسـي التعـب والمشـقة في سـفرنا، وحـين نكـون معيـين، وحـين نكـون مشـتاقين إلى الراحـة قـد نلـتزم بـأن نحتمـل أتعابـا أكـثر، وقـد نلـتزم أن نحـارب ونحـن في أشـد حـالات الوهـن والإعيـاء، وحـين تـهِنُ عزائمنـا يجـب مـع ذلـك أن نتعلـق بالرجـاء. ولكننـا إذ نسـير متّبعـين المسـيح قائدَنَـا فلـن نخفـق في بلـوغ الميـناء المشـتهى أخـيراً. إنّ المسـيح نفسـه قـد وطئـت قدماه الطريـق الوعر قبلنا وقد مهد طريـق أرجلنـا.

وعلى طـول طريـق الصعـود في ذلـك المسـلك الصـاعد المـؤدي إلى الحيـاة الأبديـة توجـد ينـابيع الفـرح لإنعـاش المعيـين. فـالذين يسـيرون في سـبل الحكمـة يفرحـون فرحـا عظيمـاً في وسـط التجـارب والضيقـات، لأنّ ذاك الـذي تحبـه نفوسـهم يسـير إلى جوارهـم وإن كـانوا لا يرونـه. وفي كـل خطـوة

يصعدونـها يمـيزون بكـل وضــوح لمسـة يــده. وفي كــل خطــوة يــرون لمحــات أعظم من المجـد آتيـة مـن الغـير المنظـور وهــي تنـير طريقـهم، وأغـاني الحمـد التي يــترنمون بـها إذ تعلـو وترتفـع تصعـد لتنضـم إلى تسـبيحات الملائكـة الذيـن هـم أمـام العـرش: «أمـا سـبيل الصديقـين فكنـور مشـرق يـتزايد وينـير إلى النــهار الكـامل» (أمثــال ٤: ١٨).

«اجتهدوا أن تدخلـوا مـن البـاب الضيـق» (لوقـا ١٣: ٢٤)

إنّ المسافر الذي قد تأخّر في سيره إذ كـان يسـرع ليصـل إلـي بـاب المدينـة عند غروب الشمس لم يسـتطع أن يميـل إلى هنـا أو هنـاك لـيرى الجــواذب الـتي في الطريـق. لقـد كـان منصرفـا بكـل فكـره إلى الغـرض الواحــد وهــو الدخــول من الباب. وها هـو يسـوع يقـول لنـا: إنّ نفس قـوة العـزم هـذه لازمـة ومطلوبـة في الحيـاة المسيحية. لقـد كشـفتُ لكـم عـن مجـد الخلـق الـذي هــو المجــد الحقيقي لملكوتي. إنّه لا يعدكـم بملـكٍ أرضـي ومـع ذلـك فـهو يسـتحق أسمــى أشـواقكم وجـهودكم. إنّـي لا أدعوكـم لتحـاربوا للتسـلط علـى إمبراطوريـة العـالم العظيمة، ولكـن لا تستنتجوا لذلـك انّـه لا توجـد معركـة ينبغـي خوضـها، أو أنـه لا توجـد انتصـارات يجـب إحرازهـا. فـإني آمركـم أن تجـاهدوا وتكـافحوا بكــل قوتكـم في الدخـول إلى ملكوتـي الروحــي.

إنّ الحيـاة المسـيحية هـي معركـة وسـير إلى الأمـام. ولكــن الانتصــار الــذي يجــب إحــرازه لا يُنـال بقــوّة بشـرية. إنّ ميــدان القتــال هــو منطقـــة القلـــب. والحـرب الـتي علينـا أن نشـنها - أعظـم معركـة يخوضـها الإنســان - هــي تسـليم الــذات لمشــيئة الله وتســليم القلــب لســلطان المحبــة. إنّ الطبيعـــة القديمـــة المولــودة مــن الــدم ومـــن مشــيئة الجســد لا يمكنــها أن تــرث ملكــوت الله. والأميال الموروثة والعادات القديمـة يجـب الإقـلاع عنـها.

إنّ من يصمم على دخول الملكوت الروحي سيجد أنّ كل قوى الطبيعة غير المتجددة وأهواءها تسندها قوى مملكة الظلام مصطفّة ضدّه. فالأنانية والكبرياء ستقفان ضد أي شيء يبرهن على انهما شريرتان. ونحن من ذواتنا لا نستطيع أن نقهر الشهوات والعادات الشريرة التي تحاول السيطرة علينا. ولا نستطيع أن نقهر العدو الجبار الذي يستأسرنا. ولكن الله وحده يستطيع أن يمنحنا النصرة. وهو يريدنا أن نتحكم في نفوسنا، في أرادتنا وطرقنا. ولكنّه لا يستطيع أن يعمل فينا بدون رضانا وتعاوننا. فروح الله يعمل عن طريق الكفاءات والقوى المعطاة للإنسان. إنّ قوى نشاطنا مطلوبة لتتعاون مع الله.

والنصرة لا تنال بدون صلوات كثيرة حارة، وبدون إذلال النفس عند كل خطوة. ينبغي عدم إرغام أرادتنا على التعاون مع القوى الإلهية، ولكن يجب إخضاعها طواعية واختيارا. فلو كان من الممكن أن يفرض عليك روح الله بقوة تزيد مئة ضعف في شدتها فهذا لا يمكن أن يجعلك مسيحياً، وواحدا من الرعايا المؤهلين للسماء. فمعقل الشيطان لا يسقط. يجب أن تقف الإرادة إلى جانب إرادة الله. إنّك من ذاتك لا تقدر أن تخضع مقاصدك ورغائبك وأميالك لإرادة الله، ولكن إذا كنت «ترغب في أن تريد» فالله سيتمم لك العمل، حتى نكون «هادمين ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح» وحينئذ أنت ستتمم خلاصك «بخوف ورعدة. لأنّ الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من اجل المسرة» (٢كورنثوس ١٠: ٥؛ فيلبي ٢: ١٢و١٣).

ولكنّ كثيرين يجتذبهم جمال المسيح ومجد السماء ممن يتراجعون أمام الشروط التي بموجبها وحدها يمكن لهذه الأشياء أن تكون لهم. هناك كثيرون في الطريق الواسع غير قانعين تماماً بالطريق الذي هم فيه سائرون.

إنّـهم يشـتاقون إلى التحـرر مــن عبوديــة الخطيــة، ويحــاولون بقوتــهم أن يقفــوا ضـد أعمـالهم الشـريرة. إنّـهم يتطلعـون ناحيـة الطريـق الضيـق والبـاب المكــرب، ولكـنّ المسـرات النفسـانية ومحبــة العــالم والكبريــاء والطمــوح غــير المقـدس تقيـم سـدا منيعـا بينـهم وبـين المخلـص. إنّ نبذهـم لإرادتـهم وموضـوع محبتـهم أو مطالبـهم المختـارة يتطلـب تضحيـة يـترددون أمامـها فيضطربـون ويــتراجعون. «كثـيرون سـيطلبون أن يدخلـوا ولا يقـدرون» (لــوا ١٣: ٢٤). إنّـهم يشـتاقون إلى الخـير ويبذلـون بعـض المسـعى عليـه ولكنـهم لا يختارونـه، فليـس عندهــم العــزم الثابت على إحـرازه بتضحية كـل شـيء.

إنّ الأمل الوحيـد لنـا إذا أردنـا أن ننتصـر هـو أن نجعـل إرادتنـا متحـدة مـع إرادة الله ونعمـل متعـاونين معـه سـاعة بعـد سـاعة ويومـا بعـد يـوم. لا يمكننـا الإبقـاء علـى الـذات ومـع ذلـك ندخـل ملكـوت الله . إذا نحـن بلغنـا القداسـة فذلـك يكــون عــن طريــق نبــذ الــذات وقبــول فكــر المسـيح. فيجـب صلـب الكبريـاء وكفايـة النفس. فـهل نحـن راضـون عـن دفـع الثمـن المطلـوب منـا؟ وهـل نحـن راغبـون في جعـل أرادتنـا في حالـة امتثـال كـامل لإرادة الله؟ فـان لم نكن راغبين في ذلك فان نعمة الله المغـيرّة لا يمكـن أن تظـهر فينـا.

إنّ الحرب الـتي علينـا أن نثيرهـا هـي «جـهاد الإيمـان الحسـن» قـال بولـس الرسـول: «أتعب أيضا مجـاهداً بحسـب عملـه الـذي يعمـل فيَّ بقـوة» (كولوسـي ١: ٢٩).

إنّ يعقوب في أزمة حياته العظيمـة انتحـي جانبا ليصلّـي. لقـد كـان ممتلـيء القلـب بعـزم واحـد تسـلط عليـه – أن يطلــب تغيـير أخلاقـه. ولكــن فيمـا كـان يجاهد مع الله وضع الله يـده عليـه (وكـان يظنّـه عـدوا)، وقـد ظـل طـوال الليـل يصارع لأجل حياته. ولكنّ عزم نفسه لم يتغيّر بسـبب الخطـر علـى حياتـه نفسـها، وعندما كادت قوّته تفارقه أخرج الملاك قوّته الإلهيـة وعنـد لمسـته عـرف يعقـوب

ذاك الذي كان يتصارع معه. فإذ كان جريحا وعاجزا ارتمى على صدر المخلص متوسلا في طلب البركة. إنّه لم يرد أن يرجع أو ينزاح من الطريق ولا أن يكفّ عن تشفّعه. وقد منح المسيح هذه النفس العاجزة التائبة طلبها حسب وعده: «ليتمسك بحصني فيصنع صلحاً معي. صلحا يصنع معي». (إشعياء ٢٧: ٥). لقد توسل يعقوب بروح التصميم إذ قال: «لا أطلقك أن لم تباركني» (تكوين ٣٢: ٢٦). إنّ روح الإصرار هذه قد ألهمه بها ذاك الذي كان يصارع مع ذلك القديس. إنّه هو الذي منحه النصرة وهو الذي غير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل قائلا: «لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت» (تكوين ٣٢: ٢٨). إنّ ما جاهد يعقوب باطلا في سبيل الحصول عليه بقوته قد ظفر به عن طريق تسليم الذات والإيمان الراسخ. «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا» (١ يوحنا ٥: ٤).

«احترزوا من الأنبياء الكذبة» (متى ٧: ١٥)

سيقوم معلمون كذبة ليجتذبوكم بعيدا عن الطريق الضيق والباب الضيق. فاحترسوا منهم، فمع انّهم يخفون أنفسهم في ثياب الحملان فهم في باطنهم ذئاب خاطفة. ويسوع يقدم اختباراً يمكن بواسطته التمييز بينهم وبين المعلمين الأمناء. فيقول: «من ثمارهم تعرفونهم. هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً»؟ (متى ٧: ١٦).

إنّه لا يطلب منا أن نختبرهم بخطبهم الجميلة أو اعترافاتهم السامية. ولكن يحكم عليهم بما ورد في كلمة الله. «إلى الشريعة وإلى الشهادة. إنّ لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر» «كف يا ابني عن استماع التعليم للضلالة عن كلام المعرفة» (إشعياء ٨: ٢٠؛ أمثال ١٩: ٢٧). ما هي الرسالة التي يأتينا بها هؤلاء المعلمون؟ هل تقودك إلى أن توقر الله وتخشاه؟ وهل

ترشـدك إلى أن تظـهر محبتـك لـه بولائـك لوصايـاه؟ إذا لم يشـعر النـاس بثقـل النـاموس الأدبـي، واسـتخفوا بوصايـا الله، ونقضـوا إحـدى وصايـــاه الصغـرى وعلمـوا النـاس هكـذا فلـن يكـون لهـم أيّ تقديـر أمـام السـماء. نحـن نعلـم أنّ ادعاءاتهم هـي بـلا أسـاس. إنّـهم يعملـون نفـس العمـل الـذي بـدأ مـن سـلطان الظلمـة عـدو الله.

ليس كل من يعترفون باسم المسيح ويلبسون شـعاره هـم لـه. قـال يسـوع أن كثـيرين ممـن قـد علمـوا بـاسمي سـيوجدون نـاقصين في النهايـة. «كثـيرون سـيقولون لـي في ذلـك اليـوم يـا رب يـا رب أليـس بـاسمك تنبأنـا وبـاسمك أخرجنـا شـياطين وبـاسمك صنعنـا قـوات كثـيرة. فحينئـذ أصـرح لهـم أنّـي لم أعرفكم قط اذهبوا عني يا فـاعلي الإثـم» (متـى ٧: ٢٢و٢٣).

يوجـد أنـاس يعتقـدون انّـهم علـى صـواب في حـين أنّـهم علـى خطـأ. ففـي حـين يدّعـون أنّ المسـيح ربـهم وباسمـه يعملـون أعمـالا عظيمـة علانيـة فانّـهم فـاعلوا الإثـم. «بأفواهـهم يظـهرون أشـواقا وقلبـهم ذاهـب وراء كسـبهم». ذاك الـذي يعلـن كلمـة الله بالنسبة إليـهم «كشـعر أشـواق لجميـل الصـوت يحسـن العـزف فيسـمعون كلامـك ولا يعملـون بـه» (حزقيـال ٣٣: ٣١و٣٢).

إنّ الإقـرار المجـرد بـالتلمذة للمسـيح هـو بـلا قيمـة. إنّ الإيمـان بالمسـيح الـذي يخلـص النفس ليس هـو كمـا يصـوّره كثـيرون. يقولـون: «آمنـوا آمنـوا، وحينئـذ لـن تكونـوا بحاجـة إلى حفـظ النـاموس». ولكـن الإيمـان الـذي لا يقـود إلى الطاعـة هـو غطرسـة. إنّ الرسـول يوحنـا يقـول: «مـن قـال قـد عرفتـه وهـو لا يحفـظ وصايـاه فـهو كـاذب وليـس الحـق فيـه» (١يوحنـا ٢: ٤). لا يحتفـظ أحـد بـهذا الفكـر وهـو أنّ أعمـال عنايـة خاصـة أو إعلانـات معجزيـة يجـب أن تكـون هـي البرهـان علـى حقيقـة عملـهم أو الآراء الـتي يدافعـون عنـها. فعندمـا يتكلـم

الناس باستخفاف عن كلمة الله ويضعون اقتناعاتهم ومشاعرهم وأعمالهم فوق المقياس الإلهي يمكننا أن نعرف أنّ لا نور فيهم.

إنّ الطاعة هي محكّ التلمذة. إنّ حفظ الوصايا هو الذي يبرهن على إخلاصنا في إقرارات محبتنا. فعندما تقتلُ العقيدة التي نقبلُها الخطيةَ التي في القلب وتطهرُ النفس من النجاسات والأدناس وتثمر للقداسة يمكننا أن نعرف أنّها حق الله. وعندما يظهر حب الخير والرفق والحنان والعطف في حياتنا، وعندما يكون في قلوبنا فرح عمل الصواب، وعندما نمجد المسيح لا الذات يمكننا أن نعرف أنّ إيماننا هو من النوع الحقيقي: «بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه» (١يوحنا ٢: ٣).

«لم يسقط لأنه كان مؤسسا على الصخر» (متى ٧: ٢٥)

أحدثت أقوال المسيح تأثيرا عميقاً في الشعب، فلقد اجتذبهم جمال مباديء الحق الإلهي، ووقعت إنذارات المسيح الخطيرة على أسماعهم كصوت الله الفاحص القلوب. لقد ضرب كلامه أصول أفكارهم وآرائهم الماضية، فإنّ إطاعة تعليمه قد تتطلب تغييرا في عاداتهم في التفكير والعمل. وقد يجعلهم يصطدمون بمعلميهم الدينيين لأنّه قد يتضمن هدم كل البناء الذي ظل المعلمون يبنونه مدى أجيال. لذلك فعندما استجابت قلوب الشعب لأقواله كان قليلون منهم مستعدين لقبولها على أنها دليل الحياة.

أنهى يسوع تعليمه على الجبل بشرحٍ قدّم بوضوح مفزع أهمية العمل بالأقوال التي نطق بها. وكان يوجد بين الجموع التي اجتمعت حول المخلص كثيرون ممن قضوا حياتهم عند بحر الجليل. فإذ جلسوا على سفح التل مصغين إلى كلام المسيح أمكنهم أن يروا الوديان والوهاد التي وجدت

جـداول الجبـال طريقـا لنفسـها فيـها إلى البحـر. هـذه الجـداول كـانت تختفـي في الصيف تماما تاركـة المجـاري الـتي تجـري فيـها جافـة ومتربـة. ولكـن عندمـا كـانت عواصـف الشـتاء تـهب علـى التـلال صـارت الأنـهار عنيفـة وقويـة، وكـانت المياه الثائرة تغطـي الوديـان في بعـض الأحيـان وتكتسـح كـل شـيء أمامـها في فيضانـها الـذي لا يقـاوم. وحينئـذ كـانت الزرائـب الـتي بناهـا الفلاحـون في السـهل الأخضـر والـتي كـان يبـدو أنـها بعيـدة عـن متنـاول الخطـر تكتسـح هـي أيضـا في غـالب الأحيـان. ولكـن كـانت توجـد في أعـالي التـلال بيـوت مبنيـة علـى الصخـر. وفي بعـض أنحـاء البـلاد كـانت توجـد مسـاكن مبنيـة كلـها مـن الصخـر وكثـير منـها صمـد أمـام العواصـف الـتي هبـت مـدى ألـف سـنة. فـهذه البيـوت أقيمـت بعـد تعـب ومشـقة. ولم يكـن الوصـول إليـها سـهلا وكـان موقعـها أقـل جاذبيـة مـن السـهل المعشـب. ولكنـها كـانت مؤسسـة علـى الصخـر وعبثـا كـانت تضربـها الريـح والنـهر والعاصفـة.

وقد قـال يسوع إن الـذي يقبـل الكـلام «الـذي كلمتكـم بـه» ويجعلـه أسـاس خلقه وحياتـه يشبه بنـاة هـذه البيـوت. وقد كتب إشعياء النـبي قبـل ذلـك بقـرون يقـول: «أمـا كلمـة إلهنـا فتثبـت إلى الأبـد»، وبعدمـا قيلـت الموعظـة علـى الجبـل بوقت طويل إذ اقتبس بطـرس كلمـات إشـعياء هـذه أضـاف قـائلا: «وهـذه هـي الكلمـة الـتي بشـرتم بـها» (إشـعياء ٤٠: ٨؛ ١بطـرس ١: ٢٥). إن كلمـة الله هـي الشـيء الوحيـد الثـابت الـذي يعرفـه العـالم. إنـها الأسـاس الراسـخ. وقـد قـال يسـوع: «السـماء والأرض تـزولان ولكـن كلامـي لا يـزول» (متـى ٢٤: ٣٥).

إن المبـادئ العظيمـة للشـريعة، مبـادئ نفـس طبيعـة الله هـي مجسـمة في كـلام المسيح الـذي نطـق بـه علـى الجبـل. فـالذي يبـني علـى هـذه الأقـوال فإنمـا يبـني علـى المسيح صخـر الدهـور. فنحـن إذ نقبـل الكلمـة نقبـل المسـيح. والذيـن يقبلـون كلامه هكـذا إنمـا يبنـون عليـه: «لا يسـتطيع أحـد أن يضـع أساسـا

آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح» (١كورنثوس ٣: ١١). «لأنّ ليس إسمٌ آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أعمال الرسل ٤: ١٢). فالمسيح، الكلمة، إعلان الله - مظهر صفاتّه وشريعتّه ومحبتّه وحياتّه - هو الأساس الوحيد الذي يمكننا أن نبني عليه خلقًا راسخاً.

إننا نبني على المسيح بإطاعتنا لكلمته. فليس الذي يستمتع بالبرّ هو البار بل من يصنع البرّ. إنّ القداسة ليست حالة من الشعور بالفرح المفرط، بل هي نتيجة تسليم الكل لله، وهي عمل إرادة الآب السماوي. عندما نصبَ بنو إسرائيل خيامهم على حدود أرض الموعد لم يكن يكفيهم أن يعرفوا كنعان أو أن يتغنوا بتسابيح كنعان فهذا وحده لم يكن كافيا لأن يجعلهم يمتلكون الكروم وبساتين الزيتون في الأرض الجيدة. فقد كان يمكنهم أن يجعلوها ملكا لهم باحتلالهم إياها وبالامتثال للشروط وبممارسة الإيمان الحيّ بالله وبتطبيق مواعيده على أنفسهم عندما أطاعوا تعليماته.

إنّ الدين يتكون من العمل بكلام المسيح ليس العمل للحصول على رضاه وبركاته، ولكن بسبب كوننا عديمي الاستحقاق قد حصلنا على هبة محبته. إنّ المسيح يضع خلاص الإنسان لا على الاعتراف فحسب بل على الإيمان الذي يظهر في أعمال البرّ. إنّ العمل وليس الكلام فقط هو الذي يُطلب من أتباع المسيح. فالخلُق يُبنى بواسطة العمل. «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رومية ٨: ١٤). فليس الذين قد لمس الروح قلوبهم، ولا الذين من حين لآخر يخضعون لسلطانه، ولكن الذين ينقادون بروح الله هم أبناء الله.

فهل تشتاق لأن تكون تلميذا للمسيح ومع ذلك لا تعرف كيف تبدأ؟ هل أنت في ظلمة ولا تعرف أين تجد النور؟ اتبع النور الذي عندك. ثبّت قلبك

علـى إطاعة ما تعرفـه مـن كـلام الله. فقوّتـهُ وحياتُـه ذاتـها تكمـن في كلمتـه.فـإذ تقبـل الكلمـة بإيمـان فسـتعطيك قـوة علـى الطاعـة. وإذ تنتبــه إلى النــور الــذي عنـدك.ثبـت قلبـك علـى إطاعـة مـا تعرفـه مـن كـلام الله. فقوتــه وحياتــه ذاتــها تكمـن في كلمتـه. فـإذ تقبـل الكلمـة بإيمـان فسـتعطيك قـوة علـى الطاعــة. وإذ تنتبـه إلى النـور الـذي عنـدك يـأتيك نـور اعظـم، فـأنت تبـني علـى كلمـة الله وأخلاقك ستُبنى على مثال أخـلاق المسـيح.

إنّ المسـيح، الأسـاس الحقيقـي، هـو حجـر حـيّ. وحياتــه تُعطـى لكـل مـن يبنـون عليه. «كونـوا انتـم أيضـا مبنيـين كحجـارة حيـة بيتـا روحيـا» «الـذي فيـه كـل البنـاء مركبـا معـا ينمـو هيكـلا مقدسـا في الـرب» (١ بطـرس ٢: ٥؛ افسـس ٢: ٢١).إنّ الأحجــار تصـير واحــدا مــع الأســاس لأنّ حيــاة مشــتركة تســكن في الجميـع. فلا يمكـن لأيـة عاصفة أن تـهدم ذلـك البنـاء – لأنّ

«من يتحد مع الله في حياته سيصمد معه لكل النوازل»

ولكـن كـل بنـاء يُبنـى علـى أسـاس آخـر غـير كلمـة الله سيسـقط. فـالذي يبـني علـى أسـاس الأفكـار والآراء البشـرية كمـا كـان اليـهود يفعلـون في عـهد المسـيح إذ كـانوا يبنـون علـى الطقـوس والفرائـض الـتي هــي مـن ابتكـار الإنسـان. إنّ الـذي يَبنـى علـى أي مـن الأعمـال الـتي يعملـها مسـتقلا عـن نعمـة المسـيح فإنّمـا يقيـم بنـاء أخلاقـه علـى الرمـال السـائبة. فعواصـف التجـارب العنيفـة ستكتسـح الأسـاس المبـني علـى الرمـل وتـترك بيتـه حطامـا علـى شـواطيء الزمـن.

«لذلـك هكـذا يقـول السـيد الـرب ... وأجعـل الحـق خيطـا والعـدل مطمــارا فيخطـف البـرَدُ ملجـأ الكـذب ويجـرف المـاء السـتارة» (إشـعياء ٢٨: ١٦و١٧).

ولكـن الرحمـة تتوسـل إلى الخـاطيء اليـوم: «حيّ أنـا يقـول السـيد الـرب أنّـي لا أسـرّ بمـوت الشـرير بـل بـأن يرجـع الشـرير عــن طريقـه ويحيـا. إرجعـوا إرجعـوا عـن طرقكـم الرديئـة فلمـاذا تموتــون»؟ (حزقيـال ٣٣: ١١). إنّ الصـوت

الـذي يخـاطب غـير التـائبين اليـوم هـو صـوت ذاك الـذي في عـذاب قلبـه الشديد صرخ وهـو يرى المدينـة الـتي أحبـها قـائلا: «يـا أورشـليم يـا أورشـليم يـا قاتلـة الأنبيـاء وراجمـة المرسـلين إليـها. كـم مـرة أردت أن أجمـع أولادك كمـا تجمـع الدجاجـة فراخـها تحـت جناحيـها ولم تريـدوا. هـوذا بيتكـم يـترك لكـم خرابـا» (لوقـا ١٣ : ٣٤و٣٥). وقـد رأى يسـوع في أورشـليم رمـزا للعـالم الـذي قـد رفض نعمتـه وازدرى بـها. لقـد كـان يبكـي لأجلـكَ أيـها الإنسـان العنيـد القلـب! وكـان يمكـن لأورشليم أن تتـوب حتـى عندمـا سـكب يسـوع دموعـه علـى الجبـل وكـان يمكنـها أن تنـجو مـن دينـونتها. وقـد ظلـت هبـة السـماء وقتـا قصـيرا تنتظـر أن تُقبـل. وهكـذا لا يـزال المسـيح يخـاطبك أيـها القلـب بكـلام المحبـة قـائلا: «هـأنذا واقـف علـى البـاب وأقـرع إن سمـع أحـد صوتـي وفتـح البـاب أدخـل إليه وأتعشى معه وهـو معـي» «هـوذا الآن وقـت مقبـول. هـوذا الآن يـوم خـلاص» (رؤيـا ٣: ٢٠؛ ٢كورنثـوس ٦:٢).

أنـت يـا مـن يستند رجـاؤك علـى الـذات أنـت تبـني علـى الرمـل. ولكـن لم يمضِ الوقت بعـد لتنجـو مـن الهـلاك الوشيك. فقبلمـا تثـور العاصفـة اهـرب إلى الأساس الراسـخ «لذلـك هكـذا يـقول السـيد الـرب هـأنذا أؤسّس في صـهيون حجـراً حجـرَ امتحـانٍ حجـرَ زاويـةٍ كريما أسـاسـا مؤسسـا مَـن آمـنَ لا يهـرب» «التفتـوا إلـيَّ واخلصـوا يـا جميـع أقـاصي الأرض لأنّـي أنـا الله وليـس آخـر» (إشـعياء ٢٨: ١٦؛ ٤٥: ٢٢). « لا تخـف لأنـي معـك . لا تتلفـت لأنـي إلهـك. قـد أيدتـك وأعنتـك وعضدتـك بيمـين بـرّي» «لا تُخـزون ولا تخجلـون إلى دهـور الأبـد» (إشـعياء ٤١: ١٠؛ ٤٥: ١٧).